





فهرس

الجزء التاسع

من كتاب صبح الأعشى للقلقشنديّ



صفحة

القسم الثانى — من مقاصد المكاتبات الإخوانيات ... ..	٥
وهى على سبعة عشر نوعا ... ..	٥
النوع الأول — التهانى، وهى على أحد عشر ضربا ... ..	٥
الضرب الأول — التهنة بالولايات ... ..	٦
» الثانى — » بكرة السلطان، وأجوبته ... ..	٢٥
» الثالث — » بالعود من الحج ... ..	٣١
» الرابع — » بالقدوم من السفر ... ..	٣٣
» الخامس — » بالشهور والمواسم والأعياد ... ..	٣٩
» السادس — » بالزواج والتسرى ... ..	٥٤
» السابع — » بالأولاد ... ..	٥٦
» الثامن — » بالإبلال من المرض والعافية من السقم ... ..	٦٣
» التاسع — » بقرب المزار ... ..	٧٠
» العاشر — » بتزول المنازل المستجدة ... ..	٧١
» الحادى عشر — نوادر التهانى ... ..	٧٣
النوع الثانى — من مقاصد المكاتبات التعازى، وهى على أضرى ٨٠	٨٠
الضرب الأول — التعزية بالآبن ... ..	٨٠
» الثانى — » بالبنت ... ..	٨٥
» الثالث — » بالأب ... ..	٨٦
» الرابع — » بالأم ... ..	٨٧
» الخامس — » بالأخ ... ..	٨٨
» السادس — » بالزوجة ... ..	٩٠
» السابع — التعازى المطلقة ... ..	٩٢

صفحة	
النوع الثالث - من مقاصد المكتبات التهادى والملاطفة ... ١٠٠	
» الرابع - الشفاعات والعنايات ... ١٢٤	
» الخامس - التسوق ... ١٤٢	
» السادس - فى الأستراحة ... ١٥٠	
» السابع - فى أخطاب المودة وأفتتاح المكتبة ... ١٥٥	
» الثامن - فى خطبة النساء ... ١٥٩	
» التاسع - فى الأسترضاء والأستعطاف والأعتذار ... ١٦٥	
» العاشر - فى الشكوى ... ١٧٣	
» الحادى عشر - فى أستماعة الحوائج ... ١٧٦	
» الثانى عشر - فى الشكر ... ١٨٣	
» الثالث عشر - فى العتاب ... ١٨٩	
» الرابع عشر - فى العيادة والسؤال عن حال المريض ... ٢٠٣	
» الخامس عشر - فى الذم ... ٢١٧	
» السادس عشر - فى الأخبار ... ٢١٩	
» السابع عشر - فى المداعبة ... ٢٢٥	
الفصل الثامن - فى إخفاء ما فى الكتب من السر، وهو على نوعين ٢٢٩	
النوع الأول - ما يتعلق بالكتابة، وهو على ضربين ... ٢٢٩	
الضرب الأول - ما يتعلق بالمكتوب به ... ٢٢٩	
» الثانى - ما يتعلق بالخط المكتوب ... ٢٣٠	
النوع الثانى - الرموز والإشارات التى لاتعلق لها بالخط والكتابة ٢٤٩	
المقالة الخامسة - فى الولايات، وفيها أربعة أبواب ... ٢٥٢	
الباب الأول - فى بيان طبقاتها وما يقع به التفاوت، وفيه	
ثلاثة فصول ... ٢٥٢	

صفحة

الفصل الأول - في بيان طبقات الولايات ... .. ٢٥٢

الطبقة الأولى - الخلافة ... .. ٢٥٢

» الثانية - السلطنة ... .. ٢٥٢

» الثالثة - الولايات عن الخلفاء والملوك وما يكتب عن

السلطان بالديار المصرية في أقطار المملكة بمصر

والشام والحجاز، وهي على خمسة أنواع ... ٢٥٢

النوع الأول - ولايات أرباب السيوف ... .. ٢٥٣

» الثاني - ولاية أرباب الأقلام ... .. ٢٥٥

» الثالث - ولاية أرباب الوظائف الصناعية ... ٢٥٩

» الرابع - ولايات زعماء أهل الذمة ... .. ٢٥٩

» الخامس - ما لا يختص بطائفة ولا يندرج تحت نوع ... ٢٦٠

الفصل الثاني - من الباب الأول من المقالة الخامسة في بيان

ما يجب على الكاتب مراعاته في كتابة الولايات

على سبيل الإجمال ... .. ٢٦١

الفصل الثالث - من الباب الأول من المقالة الخامسة في بيان

ما يقع به التفاوت في رتب الولايات . وذلك

من سبعة أوجه ... .. ٢٦٣

الوجه الأول - الألقاب ، وهي على ثلاثة أنواع ... ٢٦٣

النوع الأول - ألقاب الخلفاء ... .. ٢٦٣

» الثاني - » الملوك ... .. ٢٦٣

» الثالث - ألقاب ذوى الولايات الصادرات عن السلطان ٢٦٤

الوجه الثاني - ألقاب إسناد الولايات إلى صاحب الوظيفة ... ٢٦٦

» الثالث - الأمتاحات ... .. ٢٦٨

» الرابع - تعبد التعميد في الخطبة أو في أثناء الكلام

والتحاده ... .. ٢٦٩

صفحة	
٢٦٩ ... ..	الوجه الخامس - الدعاء
٢٧٠ ... ..	» السادس - طول الكلام وقصره
٢٧١ ... ..	» السابع - قطع الورق
٢٧٣	الباب الثاني - من المقالة الخامسة في البيعات، وفيه فصلان
٢٧٣ ... ..	الفصل الأول - في معناها
٢٧٤ ... ..	» الثاني - في ذكر تنوع البيعات، وهي نوعان
٢٧٤ ... ..	النوع الأول - بيعات الخلفاء، وفيها سبعة مقاصد
٢٧٤ ... ..	المقصد الأول - في أصل مشروعيتها
٢٧٥	» الثالث - في بيان أسباب البيعة الموجبة لأخذها على الرعية
	» الثالث - في بيان ما يجب على الكاتب مراعاته في كتابة
٢٧٦ ... ..	البيعة
	» الرابع - في بيان مواضع الخلاف التي تستدعي الحال
٢٧٩ ... ..	كتابة المبايعات فيها
	» الخامس - في بيان صورة ما يكتب في بيعات الخلفاء،
٢٨٠ ... ..	وفيه أربعة مذاهب
	المذهب الأول - أن تفتح المبايع بلفظ «تبايع فلانا أمير المؤمنين»
٢٨٠ ... ..	خطابا لمن تؤخذ عليه البيعة
	» الثاني - مما يكتب في بيعات الخلفاء أن تفتح المبايع
	بلفظ «عن عبد الله ووليه فلان أبي فلان الامام
٢٨٦ ... ..	الفلاني» إلى أهل دولته
	» الثالث - أن تفتح البيعة بعد البسملة بخطبة مفتحة
٢٩٨ ... ..	بالحمد لله الخ
	» الرابع - مما يكتب في بيعات الخلفاء أن تفتح البيعة
٣٢٠ ... ..	بلفظ «هذه بيعة الخ

صفحة

المقصد السادس - فيما يكتب في آخر البيعة ... ٣٣١

» السابع - في قطع الورق الذى تكتب فيه البيعة ، والقلم

الذى تكتب به ، وكيفية كتابتها وصورة وضعها ٣٣٢

النوع الثانى - من البيعات بيعات الملوك ... ٣٣٧

الباب الثالث - من المقالة الخامسة في العهود ، وفيه فصلان ... ٣٤٨

الفصل الأول - في معنى العهد ... ٣٤٨

» الثانى - في بيان أنواع العهود ، وهى ثلاثة انواع ... ٣٤٩

النوع الأول - عهود الخلفاء عن الخلفاء ، ويتعلق النظر به من

ثمانية أوجه ... ٣٤٩

الوجه الأول - في أصل مشروعيتها ... ٣٤٩

» الثانى - في معنى الاستخلاف ... ٣٥٠

» الثالث - فيما يجب على الكاتب مراعاته ... ٣٥١

» الرابع - فيما يكتب في الطرة وهو تلخيص ما يتضمنه

العهد ... ٣٥٧

» الخامس - فيما يكتب لاولياء العهد من الألقاب ... ٣٥٨

» السادس - فيما يكتب في متن العهد ، وفيه ثلاثة مذاهب ٣٥٨

المذهب الأول - أن يفتح العهد بعد البسملة بلفظ « هذا » مثل

هذا ما عهد به فلان لفلان ، وللكاتب فيه

طريقتان ... ٣٥٨

الطريقة الاولى - طريقة المتقدمين ... ٣٥٩

» الثانية - المتأخرين ... ٣٦٨

صفحة

المذهب الثانى — أن يفتح العهد بعد البسملة بلفظ « من فلان إلى فلان » ... ٣٧٧

» الثالث — أن يفتح العهد بعد البسملة بخطبة مفتوحة بالمحمد لله ... ٣٨٦

الوجه السابع — فيما يكتب فى مستند عهد ولى الخلافة عن الخليفة الخ ... ٣٩١

» الثامن — فى قطع الورق الذى تكتب فيه عهود الخلفاء والقلم الذى يكتب به ، وكيفية كتابتها وصورة وضعها ... ٣٩٤

النوع الثانى — عهود الخلفاء للولك، ويتعلق النظر به من سبعة أوجه ... ٣٩٨

الوجه الأول — فى أصل مشروعاتها ... ٣٩٨

» الثانى — فى بيان معنى الملك والسلطنة اللتين يقع العهد بهما ... ٣٩٨

» الثالث — فيما يجب على الكاتب مراعاته فيه ... ٤٠٥

» الرابع — فيما يكتب فى الطرة، وهو نمطان ... ٤٠٦

النمط الأول — ما كان يكتب فى وزارة التفويض فى دولة القاطمين ... ٤٠٦

» الثانى — ما يكتب فى طرة عهود الملوك الآن ... ٤٠٧

(تم فهرس الجزء التاسع من كتاب صبح الأعشى)



# صَبْحُ الْأَسْبَحَةِ

---

الجزء التاسع

---



دار الكتب السلطانية

---

كتاب

صبح الإسكندر

نالتفت

الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي

---

الجزء التاسع

---

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب السلطانية

---

طبع  
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة  
١٣٣٤ هـ  
١٩١٦ م



## بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد وآله وصحبه

### القسم الثاني

#### من مقاصد المكاتبات، الإخوانيات

(مما يكتُب به الرئيسُ إلى المرعوس والمرعوسُ إلى الرئيس والنظيرُ إلى النظير)  
قال في "موادّ البيان" : ولها مَوْقِعٌ خَطِيرٌ من حيثُ تشتركُ الكافّةُ في الحاجةِ إليها . قال : والكاتبُ إذا كان ماهراً ، أغربَ معانيها ، ولطّفَ مبانيها ، وتسهّلَ له فيها ما لا يكادُ أن يتسهّلَ في الكُتُبِ التي لها أمثلةٌ ورسومٌ لا تتغيّرُ ولا تُتجاوزُ ، وهي على سبعةٍ عشرَ نوعاً :

#### النوع الأول

(التّهاني)

قال في "موادّ البيان" : كُتِبَ التّهاني من الكُتُبِ التي تظهرُ فيها مقاديرُ أفهامِ الكتاب ، ومنازلُهم من الصّناعة ، ومواقِعُهم من البلاغة . وهي من ضُروبِ الكتابةِ الجليّةِ النفيسةِ ، لما في التهنئةِ البليغةِ من الإفصاحِ بقدرِ النعمة ، والإبانةِ عن مَوْقِعِ الموهبةِ ، وتضاعُفِ الشُّرورِ بالعطيةِ . وأغراضُها ومعانيها متشعبةٌ لا تحفَ عندَ حدٍّ ، وإنما نذكرُ منها الأصولَ التي تفرّعتُ منها فروعٌ رجعتُ إليها ، وحملتُ عليها .

قال : ويجب على الكاتب أن يراعى فيها مرتبة المكتوب إليه والمكتوب عنه في الرسالة اللاحقة بهما مما لا يُسَاحُ بمثله .  
ثم التهاى على أحد عشر ضرباً :

### الضرب الأول

( التهنئة بالولايات ، وهى على تسعة أصناف )

الصنف الأول — التهنئة بولاية الوزارة :

قد تقدم في المقالة الثانية في الكلام على ترتيب الملكة أن الوزارة كانت في الزمن المتقدم هى أرفع وظائف الملكة وأعلىها رتبة ، وأنها الرتبة الثانية بعد الخلافة . وكانت في زمن الخلفاء تكاد أن تكون كالسلطنة الآن <sup>(١)</sup> ، فهى من الأتباع ومن في معناهم على نحو ما كانت في الزمن المنقسم بين الرؤساء والأكابر ، ومن الرؤساء والأكابر بحسب ما تقتضيه رتبة المهل .

وهذه تسع تهاى من ذلك على ما كان عليه الحال في الزمن القديم .

تهنئة بوزارة : من إنشاء أبى الحسين بن سعد ، كتب بها إلى الوزير محمد بن القاسم بن عبيد رحمه الله ، وهى :

من كانت النعمة — أيد الله الوزير — نافرة عنه وفتائيه غريبة ، فهى تأوى من الوزير إلى متوى معهود ، وكفى محمود ، وتجاور منه من يوفىها حقها ، ويمايلها بحسن الصُحبة لها ، ويحبرى في الشكر لما يؤلاه ، والرعاية لما يُسترعاه ؛ على شاكلة مضى عليها السلف من أهله ، ونشأ في مثلها الخلف ؛ مقتدياً بالأول الآخر ، وبالمضى

(١) أى التهنئة من الأتباع الخ .

الغائب؛ تَسَابُها في كَرَمِ الأَنْصَالِ ، ورِعايَةِ حُقُوقِ الآمالِ ؛ وأَعْتادًا للرِّاْفَةِ والرَّحْمَةِ ،  
وَعُمُومًا بِالْإِنْصَافِ والمَعْدِلَةِ ؛ إلى ما خَصَّ اللهُ به أهلَ البيتِ رَضِيَ اللهُ عنِ الماضينَ  
منهم وأقامَ عِزَّ الباقيينَ وحِراسَتَهُم : من العلمِ بالسِّيَاسةِ والدُّرابةِ بتدبيرِ المَمْلَكَةِ ورِعايَةِ  
الأُمَّةِ ؛ والهُدَايَةِ فيهِم طُرُقَ الحَيْطَةِ ونَهْجَ المِصْلَحَةِ .

والْحَمْدُ لله على ما خَصَّ به الوَليَّ مِنَ فَضْلِهِ الَّذِي رَفَعَ قَدْرَهُ فِيهِ عَنِ مُسَامَاةٍ  
ومِشَاكَلَةِ الْمُقَادَّرِ<sup>(٢)</sup> والشَّيْبِ ، وجعلَهُ فيا جَباهُ به نَسِيجَ وَحْدِهِ ، وقَرَّيَعَ دَهْرَهُ ؛ وَجَمَعَ  
لَهُ مِنْ مَوَاهِبِ الخَيرِ ، وَخِصَائِصِ الفَضْلِ ما أَبَانَ بِهِ مَوْقِعَهُ فِي الدِّينِ ، وأَعْطاهُ  
مَعَهُ الوِلايَةَ مِنْ جَمِيعِ المَسايِلِ .

والْحَمْدُ لله حَمْدًا مَجْدَدًا على ما جَدَّدَهُ لَهُ مِنْ رَأْيِ أميرِ المُؤْمِنينَ وَأَجْتِبايِهِ ، وَمَحَلِّهِ  
مِنْ أَخْتِيارِهِ وَأَصْطِفائِهِ .

والْحَمْدُ لله على ما مَنَحَهُ مِنْ كَرَامَتِهِ ، وَجَدَّدَهُ لَهُ مِنْ نِعْمَتِهِ ، فيا أَعَادَ إلى تَدْيِيرِهِ مِنْ  
وِزَارَتِهِ ، وَأَشْرَكَهُ فِيهِ مِنْ أَمَانَتِهِ ؛ أَحْتِياطًا مِنْهُ لِلْمَلَكَةِ ، وَنَظَرًا لِمُخَاصَّصَةِ العالَمَةِ ؛ فَإِنَّ  
عائِدَةَ رَأْيِهِ سَوَتْ بَيْنَ الضَّعِيفِ والقَوِيِّ ، وَوَصَلَتْ إلى الدَّائِي والقَصِيِّ ؛ وَأَعَادَتْ  
إلى المُلُوكِ بَهَاءَهُ ، وإلى الإسلامِ نُورَهُ وَضِياءَهُ ؛ فَكَانَتْ الدُّنْيَا مِنَ الحِلَّةِ بَعْدَ  
الإِخْلَاقِ ، والنَّصَارَةِ بَعْدَ الإِنْجَاجِ<sup>(٣)</sup> ، ما لَمْ يَكُنْ يَوجِدُ مِثْلَهُ إِلَّا بِالوِزْرِ فِي شَرَفِ مَنَصِبِهِ ،  
وَكَرَمِ مَرْكَبِهِ ؛ فَهَنا اللهُ الوَليُّ ما آتاهُ وَتَاجَعَ لَهُ قَسَمَهُ ، وَوَصَلَ لَهُ ما جَدَّدَهُ لَهُ بالسَّعَادَةِ ؛  
وَأَمَدَهُ فِيهِ بِالزَّيادَةِ ؛ وَأَعْطاهُ مِنْ كُلِّ ما مَوْلُ أَعْظَمَ حَظًّا وَأَوْفَرَ نَصِيبًا وَقَسَمًا ؛ تَراخِيًا

(١) في الأصل والوراة لتدبير وهو تصحيح بخفيف .

(٢) في القاموس "قادرته قابسته وفطنت مثل فعله" .

(٣) الإنجاء الجلى ، آخر القاموس في مادة ( ن ه ج ) .

في مُدة العُمُر، وتَباهِياً في دَرَجَةِ العِزِّ، وأَحتِياطاً بالمُوَهِّبَةِ في العَاجِلِ، وقُوْراً بالكِرامَةِ في الآجِلِ؛ إِنَّه فَعَالٌ لِمَا يَشَاءُ .

تَهْنِئَةٌ أُخْرَى في مِثْلِ ذَلِكَ : أوردَها في رِسَالِهِ ، وَهِيَ :

التَهْنِئَةُ بِالْوَزِيرِ لِلزَّمَانِ وَأَهْلِهِ بِمَا جَعَلَهُمْ بِهِ ، وَجَدَّ لَهُمْ مِنْ مِيسَمِ العِزِّ ، وَسَرَّ لَهُمْ إِيَّاهُ مِنْ حُلَّةِ الأَمْنِ بِوِلَايَتِهِ ، وَالنِّعْمَةُ عَلَى أَوْلِيائِهِ وَرَعَايَاهُ عَلَى حَسَبِ مَوَاقِعِهِمْ مِنْ مِشَارِكَتِهِ وَحُطُوطِهِمْ مِنْ مَعْدِنَتِهِ ظَاهِرَةٌ ، وَفِيهِ عَلَى ذَلِكَ الْحَمْدُ الْفَاضِلُ ، وَالشُّكْرُ الْكَامِلُ . وَلِلْوَزِيرِ مِنْ هَذِهِ النِّعْمَةِ الْجَلِيلَةِ ، وَالِدَوْلَةِ السَّعِيدَةِ ؛ أَهْنَاهَا مَوْفِقًا ، وَأَسْرَاهَا مَلْبَسًا ، وَأَدْوَمُهَا مُدَّةً ، وَأَجْمَلُهَا نَفْسُهُ ؛ وَأَثَرَاهَا مُبَوِّدًا ، وَأَسْلَمُهَا عُقْبَى ؛ فَيَقُولُ اللَّهُ بِالْمُؤْمِنَةِ وَالْحِرَاسَةِ ، وَأَيُّدُهُ اللَّهُ بِالنَّصْرِ وَالْكِفَايَةِ ؛ وَأَنْهَضَهُ بِمَا قَلَدَهُ وَأَسْرَعَاهُ ، وَبَلَّغَهُ حِمَايَهُ وَمُنَاهُ ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ مَوْفِقِي مِنْ نِقَةِ الْوَزِيرِ يُلْحِقُنِي عِنْدَهُ بِمَنْ مَكَّنْتَهُ الْيَوْمَ مِنْ قَضَاءِ الْحَقِّ فِي التَّلَقِّيِّ وَالْإِبْعَادِ ، وَيُعَوِّضُنِي بِتَفْضِيلِهِ مِمَّا حَرُمْتُهُ مِنْهَا مَحَلَّ دَوَى الْإِخْلَاصِ وَالْإِعْتِدَادِ .

تَهْنِئَةٌ أُخْرَى في مِثْلِ ذَلِكَ : أوردَها في رِسَالِهِ أَيْضًا ، وَهِيَ :

وَهَذَا أَوَّلُ بَيِّنَةٍ مَابَعْدَهُ بِلَا تَبَاهٍ وَلَا تَقْصُ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمِشِيئَتِهِ ، بَلْ يَكُونُ مَوْصُولًا لِاتِّبَاعٍ مِنْهُ غَايَةُ إِلَّا شَفَعَتْهَا دَرَجَةُ تَرْقِيٍّ ، تَكُنُّ ذَلِكَ كِفَايَةً مِنْ اللَّهِ شَامِلَةً كَامِلَةً ، وَغِطَّةً فِي الْبَدَنِ وَالْعَاقِبَةِ بِلَا انْقِطَاعٍ ، وَلَا ارْتِجَاجٍ ؛ حَتَّى يَكُونَ الْمُتَقَلِّبُ مِنْهُ بَعْدَ بُلُوغِ العُمُرِ مِنْتَاهُ ، إِلَى قُوْزِ بَرَحَةِ اللَّهِ وَرِضَاهُ . فَهَنِيئًا لِلْوَزِيرِ بِمَا لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَدَّعِي فِيهِ مُسَاعَدَةَ الْمِقْدَارِ ، وَلَا يَتَّأَلَّ بِغَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ ؛ إِذْ لَا مِثْلَ وَلَا نَظِيرَ لِلْوَزِيرِ : فَضْلًا ظَاهِرًا ، وَعِلْمًا عَلَى الْعُلُومِ مُوَفِّيًا ؛ وَسَابِقَةً فِي تَقْلِيدِ الْخِلَافَةِ ظَهْرًا لِيَطْنِ ، وَحَلَبَ الدَّهْرِ شَطْرًا بَعْدَ شَطْرٍ ؛ وَجَمْعًا مِنْ مَالِ السُّلْطَانِ لِمَا كَانَ مُتَفَرِّقًا ، وَحَقَّقًا



لما كَانَ ضَائِعًا ؛ وَحَايَةً لِيَبْضَةَ الْمَلِكِ ، وَضَبَطًا لِلتَّنُورِ ، وَتَلَقِيًّا لِلخُطُوبِ بِمَا يَقُلُ حَدَّثًا ،  
وَيُطْفِئُ نَارَهَا وَلَهَبَهَا وَيُحْيِي أَوْدَهَا ؛ وَمَا وَهَبَ اللَّهُ فِي رَأْيِهِ مِنْ قَتَحِ الْبِلَادِ الْمُرْتَجَّةِ ،  
وَقَتَحِ الْأَعْدَاءِ الْمُتَغَلِّبَةِ ، وَسُكُونِ الدَّهْمَاءِ ، وَثُمُولِ الْأَمْنِ ، وَعُمُومِ الْعَدْلِ ؛ وَاللَّهُ يَصِلُ  
ذَلِكَ بِأَحْسَنِهِ .

تهنئةٌ أُخْرَى فِي مِثْلِ ذَلِكَ : مِنْ إِنْشَاءِ عَلِيِّ بْنِ خَلْفٍ فِي "مَوَادِّ الْبَيَانِ" وَهِيَ :

أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ حَضْرَةِ الْوِزَارَةِ السَّامِيَةِ ، فَارِعَةً مِنَ الْمَعَالِي أَسْمَقَهَا نُجُودًا ، كَارِعَةً مِنَ  
الْمَنَنِ أَعْدَبَهَا وَرُودًا ، سَاحِبَةً مِنَ الْمَيَامِنِ أَرْقَهَا بُرُودًا ؛ مُمْتَعَةً بِالنِّعَمِ الَّتِي يُرَامِي الشُّكْرَ  
عَنْ حَوَازِيهَا ، وَيُحَامِي الْبِشْرَ عَنْ حَوَمَتِهَا ؛ مَبْلَغَةً فِي أَوْلِيَائِهَا وَأَعْدَائِهَا ، قَاضِيَةً مَا تَرْتَمَى  
إِلَيْهِ رِحَالُهَا ؛ فَلَا تَرَى لَهَا وَلِيًّا إِلَّا لَاحِبَ الْمَذْهَبِ ، ثَاقِبَ الْكَوْكَبِ ؛ سَامِيَ الطَّرْفِ ،  
حَامِي الْأَثْفِ ؛ وَلَا عَدُوًّا إِلَّا ضَيَّقَ الْمَطْرَحِ ، وَعِمَرَ الْمَسْرَحِ ؛ صَالِدَ الزُّنْدِ ، مَقْلِلَ الْحَدِّ ؛  
رَاغِمَ الْعَرِينِ ، مَتَوَلًّا لِلْجَيْنِ . وَلَا زَالَتْ أَرْزَمَةُ الدُّنْيَا بِيَدِهَا حَتَّى تَبْلُغَ بِأَمَالِهَا مُنْتَهَاهَا ،  
وَتَجْرِيَ بِأَيَّامِهَا إِلَى أَقْصَى مَدَاهَا ؛ [فَهِيَ] مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ خَطَرًا ، وَأَحْسَنِهَا عَلَى الْكَافَّةِ  
أَثَرًا ؛ وَأَوَّلَاهَا بَانَ يُفَاضُ فِي شِكْرِهَا ، وَتَسْطَرُّ الْآفَاقُ بِذِكْرِهَا . وَلِسَيِّدِنَا الْوَزِيرِ الْأَجَلِّ  
يَرَاعُ يَسْتَقِظُ فِي صَلَاحِهِمْ وَهُمْ هَاجِعُونَ ، وَيَنْصَبُ فِي الذَّبِّ عَنْهُمْ وَهُمْ وَادِعُونَ ؛ وَكُلَّ  
تَدِيرِهِمْ فِيهِ ، إِلَى مَدَبَرِ يُخَافُ اللَّهُ وَيَتَّقِيهِ ، وَيَعْمَلُ فِيمَنْ أَسْتَرَاهُ بِمَا يَرْضِيهِ ؛ وَلَا يَمُدُّ  
يَدَ الْإِقْدَارِ عَلَيْهِمْ مُتَسَلِّطًا ، وَلَا يَبُوعُ دَوَاعِيَ الْهَوَى فِيمَهُمْ مُسَقِّطًا ؛ وَاضِعًا الْأَشْيَاءَ  
فِي حَقَائِقِهَا ، سَالِكًا بِهَا أَمَلَ طَرَائِقِهَا ؛ مُلَانِيًا مِنْ غَيْرِ ضَعْفٍ ، مُحَاشِيًا مِنْ غَيْرِ عُنْفٍ ؛  
قَرِيبًا مِنْ غَيْرِ صِفَرٍ ، بَعِيدًا مِنْ غَيْرِ كِبَرٍ ؛ مُرَغَّبًا بِلا إِسْرَافٍ ، مُرْهِبًا بِإِنْصَافٍ ؛ نَاطِقًا  
إِلَى مُحَقَّرَاتِ الْأُمُورِ وَأَطْرَافِهَا ، كَمَا يَنْظُرُ فِي مَعَاضِمِهَا وَأَشْرَافِهَا ؛ آخِذًا بِوَتَائِقِ الْحَزْمِ ،  
مَتَمَسِّكًا بِعَلَائِقِ الْعَزْمِ ؛ رَامِيًا بِفِكَرِهِ مِنْ وَرَاءِ الْعَوَاقِبِ ، خَاطِمًا بِأَرَائِهِ أَتُوفِ الْمَصَاصِبِ ؛

ناظماً بإياله عُقود المصالح، مُوطئاً رِياضته ظُهور الجَوَاحِ، إن تَقَفَ ذَا النُّبُوَّة  
الْقَرِيدَ، والمُهَوَّاةَ الْوَجِيدَ؛ أَقْتَصَرَ عَلَى مَا يُؤَاقِفُهُ الْوَالِدُ الْحَلِيبَ، مِنْ مُقَوِّمِ الْأَدَبِ  
[وإن قَبِضَ] <sup>(١)</sup> عَلَى الْمُرْتَكِمِ فِي غَوَايَتِهِ، الْمُفْلِسِ فِي عَنَائَتِهِ؛ ضَبَّقَ عَلَيْهِ جَمَالَ الْعَفْوِ،  
وَأَحَاقَ بِهِ أَلِيمَ الْعَذَابِ وَالسُّطُو؛ فَقَدْ سَكَنَتِ الرَّعِيَّةُ فِي عَذَلِهِ، وَأَوْرَثَ حَرَمًا مَنِينًا مِنْ  
ظِلِّهِ؛ وَوَقِفَتْ أَنَّ الْحَقَّ بِنَظَرِهِ شَائِخٌ شَاقِقٌ، وَالْبَاطِلُ سَائِخٌ زَاهِقٌ؛ وَالْإِنْصَافُ مَبْسُوطٌ  
مَنْشُورٌ، وَالْإِجْحَافُ مَخْطُوطٌ مَبْتُورٌ؛ وَالشَّمْلُ مَنْظُومٌ، وَالشَّرُّ مَضْمُومٌ. فَنَطَقَتْ أَلْسِنَتُهَا  
بِأَحَادِهِ؛ وَأَشْتَمَلَتْ أَفْسِدَتُهَا عَلَى وِدَادِهِ؛ وَأَخْفَقَتْ أَهْوَاؤُهَا عَلَى رِيَّاسَتِهِ؛ وَتَطَابَقَتْ  
آرَاؤُهَا الْمَسَاقِفَةُ عَلَى دَوَامِ سِيَادَتِهِ؛ وَعَرَفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَنَقَ النَّظَرِ فِي دَوْلَتِهِ؛ وَسَلَّمَ  
أُمُورَ مَمْلَكَتِهِ إِلَى النَّصِيحِ الْمَأْمُونِ، وَالنَّجِيحِ الْمَيْمُونِ؛ الَّذِي وَقَّعَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِاخْتِيَارِهِ،  
وَبَسَّرَهُ لِاصْطِفَائِهِ وَإِبْتَارِهِ؛ وَأَنَّهُ قَدْ نَاطَ أُمُورَهُ بِمَنْ لَمْ يَسْتَخِفْ تَقِيلَ جِهْلُهُ، وَيُؤَوِّدَ  
بِبَاطِلِهَا، فَتَمْنَعُ بِلَذِيذِ الْكَرَى، وَتَوَدَّعَ بَعْدَ السَّيْرِ وَالسَّرَى؛ وَأَلِمَ مِنَ الْمَسَامِ مُلْمٌ  
مُعْضِلٌ، وَحُدُوثٌ حَدَثٌ مُشْكِلٌ. وَهَذِهِ نِعْمَةٌ تَعُمُّ الْخَاصَّةَ وَالْعَامَّةَ عُمُومَ الْغِيثِ  
إِذَا هَمَعَ وَتَدَفَّقَ، وَتَشَمَّلَهُمْ شُمُولُ النَّهَارِ إِذَا لَمَعَ وَتَأَلَّقَ؛ وَهَمَّ أَوَّلَى بِالْتَهْنَةِ فِيهَا  
وَشَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهَا.

وَسَيَدُّنَا الْوَزِيرُ حَقِيقٌ بِأَنْ يَهْدِيَ إِلَيْهِ الدُّعَاءُ الْمَرْفُوعَ، وَالتَّضَرُّعُ الْمَسْمُوعَ؛ بِأَنْ  
يُنْهَضَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِمَا حَمَلَهُ، وَيُعِينَهُ عَلَى مَا كَفَّلَهُ؛ وَيَتَوَلَّاهُ بِتَوْفِيقٍ يَنْقُبُ أُنُورَهُ،  
وَتَأْيِيدٍ يَطْبِقُ غُرَارَهُ، وَتَسْدِيدٍ يَحْسُنُ آثَارَهُ، وَإِحْرَاءٍ مَا يَتَوَلَّاهُ عَلَى أَوْضَعِ سَبِيلِ  
وَأَقْصَدِهِ، وَأَرْجَحِ دَلِيلِ وَأَرْشِدِهِ؛ إِذْ لَا يَجُوزُ أَنْ يَهْتَأَّ بِمَالِهِ عِيَاؤُهُ وَكَلَّهُ، وَلَمْذَعْنِيهِ  
صَلَاحُهُ كُلُّهُ. وَالْعَبْدُ يَسْأَلُ اللَّهَ ضَارِعًا لَدَيْهِ، بِاسْطَايَدِهِ إِلَيْهِ؛ فِي أَنْ يَقْبَلَ صَالِحَ  
أَدْعِيَتِهِ لِحَضْرَةِ الْوِزَارَةِ السَّامِيَةِ؛ وَأَنْ يَجْعَلَ مَا أَحَلَّهُ فِي مَحَلِّهِ مِنْ رِيَاسَتِهِ، وَأَوْقَعَهُ

فى موقعه من سياستها؛ دائباً لا يبتزع، وخالدا لا يرتجح؛ وأن يؤيدها فيه بما يقضى له بالإحراز والتحويل، وينجيه من الابتزاز والتحويل؛ إنه سميع الدعاء، فعال لما يشاء؛ إن شاء الله تعالى .

### الصنف الثانى — التهتة بكفالة السلطنة :

وهذه نسخة من ذلك، كُتِبَ بها عن نائب الشام، من إنشاء الشيخ جمال الدين ابن نباتة، وهى بعد الألقاب :

لا زال دائراً بهائيه الفلك، مُنيرا بضياء عدله وبشره الحلك؛ قريراً بحسن كفالته الملك شاهداً بفضل أعماميه وسماته الملك، مقسوما بأمر الله نداء وبأسه ليحياً من حى وبملك من هلك؛ تقبلاً يسأفه به التراب، ويسأفه شرف مطلقه على السحاب .  
وينهى قيامه على قدم ولأى ودعاء : هذا ينزل القلب وهذا يصعد إلى الأفق، ومقامه على بشرى وحيد منهما الأمن يحل بوضفه النطق كما تحل الأعطاف بالنطق؛ وأنه ورد مثال شريف على يد فلان يتضمن البشارة العامة، والمصرة التامة، والنعمة التى يعود سناً جينها من كل عين لأمه؛ وخبر الخير الذى حيت أزهاره المتصوفة ندى مصر فأول ما بلغه منافس الشام شامه، بأن المواقف الشريفة — أعز الله تعالى سلطانها — قد فوضت إلى مولانا كفالة الإسلام وبنيه، وكفاية الملك بصلاح مؤمنيه؛ ونيابة السلطنة الشريفة وما نسقت، وتدير الممالك وما وسقت؛ فإلها بشرى أبتمت لها غور البشر، ومصرة استجلى سناها من آمن وبهت الذى كفر، وخبراً تلقى الأسماع بریده مشددة : قل وأعد بأطيب الخبر؛ هنالك أخذ الملولك حظاً من خير بشرى، ونصبيه من مصرة حمد بصباح طرسمها الممرى؛ وحمد الله تعالى على أن أقام سلطان البسيطة من يسط العدل والإحسان لمنابه، وقلد رعيته

عقود النعم إذا تقلد ما وراء سيره وبابه ، ومن إذا كفل سيفه تمالك الإسلام وقبعت بالمعتم والسلمه ، وإذا كتب قلبه قالت ولا سيبا أخبار جند المسلمين : هكذا تكون العلامة ؛ وجهز المملوك هذه الخدمة نائبة عنه في تقبيل الأرض ، وعرض الهناء بين يدي من يسر المملوك بولائه اليوم ويرجو أن يسره يوم العرض ، ولو وصف المملوك ما عنده من السرور والشوق لضاق الورق عن تسطير الواجب منه وضاق الوقت عن أداء العرض ، والله تعالى يحدّد مولانا ثمرات الفضيل الواضح ، والرأي الراجح ؛ والقدر الذي هو على ميزان الكواكب راجح ، ويمتعا كافة الممالك بدولة سلطانه الذي علم البيت الشريف أنه على الحقيقة الخلف الصالح .

وهذه نسخة تهنية لأمير جاندار بولاية إمرة جاندار ، من إنشاء الشيخ جمال الدين ابن نباتة ، وهي بعد الألقاب :

أعلى الله منارها ومنازلها ، وخلّد قبورها وإقبالها ، وأجل من النض الذي تناوله ثمرها وأسبغ به ظلالها ؛ ولا زال في سيفها وعصاها مارب للملك ، وفي بأسها ونداها مواقع للنجاة والمهلك ؛ ولا برحيت القضب من سيوف وغصون : هذه حاكمة بسعدها حكم الملك ؛ وهذه مسخرة في تجريدها تسخير القللك ؛ تقبيل مخاض في ولاته ودعائه ، منها القلب مسرور بما يتجدد من مسرات مولانا وهنائه ؛ وينهى أنه بلغه ما أفاضته الصدقات الشريفة على مولانا من المبرات ، وما جدت له من المسرات ؛ وأنها ضاعفت نريد الإحسان إليه ، ودعته أمير جاندار ودت العصى النجومية لو قدمت نفسها بين يديه ؛ وأن المواقف الشريفة قرّت به عينا وأقرّت ، وأن الدولة القاهرة أقت عصاها إليه واستقرّت ؛ وكما سالت إليه العصا بالسلم سالت إليه السيف في الحرب ، وكما قرّبت به مواقف العدل والإحسان قرّبت به في مواقف الطعن والضرب ؛ فاخذ المملوك حظه من البشري ، وأوجب على نفسه الفرح

وَيَجِدُ لِلشُّكْرَا ، وَودَّ لو حَضَرَ يُشَافِهِ بهذا الهناءَ الشامل ، ومثل قائمًا لديه بحق  
التهنئة القيامَ الحقيقيَّ الكامل ، وحيث بُعِدَتْ دارُهُ ، ونأت عن العيان أخبارُهُ ؛  
فقد علم الله تعالى مواضعه بالأدعية الصالحة ليلاً ونهاراً ، والموالاتِ والمحبة التي يشهد  
بها الخاطرُ الكريمُ سرّاً وجهاراً ؛ والله تعالى المسئول أن يزيدَ مولانا من فضله ،  
ويسره بمجدِّداتِ الخير الذي هو من أهله ؛ ويمتّعنا كافةً الممالك بدوامِ سلطانٍ هذه  
الدولة الذي شَمل بظله ، وغنى بنصره عن نصره ؛ إن شاء الله تعالى .

الصف الثالث - التهنئة بالإمارة .

من كلام الأقدمين :

تهنئة من ذلك ، أوردها أبو الحسين بن سعد في ترسله ، وهي :

وهنا الله الأميرَ مواهبه الهنيئة ، وعطاياه السوية ؛ وأدام تمكينه وقدرته ، وثبت  
وطأته ، وحرس ماخوله ؛ وجعل مآهياً له من مؤتلف الكرامة أينَ الأمور فاتحةً  
وأسمعها عاقبه ؛ ووصل أيامه بأجل الولاية ، وأجل الكفاية ؛ حتى ينتهي [ من ]  
استيفاءِ سعادَاتِ الخطوطِ وخَوَزِ القِسمِ والآمالِ ، [ إلى ] الدرجة التي تليقُ بما أفرده  
الله به من الكمال ، وخصّه به من الفضل في جميع الخصال . ومن أفضّل ما اعتدّ به  
من نعم الله على الأميرِ وبجمل رأيه ، وعلى من طاعته وخدمته ؛ أني لا أخلو في كل  
وقتٍ وحالٍ من بهيمةٍ تجددُ لي ، وممرّةٍ تصلُ إلى ، وتتوفّرُ عليّ ، بما يسهّلُ الأمير  
على يده من مستصعبِ الأمور ، ومستغلقِ الخطوب ؛ التي تبعدُ عمن يزاولها ،  
ويحمل الله بطوله وحوله للأمير القدرةَ عليها ، ويتوحد بالكفاية فيها ؛ فينمو بجمل  
تدبيره ولطيف نظره ، ويطرّد بصاعده نجهه ويُن قبيته وعزّ دولته ؛ وذلك من  
فضل الله ونعمته ، يؤثري فضله من يشاء وهو ذو الفضل العظيم .

الصنف الرابع - التهئة بولاية الحجابة .

وقد كان لها في الزمن القديم المحل الوافر في الدولة وعلو الرتبة فيها .

من كلام الأقدمين :

تمهئة من إنشاء أبي الحسين بن سعد، كُتِبَ بها إلى أبي بكر بن ياقوت حين ولي الحجابة بعد نكبة أصحابه، وهي بعد الصدر :

وقد كانت أنفُسنا معشَر عبيد سيدنا وحملَة إنامه ، ومؤملي أيامه ، في هذه الأحوال التي تقد سيدنا منها فيما ابتلاه صبره ، وأبان فيه قدره ؛ وزاد العارف بفضله نفوذا في البصيرة ، وأعاد ذوى الارتياح فيه إلى الثقة ؛ فاستوى المنازع والمُسَلَّم ، وأستوى العالم والمُعَايِد - نعمة منه تعالى ذكره خصه بها وصانه عن مشاكلة النظير ، ومُزاحمة الأكفاء - على سبيل من التلق والارتياض ، والسقوط والإخفاض ؛ جزعا من تلك الحال القليظة ، وإشفاقا على تلك النفس الشبيهة ؛ وخوفا على معالم البر والتقى ، وبقية العلم والحجاء ، وتاريخ الكرم والندى ؛ أن يدرس منارها ، وتطمس آثارها ؛ ولولا ما من الله به من الخلاص منها وما منح بكرمه في عاقبتها ، لأوشكت أن تأتي عليها وتُسجلها عن مواقيت آجالها ؛ لكنه عظم آلاؤه ، وتقدمت أسماؤه ؛ أتى بالأمن والفرج ، بعد استيلاء الكرب والوجل ، وانتهت أسباب الرجاء والأمل ؛ فعرف سيدنا موقع الخيرة فيما قضاه ، وميز له الخيبت من الطيب بمن عاداه وتولاه ؛ وجعل النعمة التي جدد لها فيما رده أمير المؤمنين إلى تديره من أمر داره وملكته ، وحراسة بيضة رعيته ، مشتركة النفع والفائدة ، مقسومة الخير والعائده ؛ بين كافة الأمة فيما عم من العمله ، وشمل من المصلحة . ولاح من تبشير الخير ، وأمارات البركة ؛ في استقامة أمور البلاد ، وصلاح أحوال العباد ؛ وأفرد الله سيدنا بحفظ من

المَوْجِبَةِ وَقَانِي فِيهِ عَلَى حُظُوظِ الْأَوْلِيَاءِ، وَزَادَنِي عَلَى نِيَاهِمُ الشُّرَكَاءِ . وَأَنَا أَرْغَبُ إِلَى اللَّهِ فِي إِسْعَادِ سَيِّدِنَا بِمَا جَدَّدَهُ لَهُ، وَتَقْرِيفِهِ بِرَكَّةٍ مُفْتَحَةٍ وَيَمِّنٍ خَائِمَةٍ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ فِي مُبْتَدَأِهِ، وَالسَّلَامَةُ فِي عُقْبَاهُ ؛ وَتَبْلِيغِهِ مِنْ حَظٍّ مَأْمُولٍ ، وَخَيْرٍ مَطْلُوبٍ ؛ وَحَالِ عَلَيْهِ، وَرُتْبَةِ سَيِّدِهِ ؛ أَفْضَلَ مَا يَلُغُ أَحَدًا أَخْتَصَّهُ بِفَضْلِهِ ، وَأَصْطَفَاهُ مِنْ خَلْقِهِ ، إِنَّهُ جَوَادٌ مَاجِدٌ . فَإِنْ رَأَى سَيِّدُنَا أَنْ يَتَطَوَّلَ بِإِجْرَاءِ عَبْدِهِ عَلَى كَرِيمِ عَادَتِهِ فِي تَشْرِيفِهِ بِمَكَاتِبَتِهِ، وَتَصْرِيفِهِ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، مُحَقِّقًا بِذَلِكَ أَمَلَهُ ، وَزَائِدًا فِي نِعْمَةِ عِنْدِهِ، فَعَلَّ

إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

تهنئة أخرى من ذلك، من إنشاء علي بن خلف أوردتها في "مواد البيان" وهي:

إِنَّمَا نُمَيَّنَا بِالْوَلَايَةِ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْحَاجِبِ الْجَلِيلِ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ - مِنْ أَنْتَبَسْتُ إِلَيْهَا يَدُهُ بَعْدَ أَهْقَابِضَ ، وَأَرْتَفَعَ لَهَا قَدْرُهُ مِنْ أَنْخِفَاضَ ؛ وَأَوْجَدْتُهُ الطَّرِيقَ إِلَى إِمَارَازِ جَزِيلِ الْأَجْرِ وَالْجَزَاءِ ، وَآكْتَنَازِ جَمِيلِ الْبَرَكَةِ وَالْثَنَاءِ ؛ وَأَفَضْتُ بِهِ إِلَى أَنْسَاعِ السُّلْطَانِ ، وَأَنْتَفَاعِ الْأَعْوَانِ ؛ فَأَمَّا مَنْ جَعَلَ اللَّهُ يَدَهُ الطُّوْلَى ، وَقَدْرَهُ الْأَعْلَى ، وَرِيَّاسَتَهُ حَاصِلَةً فِي نَفْسِهِ وَجَوْهَرِهِ، وَسَيَادَتَهُ مُجْتَنَّةً مِنْ سِنِّهِ وَعُنُصْرِهِ ؛ فَلَاؤُلَى - إِذَا اسْتَكْنَفِي رَغْبَةً فِي أَنْصَافِهِ وَعَدْلِهِ ، وَحَاجَةً إِلَى سَدَادِهِ وَفَضْلِهِ ؛ وَأَفْتَقَرَا إِلَى فَضْلِ سِيرَتِهِ ، وَأَضْطَرَرَا إِلَى فَاضِلِ سِيَاسَتِهِ - أَنْ تُهَيِّئَا الرَّعِيَّةَ يُولَايَتِهِ، وَتُسَرَّ أَنْصَافَتَهُ وَالْعَامَّةَ بِمَا صُلِحَ مِنْ أُمُورِهَا بِكَفَايَتِهِ ؛ وَغَيْرَ يَدْعُ رِبْطَ<sup>(١)</sup> أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحَاجِبِ الْجَلِيلِ أَمْرَ حِجَابَتِهِ، وَنَصْبِهِ لِلرَّحْمَةِ عَنْ حَضْرَتِهِ، وَجَعْلِهِ الْوَسِيطِ وَالسَّفِيرِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَوَاصِّ دَوْلَتِهِ ، وَقَدْ وَثِقَ بِبَيْنِ تَقْيِينِهِ ، وَأَطْلَعَ عَلَى خُلُوصِ نِيَّتِهِ ، وَسَكَنَ إِلَى صِدْقِ طَاعَتِهِ ؛ وَعَرَفَ طَهَارَةَ جَنِّيهِ، وَسَلَامَةَ غَيْبِهِ ؛ وَصِدْقَ لَهْجَتِهِ، وَحَصَافَةَ أَمَانَتِهِ ؛

(١) في الأصول ارتباط ولم تقف على ضله فيها بأيدينا من كتب اللغة .

(٢) أى الدفع والذب يقال زحمت أى دفعته انظر المصباح .

واعتاده للحق فيما يورد ويصنر ، ويبنى ويحجب ، وأبتلاه فعرف طيب طعمته ،  
وخفة وطأته ، ورائته بالضعيف المهضوم ، وعظمتته على العسوف الظلوم ، [فراى]  
أن يحله محل من لا يغيب عما شهده ، ولا يرتاب بما سمعه ، على أنى المهتا بكل  
نعمة يحدها الله لديه ، وسعادة يسبقها عليه ، [ولو أنصفت] لسلكت من الصواب  
سنا ، واعتقدت جيلا حسنا : لا استشعاري بالأنفس من لبوس سيادته ، وتحلى  
بالأنصع من عقود رياسته ، وإذا كانت رعيته أجدر أن تهتا بولايته ، وتعرف قدر  
مالها من الحظ في نظره ، فانا أعذل من هنائه إلى الدعاء له بأن يبارك الله تعالى  
له فيما قلده ، ويوفقه فيما ولّاه ويسنده ، ويؤممه أدخار الثواب والأجر ، وأكتناز الحمد  
والشكر ، والهداية إلى سنن الاستقامة ، وما عاد بحجة الخاصة والعامة ، وإنهاضه  
في خدمة أمير المؤمنين ، والعمل من طاعته بما يزلّف في الدنيا والدين ، والله يستجيب  
في الحاجب الجليل هذا الدعاء ويسمعه ، ويتقبله ويرفعه ، إن شاء الله تعالى .

الصفحة الخامسة — التهنئة بولاية القضاء .

التهنئة بذلك من كلام الأقدمين :

تهنئة من ذلك : من إنشاء علي بن خلف ، أوردها في "مواد البيان" وهى :  
أولى المسح أن يتفاوض شكرها والتحدث بها ، ويتقارض حمدها والقيام بواجبها ،  
نعمة شمل عطاؤها ، وعمت أطافها ، وأشترك الناس فيها أشتراك العموم ، وحلت  
منهم في النفع محل الغيث السجوم . وهذه صورة النعمة في ولاية قاضى القضاء  
— أطال الله بقاءه — لما تتضمنه من إثبات العدل والإنصاف ، وأنجاس الجور  
والإنحاف ، واعتلاء الحق وظهوره ، واختلاء الباطل وثبوره ، وعز المظلوم وإدالته ،  
وذلل الظلوم وإدالته ، وتمكين المضطروب وأقتداره ، وأنجزال العسوف وأقتساره .



وإن هتأته حرس الله علاه بموهبة أتى بآرقها بجمل الثناء ، وجزيل الجزاء ؛ قد ناء من تحملها بياهظ الشيء ومتعبه ، وقام من سئله بكل الأدب ومنصبه ، غدت عن الأمل وذلّت عن الطريقة المثلى ؛ لكنّي أهنّته خصوصاً بالمواهب المختصة به اختصاص أطواق الحمايم بأعناقها - والمناقب المطيفة به إطفاء كواكب السماء بنطاقها ، في أن ألف الله القلوب المتباعدة على الإقرار بفضلها ، وجمع الأفتدة المتنافية على الاعتراف بقصور كل محل عن محله ، وجعل كل نعمة تُسبّح عليه ، ومِنه تُسدى إليه ، موافقة الآمال والأمانى ، مُفضية للبشار والتّهاى : لأنّ من أحبّ الخلق وآثره ، وليس الصّدق واستشعره ؛ ينطق بلسان الإرادة والإختيار ، ومن تركهما وقلاهما ، وخلفهما وألقاهما ، ينطق بلسان الافتقار والاضطرار - والخصائص التي هو فيها نسيج وحده ، وعطر يومه وغدمه والمحاسن التي هي أناسي عيون الزّمان ، ومصايح أعيان الحسّن والإحسان ، ثم أعود فأهنّته عموماً بالنعم المشتركة الشّمول ، القضاة الذّبول ؛ التي أقرت القضاة في نصابه ، وأعادت الحكم إلى وطنه بعد نُجعته وأغترابه ؛ وأعطتهما في الرتبة الفاضله ، وقَدَعَت بهما أنف الذّروة العاليه . وأرفع يدي إلى الله تعالى داعياً في إمداد قاضي القضاة بتوفيق يُسَدُّ مراميه ، ويُرشد مساعيه ؛ ويهدّب آراءه ويصحّحها <sup>(١)</sup> ، ويبلج أحكامه ويوضحها ؛ ويخلّد عليه النعمة خلودها على الشاكرين ، ويصّره بحسن العقبي في الدنيا والدين ؛ وهو سبحانه يتقبّل ذلك ويرفعه ، إن شاء الله تعالى .

التهنئة بذلك ، من كلام أهل العصر :

تهنئة من ذلك : أوردنا الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي في كتابه "زهر الربيع في الترميل البديع" وهي :

(١) في الأصل ويضمها وهي تصحيف لا يناسب المقام .

أَفْعَدَ اللهُ تَعَالَى أَحْكَامَهُ ، وَشَكَرَ إِحْسَانَهُ وَإِنْعَامَهُ ؛ وَخَلَّدَ نَاصِرًا لِلشَّرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةِ  
وَأَدَامَهُ ، وَجَدَّدَ سَعْدَهُ وَأَسْعَدَ أَيَّامَهُ ؛ وَجَعَلَهُ الْمُسْتَرَشِدَ وَالْمُقْتَنِيَّ بِأَمْرِ اللهِ وَالرَّاشِدَ  
وَالْمُسْتَنِيْدَ وَالْمُسْتَنْصِرَ وَالنَّاصِرَ وَالْعَاضِدَ ، وَالْحَاكِمَ الْقَائِمَ بِأَمْرِ اللهِ (١)

من القضاة الثلاثة الواحد .

الْمَمْلُوكُ يَقْبَلُ الْيَدَ الْعَالِيَةَ تَبْرُكًا بِتَقْيِيلِهَا ، وَأَدَاءً لَوَاجِبِ تَعْظِيمِهَا وَتَجْعِيلِهَا ؛ وَيَهْتَمُّ  
الْمَوْلَى بِمَا خَصَّهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ مُضَاعَفَةِ نَفَادِ كَلِمَتِهِ وَرَفْعِ مِثْلَتِهِ ، وَإِمْضَاءِ أَحْكَامِهِ  
الشَّرِيعَةِ وَأَقْضِيَّتِهِ ؛ وَتَقْلِيدِهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ ، وَتَنْفِذِ أَوَامِرِهِ فِي الْخَاصِّ وَالْعَامِ ؛ وَيَهْتَمُّ  
بِالْمَوْلَى مِنْ رُدَّتْ أُمُورُهُ إِلَيْهِ ، وَعُورِلَ فِي مِلَاحِظَةِ مَصَالِحِهِ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّ مَوْلَانَا مَازَالَ  
بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ مَشْهُورًا ، وَسَعِيَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ سَعْيًا مُشْكُورًا ؛ وَيَقْظُهُ مَوْلَانَا  
جَدِيدَةً بِزِيَادَةِ إِهْتِمَامِهِ ، وَالْإِحْتِيَاطِ النَّامِ ؛ بِمِلَاحِظَةِ طَلِبَةِ الْعِلْمِ وَالْمُسْتَفِينِ ، وَالْفُقَهَاءِ  
وَالْمُدْرِسِينَ ؛ وَسَبْرِ أحوَالِ الثُّوْبَانِ ، وَأَنْ لَا يَكْفِيَهُ الْإِعْتَادُ عَلَى حَسَنِ النَّزَةِ وَطَهَارَةِ  
الْأَثْوَابِ ؛ بَلْ يُنَمِّنُ فِي الْأَطْلَاعِ عَلَى مَا يَتِمُّدُونَهُ النَّظَرُ ، وَيُلَاحِظُ كُلًّا مِنْهُمْ إِنْ غَابَ  
عَنْ مَجْلِسِهِ أَوْ حَضَرَ ؛ فَمَنْ رَأَاهُ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَلَا يَقْرَبُ  
إِلَّا بِالتِّيْ هِيَ أَحْسَنُ مَالِ الْيَتِيمِ ؛ فَيَحَقِّقُ لَهُ مِنَ الْعِنَايَةِ أَمَلًا ، وَلَا يُضِيعُ أَجْرَ مَنْ  
أَحْسَنَ عَمَلًا ؛ حَرَسَ اللهُ الْمَوْلَى وَمَتَّعَ بِجَيَّاتِهِ ، وَأَعَادَ عَلَى الْكَافَّةِ بَرَكَةَ صِيَامِهِ الْمَقْبُولِ  
وَصَلَاتِهِ ؛ وَنَفَعَ الْإِسْلَامَ بِمُسْتَجَابِ دَعَوَاتِهِ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

#### الصف السادس — التهنئة بولاية الدعوة على مذهب الشيعة .

وَقَدْ تَعَسَّمُ فِي الْكَلَامِ عَلَى تَرْتِيبِ الْمَمْلَكَةِ فِي الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ ، بِالْأَمَارِ الْمُصْرِيَّةِ ،  
ذِكْرُ مَوْضُوعِهَا وَعُلُوُّ رُتَبَتِهَا عِنْدَهُمْ ؛ وَإِنَّمَا ذَكَرْنَاهَا حِفْظًا لِلأَصْلِ وَلِاحْتِمَالِ وَقُوعِهَا .

(١) يياض بالأصل بقدر كلمة ولله حتى يكون من القضاة الخ .

تهنئة من ذلك : من إنشاء علي بن خلف ، أوردها في "مواد البيان" وهي :

أطال الله بقاء داعي الدعاة لصباح من الرحمة يُبلّجه ، وطريق من الحكمة يُظهر  
بيانه ، وليل من السنة يترع طيلسانه ، وحرسه على الإيمان يُحمّد ما أخلق من بروده ،  
ويُنظّم ما وهب من عقوده ؛ وعلى المؤمنين يفتح لهم أبواب الرّشاد ، ويهيئ إليهم سماء  
الإفادة والإمداد . ولا زالت الحقائق مقصودة منه بالبرّة التي رنّحت لحفظ مبانيها ،  
وأهله للعبارة عن معانيها ؛ حتى يرقّوها في الأخلاق ، ويمحو بهارِ سوسم العناد ، ويشر  
بُشرها في الآفاق والبلاد . أنا أعيدُ عن هباء داعي الدعاة - أطال الله بقاءه -  
بما عُدّ به من أمر الدعوة الهاديّة العلويّة ، ونُصب له من قرّ مضاحك المشكلات  
عن أسرار الحقائق الإلهيّة ، والترجمة عن غوامض الحكم الشرعيّة ؛ والتوقيف على  
موارد الهدى ومشارعه ، والإرشاد إلى مشارق الحق ومطالعته ؛ إلى هباء الدعوة  
وأهلها بما قبضه الله تعالى لهم من محلّه الرفيع الذي ألحقه العقل نحو هذا الكمال ،  
ووطأ له مدارج الترقّي والاتّصال ؛ فشقت نفسه وشرقت ، وتطلّعت على عالم الملكوت  
وأشرقت ؛ وجنى بيد التبصرة ثمار الحكمة ، وأستزل بمنزل المواد غيوت النعمه ؛  
وجرد الضياء من الظلام ، تجرّد الأرواح من الأجسام إلى دار السلام ، وأسندت  
بلطيفته موائد علوم عالم اللطافه ؛ وأمدت بمركب ألفاظها تحاكم الكافه ، وحلّت في النّبراء  
محلّ النّراء في الخضراء ، إن أوصحت سبيل سائر يوجب طريق جائر تُوصّل بزوعها  
غاشية إظلام ، حُسِر عن الحق قناع إيهام ، أوفعلت في الجواهر زيادة وثمرة (١)  
أخذت تعاديا (٢) فأدّته لهم العاملة شرقاً ومُتّوا : لما أعلّ بذلك من قدرها وقدرهم ،  
وطيب من ذكرها وذكرهم ، وأعطى إلى الدعاء لداعي الدعاة بأن يجعل الله تعالى

(١) كذا في الاملين ولم يند الى تحفيّه تأمل .

ماخُوْلَه من هذه الرِّاسَة رَاهِنًا لَا يُرْتَجَع ، وَمَا تُوْلَه من هذه السِّيَادَةِ مُسْتَقِرًّا لَا يُنْتَرَع ؛  
وَأَنْ يُؤَيِّدَه بالتوفيق ، وَبِعَبْدٍ لَهُ مَنَاجِجُ التَّحْقِيقِ ؛ وَبِطَلِّقٍ لِسَانَه بِالْبَيَانِ ، وَبِمُدَّةِ بُرُوحِ  
مِنَه فِي نُصْرَةِ الْإِيْمَانِ ؛ وَقَدْ حَتَمَ اللهُ تَعَالَى بِاجَابَةِ دَاعِيهِ ، وَلَا سِمَا دَاعِيَ الدُّعَاةِ  
[ فَإِنَّهُ ] جَدِيرٌ أَنْ يُجَابَ الدُّعَاءُ فِيهِ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

قال في " موادّ البيان " : وإنما أوردت هذا المثال بهذه الألفاظ ، لأنّ ألفاظ  
هذا الدّاعى يجب أن تكون مشتقة من ألفاظ الدّعوة ، مناسبة لمنهجها ؛ ولولا ذلك  
لأغنى عنه مثال تهته قاضى القضاة ؛ ومن تأملهما عرف ما بينهما من الفرقان .  
الصف السامع — التهته بالتقدمة على الرجال .

رُقْعَةٌ مِنْ ذَلِكَ :

[ مِنْ حَلٍّ ] عَمَلٌ سِيدَى — أَطَالَ اللهُ بَقَاءَهُ — مِنْ السُّؤْدَدِ الْبَاطِنِ الشُّوَاهِدِ ،  
الْمُنْتَظِمِ الْمَعَادِدِ ؛ الْمُتَضَارِعِ الطَّارِفِ وَالتَّالِدِ ، الْمُتَحَلِّلِ فِي الْوَلَدِ عَنِ الْوَالِدِ وَالْمُجِدِّ الَّذِي  
قَصُرَ عَنْ مَطَاوِلَتِهِ الطَّرَازُ الْأَوَّلِ ، وَتَطَاطَا لَهُ الْإِنْعَامُ الْمَخْوَلُ ؛ وَحَازَ مَحَازَهُ مِنْ شَرَفِ  
الرِّيَاسَةِ ، وَفَضْلِ السِّيَاسَةِ ، وَالْإِسْتِقْلَالِ بِمَقْوُودِ مَاتُوْلَاهُ ، وَتَسْدِيدِ مَاتُوْلِهِ وَاسْتِكْفَاهُ ؛  
فَتَشَوَّقَتْ إِلَيْهِ أَعْلَى الرُّتَبِ ، وَتَشَوَّقَتْ إِلَيْهِ الْمَنَازِلُ السِّنِيَّةُ مِنْ كَتَبِ خُطْبَتِهِ الْعُلَا  
سَائِقَةٍ عَنْهُ مَهْرَهَا ، وَتَطَامَنَتْ لَهُ مُوْطِنَةٌ ظَهَرَهَا ؛ فَلَمْ يَكْتُرْ لَهُ أَنْ يَتَقَدَّمَ عَلَى [ أَهْلِ ]  
عَصْرِهِ فَضْلًا عَنْ قَبِيلَتِهِ ، وَيَتَأَمَّرَ عَلَى جَمِيعِ نَوْعِهِ فَضْلًا عَنْ طَائِفَتِهِ : لِأَنَّهُ الْمُقَدَّمُ عَلَيْهِمْ  
بِالرُّتَبَةِ وَالطَّبْعِ ، لَا بِالْأَصْطِلَاحِ وَالْوَضْعِ ؛ فَشَكَرَ الْمَمْلُوكُ اللهُ تَعَالَى عَلَى بُرُوعِ هَلَالِهِ  
وِإِبْرَاقِهِ ، وَطُلُوعِهِ لِمَقَاتِ الْمَزْ وَتِفَاقِهِ ؛ وَسَأَلَهُ أَنْ يَجْعَلَ مَا أَقْرَأَ الْعِيُونَ مِنْ سِيَادَتِهِ ،  
وَحَقِّقَ الظُّنُونَ فِي سَعَادَتِهِ ؛ خَالِدًا رَاهِنًا ، وَمُقِيًّا قَاطِنًا ؛ وَأَنْ يَزِيدَهُ مِنَ السَّعَادَةِ ،  
وَيُرْقِيَهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي دَرَجِ السِّيَادَةِ : لِتَكُونَ هَذِهِ الرُّتَبَةُ عَلَى أَمْتِنَاجِ مَرْقَبِهَا ، وَأَرْتِفَاعِ

مَرَكِبَهَا ؛ أَوَّلَ دَرَجَةٍ تَحْتَطَّأُهَا ، وَمِثْلَةَ قَرَعَمَاءَ وَعَلَاهَا ؛ ثُمَّ لَا يَزَالُ رَاقِبًا فِيهَا يَتَلَوُّهَا حَتَّى يَحْتَدِيَ بِكَوَاكِبِ الْجُوزَاءِ ، وَيَطْحُودَارَةً عَلَى الْخُفَاءِ ، مُهْتًا غَيْرَ مَنْغُصٍ ، وَمُرِيدًا غَيْرَ مَنْقُصٍ ؛ وَاللهُ تَعَالَى يَجِيبُ هَذِهِ الْأَدْعِيَةَ الْوَاقِعَةَ مَوَاقِعَهَا ، وَالْمُسْتَحَقَّاتِ الْمَوْضُوعَةَ مَوَاضِعَهَا .

### الصف الثامن - التهئة بولاية الديوان .

#### رُقْعَةٌ مِنْ ذَلِكَ :

وَيُنْبِئُ أَنَّ مِنْ حَلِّ مَحَلِّ مَوْلَانَا - أَطَالَ اللهُ بَقَاءَهُ رَاقِبًا لِبُؤْسِ السَّعَادَةِ ، مَتَحَفِّلاً بِسُلُوسِ السِّيَادَةِ ؛ مَتَقَلًّا فِي رُتَبِ الْمَجْدِ ، مَتَوَقِّلاً إِلَى قَدْنِ الْحَدِّ ؛ مُسْتَوِيًّا عَلَى شِعَابِ الْعُلَا ، مَتَمَكِّتًا مِنْ رِقَابِ الْأَعْدَاءِ - فِي الْإِسْتِقْلَالِ وَالْإِضْطِلَاعِ ، وَالْمَعْرِفَةِ بِحَقِّقِ الْإِصْطِفَاءِ وَالْإِصْطِنَاعِ ؛ وَرُقْعَةً مَذْهَبِهِ عَلَى الْكِفَايَةِ وَالْقَنَاءِ ، وَالنَّهْوِ بِثَقِيلِ الْأَعْيَاءِ ؛ خُطْبَتَهُ النَّصْرَاتِ حَامِلَةً عَنْهُ صِدَاقَهَا ، وَتَشَوُّقَهُ الْوِلَايَاتِ مَادَّةً إِلَيْهِ أَعْنَاقَهَا ؛ وَقَدْ أَتَّصَلَ بِالْمَمْلُوكِ مَا جَنَّدَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ سَعَادَتِهِ ، وَأَنْجَزَهُ مِنْ مَوَاعِيدِ سِيَادَتِهِ ، الَّتِي كَانَتْ وَاصِحَةً فِي مَخَائِلِ فَضْلِهِ ، لَانْحَةِ فِي دَلَائِلِ نُبُلِهِ ، مَكْتُوبَةً فِي صَفَحَاتِ الْأَقْدَارِ ، مَرْقُومَةً بِسَوَادِ اللَّيْلِ عَلَى بَيَاضِ النَّهَارِ ؛ بَحْنَلِ الْمَمْلُوكِ بِذَلِكَ ، جَذَلِ الْحَمِيمِ الْمُشَارِكِ ، وَثَرَّرَ بِسُرُورِ الْخَلِيطِ الْمُشَايِكِ ؛ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَنَّ الَّذِي تَوَلَّاهُ مَوْلَانَا وَجَدَ [فِيهِ] خَلَاًا فَرَقَعَهُ ، وَثُمُولًا فَرَقَعَهُ ، بَلْ لِأَنَّ الْحَقَّ غَالِبَ الْحَظِّ فَتَلَبَّهَ ، وَالْوَاجِبَ سَالِبَ الْمُحْكِنِ فَسَلَبَهُ ؛ وَأَتَاخَ رِكَابَ الرِّيَاسَةِ فِي الْمَحَلِّ الْخَضْبِ الَّذِي يَحْمَدُهُ وَبِرَضِيهِ ، وَاللهُ تَعَالَى يَفْضِلُ عَلَى رِعْيَتِهِ ، الْمُتَوَطِّئِينَ بِفَاضِلِ سِيَاسَتِهِ ، مِنْ حِبَائِهِ وَلُطْفِهِ ، وَرَأَقَتِهِ وَعَطْفِهِ ، بِمَا يُسَيِّخُ عَلَيْهِمْ ظِلَالُ الْعَدْلِ ، وَيَقْلِّصُ عَنْهُمْ سُئُولَ الْجُورِ وَالْحَيْفِ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

قلت : وكتبْتُ لِلْقَرَّ البَدْرِيَّ محمودِ الكَلَسْتَانِي الشهير بالسَّراي مهتًا له باستقراره في كُتَّابَةِ السَّرِّ الشريف بالديار المصرية في الدولة الظاهرية «برقوق» في سلطته الأولى :

رَفَعْتَ لِلْبَعْدِ مُدًّا وَلَيْتَ بُنْيَانًا \* وَشَدْتَ لِلْفَضْلِ بَعْدَ الْوَهْنِ أَرْكَانًا !  
وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ فِي زَهْوٍ وَمَالِكُهُ \* يَمِيسُ عُجْبًا، وَهَنَا التَّخْتُ إِيوَانًا !  
قَدِمْتَ مِصْرًا فَأَمَسْتَ مِنْكَ فِي فَرِّهِ \* تَهْزُ بِالْيَشْرِ مَنْ لُقْيَاكَ أَرْدَانًا !  
وَعُودِرَ النَّيْلُ مَذًى وَأَقِيتَ مُبْتَهَجًا \* وَقَدْ رَمَى الصَّدُّ وَالْإِبَادُ جِيحَانًا !  
أَلْفَاظُكَ الْفَرُّ صَارَتْ لِلْوَرَى مَثَلًا \* وَكُتِبَكَ الزُّهْرُ بَعْدَ اللَّثَمِ تَيْجَانًا !  
تَفَوْقُ قُسًا إِذَا تَبَدُّو فِصَاحَتَهَا \* وَتَفَضَّحَ الْمِصْقَعُ الْمَلَأَ تَحِيَانًا !  
قَدْ أَخَفَمْتَ فِي جَزَائِرٍ بِلَاغَتَهَا \* تُزَكَّا وَرُومًا وَبَعْدَ الْفُرْسِ عُرْبَانًا !  
كُلُّ الْمَوَالِي إِذَا وَلَّوْا فَلَا أَسْفَ \* إِذْ أَنْتَ بَاقٍ، وَيُسْقَى اللَّهُ مَوْلَانَا !  
مَوْلَى بِهِ قَدْ تَشَرَّفْنَا وَجَمَلْنَا \* وَلِذِكْرِ الْقَوْمِ أَنْسَانَا !

الصفحة التاسع - التهئة بولاية عمل .

أبو القَرَجِ الْبَيْهَاء :

عَرَفَ اللهُ سِيدِي بَرَكَةَ هَذَا الْعَمَلِ الْجَلِيلِ، بِنَبِيلِ نَظَرِهِ الْجَلِيلِ، وَحَمِيدِ أَثَرِهِ المحروس ، وتناصُر سياسته الشريفة بِسِمَةِ رِيَاسَتِهِ ، وَوَفَّقَ رِعْيَتَهُ لَشُكْرِ مَآوِلِهَا مِنْ فَائِضِ عَنَلِهِ وَمَحْمُودِ فَعْلِهِ ؛ فَالْأَعْمَالُ مِنْهُ - أَيْدِ اللهِ تَعَالَى - بِالْهَيْئَةِ أَوَّلَى ، وَبِالنَّظَاوِلِ بِمَا تَتِمَّلُهَا مِنْ بَرَكَاتٍ تَدِيرُهُ أُخْرَى ؛ وَاللهُ بِكَرَمِهِ يَسْمَعُ فِيهِ صَالِحَ الدَّعَاءِ ، وَيُغْنِيهِ أَيْلَافُ مُدَدِّ الْبَقَاءِ ، فِي أَسْبَغِ نِعْمَةٍ ، وَأَرْفَعِ مَنَزَلَةٍ ، وَأَصْدَقِ أَمْنِيَّةٍ ، وَأَنْجَحِ طَلِبَةٍ ؛ بِمَنَّةِ .

وله في مثله :

لولا ما يَشْرِكُ التَّهَانِيَّ من بركات الدُّعاء الذى أَرْجُو أَنْ يَسْمَعَ اللهُ فِيكَ صَاحِدَهُ ،  
وَيُجِيبَ أَحْسَنَهُ ؛ لأَجْلَلْنَاكَ عن التَّهْنِئَةِ بِمُسْتَجِدِّ الأَعْمَالِ ، وَمُسْتَحْدَثِ الْوِلَايَاتِ ،  
لِقُصُورِهَا عن أَسْتَحْقَاقِكَ ، وَأَنْحَطَاطِهَا وإن جَلَّتْ عن أَيْتَرِ وَاجِبَاتِكَ ؛ وَتَعَجَّلِهَا  
بِأَثَرِ كِفَايَتِكَ ، وَبَرَكَاتِ نَظَرِكَ ، وَمَوَاقِعِ إِنْصَافِكَ . فِهَذَا اللهُ نِعْمَةُ الْفَضْلِ الَّتِي  
الْوِلَايَةُ أَصْغَرَ آلَاتِهَا ، وَالرِّيَاسَةُ بَعْضُ صِفَاتِهَا ؛ وَلَا أَخْلَاكَ مِنْ مَوْهَبَةٍ مُجَدَّدَةٍ ،  
وَمِنْحَةٍ مُؤَبَّدَةٍ .

وله في مثله :

سَيِّدِي - أَيْدَهُ اللهُ - أَرْفَعُ قَدْرًا ، وَأُنَبِّئُ ذِكْرًا ؛ وَأَعْظُمُ نُبْلًا ، وَأَشْهَرُ فَضْلًا ؛ مِنْ  
أَنْ تُهْنِئَهُ بِوِلَايَةٍ وَإِنَّ جَلَّ خَطَرُهَا ، وَعَظُمَ قَدْرُهَا ؛ لِأَنَّ الْوَاجِبَ تَهْنِئَةُ الأَعْمَالِ بِفَائِضِ  
عَنْهُ ، وَالرَّعِيَّةَ بِمَحْمُودِ فَضْلِهِ ، وَالْأَقَالِمَ بِأَثَرِ رِيَاسَتِهِ ، وَالْوِلَايَاتِ بِبِمَاتِ سِيَاسَتِهِ ؛  
فَعَرَفَهُ اللهُ يُؤْمِنُ مَا تَوْلَاهُ ، وَرَعَاهُ فِي سَائِرِ مَا اسْتَرْعَاهُ ؛ وَلَا أَخْلَاهُ مِنَ التَّوْفِيقِ فِيمَا يُعَانِيهِ ،  
وَالْتَسَدِيدِ فِيمَا يُؤْمِرُهُ وَيُمْضِيهِ .

### الأجوبة عن التَّهَانِيِّ بِالْوِلَايَاتِ

قال في "موادِّ البيان" : هذه الْكُتُبُ إِذَا وَرَدَتْ ، وَجَبَ عَلَى الْمُجِيبِ أَنْ يَسْتَنْظِرَ  
مِنْ كُلِّ كِتَابٍ مِنْهَا الْمَعْنَى الَّتِي يُجِيبُ بِهِ . قال : والطَّرِيقَةُ الْمُسْتَعْمَلَةُ فِيهَا أَنَّ كِتَابَ  
الْمُجِيبِ يَجِبُ أَنْ يَبْنِيَ عَلَى أَنَّ الْمَهْنَى قَسِيمٌ فِي النِّعْمَةِ الْمُتَجَدِّدَةِ ، وَشَرِيكَ فِي الْمَتَرَلَةِ  
الْمُسْتَحْدَثَةِ ، وَأَنَّ الْخَطَّ الْأَوْفَرَ فِيهَا نَالَهُ الْمَهْنَى لِلْهُنَى وَبِرَكَّةِ دُعَائِهِ ، وَتَوَقُّعِهِ لِمَا يَرِيدُ

من حاجاته وتبعاته لينفّسها ، نازلا على أخلص مخالصته ، وعاملا بشروط مودته ؛  
ونحو هذا مما يضارعه . فإن كان المحيِّب رئيسا أو مرعوسا ، وجب أن يرتب  
الخطاب على ما تقتضيه رتبة كل واحد منهما .

وهذا مثال من ذلك :

زهر الربيع :

وردت المشرقة الكريمة ، أتم الله على مرسلها نعمته ، وأصل قدره ومزنته ؛  
وجعل جناح العدا مغفوضا ، وعيشه في دعة وخفض ، وقدره للتمييز مرفوعا ،  
وعُدوه للتقصير في انحطاط وخفض ؛ فتلقاها باليمين ، وظنها الريح الجنوب لما تحملته  
من رقة الحنين ؛ وعلم ما أبداه فيها من تفضلاته ، وأعترف بالتقصير عن مجاراته  
ومجاراته ؛ فشغف سمعه بالفاظ كأنهن اللؤلؤ والمرجان ، ويثبت البون الذي بينه  
وبين غيره تلك الفصاحة والبيان ؛ وقابل أياديه بشكر لسانه ، وجازاه بحسن الدماء  
عن إحسانه ؛ ولا يقوم بشكر فضله اللسان ولا الجثمان ، وهل جزاء الإحسان  
إلا الإحسان ؟ .

فأما ما أشار إليه من الهناء بالمكان الذي تولاه ، وأبداه من المحبة التي أوجبت  
عليه أن يتوالاه ؛ فالله تعالى يُعينه على ما هو بصدد ، ويعمل الحق والخير جاريين  
على لسانه ويده ؛ ويرزقه اتباع محكم كتابه وسنة رسوله ؛ ويحصل له من الرشد غاية  
سوله ومأموله ؛ فإن هذه الولاية صعبة المراس ، وجوادها كثير الشباس ؛ لكن  
ببركات المولى يحصل من الله الأرب ، ويسهل لأوليائه القصد والإسعاد والطلب ؛  
أدام الله ظل المولى وأسعده ، وأوضح لديه طريق السعادة ومهده ؛ ومنحه من  
الأنطاف الخفية أفضل ما عوده ؛ بمنته وكرمه .



## الضرب الثاني

(التهنئة بكرامة السلطان وأجوبتها)

وفيه ثلاثة أصناف :

الصنف الاول — التهنئة بالإتمام والمزيد وليس الخلع وغير ذلك .

من كلام الأقدمين :

ويُنهى أنه اتَّصلَ بالملوك ما أهل مولانا السلطانَ مولانا له : من المحلِّ السُّنيّ ،  
والمكانِ العَلِيِّ ، الذي لم يزلْ مَوْقُوفًا عليه ، متَشَوِّفًا إليه ؛ نافرًا عن كلِّ خاطبٍ سِواه ،  
جامعًا على كلِّ رَاكِبٍ إلَّا إِيَّاه ؛ فَأَقَرَّ اللهُ عَيْنَ المَلُوكِ بِذلكَ لِصِدْقِ ظَنِّهِ ، وعلمَ أنَّ  
ماأصَّاره اللهُ تعالى إليه من هذه المَنْزِلَةِ المُتَّيِّفَةِ ، والرَّتْبَةِ الشَّرِيفَةِ ؛ مَدْرَجَةً مُخْفِضِي  
إِلَى مَدَارِجَ ، وَمَعْرَجَةً تَنْتَهِي إِلَى مَعَارِجَ ؛ والله تعالى يَزِيدُ مَعَالِيَهُ عُلُوءًا ، وَيُضَاعِفُ  
مَحَلَّهُ سُمُوءًا ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تعالى .

ومنه — ويُنهى أنه اتَّصلَ بالملوك نَبَأُ المَوْهِبَةِ المتَّجِدَّةِ لَدَيْهِ ، والنِّعْمَةِ المُسَبِّغَةِ  
عَلَيْهِ ؛ وما أَخْتَصَّ بِهِ مولانا السلطانُ مِنَ الإِصْطِفَاءِ والإِثَارِ ، والأَجْنِبَاءِ والإِخْتِيَارِ ؛  
وَتَقْدِيمِهِ للرَّتْبَةِ الأَعْيَنَةِ ، والإِنَافَةِ إِلَى المَنْزِلَةِ الخَطِيرَةِ ؛ فَسَّرَ المَلُوكُ للرَّيَاسَةِ إِذْ أَهْلَهَا  
الله تعالى فِي مَحَلِّهَا ، وَأَتَرَطَّهَا عَلَى أَهْلِهَا ؛ وَوَصَّلَهَا بِكُفِّهَا وَكَافِيهَا ، وَسَلَّمَ قَوْمَهَا إِلَى رَأْيِهَا ؛  
والله تعالى يَحْمِلُ هذه الرَّتْبَةَ أَوَّلَ مَرَقَاةٍ مِنَ مَرَاقِي الآمالِ ، وَمَكِينِ الرَّتْبِ التي يَفْرَعُهَا  
مِنْ رُتَبِ الجَلَّالِ ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ تعالى .

من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

أدام الله أنصاره، وجعل التقوى شعاره؛ وألبسه من المحامد أكرم حله، وتولاه من المكارم أحمد خله؛ ولا زالت الخلع تتشرف إذا أفيضت عليه، والمدايح تستطاب بذكره لاسيما إذا أنشئت بين يديه .

الخدم مُنْهَى إِلَى عِلْمِ الْمَوْلَى أَنَّهُ اتَّصَلَ بِهِ خَبْرٌ أَهْدَى إِلَيْهِ سُورًا، وَمَتَّحَ بِهِجَةً وَحُبُورًا : وهو ما أنعم به المولى السلطان خلد الله سلطانه، وضاعف إحسانه : من تشريفه بخلعته، وما أسبقه عليه من وأرف ظلّه وإغفر نعمته، وأبداه من عنايته بالمولى ومحَبَّته؛ وقد حصل له من المَسَرَّة ما أَجَلَّه، وبَسَطَ في مُضَاعَفَةِ سَعَدِ الْمَوْلَى أَمَلَهُ؛ فإنه بلغه أَنَّ هذه الخِلْعة كالرَّيَاضِ في نَضَارَتِهَا، وَحُسْنِ بَهْجَتِهَا؛ وَأَنَّهَا كَمَا بَرَقَتْ بِرَقِّ لَهَا الْبَصَرُ، وَظَنَّا لِحُسْنِهَا حَدِيقَةً وَقَدْ حَقَّقَ إِلَيْهَا النَّظَرَ؛ وَقَدْ جَمَعَتْ أَلْوَانَ الْأَزْهَارِ، وَأَرَبَى نَاصِجُهَا فِي اللَّطْفِ عَلَى تَسْمَةِ الْأَسْحَارِ؛ وَأَسَكَنْتْ حُبَّهَا حَبَاتِ الْقُلُوبِ الَّتِي فِي الصُّدُورِ، وَنَمَتْ عَنِ الْمُنْحِ بَرَائِقِ الْمُنْطَلِمِ وَقَائِقِ الْمُتَثَوِّرِ؛ وَأَنَّ ابْنَ سُلَيْمَانَ لَوْ رَأَاهَا، لَأَعْتَرَفَ بِأَنَّ فِي لُؤْسِهَا لِكُلِّ فِتْنٍ شَرْقًا لَارِيبَ فِيهِ، وَتَسَبَّبَ الْبَيْتَ الْمُنْسُوبَ إِلَيْهِ إِلَى أَعَادِيهِ؛ وَأَنَّهُ لَوْ نَظَرَ نَظْرَةَ نَضَارِهَا لَمَا جَعَلَ لَهَا فِي الْحُسْنِ نَظِيرًا، وَلَوْ أَلْقَاهَا عَلَى وَجْهِهِ لَأَرْتَدَّ لَوْفَتِهِ بَصِيرًا؛ فَلِذَلِكَ أَصْدَرَ هَذِهِ الْخِدْمَةَ مَهْنِيَّةً، وَمُعْرِبَةً عَمَّا حَصَلَ لَهُ مِنَ الْقَرَحِ وَمُئْنِيَّةً؛ وَبَلَجِدَ مَدْحَهُ الْعَاطِلِ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ الْإِفْطَاطِ حُلِيِّهِ؛ تَوَلَّاهُ اللَّهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَسْرَّةً وَبُسْرَى، وَأَجْرَى لَهُ عَلَى الْأَلْسُنِ حَمْدًا وَشُكْرًا؛ وَجَعَلَهُ لِكُلِّ خَيْرٍ أَهْلًا، وَشَكَرَ لَهُ تَفَضُّلاً شَامِلًا وَفَضْلاً؛ وَمَتَّعَهُ مِنَ الْعَافِيَةِ بِلَبَاسٍ لَا يَلِيْلُ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الصف الثاني — التهئة برضا السلطان بعد غضبه .

فمن ذلك :

وُنْهِىَ أَنَّهُ اتَّصَلَ بِى مَا جَدَّهَ اللَّهُ تَعَالَى لِمَوْلَاىَ — أطل الله بقاءه — من حُسن عاطفة مولانا أمير المؤمنين — خَلَّدَ اللَّهُ مَلِكَهُ — وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ بِعَدِّ أَنْصَارِهِ ؛ وإعادته إلى رُتْبَتِهِ الَّتِي نَشَرَتْ عَنْهُ دَلَالًا لَا مَلَالَ ، وَهَجَرَتْهُ هَجْرَ الْمُسْتَصْلِحِ الْمُسْتَعْتَبِ ، لَا هَجْرَ الْقَائِلِ الْمُنْتَجَبِ ؛ وَكَيْفَ تَقْلَاهُ ، وَهَى لَا تَجِدُ لَهَا كُفُوًا سِوَاهُ ؛ وَلِتَوْفُّعِ الْمَمْلُوكِ بِمَا وَقَعَ مِنْ هَذِهِ الْحَالِ ، وَعَلِمِهِ أَنَّ عَوْدَهَا إِلَيْهِ كَعَوْدَةِ الْمُوَدَّعِ [إِلَى مُوَدَّعِهِ] ، لِأَعَوْدَةِ الْمُنْتَجِعِ إِلَى مَرْمَرِهِ ؛ وَأَنَّ الَّذِي وَقَعَ مِنَ الْإِنْحِرَافِ إِصْلَاحٌ بِأَدِيهِ تَهْدِيبٌ وَتَقْوِيمٌ ، وَخَافِيهِ تَوْقِيرٌ وَتَعْظِيمٌ : لِمَا فِي عِتَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ شَرَفِ الرُّتْبَةِ ، وَالِدَّلَالَةِ عَلَى أَسْتِقْرَارِ الْأَثَرِ وَالْقُرْبَةِ ؛ وَحُلُولِهِ مَحَلِّ الصَّقَالِ ، مِنْ أَبْيَضِ النَّصَالِ ، وَالْتِقَافِ مِنَ الْعَسَالِ ؛ وَلَا سِيَّما وَرِيَاسَتَهُ مَحْفُوظَةً ، وَسِيَادَتَهُ مَحْفُوظَةً ؛ وَهَيْبَتَهُ فِي النُّفُوسِ مَائِلَةً ، وَجَلَالَتَهُ فِي الْقُلُوبِ حَاصِلَةً ؛ وَلَمْ يَرِ الْمَمْلُوكُ أَجَلَ مُوْهَبَةٍ مِنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنْ شُكْرِ يَسْتَرْهِنُ هَذِهِ النِّعْمَةَ وَيَحْلِدُهَا ، وَحَمْدٍ يَرْتَبِطُهَا وَيَقْبِذُهَا ؛ وَرَغْبَتُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْعِزَّ الْحَادِثَ لَا يَثْبُتًا لَا يَتَحَوَّلُ ، وَالسَّعْدَ الطَّارِفَ مَا يَكُنَّا لَا يَنْتَقِلُ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ومن ذلك :

وُنْهِىَ أَنْبٌ مِنْ عَادَةِ الزَّمَانِ أَنْ يَكْفَ سَحَابُهُ ثُمَّ يَكْفُ ، وَيَرِفَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَجِفُ ؛ وَيَدِرَّ حَبْلُهُ ثُمَّ يَقْطِعُ ، وَيُقْبِلَ خَيْرُهُ ثُمَّ يَرْجِعُ ؛ إِلَّا أَنَّهُ إِذَا سَلَبَ النِّعْمَةَ مِمَّنْ يَسْتَوْجِبُ إِمْرَارَهَا عَلَيْهِ ، وَاتَّرَعَ الْمُوْهَبَةُ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ اسْتِمْرَارَهَا لَدَيْهِ ؛

(١) لعل الوارزائة ويكون متعلق اللام في قوله «ولتوفع» الخ تأمل .

كَانَ الْغَالِطُ الَّذِي يُرَاجِعُ نَفْسَهُ فَيَنْدِمُ عَلَى مَا فَرَطَ ، وَلَا يَلْبَثُ أَنْ يَسْتَدْرِكَ الْفَلْطَ ؛  
مُعْقِبًا نُبُوتَهُ بِإِنَانَتِهِ ، مُتَعَقِّبًا هَفْوَتَهُ بِاسْتِقَالَتِهِ ؛ مَاحِيًا إِسَاءَتَهُ بِرَأْبِ مَا تَلَمَّ ، وَأَسْوِ مَا كَلَمَ ؛  
وإِصْلَاحَ مَا أَفْسَدَ ، وَتَأْلِيفَ مَا شَرَّدَ . فَلَا جَرَمَ أَنَّ النَّفْسَ بِإِقْبَالِهِ عَلَى مَنْ هَذِهِ  
صِفَتُهُ وَاعْتَقَهُ ، وَالْأَمَالَ لِإِنْصِرَافِهِ إِلَى مَنْ هَذِهِ صُورَتُهُ مُتَحَقِّقَهُ ؛ وَإِذَا سَلَبَهَا هَرَوَلُ  
فِي إِيدَاعِهَا لَدَيْهِ ، وَأَخَذَ [فِي] إِفَاضَتِهَا عَلَيْهِ . وَمَا زَالَ الْمَمْلُوكُ — مُدَّ عَامِلَ الزَّمَانُ مُولَانَا  
بُسُوءَ أَدَبِهِ ، وَنَأَى عَنْهُ بِمَاجِيهِ ؛ وَقَبَضَ بِنَانَتِهِ ، وَغَيَّرَ عَلَيْهِ سُلْطَانَتَهُ — عَارِفًا أَنَّ هَذِهِ الْفَعْلَةَ  
فَلْتَةٌ مِنْ فَلَائِهِ الَّتِي يَنْوِي شَرَّهَا ، وَلَا يَرْجِعُ إِلَى مِثْلِهَا ؛ وَأَنَّ الْإِسْتِيفَارَ ، يَقُودُهُ  
إِلَى الْإِعْتِدَارِ ، وَالْإِضْطِرَارِ ، يَحْدُوهُ عَلَى رَدِّ مَا أَتْرَعَهُ بِالْإِجْبَارِ : لِأَنَّهُ لَا يَجِدُ مَنْ يَحُلُّ  
مَحَلَّ مُولَانَا فِي آرْتِبَاطِهِ بِإِنْسَانِهِ ، وَتَعَاهِدِهِ بِسُقَى أَغْرَاسِهِ ؛ وَقِيَامِهِ بِشُكْرِهِ ، وَتَزَكِيَتِهِ بِرِيحِهِ  
مَتَوَقِّعًا لِأَن تَبْقِظَ عَيْنَهُ ، وَيُنْكَشِفَ رَيْثُهُ ؛ فَيَرَى مَا صَنَعَتْ يَدَاهُ ، وَيُبَادِرُ لَاسْتِقَالَةَ  
مَاجِنَتِهِ ؛ حَتَّى طَرَقَ الْبَشِيرُ بِمَا سَهَّلَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ اتِّحْسَارِ الْكُرْبَةِ ، وَعَوْدِ مُولَانَا إِلَى  
شَرَفِ الرِّثْبَةِ ؛ وَصَلَاحِ مَا أَفْسَدَ ، وَعَوْدِ السُّلْطَانِ أَعَزَّ اللَّهُ نَصْرَهُ إِلَى مَا عَاهَدَ ؛ وَرُكُونِهِ  
إِلَى حَضْرَتِهِ ، وَأَثْلَاحِهِ عَنْهُ رَافِلًا فِي تَشْرِيفِهِ وَمَكْرَمَتِهِ ؛ فَكَانَ مَعْتَقِدُ الْمَمْلُوكِ فِيهِ هِلَالًا  
فِي السَّرَارِ فَاهْلًا ، وَجَنِينًا فِي الْحَشَا فَاسْتَهْلًا ؛ فَاسْتَوَى عَلَى الْمَمْلُوكِ مِنَ السُّرُورِ مَا عَمَّ  
جَوَارِحَهُ ، وَعَمَرَ جَوَانِحَهُ ؛ وَأَطَارَ بِجَنَاحِ الْمَرْحِ ، وَأَلْبَسَ حُلَّةَ الْقَرَحِ ؛ إِذْ مَا جَلَدَهُ  
اللَّهُ تَعَالَى لَهُ مِنَ السَّعَادَةِ يَحُلُّ بِهِ فِي الْعُمُومِ ، مَحَلَّ الْغَيْثِ السَّجُومِ ؛ لِأَنَّهُ حَرَسَ اللَّهُ  
عِزَّهُ لَا يَسْتَأْثِرُ بِعَوَارِفِ اللَّهِ عِنْدَهُ ، وَلَا يَكْرُ عَلَى عَطَايَاهُ يَدَهُ ؛ بَلْ يَمْنَحُ مِمَّا مُنَحَ ؛  
وَيُؤَلِّى مِمَّا تَوَلَّى ، وَلَا يَبْضُنُّ بِمَالٍ وَلَا جَاهٍ ، وَلَا يَقْعُدُ عَنْ أَمَلِهِ وَرَجَاهُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى  
يَجْعَلُ ذَلِكَ مِمَّا أَقْرَبَ الْعُيُونِ ، وَصَدَّقَ فِيهِ الظُّنُونُ ؛ لِأَتَحَقِّقُهُ الْأَيَّامَ وَلَا تُبْلِيهِ ،  
وَلَا تَزْوِيهِ الْحَوَادِثُ وَلَا تَوَثِّرُ فِيهِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

### الصنف الثالث — التهئة بالخلاص من الاعتقال .

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

جدد الله سعدَه ، وضاعف جَدَه ؛ وأنجح قَصَدَه ، وأعذب مَنَهله وورَدَه ؛ ولا  
أنفكت الأيام زاهية ببقائه ، والأَنْفُسُ مسرورة بِأَرْتِقَائِهِ إِلَى رُتَبِ عَالِيَانِهِ . أصدرها  
تُفْصِحُ عَنْ شَوْقٍ يَجِيجُ عَنْ سَوْقِهِ الْجَنَانُ ، وَيَقْصُرُ عَنْ طَوْلِهِ اللِّسَانُ ؛ وَسُرُورٍ تَزِيدُ  
حَتَّى أَبْكَاهُ ، وَلَا يَجُوعُ بِمُشَاهَدَةِ طَلْعَتِهِ السَّعِيدَةِ أَغْرَاهُ ؛ وَتَهْنِئَةٍ بِمَا جَدَّدَ اللَّهُ لَهُ بَعْدَ  
الْإِعْتِقَالِ مِنَ الْفَرَجِ وَالْفَرَحِ ، وَمَنْ بِهِ بَعْدَ ضَيْقِ الْخَوَاطِرِ مِنَ الْإِبْتِهَاجِ وَالْمَرْحِ ؛  
فَهَذِهِ الْمَسْرَةُ مَاءٌ زَلَالٌ يَرُدُّ بِهَا الْأَوَامُ ، وَإِنْعَامٌ عَامٌ ، حَمِدَ اللَّهُ عَلَيْهَا الْخَلَّاصُ وَالْعَامُ ؛  
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَوَّضَهُ عَنْ مَاتَمِ الْحُزْنِ بِمَا تَمَّ مِنَ السُّرُورِ ، وَ[عَنْ] أَلَمِ الْمَانِعِ عَنِ الْوُرُودِ  
وَالصُّدُورِ بِإِنْشِرَاحِ الصُّدُورِ ؛ فَإِنَّ الْقُلُوبَ شَعَقَهَا حُبُّهُ وَشَفَقَهَا ، وَضَاعَفَ لَتَوْرِيقِهِ  
أَسَاوَاهَا وَأَسْفَاهَا ؛ بِحَيْثُ آعَتْرى الْمَنَاطِقُ قَلَقٌ وَعَلَاهَا أَصْفِرَارٌ ، وَعُطِّلَتْ يَدُ كُلِّ غَانِيَةٍ  
مِنَ الْحُلِيِّ فَاصْتَمَّتْ قُلُوبٌ وَلَا سِوَارَ ، وَلَيْسَ الْخُطْبَاءُ حَزَنًا وَالْأَيْسَنَةُ الْحَايِرَ ، وَكَادَتْ  
لَفَيْتِهِ وَقَدْ أَسَمِهِ تَنْدُبُهُ الْجَوَامِعُ وَتَبْكِيهِ الْمَنَابِرُ ؛ خَلَّدَ اللَّهُ سَعَادَتَهُ ، وَسَهَّلَ لَهُ مِنْ خَيْرِي  
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ قَصْدَهُ وَإِرَادَتَهُ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ .

### الأجوبة عن التهئة بكرامة السلطان ورضاه بعد غضبه

قال في "مواد البيان" : يجب أن تكون أجوبة هذه الرِّقَاعِ مُودَعَةً مِنَ الثَّنَاءِ  
عَلَى الْمَهْنِيِّ — بِمُحَافَظَتِهِ عَلَى رُسُومِ الْمُوَدَّةِ وَقِيَامِهِ بِشُرُوطِ الْخُلَّةِ — مَا تَقْتَضِيهِ رُبَّتُهُ وَرُبَّتُهُ  
الْمُحِبِّ ، وَأَنَّهُ مُشَارِكٌ لَهُ فِي مُتَجَدِّدِ النِّعْمَةِ ، مُفَاوِضٌ فِي حَدِيثِ الْمَسْرَةِ ؛ وَالتَّيَمُّنُ  
بِالدَّعَاءِ ، وَنَحْوِ هَذَا مَا يَحْسُنُ مَوْقِعُهُ عِنْدَ الْمُبْتَدِئِ بِالْهَنَاءِ ؛ وَيَضَعُهُ بِحَيْثُ وَضَعَ  
نَفْسَهُ مِنَ الْإِخْتِصَاصِ بِمَنْ كَاتَبَهُ .

وهذا مثال من ذلك :

زهر الربيع : [جواب] هناء بخيلة :

أدام الله علاءه ، وشكر الآءه ، وضاعف سناءه ؛ وحيد مننه التي أثقلت لكلّ  
معتيف ظهرا وخففت همّا ، وأثالث لكلّ ولي نصيباً من عوارفها وقسماً . المملوك  
يُنهى إلى العلم الكريم وُرود المكتبة التي كسّتها يده حلّة جمال ، والبستنة نوب  
إفضال ؛ وأعدّتها بكرمها ، وحسّنت وجهها بلسان قلبها ؛ فأمطرته سحاب جود  
أربى على السحاب المثلون ، وأوقفته منها على ألفاظ كأمثال اللؤلؤ المكنون ؛ فأجتنى  
نمار الفضائل من أغصانها ، وأجتنى عروس محاسنها وإحسانها ؛ وفيهم ما أشار إليه  
من التهنية بالخيلة التي أنعم المولى بها على خادمه وتصدق ، وحقّق الأمل في مكارمه  
وصدّق ، وإنعامه خلّد الله دولته ، وأعزّ نصرته ، قد كثر حتى أنجمه ، وميزه على  
كثير من ممالك بيته العالي وفضله ؛ وأثاله من المنزلة ما سمّاها على أمثاله ، ورفق بها  
بعد رقة حاله ؛ فانه يخلّد سلطانه ، ويثبت بالسعادة أركانه ؛ وهذا بسعادة مولانا  
ومساعدته ، ومعاونته ومعاضدته : فإنه كان السبب في الاتّصال ببابه أولاً وآخراً ،  
ومن أغاثه بذلك وأعانه عليه باطناً وظاهراً .

وكلّ خير توخّاني الزمان به \* فانت باعته لي او مسبه

(١) في الأصول أتم الله بها مخدومه ، ولا سقى له تأمل .

### الضرب الثالث (من التهانى التهنية بالعود من الحج)

وهذه نسخ من ذلك يُنسخ على منوالها .

فمن ذلك :

ويُنهى أنه طرَقَ المملوكُ البشيرُ عودَ مولانا - أطال الله بقاءه - من مقام  
الطائفين ، إلى مقامِ المعتفين ، وأوحيه من كعبةِ الإحرام ، إلى كعبةِ الإكرام ،  
وتقلبه من موقفِ الجُحاج ، إلى موقفِ المحتاج ، وحُلُوله بمنزله الذى هو قبلةُ دوى  
الآمال ، ومحطُ الرِّحال ، بالسَّنى المشكور ، والحجِّ المبرور ، والنُّسكِ المقبول ،  
والأجرِ المكتوب ، فحمدتُ الله تعالى على موهبيته ، وسألته زيادته من مكرمته ،  
وأستنجحت هذه المكتبةَ أمامَ ما أرومُه من مشاهدته ، وأرجوه من الاستعداد  
بملاحظته ، وبَرْدِ أوارِ الشوقِ بمحاضرتِهِ ، ومجدداً عهدَ التَّيْمَنِ بِمِاسَمَتِهِ ، فإن أقتضى  
رأيه العالى أن يعرفَ المملوكُ جملةً من خبره فى بذته وعوده ، ومنقلبه ومتوجهه ،  
وما تفضلَ الله تعالى به من أمانِ سبيله ، وهدايةِ دليله ، وتخفيفِ وعثاءِ سفرِهِ ،  
وتسهيلِ وطَرِهِ : لِأَسْكُنَ إِلَى ذَلِكَ إِلَى حِينِ التَّمَثُّلِ بَنَظَرِهِ ، فله الفضلُ فى ذلك .  
والله تعالى يُلَفِّه سُوْلَهُ ، وَيَوْصِلُهُ مَرَادَهُ وَمَأْمُولَهُ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ .

ومن ذلك :

ويُنهى أن مولانا لا يزال حاجباً إلى كعبةِ الحرم ، أو كعبةِ الكرم ، وطائفاً بشعائرِ  
الوُفود ، أو بشعائرِ الجُود ، وواقعاً بموقفِ الإِسْتِفْتاح ، أو موقفِ السَّباح ، وناحرَ  
البُذْنِ يَمْنَى ، أو نازِلَ البَدْرِ لُئْلَى ، فلا يَرْتَقِعُ فى حاي من الأحوالِ رُءُ ، ولا يَنْقَطِعُ عن الله

تعالى ذكره ، ومن كان بهذه المثابة ، في إحراز الأجر والإتابة ؛ فهو حقيق أن تعمّر بالتهنئة أوقاته وأزمائه ، كما عمّرها سعيه وإحسانه ؛ وقد عرّف المملوك أنكفائه - أدام الله علوه - عن مقام الطائفين والعاكفين ، إلى مقام القاصدين والمعتفين ، وعوده إلى منزله المعمور ، بعد قضائه فريضة السعي المشكور ؛ فعدلت في مخاطبته عن الهناء إلى الدعاء بأن يتقبل الله تعالى نسكته ويتقبل ميزانه ، ويطلق في حلبة الخيرات عتائه ؛ ويحييه لأجر يحجزه ، وثواب يكثره ؛ والله تعالى يحب ذلك فيه ، ويريه في نفسه وأحبته ما يرضيه .

ومن ذلك :

وتنهي أنه قد طرقتي البشير بأنكفاء مولانا إلى مقرّ علائه ، وأنفصاله عن ملاذ النساك والعباد ، إلى معاذ الزوار والقُصّاد ؛ فعرفت أنّ ذلك النسيم العليل من تلقائه ، وذلك النور الصادع من آلائه ؛ وذلك الاقتدار من أسرته وعياله ، وتلك العُدوبة من سيمه وشمائه ؛ فكاد المملوك يطير - لو طار قبلي غير ذي مطار - فرحاً ، وأحرق الأرض وأبلغ الجبال لو أمكن ذلك مَرَحاً ؛ وأنفتح قلبي حتى كادت مهجته تفيض سروراً ، وطاش حلمي حتى تفرق مجموعته بهجة وجوراً ؛ والله تعالى يجعل نعمه موصولة الجبل ، مجموعة السُّمْل ؛ بمنه وكرمه .

أبو الفرج البقاء :

جعل الله سعيك مشكوراً ، وحجك مبروراً ، ونسكك مقبولاً ، وأحرك مكتوباً ؛ وأجزل من المثوبة جزائك ، ومن عاجل الأجر وأجله عطائك ؛ وقرن بالطاعات عزمايك ، وبالسعي إلى الخير نهضاتك ؛ ووفقك من صالح الأعمال ، وزكى الأفعال ، لما يجمع كل خير الدارين . ولما طرقتني البشارة بقُدومك ، بدأت بإهداء الدعاء ، وتجديد



الشكر لله تعالى والثناء ؛ وأستنبثُ في ذلك المكتبة ، أمام ما أنا [عازم] عليه : من المشاهدة والمخاطبة ؛ ولن أتاخر عن حظي من المسير إليك للتيمن بالنظر إلى غُرَّتكَ ، ومداداة ما عانيته من ألم الشوق بمشاهدتك .

### الضرب الرابع (من التهانى ، التهنئة بالقدوم من السفر)

من كلام المتقدمين :

على بن خلف :

ويُنْبئى أنه أتصل بالملوك خبر توجهه<sup>(١)</sup> إلى الناحية الفلانية ، فعرفَ الملوك أنه قصدها ليخص قاطنيها ، بنصيب من مواهبه ؛ ويُقيص على ساكنيها ، بحبالا من رعايته ؛ ويسوى بينهم وبين من رآه يحياها ، وجبره بنوافله وآلائه ؛ فسالتُ الله تعالى أن يطيل عمر المكارم بإطالة بقائه ، ويجمع شمل السؤدد بدوام علاته ؛ ثم أتصل بي عوده إلى مقوره ، خفيف الحقايب من وقره ، ثقيلا من شأنه وشكره ؛ فحمد الملوك الله تعالى على إسفار سفره عن بلوغ الأوطار ، وانحسار أمنيته عن أذيال المسار ؛ وما خصه به من السير السحيح ، والسعى النجيج ؛ والسلامة المفرقة على الوجهة والمنقلب ، والمفتتح والمعتقب ؛ ولما عرض للملوك ما قطعته عن مشافهته بالدعاء ، رفع يده إلى الله تعالى ضارعا لديه في أن يتولاه في هذا المقدم الميمون ، بالسعد المضمون ؛ وإنالة الأمانى المقررة للعون ؛ وأن يمتحه في الحبل والترحال ، والقطن<sup>(٢)</sup> والإنتقال ، توفيقا يبارك ويصاحب ، ويسير ويواكب ؛ وأن يجعل ما حوله من نعمه راهنا خالدا ، وما أولاه من مواهبه بادئا عائدا ؛ إن شاء الله تعالى .

(١) في الأصل وجهته وهو تصغير إذ الوجهة الناحية والجهة وهو ضمير مراد كما لا يخفى .

(٢) مصدر تطن في كتب اللغة التي بأيدينا على قول لا على فعل .

وله أيضا :

وَيُنَبِّئُ أَنَّهُ طَلَعَ عَلَيْهِ الْبَشِيرُ ، طُلُوعَ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ ؛ مُؤْذِنًا بِمَقْدَمِ حَضْرَتِهِ ، وَمُعَلِّمًا بِظُهُورِ طَلْعَتِهِ ؛ وَحُلُولِهِ فِي مَعَانِهِ <sup>(١)</sup> الَّذِي هُوَ مَعَانُ الْإِقْبَالِ ، وَعَوْنُ الرِّجَالِ ؛ وَقَرَارُهُ الْأَفْيَالِ ، وَحِطُّ الرِّحَالِ ؛ وَقَبْلَةُ الْجُودِ ، وَمُعْرَسُ الْوُفُودِ ؛ فَسَأَلْتُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُبْقِيَهِ جَمَالًا لِلْأَيَّامِ ، وَثِمَالًا لِلْأَنَامِ ؛ وَعِمَادًا لِلْقُصَادِ ، وَمَرَادًا لِلرُّوَادِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُخْلِيهِ فِي نَصْرَفَاتِهِ ، وَجَمِيعِ حَرَكَاتِهِ وَسَكَاتِهِ ؛ مِنْ سَعَى سَعِيدٍ ، وَعَيْشِ رَغِيدٍ ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ .

أبو الفرج البغواء :

مَنْ كَانَتْ غَيْبَةُ الْمَكَارِمِ مَقْرُونَةً بِغَيْبَتِهِ ، وَأَوْبَةُ النِّعَمِ مَوْصُولَةً بِأَوْبَتِهِ ؛ سَافَرَتْ الْأَنْفُسُ حَيْثُ كَانَ إِلَيْهِ ، وَقَلِمَتِ الْأَمَالُ عِنْدَ قُدُومِهِ عَلَيْهِ ؛ وَمَا زَالَتِ الْأَنْفُسُ إِلَى الْأَمْنِيَّةِ بِقُرْبِهِ مَطْلَبَةً ، وَلَوْ رُودُ السُّرُورِ بِوُرُودِهِ مَتَوَقَّعَةً ؛ إِلَى أَنْ أَسْتَبْدَّ الْوَحْشَةُ لِقَائِهِ ، وَتَنَسَّمتْ أَرْحَ مَنْهُ وَتَهَامَتْ ؛ فَوَصَلَ اللَّهُ قُدُومَهُ مِنَ الْكَرَامَةِ ، بِأَضْعَافٍ مَا قَرْنَ بِهِ مَسِيرَهُ مِنَ السَّلَامَةِ ؛ بِمَحْرُوسًا مِنْ طَوَارِقِ الْغَيْرِ ، مَبْلَغًا أَبْعَدَ الْعُمُرِ .

وله في مثله :

مَنْ كَانَتْ مَادَّةُ سُرُورِهِ ، بِمَغْنَمِهِ وَحُضُورِهِ ؛ لَمْ يَجِدْ مَعَ بُعْدِكَ مُؤْنَسًا يَسْكُنُ إِلَيْهِ ، وَلَا عِوَضًا يَقُولُ فِي السَّلَوةِ عَلَيْهِ ؛ وَمَا زَلْتُ أَيَّامَ غَيْبِكَ - لَا أَوْحَشَ اللَّهُ مِنْكَ - بِالْوَحْدَةِ مَسْتَأْنِسًا ، وَبِالشَّوْقِ إِلَيْكَ مُجَالِسًا ، أَلَا فَيْكَ بِالْفِكْرِ ، وَأَشَاهِدُكَ بِاتِّصَالِ الذِّكْرِ ؛ إِلَى أَنَّ مَنْ اللَّهُ مِنْ أَوْبَتِكَ بِمَا عَظُمَتْ بِهِ النِّعْمَةُ ، وَجَلَّتْ لَدَيْهِ مَعَهُ الْمَوْهِبَةُ ؛ فَوَصَلَ اللَّهُ بِالسَّلَامَةِ نَهْضَاتِكَ ، وَبِالسَّعَادَةِ حَرَكَاتِكَ ، وَبِالتَّوْفِيقِ أَرَاءَكَ وَعِزِّ مَاتِكَ ؛ وَحَرَسَنِي بِقِيَامِكَ وَبِقَاءِ النِّعْمَةِ عِنْدَكَ ، وَهَتَأَنِي النِّعْمَةَ الْجَلِيلَةَ بِقُرْبِكَ .

(١) في القاموس واللسان « المعان المأبة والمترنل » وأورداه في مادة م ع ن .

وله في مثله :

مَنْ كُنْتَ نِهَایَةَ أَمْنِیَّتِهِ ، وَطُغَبَ مَسَرَّتِهِ ؛ كَانَ مِنْ نَفْسِهِ مُسْتَوَحِشًا مَعَ بَعْدِكَ ،  
وَبَغْیَرِهِ مُسْتَأْسِیًا مَعَ قُرْبِكَ ؛ وَمَا زِلْتُ مَعَكَ بِالنِّیَّةِ مُسَافِرًا ، وَبِالشَّوْقِ سَافِرًا ؛  
وَبِالْفِكْرِ مَلَاقِیًا ، وَبِالْأَمَانِیِّ مُتَاجِیًا ؛ لِئَلَّا أَنْ جَمَعَ اللَّهُ شَمْلَ سُرُورِی بِأَوْتِیَّتِكَ ،  
وَسَكَنَ نَافِرَ قَلْبِی بِعَوْدَتِكَ ؛ عَلَى الْحَالِ السَّازَةِ مِنْ كَمَالِ السَّلَامَةِ ، وَوُفُورِ الْكُلْفَةِ ؛  
فَاسْعِدْكَ اللَّهُ بِمَقْدَمِكَ سَعَادَةً تَكُونُ بِهَا مِنَ الزَّمَانِ مُحْرُوسًا ، وَلِلْإِقْبَالِ مُقَابِلًا ،  
وَبِالْأَمَانِیِّ ظَافِرًا ؛ وَلَا أَوْحِشُ اللَّهُ مِنْكَ أَوْطَانُ الْفَضْلِ ، وَعَضُدُ إِخْوَانِكَ بَقَائِكَ  
وَبَقَاءُ النِّعْمَةِ عِنْدَكَ .

وله في مثله :

لَوْ كَانَ الْقَلْبُ يَجِدُ عَنْكَ مُنْصَرَفًا ، أَوْ رِئْیُ مِنْكَ فِي آكْتِسَابِ الْمَسَرَّةِ خَلْقًا ؛  
لَا سِتْرَاحَ إِلَيْهِ مِنْ أَلَمِ بَعْدِكَ ، وَاسْتَنْجَدَهُ عَلَى مَرَارَةِ فِرَاقِكَ ؛ لَكِنَّكَ أَبْدَكَ اللَّهُ جَمْلَةً  
مَسَرَّتِهِ ، وَنِهَایَةَ أَمْنِیَّتِهِ ، فَلَيْسَ تُتَوَجَّهُ أَمَانِیُّهِ إِلَّا إِلَيْكَ ، وَلَا تَقِفُ آمَالُهُ إِلَّا عَلَيْكَ ؛  
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَفَرَّ بِقِيَّتِكَ أَعْيُنَ إِخْوَانِكَ وَأَوْدَانِكَ ؛ وَاقَالَكَ اللَّهُ مِنَ السَّعَادَةِ فِي أَوْتِیَّتِكَ  
أَضْعَافَ مَا أَكْتَفَيْتَكَ مِنَ الْكِفَایَةِ فِي ظَنِّكَ .

إِنْ أَبَى الْخِصَالُ :

سَرَّ اللَّهُ مُوَلَايَ وَرَئِیْسِی ، وَرَبِّ تَشْرِیْفِی وَأَنْیَمِی ؛ بِلِقَاءِ الْأَخْبَابِ ، وَأَتْصَالَ  
الْأَسْبَابِ ، وَأَوْیَةِ الْغِیَابِ ؛ وَلَا زَالَتِ الْأَيَّامُ تَتَصَبَّحُ لِإِقْبَالِهِ ، وَتُقْبِلُهُ أَوَجَهُ الْعِزِّ  
فِي أَقْبَالِهِ ، وَتُوفِیهِ عَلَى رَغْمِ الْحَاسِدِ حَقَّ جَلَالِهِ .

البشرى - أدام الله أعترازه - بمقدم الوزير فلان قد أوضعت ركبتها ، وأتصل  
بالنفوس أعلقها وأسبابها ؛ فهنيئاً معشر الأولياء بسبوغ هذه النعمة الجليله ، والمنحة

الجزيلة ؛ ولا أستوفى شكر ما به أنى مُعْظَم قَدْرِهِ ، ولمَ تَرَمْ بِهِ ؛ من ثناء كَعْرِفَ الطيب يُهْدَى ، ومَذْهَبٌ في الإنهاض لا يَقْضَى واجبُهُ ولا يُؤدَّى ؛ ولا زالت حياة مولاى تُفَدَّى ، وأفعالُ ربه تَعْدَى ؛ وقد لُتِمَتْ مواقعُ أناملِهِ وُدًّا ، ووردتْ من محاسن بَيَانِهِ مَنَهْلًا عَذْبًا [ ووردنا ] فامتحنى اللهُ بحياته العزيزة الأَيَّامَ ، الطيبة الإلَّامَ ، الموصولة العهدِ والنِّدامِ ، وأقرأ على سيدى من سَلَامى ما يُلِمُّ يَدَهُ ، ويقضى حقَّ البراع [ الذى ] أنشأ به البر وولَّده ، والسلامُ المعادُ عليه وعلى جنته ورحمة الله وبركاته .

الشيخ جمال الدين بن نُباتة عن نائب الشام إلى القاضى علاء الدين بن فضل الله كاتب السر الشريف ، بالأبواب الشريفة بالديار المصرية ، عند عودِهِ من الذِّكْر إلى الديار المصرية ، فى سَنَةِ ثَلَاثٍ وأربعين وسبعمائة ، مهتئلاً له بعودِهِ إلى منزله بالديار المصرية ، وآسَ تَقَرُّرِهِ وعودِهِ إلى كِتَابَةِ السَّرِّ الشريف بالأبواب الشريفة السلطانية ، وهى :

تُقبَلُ الباسطة الشريفة إلى آخر الألقاب - لازالت خناصر الحمد على فضل بنائها معقوده ، ومآثر البأس والكرم لها ومنها شاهدة ومشهوده ، وبوآثر السيوف مسيرة القصد إلى مُناظرة أعلامها المقصوده ؛ تقيلاً يودُّ لو شافَهُ بِشِفَاهِهِ مَوْرِدَ الجُودِ من الأمانل ، وكأثر بَشْرِهِ عند المُنْخُولِ للتقبيل ثُغُورُ الأمانل ؛ فكان يُشَافَهُ بِشَوْقِهِ مَوْرِدَا كثير الزحام ، وكان يُكَاثِرُ بِعَقْدِ قُبْلِهِ على يد الفضل عقوداً جزيلة الانتظام ، وكان يُحَاكِمُ جَوَرَ الضِّمِّ إلى مَنْ أبى اللهُ لِحَارِ مشاهدته أَنْ يُضَامَ . ويُتْبِى ماوصل إليه وإلى الأولياء من الشُّرُور ، وما رُفِعَ بينهم وبين الإيتِهاج من الشُّرُور ، وما طُولِعَ فى أخبار المَسْرَةِ من السُّطُور ؛ بوُصُولِ مولانا وَمَنْ معه إلى مَسَاكِنِ العزِّ سَاكِينَ ، ودُخُولِهِم كُدُخُولِ يوسُفَ عليه السلام وَمَنْ معه إلى مِصْرَ آمينَ ؛ وآسَ تَقَرُّرِهِ

في أشرف مكانٍ ومكانه ، واستنصار مصر بأفلامه على العادة فإن هذه سهام وهذه  
مكانه ؛ وإسفار غمام السفرة عن كوكب علا طالك حرس يمينه أفق الملك وهذه  
وزانه ؛ وما كانت إلا غيبة أحمد الله عفاها ، وغاية بعد من الله عز وجل وجلها ؛  
وقرة نحا الله قترتها فتفس خناق المنصب المشتاق لوجه الكريم ، وغيرة صرف الله  
هجيرها فسقى طرس الإنشاء الذي أبصت عينه من الحزن فهو كظيم ؛ وما يحاسن  
مولانا إلا زينة من زين الدنيا فعلها يتشاكس المتشاكسون ، وما مزاج كلماته إلا  
من تسليم ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ .

فالحمد لله على أن أقر العيون بماودة ظله الوريث ، وعلى أن شفى الصدور  
بقربه وأولها صدر السر الشريف ؛ وعلى أن أجزل الهناء وقد شمل ظله ،  
وقد كل باب الفضل فضله ؛ وقد بهر سناؤه وسناه ، وقد تسعّب القريب والبعيد  
فإن أجدي على مصر موره قد جادت على الشام سماء . وقد أخذ المملوك حظه من  
هذه البشرية ، ووالى السجود لله شكرا ؛ وجهز خدمته هذه نائبة عنه في تقبيل بنان  
إن سماء مولى الكرم بحرا ، فقد سماء مرئى الملك برأ ؛ لازالت الممالك متحفة يمين  
مولانا ظاعنا ومقيما ، متصفة بحمده وحمد سلفه الكريم حديثا وقديما ؛ تالية على مهمات  
الملل بصحبة بيته الشريف ﴿ وكان فضل الله عليك عظيما ﴾ .

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي في تهنئة بقدم من سفر :

أدام الله ظله ، ورفق محله ، وشكر إنعامه وفضله ؛ وأعز أنصاره ، وضاعف  
أفئداه ؛ ولا زال مؤيدا في حركاته ، مستندا في سائر فعلاته ؛ مصحوبا بالسلامة  
في المهامه والقيار ، مخصوصا من الله تعالى بالأعوان والأنصار .

المملوك يُنهي بعد هتيل الأرض ، والقيام بما يجب من سُنة والقرض ؛ علمه  
 بحلول ركابه العالى بمفاته ، واستقرار خاطره الشريف فى محله ومثواه ؛ وجمع الشمل  
 بالأهل بعد طول الغيبة ، وبعد القول والآوبه ؛ فتضاعف لذلك فرحه وسروره ،  
 وزال عن قلبه قليل المم وكثيره ؛ فانه يمنح المولى أطيّب المنازل ، وأسر الرواحل ؛  
 ويعمل تجارة مجده راجحه ، وأوامر دوام عزه لائحه ، حتى تُنشد نفسه الكريمة  
 قول أبى الطيّب :

أنا من جميع الناس أطيّب منزلاً \* وأسر راحلةً وأزج متجراً !  
 لازالت الأعينُ قريّة برؤيته ، وقلوبُ الإخوان قازّة بمشاهدته ؛ والأوجهُ وِسيمة ،  
 والنّسمُ الطّاعنة مُقيمه ؛ إن شاء الله تعالى .

### أجوبة التهتهة بالقدوم من السفر

قال فى "موادّ البيان" : أجوبه هذه الرّقاع ينبغى أن تُبنى على الاعتراف للهوى  
 بحقّ تعهده ، وكرم فقدده ، وإطلاعه على الحال فى السّفر ، وما أفضت إليه من  
 السلامة ، والتأسّف على ما تهضى من الأيام فى مُباعدته ، والتخلّف عن مُباشرته ؛  
 وأنه لم يزل يدرع الإدلاج ، ويقطع الصّجاج ؛ رغبة فى القدوم إليه ، والوفادة عليه ؛  
 وبلى الغلّة برؤيته ، وترويح النفس بمحاضرتة ؛ وما يليق بهذا النمط من الكلام .

## الضرب الخامس

( من التهاى التهئة بالشهور والموايم والأعياد )

وهى على ثمانية أصناف :

الصنف الأول — التهئة بأول العام وغرة السنة .

من كلام المتقدمين :

تهئة من ذلك : من إنشاء أبى مسلم محمد بن بحر :

أسعد الله سيدي بعامه ، والفضل منه وما حوى من الأعياد والأيام الخطيرة  
وسائر شهوره وأيامه ، ومنصرف أحواله ، وبما يأتى ويكر عليه من زمانه ؛ سعادة  
تسوق إليه حظوظ الدين والدنيا كامله ، وتجمع له فوائد الأمدن تامة وإفيسه ؛  
وترتب إليه النعم فلا تزال لديه زائدة ناميه ؛ وبلغه بها الأمل ، ومد له فى البقاء  
إلى أنفس المهل .

ولأبى الحسين بن سعد :

عظم الله على مولاى بركة الشهر والسنة المتجددين ، وهب له فيهما وفيما يتلوهما  
من أيام عمره ، وأزمان دهره ، سعادة تجمع له أشات الحظوظ ، وتصل لديه مواد  
المزيد ؛ وييسر له بلوغ الأمل فى كل ما يطالع وينزع ، والأمن من كل ما يراقب  
ويحاذر .

وله فى مثله :

عظم الله على سيدي بركة الشهر والسنة ، وأعاشه لأمتالها مدة اختلاف الجديدين ،  
وتجاوز الفرقدين ؛ متما بالنعم السائيه ؛ والمواهب المتردفة ؛ والسعادة والغبطة ،  
والعز والمسر .

وله في معناه :

جَدَّدَ اللهُ لِسَيِّدِي فِي الْأَيَّامِ الْحَاضِرَةِ وَالْمُسْتَقْبَلَةِ ، وَالْأَحْوَالِ الرَّاهِنَةِ وَالْمُنْتَقِلَةِ ؛  
حُطَّوْطًا مِنَ السَّعَادَاتِ ، وَأَقْسَامًا مِنَ الْخَيْرَاتِ ؛ لَا يُحْصَى عِنْدَهَا ، وَلَا يَنْقُضِي  
مَدَّهَا .

وله في مثله :

عَظَّمَ اللهُ [ عَلَى مَوْلَايَ ] بَرَكَةَ الشَّهْرِ وَالسَّنَةِ الْمُتَجَدِّدِينَ عَلَيْهِ ، وَعَرَّفَهُ فِيهِمَا  
وَفِي الْأَيَّامِ بَدْهًا مِنْ حَدَثِ صُنْعِهِ ، وَلَطِيفِ كِفَايَتِهِ ؛ مَا تُدَوِّمُ فِيهِ السَّعَادَةَ ،  
وَتَعْظُمُ بِهِ الْبِرَّةُ ، وَتَحْسُنُ فِيهِ الْعَاقِبَةُ .

وله في مثله :

عَظَّمَ اللهُ عَلَى مَوْلَايَ بَرَكَةَ هَذَا الشَّهْرِ : الْمَاضِي [ مِنْ ] أَيَّامِهِ وَبَاقِيهَا ، وَهَذِهِ  
السَّنَةَ ، وَجَعَلَهَا أَيْمَنَ سَنَةٍ حَالَتْ عَلَيْهِ وَأَسْعَدَهَا .  
وَمِنْهُ : وَيُنْهَى أَنْ الْمَمْلُوكَ يُبَيِّنَ غُرَّةَ الْأَيَّامِ ، بُقْرَةَ الْأَنْهَارِ ؛ وَصَدَرَ الْعَامَ ، بِصَدْرِ  
الْكَرَامِ ؛ بَلْ يَبَيِّنَ الزَّمْنَ كُلَّهُ نَعَمَ وَأَهْلَهُ بِالْحَضَرَةِ الَّتِي وَاسَتْ الْمَعَالِي .

الصفحة الثاني - التهئة بشهر رمضان .

من كلام المتقدمين :

لأبي الحسين بن سعد :

جَمَعَ اللهُ لِمَوْلَايَ فِي هَذَا الشَّهْرِ الشَّرِيفِ شُرُوطَ آمَالِهِ وَأَحْكَامَ آمَالِهِ ، فِي حَاضِرِ  
أَمْرِهِ وَعَاقِبَتِهِ ، وَعَاجَلَ دُنْيَاهُ وَأَخَّرَتِهِ ؛ وَأَبْقَاهُ لِأَمْتَالِهِ بَقَاءً لَا يَنْتَاهِي أَمَدُهُ ، فِي ظِلِّ  
عَيْشِ رِضَاهُ وَيَحْمَدُهُ .



وله في مثله :

عَرَفَ اللهُ سَيِّدِي بَرَكَهَ هَذَا الشَّهْرَ الشَّرِيفَ وَأَعَاشَهُ لَأَمَثَالِهِ ، مَا كَرُّ الْجَدِيدَانِ ،  
وَأَخْتَلَفَ الْعَصْرَانِ ؛ مِمَّا بَسَوَايَ النَّعْمَ ، مَحْرُوسًا مِنْ حَوَادِثِ الْغَيْرِ ، وَمَوْقِفًا فِي شَهْرِهِ ،  
وَأَزْمَانَ دَهْرِهِ ؛ لِأَزْكَى الْأَعْمَالِ ، وَأَرْضَى الْأَحْوَالِ ؛ وَمَقْبُولًا مِنْهُ مَا يُؤَدِّيهِ مِنْ فَرَضِهِ ،  
وَيَتَّقِلُ بِهِ قُرْبَةً إِلَى رَبِّهِ .

وله في مثله :

عَرَفَهُ اللهُ بَرَكَهَ إِهْلَالِهِ ، وَأَبْقَاهُ طَوِيلًا لَأَمَثَالِهِ ؛ مَوْقِفًا فِيهِ مِنْ عَمَلِ الْخَيْرِ ،  
وَمُرَاعَاةِ الْحَقِّ ، وَتَادِيَةِ الْفَرَضِ ؛ وَالتَّنَقُّلِ بِالْبَرِّ ، لِمَا يُرْضِيهِ ، وَيَسْتَحِقُّ جَزِيلَ الثَّوْبَةِ  
عَلَيْهِ ؛ مِمَّا بَعْدَهُ بَسْنَى الْمَوَاقِبِ ، وَجَسِيمَ الْفَوَائِدِ ؛ مَعَ أَتِّصَالِ مُدَّةِ الْعُمُرِ ، وَاجْتِمَاعِ  
أُمْنِيَّاتِ الْأَمَلِ .

وله في مثله :

عَرَفَ اللهُ مَوْلَانَا بَرَكَهَ هَذَا الشَّهْرَ الشَّرِيفَ وَأَيَّامِهِ ، وَأَعَانَكَ عَلَى صِيَامِهِ وَقِيَامِهِ ؛  
وَوَصَلَ لَكَ مَا زِيدُ مِنْ فَضْلِهِ وَإِنْعَامِهِ ؛ وَتَابَعَ لَكَ الْمَزِيدَ مِنْ مَنَاحِهِ وَإِنْعَامِهِ ؛ وَخَتَمَ  
لَكَ بِالسَّعَادَةِ الْعَظْمَى بَعْدَ الْإِنْتِقَالِ [ فِي الْبَلَاءِ وَالرِّيَاسَةِ إِلَى ] أَجَدِ الْمَدَى ؛ وَفِي الْعَزِّ  
وَالرَّوَّةِ إِلَى أَقْصَى الْمُنَى .

أبو الفرج البيهقي :

جَعَلَ اللهُ مَا أَظْلَهُ مِنْ هَذَا الصِّيَامِ مَقْرُونًا بِأَفْضَلِ قَبُولِ ، مُؤَدِّنًا بِإِدْرَاكِ الْبُغْيَةِ وَنُجْحِ  
الْمَأْمُولِ ؛ وَوَقَّعَهُ فِيهِ وَفَى سَائِرِ أَيَّامِهِ ، وَمُسْتَأْنَفِ شَهْرِهِ وَأَعْوَامِهِ ؛ لِأَشْرَفِ الْأَعْمَالِ  
وَأَفْضَلِهَا ، وَأَزْكَى الْأَصْعَالِ وَأَكْمَلِهَا ؛ وَلَا أَخْلَاهُ مِنْ يَرْمَرُفُوعٍ ، وَدَعَا مَسْمُوعَ ؛  
وَسَمَى مَشْكُورَ ، وَأَمْرًا مَبْرُورَ ؛ لِيَأْنِ أَنْ يَقْطَعَ فِي أَجَلِ غِبْطَةٍ وَأَتَمَّ مَسِيرَةَ أَمَثَالِهِ .

وله في مثله :

عَرَّفَكَ اللهُ بِرَكةِ هَذَا الشَّهْرِ الْمُعَظَّمِ قَدْرَهُ ، الْمَشْرِفِ ذِكْرَهُ ؛ وَوَفَّقَكَ فِيهِ لِصَالِحِ  
الْأَعْمَالِ ، وَزَكَّى الْأَفْعَالَ ؛ وَقَابَلَ بِالْقَبُولِ صِيَامَكَ ، وَبَتَّعَظِيمِ الْمُثُوبَةِ تَهْجُدَكَ وَقِيَامَكَ ؛  
وَلَا أَخْلَاكَ فِي سَائِرِ مَا يَتَّبَعُهُ مِنَ الشُّهُورِ ، وَيَلِيهِ مِنَ الْأَزْمِنَةِ وَالْأُيُومِ ؛ مِنْ أَجْرِ  
تَذَنُّرِهِ ، وَأَثَرِ تَشْكُرِهِ .

قلت : ومما كتبتُ به تهنئةً بالصوم للقرن الأشرف الناصري محمد بن البارزي  
كاتب السر الشريف المؤيدى بالممالك الإسلامية ، في سنة ستِّ عشرة وثمانمائة نظماً :

أَيَا كَاتِبِ السَّرِّ الشَّرِيفِ وَمَنْ بِهِ \* تَمِيسُ نَوَاحِي مِصْرَينِهَا مَعَ الشَّامِ !  
وَمَنْ جَلَّتِ الْجُلَى كَاتِبُ كُتُبِهِ ، \* وَمَنْ نَابَ عَنْ وَقْعِ السُّيُوفِ بِالْقَلَامِ !  
تَهَنِّ بِهَذَا الصَّوْمِ وَالْعِيدِ بَعْدَهُ ، \* وَمِنْ بَعْدِهِ بِالْعِيدِ وَالْعَامِ فَأَلْعَامِ !  
وَتَرَفَّى رُفَى الشَّمْسِ فِي أَوْجِ سَعْدِهَا \* وَتَنَقَّى بَقَاءَ الدَّهْرِ فِي فَيْضِ إِنْعَامِ !

. الصنف الثالث — ما يصلح تهنئة لكل شهر من سائر الشهور .

لأبي الحسين بن سعد :

عَظَّمَ اللهُ بِرَكةِ إِهْلَالِهِ ، وَأَعَاشَهُ لِأَمْنَالِهِ ، أَطْوَلَ الْمُدَّةِ ، مُمْتَعًا بِأَدْوَمِ النِّعْمَةِ ، وَمَشْفَعًا (؟)  
بِأَفْضَلِ الْأَمَلِ وَالْأُمْنِيَةِ .

وله : أَسْعَدَ اللهُ سَيِّدِي بِإِنْصَرَامِهِ وَإِهْلَالِ مَا بَعْدَهُ ، وَأَبْقَاهُ مَا بَقِيَ الزَّمَانُ مُمْتَعًا  
بِالْعَزِّ وَالنِّعْمَةِ ؛ مُحَرَّسًا مِنَ الْآفَاتِ الْمُخَوِّفَةِ ، وَالْحَوَادِثِ الْمُخْذَوِّرَةِ .

وله : عَظَّمَ اللهُ عَلَى سَيِّدِي بِرَكةِ الْمَاضِيِ وَالْمُسْتَقْبَلِ مِنَ الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ [وَالْأَعْوَامِ]  
وَالْأُيُومِ ، وَوَصَّلَ لَهُ السَّعَادَةَ بِإِتِّصَالِهَا ، وَجَدَّدَ لَهُ النِّعْمَةَ بِتَجَدُّدِهَا .

وله : عَظَّمَ اللهُ بَرَكَهَ أَنْسِلَاحِهِ ، وَإِهْلَالِ مَايَتْلُوهُ ؛ مُجِدِّدًا لَكَ بِجَدِّدِهِ فَوَائِدَ الْخَيْرَاتِ ، وَأَقْسَامَ الْبَرَكَاتِ ؛ تَدُومُ فِيهَا الْمُنَّةُ ، وَتَطُولُ بِهَا النِّعْمَةُ .

وله : أَسْعَدَكَ اللهُ بِإِهْلَالِهِ ، وَأَعَاشَكَ أَبَدًا لِأَمَثَالِهِ ؛ مُمْتَا بِدَوَامِ الْعِزِّ وَالنِّعْمَةِ ، وَاجْتِمَاعِ أَسْبَابِ الرِّخَاءِ وَشُرُوطِ الْمَحَبَّةِ ؛ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ .

[وله : عَظَّمَ اللهُ عَلَى مَوْلَايَ بَرَكَاتِ هَذَا الشَّهْرِ وَمَايَتْلُوهُ ، وَبَلَّغَهُ مَايُحَاوِلُهُ وَيَتَحَوَّلُهُ ؛ فِي مَسَاتِنِ الشُّهُورِ ، وَمُؤْتَنَفِ الدُّهُورِ ؛ مُضَاعَفًا لَهُ الْعِزَّ وَالْثَّابِتَ ، وَمَوْصُولًا لَهُ أَصْلُ النِّعْمَةِ بِمُحْسِنِ الْمَزِيدِ] .

وله : عَظَّمَ اللهُ عَلَى مَوْلَايَ بَرَكَهَ الشَّهْرِ ، وَأَدَامَ لَهُ سَلَامَةَ الدُّهْرِ ؛ مَوْثُورًا مِنَ الْعِزِّ وَالسُّلْطَانِ ، خَيْرَ مَذْخُورِ بَنَوَائِبِ الزَّمَانِ .

وله : عَظَّمَ اللهُ عَلَى سَيِّدِي بَرَكَهَ الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ ، وَالسِّنِّينَ وَالْأَحْقَابِ ؛ وَجَمَعَ لَهُ الْمَوَاحِبَ كَامِلَةً ، وَالْقَوَائِدَ فَاضِلَةً ؛ دِينًا وَدُنْيَا ، وَحَاضِرَةً وَعُقْبَى .

وله : عَظَّمَ اللهُ عَلَيْكَ بَرَكَتَهُ ، وَعَرَّفَكَ ثِمَنَهُ وَسَعَادَتَهُ ؛ وَجَدَّدَ لَكَ الْخَيْرَاتِ ، بِتَجْدِيدِ الْأَوْقَاتِ وَالسَّاعَاتِ ؛ حَتَّى تُحَوِّزَ مِنْهَا أَسْنَى الْحُطُوطِ وَتَبْلُغَ مِمَّا تَمَنَّاهُ أَقْصَى الْغَايَاتِ .

الصفحة الرابع - التهئة بعيد الفطر .

من كلام المتقدمين :

لأبي الحسين بن سعد :

عَظَّمَ اللهُ عَلَى سَيِّدِي بَرَكَهَ هَذَا الْعِيدِ ، وَأَعَاشَهُ لِأَمَثَالِهِ ؛ مِنْ الْأَعْيَادِ الْمَشْهُودَةِ ، وَالْأَيَّامِ الْجَدِيدَةِ ، [ فَيَا ] أَهْلًا عَيْشٍ وَأَرْغَدِهِ ، وَأَطْوَلَ مَدَى وَأَبَدِهِ .

(١) الزيادة في بعض النسخ .

أبو الفرج البغدادى :

أسعدك الله بهذا الفطر الجديد ، والعيد السعيد ، ووصل أيامك بعده بكل  
السعادات ، وأجمل البركات ، وجعل ما أسأفته من الدعاء مقبولا مسموعا ،  
ومن التهجد زائجا مرفوعا ، ولا أخلك من نعمة يحرس الشكر ملتتها ، ولا يخلق  
الدعوى جنتها .

من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

المولى أدام الله نعمه ، وحرس شيمه ، هو سيد الأفاضل ، ورئيس الأمائل ،  
وحسنه الزمان ، وليث الأقران ، وهو فى الأنام ، كالأعياد فى الأيام ، فإن الأنام ليل  
والمولى المصباح بل الصباح ، وسائر الأيام أجساد وسائر الأعياد هى الأرواح ، فإذا  
كان المولى قد زهى على أبناء جنسه ، ويوم العيد على غده وأمه ، فقد صار كل  
منكا إلى صاحبه يتقرب ، ويلزم ويلزب ، وهو أحق الناس بأن يهجه مقدمه ، وأن  
ينهى بيومه الذى هو مجمع السرور وموئمه .

والخادم ينهى المولى بهذا العيد ، واليوم السعيد ، فإنه وافى فى أوّل الربيع وزمانه ،  
ليأبى بفضن قده أغصان بانه ، ويستنشق فى صدره وورده ، رائحة ريحانه وورده ،  
ويختال فى رياضه وحدائقه ، ويلاحظ بهجة أزهاره وشقائقه ، والعيد والربيع ضيفان  
ومكارم المولى جديرة بإكرام الضيف ، والتمتع بالملذذ فيما قبل رحيلهما وقُدوم حرّ  
الصيف ، وأن يحسن وجهه عيده ، بحلّوله فى مَنّاه ووجوده ، بما يؤله لمفاته من  
إنعامه وجوده ، لازالت الأعياد تُهتّى ببقائه ، والسنة الأيام تُشكر سوايغ نَعْماته ،  
وتحمد جزيل عطائه ، وتطبق بولاته وشائه ، أبداً ، إن شاء الله تعالى .

قلت : ومما كتبتُ به مهتًا للقرّ الأشرف الناصريِّ محمد بن البارزى صاحب دواوين الإنشاء الشريف بالملك الإسلامية في الدولة المؤيدية «شيخ» بعيد الفطر نظماً ، بعد أن سألتُه حاجةً قضاها ، وأسئلتى إلى الجائزة على تفرّكته له .

سألتُ نظامَ الملكِ كاتبَ سرِّه \* إزالةَ ضنكِ أرهفِ الدهرِ حده !  
فمنَّ بجاهٍ زعزعَ الأرضَ وقعه ، \* وجادَ بمالٍ لا يرى الفقرَ بعده .  
وبالبارزى أزدانَ وصفَ مكاريم \* فاشبهَ في فضيلِ أباه وجده !  
فبيناهُ صومٌ ثمَّ عيدٌ مسرة \* وطالعٌ إقبالٌ يقارنُ سعده !  
ورفعَ دُعاءَ لا يُنبئُ تائباً ، \* وطيبَ ثناءٍ خامرَ المسكُ نده !

الصفحة الخامس — التهنئة بعيد الأضحى .

من كلام المتقدمين :

أبو الحسين بن سعد :

كأبى والنحر — نحر الله أعداءَ مولائى وحسادَ نعمته ، وأمتعته بمواهبه عنده ،  
وبارك له في أعياده وبتجدد أيامه ، بركة تَنظِّمُ السَّعادات ، وتضمِّنُ الخيرات ؛  
متصلةً غير مُقطَّعة ، وراثةً غير فانية .

من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

تَهَبْ فأيَّامُ السُّرورِ أوَاهِلُ \* وكلُّ محوِّفٍ عن جنابك راحِلُ !  
وتجك من فوقِ الكواكب طالعٌ ، \* ونجمٌ أمرئٌ يشأُ مُموكٌ آفِلُ !

أَلَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الَّذِي عَمَّ جُودُهُ : \* فَدَنَّاكَ الْعَوَالِي وَالْحِيَادُ الصَّوَاهِلُ !  
تَمَّتْ بِعِيدِ النَّحْرِ ، وَافَاكَ خَاضِعًا \* يُحَقِّقُ مِنْ دُنْيَاكَ مَا أَنْتَ آسِلُ !  
وَدُمَّ كَابِتَ الْأَعْدَاءِ وَأَبْقَى مُخَلَّدًا \* عَلَى الْمَالِ عَا ، بِالرَّيْعَةِ عَادِلُ !  
لَقَدْ رَاقَ مَدْحِي فِي مَعَالِيكَ مِثْلَ مَا \* صَفَتْ مِنْكَ أَوْصَافُ وَرَقَتْ شَمَائِلُ !

جعلهُ الله أَرْكَ الأعياد وأسعدها ، وأَمِنَ الأيامَ وأجدها ، وأَجَلَ الأوقاتِ وألذها  
وأزغدها ، ولا يَرَحَ مَسْرُورًا مُسْتَبْشِرًا ، مَتَّصُورًا عَلَى الأعداءِ مُقْتَدِرًا ؛ مَسْعُودًا مَحْمُودًا ،  
مُعَانًا بِمَلَائِكَةِ السَّمَاءِ مَمْضُودًا ؛ مُهَنَّا بِالسُّعُودِ الْجَدِيدَةِ ، وَالْجُنُودِ السَّعِيدَةِ ؛ وَالْقُوَّةِ  
وَالنَّاصِرِ ، وَالْعُمَرِ الطَّوِيلِ الْوَافِرِ :

وَلَا زَالَتِ الْأَعْيَادُ لِيَسْكَ بَعْدَهُ \* [ فَتَخْلَعُ ] عُرُوقًا وَتُعْطَى مُجَدَّدًا ،  
فَذَا الْيَوْمُ فِي الْأَيَّامِ مِثْلُكَ فِي الْوَرَى \* كَمَا كُنْتَ فِيهِمْ أَوْحَدًا كَانَ أَوْحَدًا !

وأعاده عَلَى الْمَوْلَى فِي صِحَّةٍ دَائِمَةٍ ، وَسَلَامَةٍ مُلَازِمَةٍ ؛ وَأَصَارَ عِيدَهُ مُطِيعًا لِأَوَامِرِهِ  
كَسَائِرِ الْعِيدِ ، وَعِيْدَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنَ الْمَسْرَةِ بِبَقَائِهِ لَهَا كَالْعِيدِ ، وَالْأَيَّامِ بِهِ ضَاحِكَةً  
الْمُبَاسَمِ ، وَالْأَعْوَامَ حَمِيلَةَ الْمَوَاسِمِ ؛ وَمَتَّعَنَا بِدَوَامِ حَيَاتِهِ ، وَأَسْتَجْلَاءَ بِحَمِيلِ صِفَاتِهِ ،  
وَأَسْتَحْلَاءَ بِمَدَائِحِهِ بِإِنْسَادِ عِفَاتِهِ ؛ وَأَرَاهُ نَحْرَ أَعَادِيهِ ، يَنْ يَدِيهِ كَأَضَاحِيهِ ، وَأَصَارَ الْحُجَّ  
إِلَى بَابِهِ غَافِرًا سَيِّئَاتِ الْإِفْلَاسِ وَالْإِعْدَامِ ، وَمُيَسِّعًا لِنُفْسِ الْخَيْطِ مِنْ إِنْعَامِهِ الْعَامِ ؛  
أَلْبَسَهُ اللهُ مِنَ السَّعَادَةِ أَجْمَلَ حُلَّةً ، وَمَتَّعَهُ مِنَ الْمَكَارِمِ أَحْسَنَ خَلَّةً .

الصفحة السادسة — التهنية بعيد الغدير من أعياد الشيعة :

وكان لهم به اهتمامٌ في الدولة الفاطمية بالديار المصرية . والطريق في التهنية به  
على نحو غيره من الأعياد .

## ما يصلح تهنئة لكلِّ عيد .

أبو الفرج البغواء :

لولا العادة المشهورة، والسنة الماثورة، بالإفاضة في الدعاء، والمشافهة بالتهنئة والتناء، في مثل هذا اليوم الشريف قدره، الرفع ذكره؛ لكان أيده الله دون رؤساء الدهر، وملوك العصر يجل عن التهنئة : إذ كانت سائر أيامه بما يودعها من أفعال الخير معظمه، وبما يبتئها من المحاسن مكرمه، فبلغه الله أمثاله محروساً في نفسه ونعمته، محفوظاً في سلطانه ودولته؛ موفياً على أئده أمانيه، مذكراً غابتها فيما يؤمله ويرتجيه .

وله في مثله :

عرفك الله بمن هذا العيد وبركته، وضاعف لك إقباله وسعادته؛ وأحياك لأمثاله في أسبغ النعم وأكملها، وأفسح المدد وأطولها؛ وأشرف الرتب وأرقها، وأعز المنازل وأيقعها؛ وحرس منحتك من المحذور، ووفى نعمتك من عثرات الدهور .

## الصنف السابع - التهنئة بالنبيروز .

وهو من أجل أعياد الفرس، على ما تقدم ذكره في الكلام على أعياد الأمم، في المقالة الأولى . وكان للكتاب به اهتمام في أوائل الدولة العباسية بالعراق، جريا على ما كان عليه الفرس من قديم الزمان .

وفيه لأبي الحسين بن سعد :

هذا يوم شرفته العجم، ورعى ذماته الكرم؛ وهو من أسلاف سيدي ذوي النباهة، وأخلافه ذوي الطهارة؛ بين منشي رثمه، ومؤدى حقه؛ وكليس له بقبول

آتسايه إليه جمالاً يبقو على الأيام، وحالاً يتفق بها لدى الأنام ؛ فليس أحد أحق بالتهنئة [به] من سنه آبائه ، وشيدته آلاؤه ؛ فصارت إلى أوليته نسبته ، وبكرم يحيته عصمته .

وفيه له : هذا - أيد الله سيدي - يوم عظمه السلف من العجم ، وسيدي وارث سنة الكرم ؛ وللسادة على العيد في هذا اليوم رسم في الإلطف ، وعليها لهم حق في القبول والإسعاف ؛ وقد بسنت بما حضر جاريًا على سنة إخلمه ، وعادلاً عن طريق الحشمة ؛ ومقتصرًا على ما أئسعت له الحال ، وما يوجبه قدر سيدي من المبالغة في الاحتفال ، فإن رأى أن يشرف عبده بالاحتفال إليه ، وإجرائه مجرى الأئس عنده ، فعل ، إن شاء الله تعالى .

وفيه للكرجى :

هذا يوم تسموله العجم ، ويسمى في العرب ؛ تشريقاً له وأعتافاً بفضلته ، وأقدياء بأهله ؛ وأخذاً بسنتهم فيه ، فلين لإخراز الدولة في العز [منزلاً] بحيث لا يرام ، ولا يضام ؛ ولا ترقى إليه الأمانى ، ولا يطمع في مساواته المساوى ؛ وإنهم بعد تصرف الدولة على حميد آثارها ، وجيل الذكر فيها ؛ أعلام تضرب بهم الأمثال ، وتروى بأيامهم الأيام ، وآثارهم تفتنى ، وأعيادهم تنتظر ؛ يتأهب لها قبل الأوان ، ويعرف فيها أثر الزمان ؛ وإنك منهم في الذروة السامية ، والرتبة العالية ؛ وبحل لا عار معه على حرة في الخشوع لك ، والتعلق بحبك . وقد وجدت الأتباع عند ساداتها في مثل هذا اليوم على عادة في الإلطف جسمتها ، وسيرت بها على أقوام منحهم ظهور الدعوى فيها ، فأقبل قائلهم يقول : « لو كان باب الإهداء مفتوحاً غير مسدود ،

(١) مراده أن العرب آتبت العجم في عظيمه تأمل . (٢) قد بلغ التعريف من هذا مبلغه

حتى لا يكاد يفهم والمراد أن دولة الفرس أحرزت من العز منزلاً بحيث الخ تأمل .



ومباحاً غير ممنوع ؛ لامتختفُ بالغرَابِ الأعصم ، والكبريت الأحمر ، والأبقي العقوق ،  
وبَيضُ الأثوق . وقد بعثتُ بهديّة لا تُردُّ ( يعنى الدعاء ) .

وفيه : من كان محلك من العِزِّ ، ونباهة الذِّكر ، وأرتفاع الدَّرَجَةِ ، وعلو المنزلة ؛  
وسعة البلد ، وبعد الأمد ؛ لم يتقزّب متحلّ بالعلم والأدب إليه في يوم جديد  
إلا بصالح الدعاء ، وحسن الثناء .

وفيه : لو أخرنا هذا انتظاراً لوجود ما نسحقه ، لا قهضت أيامنا ، بل أعمارنا ،  
قبل أن نقضى لك حقاً ، أو تؤدّى عن أنفسنا فرضاً : لا يرتفع قدرك عما تحويه  
أيدنا ، وعلو حالك عما تبلغه آمالنا ؛ وقد اقتديتُ بسنة الخدم والأولياء في الأعياد ،  
وأوصحتُ العذر في ترك الاجتهاد ؛ وبعثتُ في هذا اليوم ، الذى أسأل الله أن يعيده  
عليك ألف عام ، في نساء من العِزِّ ، وعلو من القدر ، وتسام من السرور ، ومزيد  
من النعمة ... .. .

#### الصف الثامن - التهنية بالمهرجانات .

وهو أحد أعياد الفرس ، على ما تقدم ذكره في المقالة الأولى ، في الكلام على أعياد  
الأُمم . وكان للحُكَّاب من الاحتفال بالتهنية به في أوائل الدولة العباسية ما لم بالنيروز .  
فيه - لأبي الحسين بن سعد :

لسيدى على في الأعياد المشهورة ، والأيام الجليلة ؛ عادة اخترتني عن بعضها  
في هذا الفصل ، كلال الطبع عن البئس ؛ ووقوع الخطر (؟) بمرضه من الثناء نظماً  
وتراً ، ومن الإهداء عرضاً وبراً ؛ دعاء تريد قيمته على الأطلاق الثمينه ، وموقعه على  
الدخائر النفيسة ، ولطفه على التحف البديعه ؛ فأسعد الله سيدى بهذا اليوم سعادة  
تُهم ، ولا تريم ، وتريد ، ولا تريد ، وتسوطن ، ولا تظنن ؛ وتجمع حظوظاً من

الخيرات، وفوائد من البركات؛ يتصل سندها، ولا ينتهي أمدؤها؛ وأبقاه في أسبغ عثر وأرفع رتبة وأرقد عيشة، مكنوفاً بحراسة نعيمه [ وآله ] عوادي الزمان، وتصريف عنهما طوارق الحدّثان؛ ما طرد الليل النّهار، وطلع نجم وغار؛ وعلى ذلك - أيد الله سيدي - فإنّ الحرص على إقامة الرّسم والتّطير من إضاعة الحقّ بعثاني على مراجعة القريبه، واستكداد الرّوية؛ فأسعفا بما قبلته الضرورة؛ ولم أطلع في إهدائه سلطان الحشمة؛ وفضل سيدي يتسع لقبول الميسور، وتحسين القبيح؛ والله المعين على تأدية حقّه، والقيام بواجب فرضه .

وله فيه أيضاً، إلى من منع أن تُهدى إليه فيه هدية .

لو كنت فتحت باب الإلطف، ونهجت إليه سبيلاً؛ لتنازع أولياؤك قصب السبق وتنافسوا في السّرف؛ فبان للجهد فضله، وآتمس العذر في التقصير ملتصقه؛ وعمت المنعة كافهم بما يظهر من مواقفهم، وينكشف من أحوالهم؛ لكنت حظرت ذلك حظراً استوى فيه الفريقان في الحكم، وأمتد فيه على قوى الخلل السّتر؛ ولم تحظر الدعاء، إذ حظرت الإهداء؛ فانا أهديه ضرورة واختياراً، وإعلاناً وإسراراً؛ فاسعدك الله بهذا العيد الجليل، الذي زاد بك في قدره، وشرّفه بأن جعلك من أربابه وولاه أمره .

أبو الفرج البغاه :

هذا اليوم من غرر النّهور المشهورة، وفضائل الأيّمة المذمّورة؛ معظّم في العهد الكسرويّ، مستظرف في العصر العربيّ؛ باعث على عمارة المودات، مخصوص بالإنيساط في الملاحظات، ولست أستريده - أيده الله - من ريّويه، ولا تطويل إلى تسديده؛ غير إدخال في جملة من بسطته الأنسه، ومفقتة المحبة؛

وتقرَّبْتُ منه بوكيد الحشمة، فى قبول ما إن شَرَّفَ بقوله، كان كثيراً مع قلته، جليلاً مع تزارته؛ فإن رأى أن يقوى منه يقى، ويقابل بقبول ما أنفذته رغبتي، فعل، إن شاء الله تعالى .

وله فى مثله :

قد أطمعت فى الانبساط إليك دواعى الثقة، وسلكت فى التحرم بك سبل الأنسة، وتوصلت بملاطفتك إلى حسم مواد الحشمة؛ فاستشهدت على يقى بك فيما أنفذته بمفارقة الحفلة<sup>(١)</sup>، وكلف المكاثرة؛ فإن رأيت أن تكلفني فى تقبله إلى سعة أخلاقك، وتسلل في ذلك أخصر طريق إلى ما أخطبُه من مودتك، وأزاحم عليه فى إخالك؛ فعلت، إن شاء الله تعالى .

وله فى مثله :

هذا اليوم - أيد الله سيدي - من أعياد المرقه، ومواسم الفتوة، وأوطان السرور، وعماين الأزمنة والدهور؛ بلغه [الله] أمثاله فى أنضر عيش وأسبغ سلامه؛ وأبسط قدره، وأكمل مسره؛ وقد توثبت إلى الاقتداء فيه بأديه، والأخذ بمعرفة فروضه بمنهجه؛ وأطمعت فى الانبساط إليه دواعى الثقة، وأنفذت ما أعتدت فى قبوله على مكافئ منه، عائداً بالتقليل من كلف المكاثرة، ومستثقل الكلفة؛ فإن رأى أن يأتي فيما آتسته ما يناسب شرف طبعه، وسعة أخلاقه؛ فعل، إن شاء الله تعالى .

وله فى مثله :

لو كانت الملاطقات بحسب الرتب وقدر المنازل، لما أبسطت قدرة ولا أوسع إمكان لما يستحقه نبيل عمله؛ وواجبات رياسته؛ ولكنت من بين خدمه ضعيف المنة عن خدمته فى هذا اليوم السعيد؛ بلغه الله أمثاله فى أفسح أجل، وأمنح أمل،

بما يخدمه به دَوُو الخِدْمَات الوَكِيدَة عنده، المَكِينَة لَدَيْهِ ؛ غير أَنِّي أَتَيْتُ مِنْهُ -أيده الله-  
بجَمَلٍ قَلِيلٍ عَلَى عِلْمِهِ بِإِخْلَاصِي فِي وِلَايَتِهِ، وَأَنْتَسَائِي إِلَى جُمْلَتِهِ، وَإِخْلَاطِي بِأَنْسَابِهِ ؛  
فَإِنْ رَأَى أَنْ يُجَرِّبَنِي فِي قَبُولِ ذَلِكَ عَلَى سُنَّةِ أَمْثَالِهِ مِنْ ذَوِي الْجَلَالَةِ ، عِنْدَ أَمْثَالِي  
مِنَ الْأَوَلِيَاءِ وَالْحَاشِيَةِ ، فَعَل .

وله في مثله :

لَوْ كَانَتْ الْهَدَايَا لَا تُتَقَبَّلُ مَالِمُ تُنَاسِبُ فِي نَقَاسَةِ الْقَدْرِ، وَجَلَالَةِ الذِّكْرِ، مَحَلٌّ مِنْ  
يُتَقَرَّبُ بِهَا إِلَيْهِ، وَمُتَزَلَّةٌ مِنْ أَهْدَاهَا إِلَيْهِ عَلَيْهِ، لِمَا سَمَّيْتُ هِمَّةً، وَلَا أَكْسَعْتُ قُدْرَةً،  
لِمَا يَسْتَحِقُّهُ -أيده الله- بِأَيْسَرِ وَاجِبَاتِهِ ، وَأَصْفَرِّ مَقَرَّضَاتِهِ، غَيْرَ أَنَّ الْأَنْسَةَ  
بِتَفَضُّلِهِ، وَالِاعْتِدَادَ بِسَالِفِ تَطَوُّلِهِ ؛ وَالتَّحَقُّقَ بِخِدْمَتِهِ ، وَالْإِنْتِسَابَ إِلَى جُمْلَتِهِ ؛  
بَسَطْنِي إِلَى إِنْقَازِ مَا لَمْ يَشْرَفْنِي بِقَبُولِهِ كَانَ مَعَ قَلْبِهِ كَثِيرًا ، وَمَعَ زَرَارَتِهِ جَلِيلًا ؛ فَإِنْ  
رَأَى أَنْ يَقْوَى بِذَلِكَ مِنْهُ نِقَّتِي، وَيَحْمِمَ مَادَّةَ أَحْتِشَامِي، فَعَل .

### أجوبة التهتهة بالمواسم والأعياد

قال في "مواد البيان" : هذه الكتبُ والرِّقَاعُ مضمُونُهَا الْهِنَاءُ بِالْمَوْسِمِ الْجَدِيدِ،  
وَالِدَعَاءُ لِلْهِنَاءِ فِيهِ بِتَمْلِيهِ . قال : وهذا المعنى مُقَاوَضٌ بَيْنَ الْمَهْنَى وَالْمَهْنَى، وَيَبْنِي أَنْ  
تَكُونُ أَجْوِبَتُهَا مُشْتَقَّةً مِنْهَا . ثم قال : وقد يَتَصَرَّفُ الْكُتَّابُ فِيهَا إِذَا كَاتَبُوا الرُّؤَسَاءَ  
تَصَرُّفًا يَخْرُجُ عَنْ هَذَا الْحُكْمِ .

وهذه أمثلة من ذلك :

أبو الفرج البيهقي :

سَمِعَ اللَّهُ دُعَاكَ، وَبَدَأَ فِي تَقْبِيلِ الْمَسْأَلَةِ بِكَ؛ وَأَجْزَلَ مِنْ أَقْسَامِهِ حَظُّكَ؛ وَبَلْغَكَ  
أَمَثَالَهُ فِي أَسْحَاحِ مُدَدِ الْبَقَاءِ ، وَزَادَ فِيهَا خَوْلَكَ مِنَ الْمَوَاهِبِ وَالنِّعَمَاءِ ؛ وَلَا أَخْلَانِي  
مِنْ بَرِّكَ، وَأَنْهَضْنِي بِوِاجِبَاتِكَ .

وله في مثله :

كل يوم أسعد فيه بمشاهدتك ، وأقطعته في ظلّ مودّتك ، حقيقّ بالإيجاد ، موفّ  
على محاسن الأعياد ؛ فسمع الله دعاءك ، وأطال ماشئت البقاء بقاءك ؛ وجعل سائر  
أيامك مقرونة بالسعادات ، موصولة بتناصر البركات .

من زهر الربيع :

يخُدم المجلس العالى جعل الله قدره على الأقدار سامياً ، وجزيل نواله على مَنْ  
هَامَ به من العفّة هامياً ؛ ونصره نصراً عزيزاً ، وأسكنه من حِرَاسَتِهِ حصناً حصيناً  
ورزاً حريزاً ؛ ولا زالت الأيام حاليةً الحيد بوجوده ، والأيدى تهشُّ إلى تناول  
أيديهِ وجُوده ؛ وأخبار المكّارم عنه مرويةٌ وإليه معزّوة ؛ وآياتُ فضله وفضائله  
بكلّ لسانٍ متلوّة .

ويُنهى إلى علمه ورُود مشرقه التي حلّت الأسماع عند ما حلّت ، وسمت عن  
الرياض لَمَّا جُلّيتْ عروسُ فضلها وجلّتْ ؛ وزهتْ على زهورها ، برقم سُطورها ؛  
وطيب عَرفها ونَشَرها ، بما فاح من طيّها عند نَشَرها ؛ وفائق حُسْنها وبَهْجَتها ، براق  
براعة عبارتها ؛ ومعاملتها بما يجبُ من فروض إكرامها والسّنن ، والمنشئ في تجميلها  
على الطريق المألوف من موالاته والسّنن ، وعلمه بما أشار إليه من الهناء بالعيد ،  
واليوم السعيد ؛ وقد تحقّق بذلك إحسانه الذي ما برح متحقّقاً بجمله وجزيله ،  
وشاكراً لكثيره وقليله ؛ وحصلتْ له البُشرى ، والمسرّة الكُبرى ؛ ليس للعيد بمفرده ،  
ولا لهذا الهناء بمجده ؛ بل لبقاء المولى ودوام سعادته ، وتخليد سيادته ؛ فإنه لكلّ  
إنسانٍ عينٌ ولكلّ عينٍ إنسانٌ ، وهو رُوحٌ والأَيّامُ والأَنامُ جُثَنانٌ ؛ فالملوكُ ببقائه كلّ

يَوْمَ يُجَدِّدُ لَهُ عَيْدٌ جَدِيدٌ ، وَيَتَضَاعَفُ لَهُ جَدٌّ سَعِيدٌ ؛ حَرَسَ اللَّهُ شَرَفَهُ الرَّفِيعَ مِنَ  
الْأَذَى ، وَأَرَاهُ فِي عَيْنِ أَعَادِيهِ جِدْعًا نَاتِنًا وَسَلَمَ لِحَفْظِهِ الْمَحْرُوسَ مِنَ الْقَذَى ؛ وَأَصَارَ  
أَيَّامَهُ كُلَّهَا أَيَّامَ هَنَاءٍ ، وَبِدَايَةَ سَعَادَتِهِ بِغَيْرِ حَدٍّ وَآتِيَاءَ .

### الضرب السادس

( التهنئة بالزواج والتسرى )

من كلام المتقدمين :

أبو الفرج البغواء :

وَصَلَّ اللَّهُ هَذَا الْإِتِّصَالَ السَّعِيدَ ، وَالْعَقْدَ الْحَمِيدَ ؛ بِأَحْمَدِ الْعَوَاقِبِ ، وَأَجْمَلَ  
الْمُنَحِّ وَالْمَوَاقِبِ ؛ وَجَعَلَ تَمَلُّلَ مَسَرَّتِكَ بِهِ مُلْتِمًا ، وَسَبَبَ أَثْنِكَ بِإِقْبَالِهِ مُتَمِّطًا ؛  
وَعَرَّفَكَ بِهِ تَعَجُّلَ الْبَرَكَاتِ ، وَتَنَاصَرَ أَنْطِرَاتِ ؛ وَلَا أَخْلَاكَ فِيهِ مِنَ التَّهَانِي بِجُبَاءِ  
الْأَوْلَادِ ، وَكَبَّتْ بِكَثْرَةِ عِنْدِكَ سَائِرِ الْحُسَادِ ؛ وَهَنَانِي النِّعْمَةِ الْجَلِيلَةِ بِإِخْلَاكَ ،  
وَعَضْدِي وَسَائِرِ إِخْوَانِكَ بِبَقَائِكَ .

وله في مثله :

قَرَنَ اللَّهُ بِالْخَيْرَةِ مَا عَقَدْتَ ، وَبِالسَّعَادَةِ مَا جَدَّدْتَ ، وَبِجَمِيلِ الْعَاقِبَةِ مَا أَفْدَتَ ،  
وَعَزَّفَكَ بِرَكَاتِ هَذَا الْإِتِّصَالِ ، وَلَا أَخْلَاكَ فِيهِ مِنْ مَوَادِّ السَّعَادَةِ وَالْإِقْبَالِ ؛ وَعَضَّدَكَ  
بِالْبَرَّةِ مِنْ عَقَبِكَ ، وَالسَّادَةِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ .

وله في مثله :

إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ مُتَحَفًّا بِلُحْفِ مَوَدَّتِكَ ، وَمَتَمِّسًا بِمَصَمِّ أَخُوئِكَ ؛ أَوَّلَى بِالتَّهْنِئَةِ  
بِمَا يَحْتُثُّ لَكَ مِنْ وَرُودِ نِعْمَةٍ ، وَاتِّصَالِ مَوْجِبِهِ ؛ فَإِنِّي مَا أَجِدُ فَرَضَ الدَّعَاءِ لَكَ

ساقطاً ، ولا واجبَ الشكره تعالى على ما أولاني فيك زائلاً ؛ فعرفك الله بركة هذا  
الاتصال الحميد ، والافتقار السعيد ؛ وجعله للسرور مكثرًا ، وباليمين مبشراً ؛ وأحيالك  
للتهاى بمثله في السادة من ولدك ، والتجباء من ذريتك .

وله في مثله :

وصل الله هذا الاتصال الميمون بأرجح البركات وأفضلها ، وأنجح الطليات  
وأكلها ؛ وأحمد بذاه وعقباه ، وبلغك الآمال في سائر ما تهواه ؛ وأحياك للتهاى  
بأمثاله في البررة من ولدك ، والتجباء من عقبك .

من كلام المتأخرين :

للشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

جعل الله الخيرة له فيما يذرّه ويأتيه ؛ والنجاح مقروناً بما يُعیده من الأوامر ويُنْديه ،  
والألسنة شاكراً ما يؤليه من الإنعام ويُسيّده . صدرت هذه الخدمة مغربة عن  
ثناء تارّج عرّفه ، وولاء أعجز الألسنة شرّحه ووضّفه ؛ وتهنئة بهذه الوصلة المباركة  
جعلها الله للاتصال بالسعادة سبباً ، ومحصلة من الخيرات مرّاماً وإفراً وأرباباً ؛  
وعرّفه بركة هذا العرس الذي أصبح الخيرُ بفنايه مُعمرّاً ، ونورُ الشمس من ضياء  
بهجته مقتبساً ؛ فتحمدُ الله على هذه الوصلة سراً وجهرًا ، ونشكره أن جعل بينه  
وبين السعد نسباً وصهرًا ؛ منح الله المولى الرّقاء والبنين ، والعمر الذي يُفني الأيام  
والسنين ، ورزقه إسماعاً دائماً وإسماعداً ، وأراه أولاداً أولاده آباءً بل أجداداً ؛  
إن شاء الله تعالى .

## أجوبة التهته بالزواج والتسرى

قال في "مواد البيان" : أجوبه هذه الرّفاع يجب أن تكون شكراً لله تعالى على العناية والاهتمام، و[مشملة على] الإبانة عن موقع دعائه من التبرك والتمن به ، إلا أن تكون البداية بمعنى يخرج عما هذا جوابه، فينبغي أن يحاب عنه بما يقتضى الإجابة عن ذلك .

## الضرب السابع

(من التّاهي التهته بالأولاد، وهو على ثلاثة أصناف)

## الصف الأول - التهته بالبين .

ما أورده أبو الحسين بن سعد في ترسله .

إنه ليس من نعم الله وفرائد قسمه وإن حسن موقعها، ولطف محلها؛ نعمه تعدل النعمة في الولد، لأنها في العبد، وزيادتها في قوة العبد، وما يتعمل من عظيم بهجتها، ويرجى من باقي ذكرها في الخلوفا والأعقاب، ولا حق بركتها في الدعاء والاستغفار .

ومنه : إنه ليس من النعم نعمه تُشبه النعمة في الولد، لزيادتها في قوة العبد، وحسن موقعها في الخلف والعقب، واتصل بي خبر مولود فسرى ما وصل الله به من العافية إليك، وشركتك في جميل الموهبة فيه شركة من له مالك وعليه ماعليك، وسألت الله أن يوزعك شكر النعمة ويؤنس بهذا المولود ربك، ويكثر به عندك، ويعظم بركته ويمن طائرته عليك، ويزيد به في النعمة كذلك، وفعل الله ذلك، بمنه وطوله .



وفيه لابي الحسين بن سعد الى ابي مسلم بن بحر يهتبه بآبى حدث له :

- فاما ماجتد الله من النعمة فى القادم والموهوب لك ولدا وأنسا، ولنا سندا  
وذخرا، فقد جل قدر هذه الموهبة عن أن يحاط لها بوصف، أو يوفى لها بشكر.

وفيه لعل بن خلف :

وينهى أنه اتصل بالملوك بزوغ نجم سعيد فى مشارق إقباله، مؤذنين بأنساق سموه  
وجلاله، فأحدث من الجلال والامتياز بقدومه، والتبرك والتميم بقدومه،  
ماتلائات على الملوك أنواره، وحسنت عنده آثاره، وسالت الله تعالى رغبة إليه  
فى أن يعرفه سعادة مولده، ويمن موفده، ويعمله شادا لعضده، وموريا لزيده،  
ويشفعه والسادة السابقين، بنجباء متلاحقين، يتلججون فى نطاق سعاده، ويتوسمون  
فى آفاق سيادته، ويصون سلكتهم من الاقصام، وشملهم من الانهدام، ويقيمهم  
غمرًا فى وجوه الأيام، وأقمارا فى صفحات الظلام، بمنه وفضله، إن شاء الله تعالى.

وفيه له : وينهى أن الملوك يشكر الله تعالى على ما أنزله عند مولانا من عوارفه،  
وأخصه به من لطائفه، شكر من شاركه فى النعمة المسبغة عليه، وأنهى إلى خبر  
السند المتجدد لمولانا، فطار الملوك بحوافي السرور ومقاديمه، وأخذ من الإتيهاج بأوفى  
قسمه، وسأل الله تعالى أن يبارك له فى عطيته، ويردقه بزيادته، ويوفر عده،  
ويشد بصالح الولد عضده، ويخينه من هذا القادم ثمار المسرة، ويرى عينه منه  
أقر قره، ويشفع المنحة فى موهبته بإطالة مدته .

وفيه : وينهى أن أفضل النعم موقعا، وأشرقها خطرا وموضعا، نعمة الله تعالى  
فى الولد : لزيادتها فى البدد وقوة العضد، وما يتجمل من عظم جمالها وزينتها،  
ويرجى من حسن مآلها وعاقبتها، فى حفظ النسب والأصل، وحسن الخلافة على

الأهل ؛ وجميل الذِّكر والنَّساء ، ومتَّعِل الأَسْتِغْفَارِ والدُّمَاءِ ؛ وقد اتَّصل بالملوك بُرُوعُ  
هلالِ سماءِ المجد ، ومتعلِّق الإقبال والسَّعد ؛ فأشرقَت الأيامُ بإشراقه ، ووثقت  
الآمالُ باجتماعه وأنَّساقه ؛ فقام المملوكُ عن مولانا بِشُكر هذه النعمة المتجدِّدة ،  
والموهبة الراحنة الخالدة ؛ وهنَّأتُ نفْسِي بها ، وأخذتُ بحظِّي منها ؛ والله تعالى يَعْرِفُهُ  
يَمِّنُ المولودَ من أطهرِ والدة وأطيبِ والدٍ ؛ ويُعَمِّرُ به منزله ، ويُؤنسُ ببقائه رَحْلَه ؛  
ويُبلِّغُ عَجِيه ، من الآمال فيه ، ما يُلْقِيهم في المآجد أبيه ؛ إن شاء الله تعالى .

وفيه : ونُبِّهَى أَنْ نَعِمَ الله تعالى وإنْ كانتْ على مولانا مَظَاهِرُه ، ولديه مُتَنَاصِرَه ؛  
فقد كان المملوكُ رَغْبَ إلى الله تعالى في أَنْ يُجِلَّ الأيامُ من نَسَلِه ، بَمَنْ يَحْفَظُ عليها  
شَرَفَ أَصْلِه ، وَيُخَلِّقُ بعدَ العُمُر الطويل في نُبلِه وكرَمِ فِعْلِه ؛ وَلَمَّا اتَّصل بالملوك  
نَبَأُ هذا الهلالِ البازِغ في سَمَائِه ، المُقَرَّعُونَ أوليائِه ، الخَيِّبُ لظُنُونِ أعدائِه ؛  
حَدَّثَ اللهُ تعالى على مَوْهِبَتِه ، وسألته إقرارَ نِعْمَتِه ؛ وأنْ يُعرِفَ مولانا بِرَكةِ قَدَمِه ،  
ويُؤمِّنَ مَقْدَمِه ؛ ويوفِّرَ حَظْلَه من زيادَتِه ، وسعادةِ وفادَتِه ، وأنْ يجعلَه بَرًّا تَحِيًّا ، مباركًا  
رَضِيًّا ؛ وَيُفَسِّحَ في أَجَلِه ، وَيُبَلِّغُه فيه أَمَلَه ؛ إن شاء الله تعالى .

### من كلام المتناحرين :

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

هُنَّتْ بِالْإِسْعَافِ وَالْإِسْعَادِ \* وَقَفَّازِ أُمْرِ فِي الْعِدَا بَنَقَادِ !  
وَقَبِيتَ مَا بَقِيَ الزَّمَانُ مَهْمًا \* وَوُقِيتَ شَرِّ مَمَاتَةِ الْحَسَادِ !  
يَا مَالِكَ الرِّقِّ الَّذِي أَحْضَى لَنَا \* مِنْ جُودِهِ الْأَطْوَاقُ فِي الْأَجْيَادِ !  
خُلِدَتْ فِي عَيْشِ هَنِيٍّ أَخْضَرَ \* يَسْطُو بِبَيْضِ طَلْبَا وَتُمْرِ صَعَادِ ،  
حَتَّى يَخَاطَبَكَ الزَّمَانُ مُبَشِّرًا : \* مُتَّعَتْ بِالْإِخْوَانِ وَالْأَوْلَادِ !

جَدَدَ اللَّهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ لَهُ مَسْرَّةٌ وَبُشْرَى ، وَأَطَابَ لَعْنُهُ عَرَفَا وَبُشْرَا ، وَشَدَّ لَهُ  
بَوْلُهُ السَّعِيدِ الطَّلَعِ أَزْرًا وَأَسْرَا ، وَسَرَى بِهِ الهمومُ عَنِ الْقُلُوبِ وَأَصَارَهَا لَدَيْهِ أَسْرَى ،  
وَرَفَعَ دَرَجَتَهُ إِلَى سَمَاءِ الْمَعَالَى يُقَالُ : سُبْحَانَ الَّذِي بَعْدَهُ أَسْرَى .

الْمُلُوكُ يَحْتَمِلُ الْمَوْلَى وَيَهْنِيهِ وَيُسْكِرُهُ ، وَيُطْلِعُهُ عَلَى مَا حَصَلَ لَهُ مِنَ الْإِبْتِهَاجِ  
لِلسَّيِّبِ الَّذِي يُنْهِيهِ وَيَذْكُرُهُ ، وَهُوَ أَنَّهُ اتَّصَلَ بِهِ قُدُومُ الْمَسَافِرِ بِلِإِسْفَارِ الْبَدْرِ ،  
وظُهُورُ مَيِّمُونِ الْعَزَّةِ الَّذِي جَاءَ لِأَهْلِهِ بِأَمَانٍ مِنْ صُرُوفِ الدَّهْرِ ، وَهُوَ الْوَلَدُ الْعَزِيزُ  
الْمَوْفِقُ النَّجِيبُ ، فَلَنْ ، أَبْقَاهُ اللَّهُ تَعَالَى لِيَحْيَا مُشْكُورًا مُجُودًا ، مُنْصُورًا بِسَيْفِ بَحْمِهِ  
وَسِتَانِ سَعِيدِهِ مَسْعُودًا ، وَأَدَامَ عِزَّهُ وَعِلَّاهُ ، وَأَعْلَى تَجَمُّدِ وَخَلْدِ شَرْفِهِ وَبَهَاءِ ، وَضَاعَفَ  
سَنَاءَهُ وَسَنَاءَ ، وَأَرَانَا مِنْهُ مَا أَرَانَا مِنَ السَّعَادَةِ فِي أُمِّهِ ، فَسُرَّوْا بِتَهْجِ بِهِذِهِ النِّعْمَةِ غَايَةً  
السُّرُورِ وَالْإِبْتِهَاجِ ، وَأَتَضَحَّحْ لَهُ فِي شُكْرِ إِحْسَانِ الْمَوْلَى وَحُسْنِ وَلَدِهِ كُلِّ طَرِيقٍ  
وَمِنْهَاجٍ ، وَسَأَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُطَوِّلَ لَهُ عُمْرًا ، وَيَجْعَلَ لَهُ إِسْعَادَ الْوَالِدِهِ وَإِسْعَافَهُ ذُنُورًا ،  
لِيَرْتَعَ فِي رِيَاضِ الدَّعَةِ فِي صِحَّةٍ وَسَلَامِهِ ، وَيَجْعَلَ فِي فِتْنَةِ الْعُلَا لَهَا دَارَ إِقَامَةٍ ، وَيُلْقَا  
مِنَ السَّعَادَةِ دَرَجَةً لَا تَرِيمُ عَالِيَةً وَلَا تَرَامُ ، وَتَخْضَعُ لَهَا اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ ، وَبِرِشْقَاهَا  
يَسْهَمُ الصُّرُوفَ وَيُطْعِمَاهَا بِأَسْتِيهَا ، وَيَقْهَمَا دَعَاءَ الْأَيَّامِ لَهَا مِنْ صُدُورِهَا وَيَسْمَعَاهَا  
مِنَ أَلْسِنَتِهَا ، مَخَاطِبَةً لِأُمِّهِ ، وَمُنْشَدَةً لِسَائِرِ أَهْلِهِ وَمَحْيَاهُ :

مَدَّ لَكَ اللَّهُ الْحَيَاةَ مَدًّا ، \* حَتَّى تَرَى تَجَلَّكَ هَذَا جَدًّا

الضنف الثاني - التهتهة بالبنات .

من كلام المتقدمين :

أبو الحسين بن سعد :

النَّعْمَةُ نِعْمَتَانِ : إِحْدَاهُمَا تُجْعَلُ الْأُنْسُ ، وَالْآخَرَى تَذِيرُ الْأَجْرِ ، وَعَلَى حَسَبِ

مَا سُلِّقَ بِهِ مِنَ الشُّكْرِ عَلَى ظَاهِرِ الْمَحْبُوبِ ، وَالتَّسْلِيمِ فِيمَا يَجْرِي بِمَجْرَى بَعْضِ الْمَكْرُوهِ ؛  
يَكُونُ الْمَتَاعُ عَاجِلًا ، وَالتَّوَابُ آجِلًا ؛ وَمَا قَدَّمْتُ الْقَوْلَ [ إِلَّا ] لِمَا ظَنَنْتُهُ يَعْزُزُ  
لَكَ مِنَ الْوُجُومِ فِي هَذِهِ الْمَوْجِبَةِ ، فِي الْمَوْلُودَةِ الَّتِي أَرْجُو أَنْ يَعْظُمَ اللَّهُ بَرَكَتَهَا ، وَيَجْعَلَهَا  
أَيُّمَنَ مَوْلُودٍ فِي عَصَرِهَا ، وَدَالَّةً عَلَى سَعَادَةِ أَيْبِهَا وَجَلَّتْهَا ؛ وَ[ لَنْ ] كَانَ فِي الطَّبْعِ حُبُّ  
الذِّكْرِ وَالشَّغْفُ بِالْبَيْنِ ، فَإِنَّ الْبَيْنَ مِنَ الْبَنَاتِ ، وَهُنَّ بَائِمُنَّ مَعْرُوفَاتٌ ؛ وَبِالْبَرَكَاتِ  
مَوْصُوفَاتٌ ، وَبِالذِّكْرِ فِي أَثَرِهِنَّ مُبَشِّرَاتٌ ؛ فَهَنَّاكَ اللَّهُ النِّعْمَةَ فِيهَا تَهْنِئَةً لَا تَنْقِضُ  
سَعَادَتَهَا ، وَلَا يَعْزُضُ النِّقْصُ وَالتَّقْدِيرُ شَيْئًا مِنْهَا ؛ وَأَيُّ هَذِهِ الصَّبِيَّةِ مِمَّا أَبُوهَا بِهَا ،  
وَمِنْشَأَ لَهُ الْحُظُّ مِنْ حَدَاتِهَا ؛ وَبَلَّغَهَا أَفْضَلَ مَبَالِغِ الصَّالِحَاتِ الْفَائِتَاتِ مِنْ أُمَمَاتِهَا ؛  
وَجَعَلَ فِي مَوْلِدِهَا أَصْدَقَ دَلِيلٍ عَلَى طُولِ عُمرِ أَيْبِهَا وَسَعَادَةِ جَدَّتْهَا ، وَتَضَاعُفُ نِعْمَ اللَّهُ  
عِنْدَهُ ؛ إِنَّهُ لَطِيفٌ جَوَادٌ .

أبو مسلم محمد بن بحر :

مَرْحَبًا بِكِرِ النِّسَاءِ ، وَبِكِرِ الْأَوْلَادِ ، وَعَقِيلَةَ الْخَبَاءِ ، وَالْمَأْمُولَةَ لِلْبَرَكَةِ ، وَالْمَشْهُورَةَ  
بِالْأَيْمَنِ ؛ وَقَدْ جَرَّبَنَاهُ فَوْجَدَنَاهُ مَعُودًا مَسْعُودًا ؛ وَاللَّهُ يَعْرِفُكَ أَضْعَافَ مَا عَرَفَ  
مَنْ قَبْلَكَ ، وَيُبَارِكُ لَكَ فِيمَا رَزَقَكَ ؛ وَيُنَتِّحِي لَكَ بَإِيْجَ لِلْمَوْلُودَةِ وَيَجْعَلُهُ رَدِيقَهَا ،  
وَفِي الْخَيْرِ قَرِيْنَهَا وَشَرِيْكَهَا .

على بن خلف :

وَيُنَبِّئِي أَنَّ الْمَمْلُوكَ أَتَّصِلُ بِهِ أَرْتِمَاضُ مَوْلَانَا بِمَقْدَمِ الْكَرِيمَةِ الْوَاقِفَةِ ، بِطَالِعِ  
السَّعَادَةِ الْمُتَجَدِّدَةِ ؛ فَجِجِبَ الْمَمْلُوكُ مِنْ وَقُوعِ ذَلِكَ مِنْ مِثْلِ مَوْلَانَا مَعَ كَمَالِ مُبْلَغِهِ ،

(١) المراد به التضييق انظر القاموس .

(٢) يريد لفته وعدم آتيساطه .

وشرف عقله وعلمه ؛ فإن الله تعالى جلّ اسمه يقول : ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاءً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ لَذَّةً تُرْوَى ﴾ وإن ما جنده الله تعالى من مواهبه جدير أن يتلقّى بالسرور والفرح ، لا بالاستياء والترجّ ، لاسيّما والذكر إنما يتفضل على الأثني بتجّابه ، لا بحيلته وصورته ؛ وقد يقع في الإنان من هو أشرف من الذكور طبعاً ، وأجزل عائدة ونفعاً ؛ وقد روى أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ” إِذَا رَزَقَ الْعَبْدُ الْأَثْنِي نَادَى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ : يَا أَهْلَ الدَّارِ أَنْشُرُوا بِالرِّزْقِ ؛ وَإِذَا رَزِقَ ذَكَرًا نَادَى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ : يَا أَهْلَ الدَّارِ أَنْشُرُوا بِالْعَزِّ “ فليستقبل مولانا الرزق بالشكر فإن العزّ ينفعه ، ولا يعارض الله تعالى في إرادته ؛ ولا يستقل شيئاً من هيبته ؛ والله تعالى يعرفه بمنّ عهودها ، وسعادة قُدمها ؛ وأن يسره بسلها بإخوة متابعين متلاحقين ؛ يؤيدون أمره ، ويحيون بعد العمر الأطول ذِكْرَهُ .

أبو الفرج البهاء :

لو كان الإنسان متصرفاً في أمره بإرادته ، قادراً على إدراك مشيئته ؛ لبطلت دلائل القُدرة ، واستحالت حقائق الصّنع ؛ ودرست معالم الآمال ، وتساوى الناس ببلوغ الأحوال ؛ غير أنّ الأمر لما كان بغير مشيئته مصنوعاً ، وعلى ما عنه ظهر في الابتداء مقلوباً ؛ كان المخرج له إلى الوجود من العدم ، فيما آرتضاه له غير منهم ؛ ومولانا - أيده الله - مع كمال فضله ، وتناهى عقله ؛ وحلّة فطنته ، وثاقب معرفته ؛ أجل من أن يجهل مواقع النعم الواردة من الله تعالى عليه ، أو ينسخط مواهبه الصادرة إليه ؛ فيرمقها بنواظر الكفر ، ويسلك بها غير مذاهب الشكر .

وقد اتّصل بالملوك خبر المولودة كرم الله غُرَّتَها ، وأطال مُنتَهَا ، وعرف مولانا البركة بها ، وبلغه أمله فيها ؛ وما كان من تغيّره عند اتّضاع الخبر ، وإنكار ما اختاره

له سابقُ القَدَر؛ فَنَجِبَ المملوكُ من ذلك وأسْتَغْنَى، من مَوْلانا وأَنْكَرَهُ؛ لِضيقِ العُدَرِ  
 في مثله عليه . وقد عَلِمَ مَوْلانا أَنَّهُمْ أَقْرَبُ إلى القُلُوبِ ، وأنَّ اللهَ تعالى بدأ بِهِمْ  
 في التَّرتيبِ فقال جَلَّ من قائلٍ : (يَهَبْ لِيْ يَسَّاءُ إِنَّا أَنَا وَيَهَبُ لِيْ يَسَّاءُ الذُّكُورَ)  
 وما سَمَّاهُ اللهُ هبةً فهو بالشُّكرِ أوَّلَى، وبِحُسْنِ التَّقبُّلِ آخِرَى ؛ وَلَكَمْ نَسِبَ أَفْذَنْ ،  
 وشَرَفَ اسْتَعْدَثَنْ ؛ من طُرُقِ الأَصْهارِ ، والاتِّصَالِ بالأَخْيَارِ . والمُلتَمِسُ من الذِّكْرِ  
 نَجَابَتُهُ ، لأَصُورَتِهِ وولادته ؛ وَلَكَمْ ذَكَرَ الأَثْنَى ' أَكْرَمَ مِنْهُ طَبْعًا ، وأَظْهَرَ مِنْهُ نَفْعًا ؛  
 فَمَوْلانا يُصَوِّرُ الحَالِ بِصُورَتِهَا ؛ وَيَجِدُّ الشُّكْرَ عَلَى ما وَهَبَ مِنْهَا ؛ وَيَسْتَأْنِفُ الاعْتِرَافَ  
 لَهُ تعالى بِمَا هوَ الأَشْبَهُ بِصِيرَتِهِ ، والاولَى بِمِثْلِهِ ؛ إِنْ شاءَ اللهُ تعالى .

### الصف الثالث - التهئة بالتَّوَم .

أَحْسَنُ ما رَأَيْتُ من ذلك قولُ بعضِ الشُّعراءِ مما كَتَبَ بِهِ إلى بعضِ أَصحابِهِ ،  
 وقد وَلِدَ لَهُ ذَكَرٌ وَأُنْثَى ' من جاريةِ سِوداءَ ، وهو قولُهُ :

وَحَصَلَكِ رَبُّ العَرِيشِ مِنْهَا بَتَّوَمَ \* وَمِنْ ظُلُمَاتِ البَحْرِ تُسَخَّرُجُ الدُّرَرُ !  
 وَارِكَ أَمْحَى ' وَارِثًا عِلمَ جَائِرٍ \* فَاعطاكِ من ألقابه الشَّمْسُ والقَمَرُ !

### الأجوبة عن التهئة بالأولاد

قال في "موادِّ البيان" : أجوبَةُ هذه الرِّقاعِ يَجِبُ أنْ تُبْنَى على شُكْرِ أَهْتَامِ المَهْنَى  
 ورِعايَتِهِ ، والاعتِدادِ بِعِنايَتِهِ ؛ وَأَنَّ الزِّيادةَ في تَجَمُّدِ المَهْنَى [بِهِ] زِيادَةٌ في عَدَدِهِ ، وَأَنَّ  
 نَصِيبَهُ من تَحَرُّكِ السُّرُورِ فيما يَخْطُصُّ إِلَيْهِ مِنَ المَوَاهِبِ كَنَصِيبِهِ : لِنَتَأَسُّفِها في الإخاءِ ،  
 وَتَوَافِيهِها في الصِّفاءِ ، وَأَنَّ تِراعىَ مع ذلكِ مَرْتَبَةِ المَهْنَى والمَهْنَى ، وَيُنْبِئُ الخُطابُ على  
 ما يَحْتَضِيهِ كُلُّ مِنْهُما .

وهذا مثال من ذلك :

زهر الريح :

وَيُنْبِئِي وَرُودَ الْكَتَابِ الَّذِي تَشْرَفُ الْمَمْلُوكُ بِوُرُودِهِ ، وَأَشْرَقَتِ الْأَيَّامُ بِكُلِّ  
سُعُودِهِ ، وَارْغَمَ بِلَاغَتِهِ مَعِطَسُ مُنَاوِيهِ وَحُسُودِهِ ؛ فَشَكَرَ أَيْدِي مَنْ أَنْعَمَ بِإِرْسَالِهِ ،  
وَآكَتْسَى بِالْوُقُوفِ عَلَيْهِ حُلَّةً مِنْ حُلَلِ نَحْوِهِ وَجَمَالِهِ ؛ وَبَالَغَ فِي إِكْمَالِهِ ، حَتَّى وَقَفَ  
إِجْلَالُهُ لَهْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ تَلَا آيَاتِ حُسْنِهِ عَلَى أُذُنَيْهِ ؛ فَوَجَدَهُ مُشْتَمِلًا عَلَى إِحْسَانٍ  
لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَى مِثْلِهِ أَحَدٌ ، وَمِنْ أَوْدَعِهَا فِيهِ فَلَا يُحْصِيهَا حَصْرٌ وَلَا عَدَدٌ ؛ فَهَيَّجَ بِوُرُودِهِ  
رَئِيسَ الْأَشْوَاقِ ، وَتَقَلَّدَ بِإِنْعَامِ مُرْسِلِهِ كَمَا قُلَّدَتْ الْجَمَائِمُ بِالْأَطْوَاقِ ، وَوَجَدَ لَوْعَةً  
لَا يُحْسِنُ وَصْفَهَا لِسَانُ الْبِرَاعِ فِي الْأَوْرَاقِ ؛ وَعَلِمَ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْمُتَوَلَّى مِنَ التَّهْنِئَةِ  
بِالْوَلَدِ الْجَدِيدِ ، بَلْ بِأَصْغَرَ الْخِدْمِ وَالْعِيْدِ ؛ وَمَا أَبْدَاهُ مِنَ الْإِبْتِهَاجِ لِمِيلَادِهِ ، وَأَظْهَرَهُ  
مِنَ التَّفَضُّلِ الْمَعْرُوفِ مِنْ آبَائِهِ الْكَرَامِ وَأَجْدَادِهِ ؛ وَلَمْ يَكُنْ الْأَمْرُ كَذَلِكَ  
وَالْوَالِدُ مَمْلُوكُهُ ، وَهُوَ مَمْلُوكُ السَّادَةِ الْأَجْلَاءِ أَوْلَادِهِ ؛ حَرَسَ اللَّهُ بَحْدَهُ وَمَتَّعَهُ بِثَوْبِ  
مَكَارِمِهِ ، وَخَفَضَ قَدْرَ مُحَارِبِهِ وَرَفَعَ كَلِمَةَ مُسَالِمِهِ ؛ وَلَا زَالَ تَمَالِكُكَ تَرِيدٌ تَرِيدٌ  
الْأَيَّامُ ، وَسَعَادَتُهُ بَاقِيَةٌ بَقَاءَ الْأَعْوَامِ ، وَعَيْنُ الْعَنَايَةِ تَحْرُسُهُ فِي حَالَتِي السَّفَرِ وَالْمَقَامِ ؛  
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

### الضرب الثامن

( من التهناني التهنئة بالإبلاول من المَرَضِ وَالْعَافِيَةِ مِنَ السَّقَمِ )

من ذلك :

وَيُنْبِئِي أَنَّهُ مَازَالَتْ أَجْسَامُ أَهْلِ التَّصَابِي ، تَشْتَرِكُ فِي الْأَسْقَامِ وَالْعَوَاقِي ، كَمَا تَشْتَرِكُ  
أَنْفُسُهُمْ فِي التَّخَالُصِ وَالتَّوَاقِي ؛ وَلَيْتَ أَلَمْ يَمُولَنَا هَذَا الْأَلَمُ الَّذِي تَفْضِلُ اللَّهُ تَعَالَى

إِطَاعَتِهِ ، وَمَنْ فِيهِ عَلَى السُّؤْدَدِ بِحِرَاسَةِ مَوْلَانَا وَجِبَاطَتِهِ ؛ فَرَأَيْتَهُ حَالًا فِي جَوَارِحِي ،  
 مُعْرِقًا لَجَوَانِحِي ؛ مَمَازِجًا لِأَعْضَانِي ، مَمْلُوكًا لِأَنْوَانِي ؛ وَلَئِنْ كُنْتُ قَدْ تَجَمَّلْتُ مِنْ ذَلِكَ  
 عِيَا ، وَارْتَقَيْتُ مِنْ تَجَلُّهِ مُرْتَقَى صَنِيعَا ؛ فَلَقَدْ تَغَرَّرْتُ بِمَآسِيَتِهِ ، وَأَحْدَثْتُ طَبْعِي عَلَى  
 مُشَاكَلَتِهِ ؛ وَشَكَرْتُ اللَّهَ تَعَالَى إِذْ جَعَلَنِي شُعْبَةً مِنْ سَرَحَتِهِ ، وَجِبِلَّةً مِنْ طَيْبَتِهِ ؛ وَعَلَى  
 مَآسِرِهِ مِنْ إِقَالَتِهِ وَإِنْسَاشِهِ ، وَمُصَافَاتِهِ وَإِنْسَاشِهِ ؛ وَسَأَلْتُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَبْقِيَ نُورَا  
 يُؤَخِّجُ مَغْرِبَ الدَّهْرِ وَمَشْرِقَهُ ، وَدُرًّا يُرْصِعُ قَوْدَ الْمَجْدِ وَمَقْرَقَهُ ؛ وَيُخَسِّنَ الدَّفَاعَ عَنْ  
 حَوْبَانِهِ ، وَهُوَ سَبْحَانَهُ يُجِيبُ ذَلِكَ وَيَتَقَبَّلُهُ ، وَيَرْفَعُهُ وَيُسْمَعُهُ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وله في مثله :

الْمَمْلُوكُ يُهِنُّ مَوْلَاهُ خَاصَّةً إِذْ جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ صَفْوَةِ أَوْلِيَائِهِ ، وَخَالِصَةِ أَحِبَّائِهِ ؛  
 الَّذِينَ يَتَلَبَّسُ بِهِنَّ أَعْتَابَارًا ، وَيَتَنَبَّهَسُ أَخْتِيَارًا ؛ لِيَجْمَعَ لَهُمْ بَيْنَ تَحْيِصِ زُرْهِمْ ، وَمُضَاعَفَةِ  
 أَجْرِهِمْ ؛ وَالْحُضُّ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَالْإِنْصِرَافُ عَنْ مَعْصِيَتِهِ ؛ وَهُنَّى الْكَافَّةَ عَامَّةً بِالْمَوْجِبَةِ  
 فِي نُورِهِ الْمُطْلِعَةِ لِأَمَلِ الْإِقْبَالِ ، الْمُرَوِّبَةِ لِمَاحِلِ الْآمَالِ ؛ ثُمَّ أَعْطَفَ عَلَى حَمْدِ اللَّهِ  
 عَلَى مَا مَنَّ بِهِ مِنْ إِبْلَالِهِ ، وَيَسَّرَهُ مِنْ اسْتِقْلَالِهِ ؛ وَالرَّغْبَةَ إِلَيْهِ فِي أَنْ يَمْنَحَهُ صَحَّةً تُخَلِّدُ  
 وَتُحْيِمُ ، وَغَافِيَةً تَرَهَّنَ وَلَا تَرِيمُ ؛ وَأَنْ يَجِيَّهُ مِنْ عَوَارِضِ الْأَسْقَامِ ، وَيَصُونَهُ مِنْ حَوَادِثِ  
 الْأَيَّامِ ؛ بِفَضْلِهِ وَجُودِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

أبو الفرج البيهقي :

أَفْضَلُ مَا يَفْرَعُ إِلَيْهِ الْعَبْدُ الْمُخْلِصُ ، وَالْمَوْلَى الْمُتَخَصِّصُ ؛ فَيَا يَنْوُبُ سَيِّدَهُ وَمِيْمُ  
 وَلِيِّ نِعْمَتِهِ ، الدَّعَاءَ الْمُقَرَّنَ بِصِدْقِ النِّيَّةِ ، وَصَفَاءِ الطَّوْبَةِ [ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مِنَ الصَّحَّةِ ]  
 وَتَصَدَّقُ بِالْإِقَالَةِ ، وَتَدَارِكُ بِجَمِيلِ الْمُدَافَعَةِ ؛ وَنِعْمَ سَائِرُ خَدَمِهِ أَيْدِي اللَّهِ بِالنِّعْمَةِ ، وَأَحَادِهِ



إلى أجل عاداته من السلامة والصحة، فائراً بمدح الأجر، متعبداً بمسئلة الشكر؛ فلا أخلاه الله من زيادة فيما يؤليه، ولا قصداً بسماح سوء فيه؛ وحرص من الغير منهجه، ومن المحذور نعمته .

وله في مثله :

ما كنت أعلم أن عافيتي مقرونة بعافيتك، ولا سلامتي مضافة لسلامتك؛ إلى أن تحققت ذلك من مشاركتي إياك في حالتي الألم والصحة، والمرض والمعنة؛ فالحمد لله الذى شرف طبيعى بمناسبتك، وجعل خلقي بملاءمتك؛ فيما ساء وسر، وإياه تعالى أشكر على ما خصني به من كمال عافيتك، ونبوغ سلامتك وسرعة إفاقتك؛ وبه - جل اسمه - أتيت في مزيدك من تظاهر النعم، وتوفير القسم .

وله في مثله :

ولولا أن متضمن كتابك قرن ذكر المرض المهاجم عليك، بذكر ما وجهه الله لك من عود السلامة إليك؛ لما اقتصر بى القلق على [ما] دون المسير نحوك، والمبادرة لمشاهدتك؛ غير أن السكون إلى ما أداه كتابك سابق الجزع، والطمانينة إلى ما وجهه الله من كفايتك حالت دون الملح؛ فالحمد لله الذى من بالإقالة، وتصدق بالسلامة وعم بالكفاية؛ وهوولى حراستك وحراستى فيك .

وله في مثله :

سيدنا فى سائر ما يذكره الله من هجوم ألم مؤذن بصحة، وأعراض مخنة مؤدية إلى منحه؛ مرئوق بالعاية، محروس من الله جل اسمه بالحفظ والكلاءة؛ فهو مع العلة فائز بخائر الأجر، ومع العافية موفق لا سترادة الشكر؛ فالحمد لله الذى عقد الكرم ببقائه، وشفى مرض الآمال بشفاؤه؛ وكفاه اعتراض الخوف، وعوارض الصروف .

وله في مثله :

ما أَقْرَدَ جِسْمَكَ بِالْعِلَّةِ دُونَ قَلْبِي ، وَلَا أَخْتَصَّصْتُ نَفْسَكَ - حَرَمَهَا اللَّهُ تَعَالَى -  
بِمَعَانَاةِ الْمَرَضِ دُونَ نَفْسِي ؛ وَلَمْ أَزَلْ بِالْقَلْبِ تَالِيَا ، وَفِي سَائِرِ مَا شَكُوهُ بِالْبَيَّةِ مُسَاوِيَا ؛  
إِلَى أَنْ كَشَفَ اللَّهُ التُّعْمَةَ ، وَأَقَالَ الْعَثْرَةَ ، وَنَفَسَ الْكُرْبَةَ ؛ وَمَنْ بِالسَّلَامَةِ ، وَتَصَدَّقَ  
بِالِكِفَايَةِ ؛ وَأَوْجَبَ بِالْمَافِيَةِ عَلَيْنَا جَمِيعًا قُرُوضَ الشُّكْرِ ، بَعْدَ مَا ادَّخَرَهُ لَكَ بِالْأَلَمِ مِنْ  
كَثْرَةِ الْأَجْرِ ؛ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ حَمْدًا يُؤَدِّي إِلَى حِرَاسَةِ مَا حَوَّلَكَ ، وَيُؤَدِّنُ بِالْمَزِيدِ  
فِيَا مَنَحَك .

ومن كلام المتأخرين :

أَعْلَى اللَّهِ قَدَرَ الْجَنَابِ الْفُلَّانِي ، وَلَا زَالَتْ شُمُوسُ أَيَّامِهِ لِأَخْتَفَافِ كُسُوفِهَا وَلَا أَقُولَا ،  
وَأَقَامُوا لِبَالِيهِ تَفَرُّسَ فِي قُلُوبِ أَوْلِيَائِهِ وَحَبِيئِهِ قُرُوطًا وَأَصُولًا .

الْمَمْلُوكُ يَخْتُمُ خِدْمَةَ مَنْ تَحْمِلُ جَمِيلًا ، وَنَالَ مِنْ تَفَضُّلِ الْجَنَابِ الْكَرِيمِ جَزِيلًا .

وَيُنْبِئُ مَا حَصَلَ لَهُ مِنَ السُّرُورِ بِعَافِيَةِ مَوْلَانَا ، فَالْشُّكْرُ لِلَّهِ عَلَى مَا جَدَّدَ مِنَ النِّعَةِ  
النَّامَةِ ، وَتَمَحَّجَّ بِهِ مِنَ الْكَرَامَةِ الْعَامَّةِ ؛ حِينَ أَعَادَ الْبَدْرَ إِلَى كَمَالِهِ ، وَالسُّرُورَ إِلَى أَتَمِّ  
أَحْوَالِهِ ؛ وَمَا كَانَتْ إِلَّا غَلْطَةً مِنَ الدَّهْرِ فَاسْتَدْرَكَهَا ، وَصَفَقَةً خَارِجَةً عَنْ يَدِهِ فُلَّكَهَا ؛  
فَقَرَّتْ بِذَلِكَ الْعِيُونَ ، وَتَحَقَّقَتْ فِي بُلُوغِ الْأَمَلِ الظُّنُونُ ؛ وَأَجْبَرَ قَلْبُهُ بَعْدَمَا وَهَنَ ،  
وَعَادَ جَفَنُهُ بَعْدَ الْأَرْقِ إِلَى الْوَسَنِ ؛ وَقَالَ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴾ .  
وَلَقَدْ كَانَ يَتَنَبَّأُ الْمَمْلُوكُ لَوْ فَازَ مِنَ الرَّؤْيَةِ الشَّرِيفَةِ بِحَقِّ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ ، وَتَمَثَّلَ بِمُشَاهَدَةِ  
وَجْهِهِ الْكَرِيمِ فَإِنَّ فِيهِ الْبُغْيَةَ وَالْوَطَرَ .

وَالْمَمْلُوكُ فَمَا يُعَدُّ نَفْسَهُ إِلَّا مِنَ الْمُحِبِّينَ الَّذِينَ يَذَلُّوا نَفْسَهُمْ لِمَحَبَّتِهِ وَأَعَدُّوْهَا ؛ وَاللَّهُ  
تَعَالَى يُسِّرُ الْأَوْلِيَاءَ بِتَضَاعُفِ سُعُودِهِ ، وَيُدِيمُ بَهْجَةَ الْأَيَّامِ بِبِمُؤْنِ وَجُودِهِ ؛ وَيُطِيلُ

في مئذنه ويحرسها من الفير، ويحرس أحوال مزاجه الكريم على القاتون المعتبر،  
ويحكي أوليائه ويحبه فيه كل مكروه وسدر؛ إن شاء الله تعالى .

من زهر الربيع :

ولما شكوت، أشتكى كل ما \* على الأرض وأهترشوق وغرب!  
لأنك قلب لحسم الزمان \* وماصح جسم إذا اعتل قلب!

حرس الله جنابه، وأسبل عليه رداء السعد وأثوابه، ومتعه يرود العافية وجلبابها،  
وفتح له إلى نيل السعادة سائر أبوابها، وفتح الكفاية والأمن في سره، والعافية  
في جسمه من قلق كل مريض وكره، وجمع له بين الثواب والأجر، وجازاه بجزيل  
الغفران عن جميل الصبر .

المملوك ينشر نفسه ومولاه بما من الله به من محبة مزاجه الكريم، والإبلال من  
مرض كاد يدير كئوس الحسام على كل صديق حميم، ويحمد الله على عافيته حمدا  
جزيلا، ويشكره عليها بكرة وأصيلا؛ فإنه قد عوفي لعافيته المجد والكرم، وزال عنه إلى  
أعدائه الألم؛ فالملوك حفظ الله<sup>(١)</sup> صحته من السقم، وحماه من ألم ألم؛ وجعل سعادته  
تترأد على ممر الأناس، وجسده سلبا من الأذى كسلامة عرضه من الأذناس؛  
إن شاء الله تعالى .

الشيخ جمال الدين بن نباتة :

وقى الله من الأسواء شخصه الكريم، وشمله النظم، وقلب محبه الذي هو في كل  
وادي من أودية الإشفاق ييم .

(١) لله حفظ الله على الملوك صحته الخ .

ولا زالت الصَّحَّةُ قَرِينَهُ حَتَّى لَا يَمُوتَ فِي مَنَازِلِهِ غَيْرُ مُرُورِ النَّسِيمِ . وَيُصَفُّ شَوْقًا  
يَزِيدُ بِالْأُنْفَاسِ وَقْدًا ، وَيَحْتَدُّ لِلْأَحْشَاءِ وَجْدًا ، وَيَسْأِرُ الْقَلْبُ الْمَغْرَمُ فِيمَدِّهِ مِنْ  
عَذَابِ الْإِنْتِظَارِ مَدًّا .

وَيَنْهَى أَنَّهُ جَهَّزَ هَذِهِ الْخُدْمَةَ نَائِبَةً عَنْهُ فِي اسْتِجْلَاءِ وَجْهِهِ أَكْرَمِ الْأَحْبَةِ ، وَتُصَابِغِ  
الْيَدِ الَّتِي أَقْلَامُ كُتُبِهَا فِي شَكْوَى الْعِبَادِ أُطِيبَتْ ، بِمِدْيَةِ إِلَى الْعِلْمِ الْكَرِيمِ أَنَّهُ مَعَ مَا كَانَ  
يَكَايِدُهُ مِنَ الْأَشْوَاقِ ، وَيَعَالِجُهُ مِنْ خَوَاطِرِ الْإِشْقَاقِ ، بَلَفَسَ ضَعْفُ الْجَسَدِ الْمَوْقُ ،  
وَعَارِضُ الْأَلَمِ الَّذِي اسْتَطَارَ مِنْ جَوَانِحِ الْحَيْنِ بَرَقًا ، فَلَا يَسْأَلُ الْجَنَابُ الْكَرِيمُ عَنْ  
قَلْبِ تَأَلَّمٍ ، وَصَدْرِ صَامِتٍ بِالْهُمُومِ وَلَكِنَّهُ بِجِرَاحِ الْأَشْجَانِ تَكَلَّمَ ، وَلَسَانٍ أُنْشَدَ :

أَلَا لَيْتَنِي حَمَلْتُ مَا يَكُ مِنْ صَنِي \* عَلَى أَنَّ لِي مِنْهُ الْأَذَى وَلَكَ الْأَجْرُ !

ثُمَّ لَطَفَ اللَّهُ تَعَالَى وَعَجَّلَ خَبَرَ الْعَافِيَةِ الْمَأْمُولَةِ ، وَالصَّحَّةِ الْمُقِيلَةِ عَقِيبَ الدَّعَوَاتِ  
الْمَقْبُولَةِ ؛ فَيَا هَذَا مَسْرَّةً شَمَلَتْ ، وَمَبْرَّةً كَلَّتْ ، وَتَهْتَشَةُ جَمَعَتْ قُلُوبَ الْأَوْدَاءِ وَجَمَلَتْ ،  
وَأَعْضَاءُ قَدَّتْهَا عُيُونُ الْمَهَا فَتَقَلَّتْ عَنْهَا صِفَاتِ السَّقَامِ وَحَمَلَتْ ؛ وَطَافِيَةٌ حَوَّلَتْ إِلَى  
قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ الْمَرَضِ ، وَجَوْهَرِ جَسَدٍ طَاهِرٍ زَالَ [ عَنْهُ ] بِأَمْسِ الْعَرَضِ ؛ فَهَنِيئًا لَهُ  
بِهَذِهِ الصَّحَّةِ الْمُتَوَافِرَةِ الْوَافِيَةِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى أَنْ جَمَعَ بَيْنَ حُصُولِ الْأَجْرِ  
وَوُصُولِ الْعَافِيَةِ ، وَعَلَى أَنْ حَفِظَ ذَاتَهُ الْكَرِيمَةَ وَحَفِظَهَا هُوَ الْمَقْدَمَةُ الْكَافِيَةُ الشَّافِيَةُ :

وَتَقَاسَمَ النَّاسُ الْمَسْرَّةَ بَيْنَهُمْ \* قَسَمًا فَكَانَ أَجْلُهُمْ قَسَمًا أَنَا !

وَاللَّهُ تَعَالَى يُسَبِّحُ عَلَيْهِ ظِلَالُ نِعَمِهِ ، وَيَحْفَظُهُ حَيْثُ كَانَ فِي نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَخَدَمِهِ ؛  
وَكَا سَرَّ الْأَحْبَابِ بِحَبْرِ عَافِيَتِهِ كَذَلِكَ يُسَرِّهُمُ بَيَانُ مَقْدَمِهِ .

(١) فِي الْأَصْلِ قَدَّتْهَا وَلَا سَبِيلَ لَهُ .

### أجوبة التهئة بالإبلال من المرض والعافية

قال في "مواد البيان" : أجوبة هذه الرقاع يجب أن تكون مبنية على وصف الأليم وصورته وما تفضل الله تعالى به من إماتته ، وشكر المهني باهتمامه وعنايته .

وهذه أمثلة من ذلك :

من زهر الربيع :

أدام الله نعمته ، وشكرته ، وأدال دولته ، وأعلى قدره وكنته ، وحم على الألسنة شكره والقلوب محبته . ولا زالت التهانى من جهته وإفده ، والبشائر وإرده .

ويبنى ورود الكتاب الذى أعدته يد المعالى فداد كريم ، وشاهد حسن منظره فصار وجهه وسما ، وأنه وقف عليه ، وأحاط علما بكل ما أشار المولى إليه ؛ فذكره أنسا كان يخدمته لم ينسه ، وجدد له وجدا ما زال يجد في قلبه ونفسه عينه ونفسه ؛ ونشر من ماثره الماثورة ، وفضائله المرقومة في صفائح الصغائف المسطورة ؛ ماشف به وشرف ، وشوق إلى لقاءه وشوق ؛ وأقام البرهان على ذكرك فطنته ، وزكى فطرته ؛ وعلم ما أنعم به وتفضل ، وأحسن وتطول : من تهنة المملوك بالإبلال من مرضه ، والبر من سقمه ، والتخلص من يدى وجعه وألمه ؛ وسرورود كريم مشرفته ، أعظم من سروره بلباس ثوب عافيته ؛ وبدوام تجده وسعادته ، أكثر من صحة مزاجه واستقامته ؛ فإنت مكارم المولى كالحدايق الناضرة ، ومثلته أعز في القلوب من الأحداق الناطرة .

فالحمد لله الذى من بالعافية من ذلك المرض ، والداء الذى ألم بعرضه فاحتوى منهما على الجوهر والعرض ؛ وطال حتى أسامه من نفسه وعواده ، وآتته من الحياة

لولا لطفُ الله واللهُ لطيفٌ بعباده ؛ وهذا ببركةِ المولى ودعايته الذى كان يرفعه ،  
والخواطرُ والأسماعُ مع بُعدِ الشُّقة تشهدُ به وتسمعه ؛ جعل الله التَّهَانِيَّ مع الأبدِ  
واردةً منه وإليه ، وشكرُ إنعامه وأتمُّ نعمته عليه ؛ إن شاء الله تعالى .

قلت : وكتبتُ للقرَّ العلائى علاءِ الدين الكرَّكى وهو يومئذ كاتبُ السَّرِّ الشريف  
فى الدولة الظاهرية «برقوق» فى سلطنته الثانية ، وقد برأ من مرض نظما :

أَفْدِيهِ مِنْ جَسَدٍ قَدْ صَحَّ مِنْ سَقَمٍ \* فَبَاتَ جَوْهَرُهُ خَالٍ مِنَ الْعَرَضِ !  
فَاسْتَبَشَّرْتُ بِعَلَى الْقَوْمِ شَيْعَتَهُ \* وَمَاتَ حَاسِدُهُ بِالسَّقَمِ وَالْمَرَضِ !

### الضرب التاسع ( التهنئة بقرب المزار )

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

قَرَّبَ اللهُ مَرَارَهُ ، وَأَذْنَى جَوَارِهِ ، وَأَعَانَ أَعْوَانَهُ وَنَصَرَ أَنْصَارَهُ . وَلَا زَالَتْ  
الْأَنْفُسُ لِقُرْبِهِ مَسْرُورَةً ، وَرَايَاتُ مُجْدِهِ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَأَحْزَابِ الْإِسْلَامِ بِهَيْبَتِهِ عَلَى  
أَعْدَاءِ الدِّينِ مَنصُورَةً .

الْمَلُوكُ يَقْبَلُ الْبَاسِطَةَ الْعَالِيَةَ بِسَطِّ اللهِ ظِلِّهَا ، وَشَكَرَ عَلَى الْأَوْلِيَاءِ فَضْلَهَا . وَيُنْهَى أَنَّهُ  
أَتَّصَلَ بِهِ طَيْبٌ أَخْبَارِهِ ؛ وَقُرْبُ مَرَارِهِ ؛ فَتَضَاعَفَ شَوْقُهُ ، وَزَادَ تَوَقُّعُهُ ، وَهِيَجَتْ  
صَبَابَتُهُ لِأَجَلِهِ ، وَسَهَّلَتْ إِلَى نَيْلِ الْمَسْرَةِ طُرُقَهُ وَمَنَاجِيَهُ :

وَأَبْرَحَ مَا يَكُونُ الشَّوْقُ يَوْمًا \* إِذَا دَنَّتِ الدِّيَارُ مِنَ الدِّيَارِ !

فَاللهُ يَقْرُبُ مِنْ أَمَدِ التَّلَاقِ بَعِيدًا ، وَيَجْعَلُ رِذَاءَ الْإِجْتِمَاعِ بِخِدْمَتِهِ قَشِيًا جَدِيدًا .

## الضرب العاشر

(التهنئة بتزول المنازل المستجدة)

فمن ذلك [من إنشاء] علي بن خلف :

أشرف المنازل رُفْعُهُ ، وأزفُّها بُقْعُهُ ، وأرفعُها رَفْعُهُ ؛ ما أُنْجِذَهُ مولانا لنفسه  
مَوْطِنًا ، وجعلهُ بَزُولُهُ فيه حرماً آمناً ؛ وصيرهُ بِجُصْبِ مكارمه للعُقَاةِ مَرَادًا ومَقْصِداً ،  
وبُعْذِيبِ نوافله للظُفَاةِ مَشْرِعا ومَوْرِداً ؛ وللسُّؤْدَدِ بِنَجْدِهِ مَعْقِلا ، وللرِّبَاسَةِ بَشْرَفِهِ  
مَنْزِلا ؛ والله تعالى يجعلُ هذه الدارَ الَّتِي تَدِيرُهَا وحَلْمُهَا ، وحَطَّ بها رِجْلُهُ ونَزَلَهَا مأهولةً  
بِبَقَائِهِ ، أَنَسَةً بُسُوغَ نَعْمَائِهِ ؛ عَاهِرَةً لِسَعَادَتِهِ ، مَشِيدَةً بِنَاصِرِ عِزِّهِ وزِيَادَتِهِ ؛ لَا تُحْطِئُهَا  
حوَائِمُ الآمالِ ؛ وَلَا تُحْطِئُهَا دِيمُ الإِقْبَالِ ؛ وَيُعرفُهُ من بركتها ، وَيُؤَيِّنُ عَتَبَتَهَا ، ما يَقْبِضُ  
بامتدادِ الأجلِ ، وَأَنفِصاحِ الأملِ ؛ وبلوغِ الأمانِ ، وَأَتصالِ التَّهْنِئَةِ ؛ بِهَنِّهِ وكرمه ؛  
إن شاء الله تعالى .

ومن ذلك :

ويُنْهَى أَنَّهُ قد أَتَّصَلَ بالملوكِ تحوُّلُ مولانا إلى المنزلِ المنشأِ الجَدِيدِ ، ذِي الطالِعِ  
السَّعِيدِ ، والطائرِ الحَمِيدِ ؛ فَسَأَلَتْ اللهَ تعالى أَن يُيَوِّمَهُ مِنْهُ المَيَواَ الكَرِيمَ ، وَيَجْمَعَهُ فِيهِ  
بِالدَّعَةِ والتَّعْيِيمِ ؛ وَالنَّمَاءِ والمَزِيدِ ، والعَيْشِ الرِّغِيدِ ؛ وَيَجْعَلَهُ واصلًا لِحَبْلِهِ ، مأهولًا  
بأهله ؛ وَيُعرفَهُ بِرِكةِ عَتَبَتِهِ ، وَيُمْلِئَهُ بِبَهَائِهِ ونَضَارَتِهِ ؛ وَحَصِلَ لِلملوكِ الشُّرُورُ بَأَن بَلَّغَهُ  
اللهُ الوَطَرَ ، فِي سَكْنَى مَاعَرٍ ؛ وَأَنَّهُ الأملُ والاكْتِنَازُ بِخِدْمَتِهِ ، والمُروَرُ بِانْقِضاضِ  
عُدَّتِهِ ؛ إن شاء الله تعالى .

ومن ذلك :

مولانا - أمتع الله بوجوده - غفَى عَنِ الهَنَاءِ بِمِثْلِ يَتَرَلِّهِ وعَمَلٍ يُحْمِلُهُ ، إِذِ الله  
سَبِّحَانَهُ وتعالى قَدْ كَثُرَ أوطَانُهُ وأَدْرَهُ ، وَبَلَّغَهُ فِي تَمَامِ عِمَارَتِهَا وَأَنفِصاحِهَا وطَرَهُ ؛

وخصه بأفضلها معانا ، وأشرفها مكانا ، والمستوجب في الحقيقة للهائه هو الموضع الذي أختاره دارا ، وأرتضاه مستقرا ، وعرف المملوك آتقاله - لازال ينتقل في بروج السعد ، ويأوي إلى ظل ظليل من المجد - إلى الدار الفلانية لازالت جامعة لشمله ، مأنوسة بأهله ، فعلى عن خدمته بالهنا ، إلى إخلاص الدعاء ، بأن يعرفه الله تعالى يُمنها وبركتها ، ويُرِيه إقبالاً وسعادتها ، ويقرن تحوله إليها بأمن طائر ، وأبرك طالع ، فإن للحركات أوقاتا محمودة ومدمومة : فإذا آغنى الله تعالى بعبده من عيده ، وفرض له نصيبا من تأييده ، وفقه للحركة في الزمن السعيد ، والوقت الحيد ، لتكون مصاريه مشاكلة لمبايده ، وأعجازه مشابهة لهوآيده ، والله تعالى يجعل بابها محطا للقصد ، ومناحا للوفاد ، ومزارا للعفا ، وملذا <sup>(١)</sup> [للغناه] ويصل بها حبله ، ويثني بها طفله ، ويضاعف باستيطانها أنسه ، ويسر بتبويتها نفسه ، إن شاء الله تعالى .

أبو الفرج البهاء :

أسعد المنازل وأشرف المواطن ما استوطنه أيده الله وتبواه ، وتخير لنفسه وأرتضاه ، فعدا بشخصه وطن الإقبال ، وبفائض كرمه حرم الآمال ، وبشرفه للسؤدد معقلا ، وبئبله للرياسة منزلا ، فعرفه الله بمن هذه الدار المعمورة بحلول البركات ، المحفوفة بتناصر السعادات ، وجعلها وكل ربح يقطنه ، ومحل يسكنه ، مبشرا بامتداد بقائه ، وأهلا بالزيادة في نعمائه .

وله في مثله :

كل وطن يحله - أيده الله - ويقطنه ، ومحل يتخير ويسكنه ، مقصود بالشكر والثناء ، أهل بالجد والدعاء ، لا يتخطاه متوارد الآمال ، ولا تنقطع عنه مواد الإقبال ،



ولذلك صار هذا المنزل السعيد من فضائل الأرض ومحاسنها، ونجح الآمال ومعادنها؛  
فعرفه الله بمنته وبركته، وإقباله وسعادته؛ وقرن انتقاله إليه بأسبغ نعمه، وأكمل  
سلامة وأبسط قدره وأعلى رتبة .

وله في مثله :

عرفه الله [من] بركة هذا المنزل المورود، والفناء المقصود، ما يؤنى على سالف  
ما أولاه من تكامل البركات، وتناثر السعادات؛ وجعل مستقره فيه مقروناً بنحو  
الحال، ونتائج الإقبال؛ في أفسح المدد وأطولها، وأنجح المطالب وأفضلها، وعمر  
أوطان المكارم بإقباله، وعضد الأمانى بالتساع نعماته .

أجوبة التهته بقرّب المزار، وتزوي المنازل المستجدة

قال في "مواد البيان" : أجوبة هذه الرّقايع يجب أن تُبنى على الاعتداد لله  
بتعمده، والشكر له على تودّده؛ والابتهاج بهنائه، والتبرك بدعائه؛ وأن المستجدة غير  
مباينة لمنزله، ولا خارجة عن أحكام محله؛ وأن تمام بركته، أن يؤنس فيه زيارته؛  
وما يشابه هذا .

الضرب الحادى عشر

(نواذير التّهاني، وهى خمسة أصناف).

الصنف الأول — تهته الذمى بإسلامه .

فن ذلك ما أورده أبو الحسين بن سعد فى ترسله، وهو :

وما زالت حالك ممثلة لنا جميل ما وهب الله فيك حتى كأنك لم تنزل بالإسلام  
موسوماً، وإن كنت على غيره مقيماً؛ وقد كُنا مؤمليين لما صرت إليه، ومشفقين لك

مما كُنْتَ عليه ؛ حتى إذا كَادَ إِشْفَاقُنَا يَسْتَعْلِي عَلَى رَجَاتِنَا ، أَمَتِ السَّعَادَةُ فَيْكَ بِمَا لَمْ تَزَلِ  
الْأَنْفُسُ بَعْدَ مِنْكَ ، وَنَسَأَلَ اللَّهُ الَّذِي تَوَرَّلَكَ فِي رَأْيِكَ ، وَأَضَاءَ لَكَ سَبِيلَ رُشْدِكَ ؛  
أَنْ يُوَهِّلَكَ لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَأَنْ يُؤْتِيَكَ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَبِقَيْكَ عَذَابَ النَّارِ .  
ومن ذلك ، من كلام أَبِي الْعَيْنَاءِ :

وَلْتَهْنِئْكَ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ فِي أُخُوَّةِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالتَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ ؛  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَوَّزَ قَدْحَكَ [وَأَ] عَلَى كَهْبِكَ ، وَأَقْدَمَ مِنَ النَّارِ شِلْوُكَ ؛ وَخَلَصَكَ مِنْ لَيْسَ  
الشَّكِّ ، وَحَيْرَةِ الشَّرِّكَ ؛ فَاصْبَحْتَ قَدْ اسْتَبَدَلْتَ بِالْأَذْيَارِ الْمَسَاجِدَ ، وَبِالْأَحَادِ الْجُمُعَ ؛  
وَبِقَبْلَةِ الشَّامِ ، الْبَيْتَ الْحَرَامَ ؛ وَبِخَرِيفِ الْإِنْجِيلِ ، صَحْفَةَ التَّنْزِيلِ ؛ وَبِأَوْبَانِ  
الْمُشْرِكِينَ ، قَبْلَةَ الْمُوحِدِينَ ؛ وَبِحُكْمِ الْأُسْقُفِّ رَأْسِ الْمُلْحِدِينَ [ حَكَمَ ] أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ  
وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ؛ فَهَنَّاكَ اللَّهُ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكَ ، وَأَحْسَنَ فِيهِ إِلَيْكَ ؛ وَذَكَرَكَ شُكْرَهُ ،  
وَزَادَكَ بِالشُّكْرِ مِنْ فَضْلِهِ .

### أجوبة التهنية بإسلام ذي

قال في "موادّ البيان" : أجوبة هذه الرِّقَاعِ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ مَبْنِيَّةً عَلَى شُكْرِ الْمُهَنِّئِ  
لِلْهَنِيِّ ، وَاعْتِرَافِهِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَنْدهُ ، وَأَبْتِهَاجِهِ بِمَازَجَتِهِ فِي الدِّينِ ، الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ  
أَهْلَهُ إِخْوَانًا مُتَصَافِينَ ، وَخُلَائِفًا مُتَوَافِينَ ، وَمَنْ عَلَيْهِمْ بِهِ ، وَبِإِمَامَةِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ (١)  
قُلُوبِهِمْ ، وَنَحْوِ هَذَا .

الصفحة الثاني — التهنية بالخَلِيقِ وَخُرُوجِ النَّفْسِ .

فمن ذلك تهنية لِأَمِيرِ بَيْتَانَ وَلَدَيْنِ لَهُ :

فمن خَصَائِصِ مَا حَبَّاهُ اللَّهُ بَعْدَ الَّذِي قَدَّمَ لَهُ فِي نَفْسِهِ — نَفْسُ اللَّهِ مُدَّتْهَا ؛ وَوَسَّعَ  
لَهُ مُهْلَتَهَا ، وَأَقْبَى الْأَعْدَادَ دُونَ فَنَائِهَا ، وَالْأَعْمَارَ دُونَ تَصَرُّفِهَا وَأَتْنَاهَا : [من الفضائل

(١) الحسائيف جمع حسيفة وهي الضحية والسجدة أنظر اللسان في ج ١٠ مادة ح س ف .

المشهوره ، والمحاسن المذكوره ؛ والمناقب الماثوره ، وأقسام الفضل الذى يتقضى  
دُونَ تصرفه (؟) منازلُه وصُفُ الواصف إذا أفرط ، ويتبى دون أنسرِها أملُ الأملِ  
إذا اشتطَ - ما وهبَ الله له من أولادٍ سادية فضلهم فى الأخلاق والصُور ، وأكلهم  
فى الأجسام والمِرر ؛ وقسمهم فى العُتُول والأفهام ؛ والقراخ والألباب ، ولم يجعل  
للغايب فيهم سميح ، ولا للإناث بينهم شركه ؛ حتى يكون مسلماً لم قصَب العُلا  
والمفانر ، وصُدور الأسرة والمنابر ؛ من غير منازع ، ولا مُقارع ، ولا مُسام ،  
ولا مُقاسم ، وزادهم من التَّاء فى النُشء والبركة وإنين بما يؤذِن الحاضر منه بالغابر ،  
ويبدلُ البادى على الآخر ؛ وعدا من الله تعالى ذكره لهم بأوفى السعادات ، وأكل  
الخيرات وأعلى الدَّرجات ؛ أرجو أن يجعل الله النُججَ قرينه ، والنجاة ذريعته ؛  
وما أولاه فيهم فى هذه الحال الحادثة التى يَعتدق الله بها أداءَ الفريضة ، وكَمالِ  
الشريعة ؛ ويقع التطير بالخبثان ، الذى جعله الله من شروط الإيمان ، وفرضه على  
جميع الأديان : من السلامة على عِظَم الخطر ، وشِدَّة القرر ؛ فى إمضاء الحديد على  
أعضاء ناعمه ، وإبصال الألم إلى قلوب وإدعة ، لم تُقارع نصبا ، ولم تُعانِ وصبا ؛  
وأجتمع فيه إلى رقة الصبا ، وضَعف الأُسر والقوى ؛ أعتيادُ الرحمة ، ومخالفة الترفه  
والتثقل بين الشهوات ؛ على أن كل واحد من الأميرين شهد المعركة أعزَلَ حاسرا ،  
وباشر الحرب معزرا مُحاطرا ؛ فثبت لوقع السلاح ، وصبر على ألم الحِراج ؛ وأبلى  
بلاءَ الفارس المُدجج ، والكيى المقنع ؛ ثم نرجحُ خروج شبل الليث ، وفرخ العقاب ،  
كالقذح المعلق والشهاب الساطع ، والنجم الثاقب ؛ وكان فلان أكثرهما تقبرا فى وجه  
قرنه ، وسطوة على منازله ؛ وكل قد حصل فوق الخصل ، وحوى فضيلة السبق ؛  
وأستحق أسمَ البأس والشدة ، وحلية البسالة والتجده .

ومن ذلك ما أورده أبو الحسين بن سعد في آتاه :

الحمد لله الذى كساك بالهيبة حلة الوقار ، ورداك رداء ذى السميت من الأبرار  
والأخيار ؛ وصانك عن ميسم الصبا ، ومطامع أهل الهوى ؛ بما جلك من الهيبة  
البيهة ، وألبسك من لباس ذوى اللب والرويه ؛ وألحقك في متصرفاته بمن يستقل  
بنفسه ساعيا ، ويستغنى عن محبه حافظا ؛ وجعل ما جعل من صورتك ، وكل من  
أداتك وآلتك ؛ قرنا لمن جاذبك ، وخصما لمن نازعك ؛ ونفى عنك ذلة الإحتقار ، من  
أهل المراتب والأخطار ؛ تستوى [ بهم ] في المجالس الحافله ، وتجري مجراهم في المشاهد  
الجامعه ؛ مسموعا قولك إذا قلت ، ومضنى إليك إذا نطقت ؛ آمنا من أنصراف  
الأبصار عنك لقرب ولأدك ، ومن [ عدم ] الاستمجا لحديثك لقلة الثقة بسدادك ؛  
وجاريا تجرى كلمة الرجال على الجملة ، إلى أن يكشف الله مخارك بالمحنة ؛ وتعطى  
المهابة من الداعى العادى ، ومن السبع الضارى ؛ ولو كان عاريا من هذه الكسوة  
الشريفة ، والحلية الملوحة ؛ لسيقت إلى الزرداء بالأعين ، والاستصغار بالقلوب  
والألسن ؛ أصناف الحيوان : من البهيمة والإنسان ؛ ثم لا يُحس من نفسه قوة على  
الدفع عنها ، ولا من صرعه ثباتا (؟) على يدها فيه . وتلك نعمة من الله جل وعز حباك  
بمرتبتها في جمال عشاك ، وكال أذاك ؛ فليصدق بها أعتراك وشركك ، وليحسن شأوك  
وتشركك ؛ قضاء لحق الله عليك ، وأستندارا في المزيد من إحسانه إليك .

الصف الثالث - التهئة بالمرض .

أبو الفرج البغدادى :

في ذكر الله سيدى بهذا العارض - أماطه الله وصرفه ، وجعل محبة الأبد حلقه -  
مادلى على ملاحظته إياه بالعناية ، لإهائلا له من سنة النقلة ؛ إذ كان تعالى لا يدرك

بَطْرُوقِ الآلَامِ ، وَتَشْيِهِ الْعِظَاتِ ، غَيْرَ الصَّفْوَةِ مِنْ عِبَادِهِ ، الْخَيْرِ مِنْ أَوْلِيَائِهِ ؛ فَهَنَاهُ  
اللهُ الْفَوْزَ بِأَجْرِ مَا يَسَانِيهِ ، وَحَمَلَ عَنْهُ بِالْطَّافَةِ ثِقَلَ مَا هُوَ فِيهِ ؛ وَأَعْقَبَ مَا أَخْتَصَّصَهُ  
مِنْ ذَخَائِرِ الْمُثُوبَةِ وَالْأَجْرِ بِعَافِيَةٍ تَقْتَضِيهِ ؛ وَلَا سَلْبَ الدُّنْيَا بِجَمَالِ بَقَائِهِ ، وَلَا ثِقَلَ ظِلِّهِ  
عَنْ كَافَّةِ خَلَمِهِ وَأَوْلِيَائِهِ .

الصفيف الرابع - التهنئة بالصرف عن الولاية .

أبو الفرج البغواء :

مَنْ حَلَّ حَمْلَهُ - أَيَّدَهُ اللهُ تَعَالَى - مِنْ رُتَبِ الرِّيَاسَةِ وَالنُّبُلِ ، كَانَ مَعْظَاً فِي حَالَتِي  
الْوِلَايَةِ وَالْمَزَلِ ؛ لَا يَفْدَحُ فِي قَدَرِهِ تَغْيِيرَ الْأَحْوَالِ ، وَلَا يَنْقُلُهُ عَنْ مَوْضِعِهِ مِنَ الْفَضْلِ  
تَثْقُلُ الْأَعْمَالِ ؛ إِذْ كَانَ أَسْتَيْعَاشَهَا لِلْفَائِتِ مِنْ بَرَكَاتِ نَظَرِهِ ، بِحَسَبِ أُنْسِهَا كَانَ  
بِمَا أَفَادَتْهُ مِنْ مَحْمُودِ أَثَرِهِ . فَهَنَاهُ اللهُ نِعْمَةَ الْكِفَايَةِ ، وَأَوْزَعَهُ شُكْرَ مَا أَحْزَاهُ مِنْ  
الزَّاهَةِ وَالصَّيَانَةِ ؛ وَلَا أَخْلَاهُ مِنَ التَّوْفِيقِ فِي سَائِرِ مَتَسَرِّفَاتِهِ ، وَالْخَيْرِ الضَّامِنَةِ  
لِعَوَاقِبِ إِرَادَاتِهِ .

وله في مثله :

لَوْ كَانَتْ لِمُسْتَعِدَّتِ الْأَعْمَالِ وَمُسْتَجِدَّةِ الْوِلَايَاتِ زِيَادَةٌ عَلَى مَا أَخْتَصَّصْتُكَ بِهِ  
مِنْ كِبَالِ الْفَضْلِ ، وَمَأْوَرِ النَّبْلِ ؛ لِحَازِنَا انْتِقَالَ ذَلِكَ بِانْتِقَالِ مَا كُنْتَ تَتَوَلَّاهُ بِمَحْمُودِ  
كِفَايَتِكَ ، وَتَحَوُّطِهِ بِنَوَاطِرِ زَاهَتِكَ وَصِيَانَتِكَ ؛ غَيْرَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَكَ بِالْفَضْلِ  
مَتَّعِصًا ، وَبِالْحَامِدِ مَتَّخِصًا ؛ فَالْأَسَفُ فِيمَا تَنْظُرُ فِيهِ عَلَيْكَ لَا مِتْكَ ، وَالْفَائِدَةُ فِيمَا  
تَتَقَلَّدُهُ بِكَ لَا لَكَ ؛ وَلِذَلِكَ كُنْتُ بِالصَّرْفِ مَهْمًا مَشْرُورًا ، كَمَا كُنْتُ فِي الْوِلَايَةِ بِمَحْمُودِ  
مَشْكُورًا ؛ فَلَا أَخْلَاكَ اللهُ مِنْ تَوَاصُلِ آلَائِهِ ، وَتَظَاهُرِ نِعَمَائِهِ ؛ فِي سَائِرِ مَا يُبْرِمُهُ  
وَيُنْضِيهِ ، وَتَعَمِّدُهُ وَتَرْتَبِيهِ .

أبو الحسين بن سعد - عمن تولى عملاً إلى من صرف عنه :  
قد قلدت العمل بناحيك ، فهناك الله تجديد ولايتك ، وأنفدت خليفتي لخلافك ؛  
فلا تخله من تبصيرك وهدايتك ، إلى أن يمن الله بزيارتك .

### تهنئة بصرف عن ولاية :

لو كانت رئاسة سيدي مجنية من عروش الولايات ، وسيادته خارجة عن سانيح  
التصرفات ، لأشفق أولياؤه من زوالها بمزايلتها ، وحذروا من انتقالها بنقلها ؛ لكن  
ماؤسم به من الكمال ، وعلا به من رتب الجلال ؛ موجود في غريزته وجود الفيرند  
في السيف الماثور ، والألاء في النور ؛ وإذا تصرف ، أورد الله الرعية من مشاريعها  
نظاماً ، وأسبغ عليهم من ظلها عطاء ؛ وإذا أنصرف تغير مستقبل تقلص ، وعيش  
رائع تنقص ، والأسف على العمل السليب من حلل سياسته الفاضله ، العاطل  
من حل سيرة العادله ؛ ولهذا أصبح - أيده الله - بالعرز مبتجعاً مسروراً ، كما كان  
في الولاية محموداً مشكوراً ؛ وأنطلقت السنة أولياته ، في هنائه ، بما وهبه الله من الرفاهية  
والدعة ، وحطه عنه من الأثقال المقلقة ؛ ولا سيما وقد علم الخالص والعالم أن الأعمال  
إذا ردت إليه ، وعول فيها عليه ؛ تسلم المودع وديعته ، والناشد ضالته ؛ وإذا عدل  
فيها إلى غيره تناولها تناول الغاصب ، وأستولى عليها آستيلاء السالب ؛ فلا تزال نازعة  
إلى ربها ، متطلعة إلى خطبها ؛ حتى تعود إلى محلها ، وترجع إلى نصليها ؛ والله تعالى  
أسأل أن يقضى لمولانا ببلوغ الأوطار ؛ إن شاء الله تعالى .

### أجوبة التهنئة بالصرف عن الولاية والخدمة

قال في "مواد البيان" : يجب أن تكون أجوبتها مبنية على شكر الاهتمام والإعتداد  
بالمشاركة في الأحوال ، مع وقوع ما ورد من الخطاب الموقع اللطيف ، وما ينتظم  
في هذا السلك .

جواب مَنْ ورد عليه كُتَابٌ من وَلِي مكانه في معنى ذلك .

فمن ذلك :

ما أنصرفت عني نعمة أُهديت إليك، ولا خلوت من كرامةٍ أشتملت عليك؛ وإني لأجدُ صرفي بك ولايةً ثانية، وحلةً من الوزر واقية؛ لما أمله بمكانك من حميد العاقبة وحسن الخاتمة .

الصفحة الخامسة - تهنئة من تزوجت أمه بزواجها .

قد تقدم في أول المقالة الأولى في حكاية حائك الكلام مع عمرو بن مسعدة وزير المؤمنين<sup>(١)</sup>، أنه قال يكتب إليه :

أما بعد، فإن الأمور تجري على خلاف محاب المخلوقين [والله يختار لعباده]، فخار الله لك في قبضها [إليه، فإن القبور أكرم الأَكفَاء]<sup>(٢)</sup> والسلام .

أبو الفرج البغواء: وقد أمره سيف الدولة ابن حمدان بالكتابة في معنى ذلك امتحاناً له :

مَنْ سَلَكَ إِلَيْكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - سَبِيلَ الْإِنْسِاطِ، لَمْ يَسْتَوْعِرْ مَسْلَكَ مَنْ الْمُخَاطَبَةِ فِيمَا يَحْسُنُ الْإِقْبَاضُ عَنْ ذِكْرِ مِثْلِهِ . وَأَتَّصِلُ بِمِثْلِهِ مَا كَانَ مِنْ خَيْرِ الْوَاجِبَةِ الْحَقِّ عَلَيْكَ، الْمُنْسُوبَةِ بَعْدَ نُسَيْبَتِكَ إِلَيْهَا إِلَيْكَ - وَقَرَّ اللَّهُ صِيَاتَهَا - فِي اخْتِيَارِهَا مَا لَوْلَا أَنَّ الْأَنْفُسَ تَتَنَازَرُ، وَشَرَعَ الْمُرُوءَةُ يَحْظَرُهُ، لَكُنْتُ فِي مِثْلِهِ بِالرَّضَا أَوْلَى، وَبِالْإِعْتِدَادِ بِمَا جَدَّهَ اللَّهُ فِي صِيَاتِهَا أُخْرَى؛ فَلَا يُسَخِّطُنْكَ مِنْ ذَلِكَ مَا رَضِيَهُ وَجُوبُ الشَّرْعِ، وَحَسَنُهُ أَدَبُ الدِّيَانَةِ، وَمُبَاحُ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يَتَّبِعَ، وَإِلَيْكَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ لَمْ يَأْخُذْ بِاخْتِيَارِهِ تَسَخَّطَ اخْتِيَارَ الْقَدَرِ لَهُ، وَالسَّلَامُ .

(١) تقدم في ج ١ ص ١٤٢ "وزير المصمم" .

(٢) الزيادة مما تقدم في ج ١ ص ١٤٥ .

## النوع الثاني

(من مقاصد المكاتبات التعازي)

قال في "مواد البيان" : المكاتبة في التعزية بالأحداث العارضية في هذه الدنيا واسعة أحوال : لما تتضمنه من الإرشاد إلى الصبر، والتسليم إلى الله جلّت قدرته، وتسليّة المعزى عما يسلبه بمشاركة السابقين فيه، ووعد بحسن العوض في الجزاء عنه، إلى غير ذلك مما ينتظم في هذا المعنى . قال : والكاتب إذا كان جيد الفريضة حسن التأني فيها، بلغ المراد . ثم قال : وحكمها حكم التّهاني من الرئيس إلى المرموس ومن المرموس إلى الرئيس ومن النظر إلى النظر .

ثم التعزية على أشرب :

## الضرب الأول

(التمزية بالآين)

أبلغ ما كتب به في ذلك ما كتب به النبي صلى الله عليه وسلم ، إلى معاذ بن جبل، معزيًا له بآين له مات، فإذ ذكره أبو الحسين بن سعد في ترسله، وأبو جعفر النحاس في صناعة الكتاب، وهو :

«من محمد رسول الله إلى معاذ بن جبل :

«سلام عليك، فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو»

«أما بعد، فعظمَ اللهُ لك الأجر، وألهمك الصبر، ورزقنا وإياك»

«الشكر . ثم إن أنفُسنا وأهلينا ومواليّنا من مَوَاهِبِ اللهِ السَّنيّة، وعَوَارِفِهِ»<sup>(١)</sup>

(١) في أصولنا بالقاء ورواية المستطرف (وعواريف) أى بالياء جمع عارية .



«المستودعة، تمتع بها إلى أجلٍ معدود، وتقبض لوقتٍ معلوم؛»  
 «ثم أقرض علينا الشكر إذا أعطى، والصبر إذا ابتلى؛ وكان أبئك من»  
 «مواهب الله الهنيئة، وعوارفه المستودعة؛ متعك به في غبطةٍ وسُرور،»  
 «وقبضه منك بأجرٍ كثير: الصلاة والرحمة والهدى إن صبرت»  
 «وأحسنت؛ فلا تجعنَّ عليك يامعادُ خصلتين<sup>(١)</sup> إن يُحيطَ جرعك»  
 «صبرك فتندم على ما فاتك؛ فلو قدمت على ثوابِ مصيبتك قد أطعت»  
 «ربك وتجزت موعوده، عرفت أن المصيبة قد قصرت عنه . وأعلم»  
 «أن الجزع لا يردُّ ميتاً، ولا يدفع حزناً؛ فأحسن الجزاء وتجز الموعود؛»  
 «وليذهب أسفك ما هو نازل بك فكان قد .»

### من كلام المتأخرين :

تعزية بولد . من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة، وهي بعد الألقاب .

وأحسن عزاءه بأمرٍ فقيد، وأحب حبيب ووليد، وعوضَ بجليل الصبرِ جوانحه  
 التي سُئلت عن الأسى فقالت : ثابتٌ ويزيد . صدرت هذه المفاوضة تُهدى إليه  
 سلاماً يميز عليه أن يُتبع بالتعزية، وشاء يسقُ عليه أن يطارح حاتمَ سمحه المطربة  
 بحام الشجو المبكية المنكية، وتوسّع لعلمه ورود مكاتبه المؤلمة، فوقفنا عليها إلا أن  
 الدُّمعة ماوقفت، وخواطرُ الإشفاق عليه وعلى من عنده طفت حرقها وما أنطلقت؛

(١) في أصولنا بالقاء ورواية المستطرف (وعواريه) أى بالياء جمع عارية .

(٢) أى قد التواب وقصد الولد . وإليه يشير من عزى عمر بن عبد العزيز بأنه فقال :

وعوضت أجراً من قديد فلا يكن \* قديدك لا يأتى وأجرك يذهب

وعلمنا ما شرحه ولم يشرح الصدر على العادة - من وفاة الولد فلان، سقى الله عهده  
ولحده، ونصر وجهه وتعمد بالرضوان خاله وحده، وما بقى إلا التمسك بأسباب  
الصبر، والتفويض إلى من له الأمر، والدنيا طريق والآخرة دارٌ ودهليزها القبر؛  
والمرء من تثبته وازرع، والاجتماع بالأحبة الراحلين واقع، إن لم يصبروا إلينا صرنا  
إليهم، وإن لم يقسموا في الدار الفانية علينا قدمنا في الدار الباقية عليهم؛ نسأل الله  
تعالى أن يجمعنا في مستقر رحمته، ويحضرنا مع الأطفال أو مع المتطفلين ولائم جنته؛  
والله تعالى يدارك بالصبر الجميل قلبه، ولا يجمع عليه فقد الثواب وفقد الأحبة.

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

رزقه الله تعالى ثباتاً على رزيته وصبراً، وجعل له مع كل غميرئسراً، وأبقاه  
مُعَدًى بالأفئس والأفئس، وكان له أعظم حافِظ من نُوبِ الدهر وأجل حارس .  
المملوك يُنهي علمه بهذه البازلة التي فتنت القلوب والأبصار، وكادت أن تُفترق  
بين الأرواح والأجساد؛ وأذالت ذخائر العيون، وأبتذلت من المدامع كل مصون؛  
وأذابت المهج تحرقاً وتلهباً، وجعلت كل قلب في نارٍ الأسمى والأسفِ متقلباً؛  
وهي وفاةٌ ولده الذي صغرسه، وتزايدَ لفقده هم المملوك وحزنه :

وَجَمَلَكْ لَا يُبْكِي عَلَى قَدْرِ سِنِّهِ \* وَلَكِنْ عَلَى قَدْرِ الْخَيْلَةِ وَالْأَصْلِ !

وكان الأملُ يحتملُ بأنه يُشَدُّ للولِّ أزره، ويشرحُ بيرة صدره؛ ويؤثِّلُ مجده،  
ويُبيِّقُ الذكْرَ الجميلَ بعده؛ ففقد من بين أترابه، وذوى عند ما أُنِعَ غُصْنُ شَبَابِهِ؛  
وغُيِبَ مَنَظَرُهُ الوسيمُ في لحده وتُرابه؛ وسيدنا يعلم أنَّ الموتَ مَثَلٌ لا بدَّ من وِردِهِ،  
وَأَبْنُ آدَمَ زَرَعَ لا بدَّ من حَصَدِهِ؛ وأنَّ المنيَّةَ تَسْمَلُ الصَّغِيرَ وَالْكَبِيرَ، وَالْجَلِيلَ وَالْحَقِيرَ،

والغنى والفقر ؛ فينبغي له استعمال صبره ، والاستبشار بمضاعفة أجره ؛ والله يتممه  
بأهله وطول عمره .

وله :

لهنّى وما لهنّى عليك بنافع ! \* كلاً ولا وجدي ولا حرّاقى !  
يا مَنْ قضى قعنى سرورى بدمه \* وتحدّرت أسفاً له عبراتى !  
عقدّ التجلّدها قوط الأسمى \* والقلب موقوف على الحسرات !  
لو كنت ممن يشتري أو يقتدى \* لصدّيت بالأرواح والمهجات !  
كنت الممدّ لتصرقى فى شدتى \* فقضى الحسام فرقة وشتات !  
والله لا أنسيت نذكى والبكا \* أبداً مدى الأنفاس واللفظات !  
ويُسوئى أن عشتُ بعدك ساعة \* أسفاً لفقدك ميتاً وحياتى .

أعظم الله أجر مولانا ومنحه صبراً جميلاً ، وأجراً جزيلاً ، وشاء عريض الشقة  
لثباته على هذه الفادحة طويلاً ؛ وجعل هذه الرزية حاتمة الرزايا ، ومحصة جميع  
الذنوب والخطايا ؛ ولا يجمعه بعدها فى قرّة عين ، ولا أورد محبوباً شغف به قلبه الكريم  
منهل الحام ولا سقاء كأس الحين .

الملوك يقبل اليساط الذى ماقى للنشر المعدلة مبسوطاً ، وكل أمل يره منوطاً .  
وينهى إلى العلم الشريف علمه بهذه المصيبة التى أصابت فؤاد كل محب فاصحته ،  
وطرقت سمع كل ولى فاصحته ؛ وولجت كل قلب فأحرقتة صباة وحزناً ، ومرّت  
على الصلدة فصدمته ولو كان حزناً ؛ وهى وفاة فلان سقى الله عهداً ، وأسكن الرحمة  
تراه ولحمه ؛ فشق أسفاً على المفقود جيب كل جنان وطوى الأكباد على جراحها ،  
وحسّر الأجساد على أرواحها :

وَمَا هِيَ إِلَّا نَكْبَةٌ أَوْ نَكْبَةٌ \* أَهَاجَتْ سَعِيرًا فِي الْحَشَا يَتَلَهَّبُ !  
 فَلَا جِسْمَ إِلَّا بِالتَّحْرِقِ ذَائِبٌ \* وَلَا قَلْبَ إِلَّا فِي الْأَمْسِ يَتَقَلَّبُ !  
 بَكَى كُلَّ جَفْنٍ مَضْرَعُ السِّيفِ فَاعْتَلَتْ \* عَيُونٌ عَلَيْهِ فِي الْأَبَاطِحِ تَسْكُبُ !  
 لَقَدْ هَالُ عُدَالِي بُكَائِي تَجَبُّا \* وَإِنْ بُكَائِي بَعْدَ قَفْدِهِ أَعْجَبُ !  
 فَلَوْرَامُ قُسْ وَصَفَ حُزْنِي وَلَوْعَتِي \* لَقَصَّرَ فِي أَوْصَافِهِ حِينَ يُسَهِّبُ !  
 فَوَاقَهُ لَا جَفَّتْ جُفُونِي مِنَ الْبُكََا \* وَإِنْ زَادَ عُدَالِي الْعِتَابَ وَأَطْنَبُوا !  
 ولهذا أصدر المملوك هذه المطالبة يدعو لمولانا فيها ويُعزِّيه، ويندب فقيدَه بالسنة  
 الأفلام وَيُبيِّهه ؛ وَيُبَشِّرُه بما وعد الله الصَّابِرِينَ عَلَى مثل هذه الرِّزْيَةِ وَيُسَلِّيه ؛  
 فيالها نازِلَةٌ لَجَعَتْ بَعْضُنِ رَطِيبٌ ، وَهَمَزٌ رَفُلٌ مِنَ الشَّيْبَةِ فِي ثَوْبٍ قَشِيبٌ ، وَصَدَعَتْ  
 الْقُلُوبُ بِقَفْدِ حَبِيبٍ وَأَيَّ حَبِيبٍ :

والمسوتُ قَدَّادٌ عَلَى كَفِّهِ \* جَوَاهِرٌ يَخْتَارُ مِنْهَا الْحِيَادُ !

وبعد ، فللمملوك في هذه الرِّزْيَةِ مَشَارَكَةٌ كَادَتْ تُبَايِنُ بَيْنَ رُوحِهِ وَالْجَسَدِ ،  
 وَهُوَ الْمَصِيبُ لِهَذِهِ الْمَصِيبَةِ مَا تَجِدُهُ الْوَالِهَةُ عَلَى قَفْدِ الْوَلَدِ ؛ لَا يَسْتَقِرُّ بِهِ قَرَارٌ ، وَلَا يُنْجِيهِ  
 مِنْ يَدِ الْحُزْنِ قَرَارٌ ؛ دَائِبَةُ الْبُكَاءِ وَالْعَوِيلِ ، وَحُزْنُهُ الْعَرِيسُ الطَّوِيلُ ؛ فَوَا ضَعْفَاهُ  
 عَنْ حَمْلِ هَذَا الْمُصَابِ ، وَوَا أَسَفَاهُ عَلَى مُسَافِرٍ لَا يُنْتَظَرُ لَهُ قُدُومٌ وَلَا إِيَابٌ ؛ وَوَا عَجَبَاهُ  
 لِضِدَّتَيْنِ أَتَجَمَعَا لَوَالِدِهِ الْكَرِيمِ الْجَنَابِ !

تَحُونُ الْمَنَايَا عَهْدَهُ فِي سَلِيلِهِ \* وَتَنْصُرُهُ بَيْنَ الْقَوَارِسِ وَالرَّجُلِ !

وعلى كُلِّ حَالٍ فَهُوَ أَجْدَرُ مِنْ أَسْتَعَانَ عَلَى هَذِهِ الْخَادِمَةِ بِصَبْرِهِ ، وَشَرَحَ لِمَا قَدَّرَ  
 فَسَبَّحَ صَدْرَهُ ، وَشَكَرَ اللَّهَ عَلَى حُلُوِّ الْقَضَاءِ وَمُرِّهِ ؛ فَكَانَ إِلَّا أَحَدَ الْعَمَرَيْنِ قَدَّ  
 نَخْلَفُهُ عُمَرُ ، وَثَانِي الْقَمَرَيْنِ أَفَلَّ قَامَ مَقَامَهُ هَلَالٌ قَدَمَ مِنْ سَقَرٍ ؛ وَفِي بَقَاءِ الْمَوْلَى

ما يوجب التسليم للقدّر والقضاء، والشكر لله تعالى في حالتي الشدة والرخاء؛ جملة الله في حرز لا يزال حريزا مكيئا، وحسن على امتز الأيام حصينا .  
وله : أعظم الله أجره ، وأطال عمره ، وشرح صدره ، وأجل صبره ، وتغزله دهره .

المملوك ينهى أنه اتصل به خبر صدع قلبه ، وسرق رقادته ولبه ، وضاعف أسفه وكرهه ؛ وهو [موت] فلان تغمده الله برحمته ، وأهمي عليه صحائب مغفرتي ؛ وعامله بلطفه ، وجعل الخيرة له في حقه ؛ فشق ذلك قلبه وعظم عليه ، وقارب لشديد حرته أن يصل إلى ما وصل المرحوم إليه ؛ لكنه ثبت نفسه وثبطها ، ورفع يده بالدعاء للولي وبسطها ؛ وسأل الله أن يطيل بقاءه ، ويحسن عرّاه ، ويحرسه من أزمات الزمان ، فإنه إذا سلم كان الناس في السلامة والأمان ؛ ويحصله عن كل فائت عوصا ، كما أصاره جوهرها وجعل غيره من الأنام عرضا ؛ ولقد جلت هذه الرزية على كل جناب ، ودخل حرثها إلى كل قلب من كل باب ؛ جعل الله أجره للولي من أعظم الدخائر ، ومنعه الحياة الأبدية التي لا تنهى إلى أميد ولا آخر ، إن شاء الله تعالى .

## الضرب الثاني

( التعزية بالبنات )

من كلام المتقدمين :

ابن أبي الخصال المغربي :

الشيخ فلان عزاه الله على احتسابه ، وجعل الثواب المرتقب أفضل أقتنائه واكتسابه . معزّيه عن فليذة كيد ، ومساومة في أرقه وشده ، والفات في عضد صبره الجميل وجلده . فلان . فإني كتبت - كتب الله لكم خيرا يذهب بزعكم ،

وَحَسَنَ مَنَاجَاكُمْ بِالتَّقْدَى الْجَلِيلِ وَمَتَرَعَكُمْ - عِنْدَ مَا وَصَلَنِي وَفَاةُ أَبَيْتِكُمُ الْمَرْحُومَةِ نَفْعَهَا اللَّهُ  
بِلَايَمَانِهَا ، وَتَقْلَقَهَا بِرُوحِ الْجَنَّةِ وَرَيْحَانِهَا ؛ وَهِيَ - أَعَزُّكَ اللَّهُ - وَإِنْ أَلَمَّكَ فَقَدْهَا ،  
وَأَوْجَعَكَ أَنْ أَسَاثَرِبَهَا لَحْثُهَا ؛ فَلْيَعَزِّكَ عَنْهَا مُصَابُنَا بَيْنِنَا عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَعَلَيْكَ يَا نَا  
جَمِيعًا بِمَدْرَجَةِ الْحَمَامِ ؛ أَقْتَجِدُ عَلَى الْأَرْضِ خَالِدًا ، وَقَدِيمًا نَكَلْنَا وَلِيدًا نَجِيبًا وَوَالِدًا ،  
فَرَنْ خُلِقَ لِلْفَنَاءِ ، وَأَخْتَلِسَ بِمَرِّ الْهَاطَاتِ وَالْآثَاءِ ، جَدِيرًا أَنْ يَتَعِظَ بِنَفْسِهِ ، وَلَا يَحْزَنَ  
لِنَهَابِ مَنْ ذَهَبَ مِنْ دَوَى أَثْسِهِ ؛ فَاحْمَدِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذْ رَجَحْتَ مِيزَانَكَ ، وَضَمِنْتَ  
لَكَ يَوْمَ الْمَعَادِ جَنَانَكَ ؛ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَرْزُقُنَا أَحْسَنَ رِزْقًا جَمِيلًا وَصَبْرًا ، وَيُوَسِّسُكَ وَقَدْ  
أَخْتَارَ لَكَ الصَّهْرَ قَبْرًا ، وَيَعْظُمُ لَكَ ثَوَابًا جَزِيلًا عَلَى مُصَابِكَ وَأَجْرًا ؛ وَيُعِثُّ فَقِيدَتَكَ  
بِالرَّحْمَى ، وَيَسْكُبُ عَلَى جَلَسَتِهَا مِنْ نَهَا الْأَوْكُفِ الْأَهْمَى ، وَيُؤْوِيكَ إِلَى كَنَفِهِ الْأَعْظَمِ  
الْأَهْمَى ، بِمَنَّةٍ وَرَحْمَةٍ ، لَا رَبَّ غَيْرُهُ ؛ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

### الضرب الثالث

( التمزية بالأب )

من كلام المتقدمين :

ابن أبي الخصال معزيا بوزير :

يَا سَيِّدِي وَوَاحِدِي ، وَمَحَلَّ الْإِبْنِ الْمُبْرُورِ ، وَالْأُنْحَ الْمَشْكُورِ ، عِنْدِي ؛ أَعَزُّكَ اللَّهُ  
بِالتَّقْوَى ، وَرَضَّاكَ بِمَا قَضَى ، وَأَمَدَّكَ بِالنَّعْمَى ، وَتَمَلَّكَ بِالْحُسْنَى ؛ كَتَبْتَهُ - أَعَزُّكَ اللَّهُ -  
وَقَدْ وَصَلَ كِتَابُكَ الْكَرِيمَ بِمَا فَضَّلَ بِهِ الْقَدَّرَ الَّذِي هُوَ فِي الْعِبَادِ حَقٌّ ، وَلَهُ فِي كُلِّ عُنُقٍ  
حَقٌّ ؛ فِي الْوَزِيرِ الْفَقِيهِ الشَّهِيدِ أَمِيرِكَ كَانَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ ، وَجَعَلَ الْحُسْنَى  
الَّتِي أَعْتَدَهَا لِأَوْلِيَائِهِ مَقَرَّهُ وَمَأْوَاهُ ؛ فَاسِفْتُ كُلَّ الْأَسَفِ لِفَقْدَانِهِ ، وَقَدْ كَانَ عَيْنَ زَمَانِهِ ،

وَعُمْدَةَ إِخْوَانِهِ ؛ تَعَمُّدَهُ اللَّهُ بِفُقْرَانِهِ ، وَتَقْلَهُ إِلَى رِضْوَانِهِ ؛ وَتَلَّكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ -  
 غَايَةَ الْأَخْيَاءِ ، وَسَبِيلَ الْأَعْدَاءِ وَالْإِحْبَاءِ ؛ كَانَ عَلَى رَبَّنَا - جَلَّ وَعَلَا - حَتْمًا مَقْضِيًّا ،  
 وَوَعْدًا مَاتِيًّا ؛ وَالْأَسْوَأُ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - فِي غَمْرِهِ التَّضْفِيفُ ، وَبِرِّهِ الْقِيَاضُ ، وَأَنَّهُ حُتِّمَ لَهُ  
 بِالْخَيْرِ وَالْإِتْقَابِ ؛ وَكَانَ آخِرُ ذَلِكَ [ الْحَسْبُ ] الْقَدِيمُ ، وَالْجَلِيلُ الْكَرِيمُ ؛ وَقَدْ أَمَرَكَ الْخَيْرُ  
 فَأَفْعَلَ مَا أَمَرْتَ بِهِ وَكُنْ كَمَا ظَنَنْتَ وَقَدَّرَكَ وَتَرَكْتَ ؛ وَإِنَّكَ بِفَضْلِ اللَّهِ تُسَدُّ مَسَدَهُ ،  
 وَتَبْلُغُ فِي كُلِّ فَضِيلَةٍ حُضْرَهُ السَّابِقِ وَشَدَّهُ ، وَتُعَدُّ لِلْأَيَّامِ مِنَ الْحَدِّ وَالْإِعْتِرَافِ مَا أَعَدَّهُ ؛  
 وَإِخْوَتُكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - لَكَ أَظْهَارُ وَأَعْضَادُ ، وَفِيهِمْ غَزْرٌ وَمُضَادٌّ ؛ فَاشْتِمِلْ  
 عَلَيْهِمْ ، وَارْتَفِقْ بِهِمْ ؛ فَإِنَّهُمْ يُتَرَلُّونَكَ مَنَزَلَةَ آبَائِهِمْ ، وَتَعْبُدُ أَخْلَاقَهُ وَعَوْنَهُ فِيهِمْ ؛ وَأَمَّا  
 مَا أَعْتَقَدَهُ مِنْ تَكْرِيكِ ، وَأَرَاهُ مِنْ تَفْضِيلِكَ وَتَقْدِيمِكَ ؛ فَشَىءٌ تَشْهَدُ بِهِ نَفْسُكَ ،  
 وَيُؤَدِّرُكَ بَقِيَّتُكَ وَحَدْسُكَ ؛ أَشَدُّ بِهِ أَعْتِنَاءُ ، وَأَجْمَلُ لَهُ أَسْتَوَاءُ ، وَأَوْفَى عَنْكَ رَدَاءُ  
 وَغَنَاءُ ؛ جَلَسْنَا اللَّهُ مِنَ الْمُتَحَايِينَ فِي خِلَالِهِ ، وَالْمُتَقَلِّينَ فِي ظِلَالِهِ ، وَأَمْنًا مِنَ الزَّمَانِ  
 وَآخْتِلَافِ أَحْوَالِهِ ؛ بِمَنَّةٍ وَالسَّلَامِ .

## الضرب الرابع

( التعمزية بالأم )

أبو محمد بن عبد البر المغربي :

مَا مَاتَ مَنْ أَنْتَ بَعْدَهُ خَلْفٌ \* وَالْكُلُّ فِي الْبَعْضِ غَيْرُ مُمْتَنِعٍ !

كُتِبَ عَبْدُهُ الْقَيْنُ ، مِنَ الْأَمْسِ لِأَجْلِهِ بَعْضَ مَا يُجَيِّزُ ؛ الْمُتَطَوَّى عَلَى قَلْبٍ تَعْلَمَتَنِ  
 الْقُلُوبُ سُلُوءًا وَلَا يَطْمَئِنُّ ؛ فَلَانُ : بَعْدَ وَصُولِ كِتَابِهِ الْكَرِيمِ بِصَدُوحِ يُصَمِّي الْقُلُوبَ ،  
 وَيُقَدِّ أَهْوَاءَ الْجُيُوبِ ، وَيُتَرَكُ الْأَحْبَابَ مَصْرَعِينَ عَلَى الْجُنُوبِ ، فَوْقَ الْعَبْدِ عَلَيْهِ  
 مَتَرَفِرِقِ الْمَدَامِ ، مَتَحَرِّقِ الْأَصَالِيعِ ، وَائْتِيَا سَامِعًا تَجَا الْأَبْصَارِ وَأَمْسِي الْمَسَامِعِ ؛ فَيَأْسِفُنِي

لَخَطَّبَ ضَعْفَعُ رُكْنِ الْجِدِّ وَكَانَ وَثِيقًا ، وَصَوَّحَ رَوْضَ الْفَضْلِ وَكَانَ وَرِيقًا ؛  
وَنَقَّصَ حَسَنَ الصَّبْرِ وَلَمْ يَزَلْ صَدِيقًا ، وَتَرَكَ الْعَبْدَ خَلِيقًا بِهَذَا الْقَوْلِ وَمِثْلَهُ مَعَهُ حَقِيقًا ؛  
فَأَيُّ لَدِينٍ وَمَرْوَةِ قُنْدَلٍ فِي قَرْنٍ ، وَعَلَى صَوْنٍ وَعَفَافٍ أَدْرِجًا فِي كَفَنٍ ، وَحَصَانٍ رَزَانٍ  
لَا تُعْرِفُ بَوْشَمَةَ وَلَا تُتَرِّنُ ؛ لَقَدْ أَصَمَّ بِهَا النَّسَائِيَّ وَإِنْ كَانَ أَسْمَعُ ، وَأَرَقُّ مَا شَاءَ الْفُؤَادُ  
وَأَرَأَى الْمَدْمَعُ ؛ وَلَمْ يَبْقِ قَلْبًا لِلصَّبْرِ إِلَّا صَدْعُهُ ، وَلَا أَنْفًا لِلسُّلُوقِ إِلَّا جَدْمُهُ ؛ وَلَا أَبَا لِلتَّمَزُّيِ  
إِلَّا أَرْجَمَهُ ، وَلَا عَقِيًّا لِلتَّأَسُّفِ إِلَّا أَتَجَّهُ ؛ وَلَوْ قِيلَ فِي الْمَوْتِ فِدَاً وَصَحَّ أَنْ يُؤْخَذَ  
فِيهِ فِدَاءٌ لَمَا خَلَّصَ إِلَيْكَ وَلَا أَلَمَ ، وَلَا عَدَاؤُكُمْ فِي صُرُوفِ الْمَنَآيَا الْخَفِيفَةِ سَلَمَ ؛  
لَكِنْ أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ تَعُمَّ الْحَرْقَةُ ، وَتَسْتَوِلِيَ عَلَى الْوَقْتِ الْقُرْقَةُ .

### الضرب الخامس

#### (التعزية بالأخ)

أبو محمد بن عبد البر :

وَكُتِبَتْ وَالْأَنْفُسُ مَرْتَمِضَةٌ ، وَالْعَيْنُ غَيْرُ مَغْتَمِضَةٍ ؛ وَالْأَنْفَاسُ تَتَبَعِدُ ، وَالْأَحْزَانُ  
تَتَأَكَّدُ ؛ أَسْمَقًا لِلصَّابِ الذِي عَمَّ وَغَمَّ ، وَأَسْمَعَ نَمِيَّةً فَاصِمَةً ؛ وَقَالَ لِلْفَرَجِ : كُفَّ مِنْ  
عَيْنَانِكَ ، وَلِلتَّرَجِ أَنْتَظِرْ لِأَوَانِكَ ؛ بِوَفَاةِ [الْفَرْدِ] الذِي فِي رَأْسِهِ نُورٌ ، وَسَدَادُ الْآرَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ  
وَسَدَادُ الثُّغُورِ ؛ وَالْفَدِّ الذِي شَهِدَ الرِّجَالُ بِفَضْلِهِ ؛ وَعَقِمَ النِّسَاءُ فَمَا تَجِيءُ بِمِثْلِهِ ؛  
أَبِي فُلَانٍ صِنُوكُمْ ، السَّابِقِ الذِي لَا يُبَارَى ، وَالشَّارِقِ الذِي لَا يُسَارَى ؛ وَالغَيْثِ الذِي  
عَمَّ الْمُنَيْسِلَ وَالْمُسْتَنْبِلَ ، وَاللَّيْلِ الذِي وَرَدَ الْفُرَاتَ زَمْيَرُهُ وَالنَّيْلِ ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ  
رَاجِعُونَ ! تَسْلِيمًا لِلْقَدَرِ وَإِنْ سَاءَ ، وَشِمْلًا لِلْمَرْغُوسِينَ وَالرُّؤْسَاءِ ؛ فَإِلَهِهُ مُصَابًا تَرَكَ كُلَّ رَأْسٍ  
أَمِيًّا ، وَأَوْدَعَ صَمِيمَ كُلِّ فُؤَادٍ مُكَلَّا صَمِيمًا ؛ لَقَدْ أَنْصَلَ السَّمَرُ اللَّهَادِمَ ، وَأَعْدَدَ الْبَيْضَ  
الصَّوَارِمَ ؛ وَعَطَّلَ الْكَلَابِيبَ وَالْمَقَابِ ، وَأَوْحَشَ الْمَقَاوِزَ وَالسَّبَاسِبَ ؛ وَلَمْ يَبْقِ مَتِيدَ



عَلَا إِلَّا هَدَاهُ ، وَلَا مَدِيدَ ثَاءٍ إِلَّا صَبَّهْ ، وَلَمْ لَا وَهُوَ الشَّخْصُ يَمُوتُ بِمَوْتِهِ بِشَرِّ كَثِيرٍ ،  
وَيَبْكِيهِ قَلَمٌ وَحُسَامٌ وَمِيزٌ وَسِرِيرٌ ؛ وَعِنْدَ اللَّهِ تَحَدَّرَ بِهِ جَمِيعًا ، وَنُوسُهُ مَحْضُ الصَّفَاءِ  
وَصَفْوُ الثَّنَاءِ تَوْبَعًا وَتَشْيِيعًا ، وَفَارَقَهُ فِرَاقُ الصَّدْرِ خَلْدُهُ ، وَالْمُصَابِ جَلْدُهُ ؛ قَوَّاسُنِي  
لُرُزْنِهِ مَا أَظْلَمَهُ مَوْقِعًا ! وَوَحَرِبَا لِيَوْمِهِ مَا أَظْلَمَهُ مَطْلَمًا ! وَوَاخَرْنَا لِنَعْيِهِ مَا أَشْنَعَهُ  
مَرَأَى وَمَسْمَعًا ! ! ! فَاتْنِ بَرَحَ الدَّمُوعِ لَهُ دِيمَا ، وَأَحْمَرْتَ الضُّلُوعُ بِهِ مَضْطَرَمًا ؛  
لَمَّا أَدَّتْ حَقَّهُ وَلَا كَرَّ بَتْ ، وَلَا دَانَتْ بَعْضَ الْوَاجِبِ فِيهِ وَلَا أَقْرَبَتْ ، وَلَوْلَا أَنَّ  
الْمُنِيَّةَ مَنَهْلٌ لَا يُحَلَّاءُ وَارِدُهُ ، وَمَعْلَمٌ يَهْدِي إِلَيْهِ عَلَى أَهْدَى سَبِيلٍ مُبَاعِدُهُ ؛ لَمْ يَبْقَ  
فِي أُنْسٍ مَطْمَعٌ ، وَلَا لَحْزَنٌ مَسْتَدْفِعٌ ، وَلَكَانَ الثَّاكُلُ غَيْرَ مَا تَرَى ، وَتَسْمَعُ ؛ وَمَا أَتَمَّ  
أَيُّهَا الشَّيْخُ الْمَكْرَمُ مِنْ يُنَبِّهَ عَلَى ذُنُوبِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ ، يَكْتَسِبُهُ ، وَصَبْرٌ فِي الرُّزْءِ  
الْفَادِحِ ، يَحْتَسِبُهُ ، فَصَبْرًا فَالْمُنُونُ غَايَةُ الْمُتَمِينِ وَالْمُصْبِحِينَ ، وَالنَّبَا الَّذِي يُعْلَمُ ذَوْقًا  
وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ ؛ وَهُوَ تَعَالَى الْمُسْتَوَّلُ أَنْ يَرْتَقِ بِمَكَائِكُمْ هَذَا الْخَرْقَ الْمُنْسَعِ ، وَيَصِلَ  
بِحَنَائِكُمْ ذَلِكَ الشَّمْلَ الْمُنْصَدِعِ .

ابن أبي الخصال :

الشَّيْخُ فَلَانُ أَبْقَاهُ اللَّهُ يَتْلُو الْأَرْزَاءَ بِحُسْنِ الصَّبْرِ ، وَجَمِيلِ الْإِحْسَابِ ، وَيَتَقَاضَى  
بِالتَّعَزَّى مَرْتَقَبَ الْأَجْرِ ، وَمُنْتَظَرِ الثَّوَابِ ، مُعَزِّيهِ فِي أَخِيهِ الْكَرِيمِ طِينًا ، الْعَظِيمِ مُصَابُهُ  
الْفَادِحُ لَدِينًا ؛ فَلَانُ : فَإِنِّي كَتَبْتُهُ - كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ صَبْرًا تَجِدُونُ ذُنُوبَكُمْ ، وَأَوْجِبَ  
لَكُمْ عَزَاءً تَجِدُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَأْنَهُ وَأَمْرَهُ - عِنْدَ مَا وَصَلَ مِنْ وَفَاةِ الشَّيْخِ أَبِي فَلَانٍ  
أَخِيكَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَا كَدَّرَ الْعَيْشَ وَنَفَصَهُ ، وَجَسَّمْ جَرَعَ الْجَمَامِ الْمَقْطُوعَةَ وَغُصَصَهُ ؛  
فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ ! ! أَسْتَسْلِمًا لِقُدْرَةِ وَقَضَائِهِ ، وَأَخْذًا فِيمَا يُدْنِي وَيَقْرُبُ  
مِنْ إِرْضَائِهِ ، وَمَا نَحْنُ إِلَّا بَنُو الْأَمْوَاتِ الَّذِينَ دَرَجُوا ، وَسَخَّرُجَ مِنَ الدُّنْيَا كَمَا  
قَبَلْنَا نَحْرُجُوا ؛ جَعَلَنَا اللَّهُ جَمِيعًا مِمَّنْ يَنْظُرُ لِمَعَادِهِ ، وَيَجْعَلُ التَّقْوَى خَيْرَ مَا أَوْعَاهُ بِجَدَادِهِ ؛

وسلك بنا نَجْجَ هِدَايَتِهِ وطريقَ رَشَادِهِ . وهو جَلٌّ وَعَلَا يُخْزِلُ لَكُمْ عَلَى مُصَابِكُمْ ثَوَابًا عَمِيمًا مَوْفُورًا، وَيَجْعَلُ قَبْدَكُمْ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ نُورًا؛ وَيُلْقِيهِ فِي دَارِ الْفِرْدَوْسِ مُلْكًا كَبِيرًا وَحُبُورًا؛ وَلَوْلَا كَذَا لَسَرَتْ إِلَيْكُمْ لِأَعْزَّيَكُم شِفَاهَا، وَأَحَدَتْكُمْ عَنْ ضُلُوعِ أَحْرَقَ هَذَا الْمَصَابُ حَشَاهَا؛ لَكِنْ أَمْتَأَلُ أَمْرَهُ الْمُطَاعَ، حَمَلَ عَلَى الْيَدَارِ إِلَى مَا أَمَرَبِهِ وَالْإِسْرَاعَ؛ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُدِيمُ لَنَا بِكُمْ الْإِمْتِنَاعَ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ، وَالسَّلَامَ .

## الضرب السادس

(التعزية بالزوجة)

من كلام المتقدمين :

أبو محمد بن عبد البر :

وقد تَقَرَّرَ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ، وَثَبَتَ ثُبُوتًا لَا يَلْغُلُ بِالْأَرْتِيَابِ، أَنَّ الدُّنْيَا قَنْطَرَةٌ دَائِرَةٌ، وَمَعْبَرَةٌ إِلَى الْآخِرَةِ، وَأَنْ سَاكِنَهَا وَإِنْ طَالَ عُمرُهُ، وَطَارَ فِي الْخَافِقِينَ أَمْرُهُ، لَدَيْغٍ سَمَّهَا؛ وَصَرِيحَ سَهْمِهَا، فَمَا تُضْحِكُ إِلَّا لُتْبِي، وَلَا تُؤْنِسُ إِلَّا لُتْنِي؛ وَقَدْ نَفَذَ الْقَدْرُ الَّذِي مَالَهُ رَدٌّ، وَلَا مِنْهُ بُدٌّ؛ بِوَفَاةِ فَلَانَةٍ أَلْحَقَهَا اللَّهُ رِضْوَانَهُ، وَأَسْكَنَهَا بِفَضْلِهِ الْمَرْجُوعِيَّاتَهُ، فَإِنَّا اللَّهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ!! تَأْسِيًّا بِالسَّلَفِ الصَّالِحِ، وَتَسْلِيًّا عَنْ مَا أَلْدَمَعَ السَّاعِ، وَزَنَدَ الْقَلْبَ الْقَاضِي . وَعِنْدَ اللَّهِ نَحْتَسِبُهَا عَقِيلَةً مَعْدُومَةً الْإِثْمِ، مَفْقُودَةً الدِّينِ وَالْعَقَّةِ فِي هَذَا الْحَيْلِ؛ مَتَحَلَّةً مِنْ دُءَاءِ الْفُقَرَاءِ، وَتَسَاءِ الصُّلَحَاءِ، بِالْفَرَّةِ الشَّادِحَةِ وَالتَّحْجِيلِ؛ لَقَدْ ذَهَبَ لِنَهَابِهَا الرِّفْقُ وَالْحَنَانُ، وَعُدِمَ لَعَدَمِهَا الشِّمُّ الْبَرَّةُ وَالْأَخْلَاقُ الْحِسَانُ؛ وَإِنْ فَسَدَهَا نَحْرَقَ لَا يُرْتَقِ، وَغُلَّةٌ لَا تُشْتَقُّ؛ وَخَطْبٌ لَا يُزَالُ الدَّهْرُ يُتَدَكَّرُ فَيَصْدَعُ، وَلَوْلَا الْعِلْمُ بَانَ الْخَطَأُ بِهَا أَمْرًا كَاتِنًا، وَأَنْ الْخَلْفَ فِي الدُّنْيَا لَا حَالَةَ عَنْهَا

بائن ؛ وأن التثقل للآخرة مالا تنفك نسمعه ونعاين ، لما بقيت صباه دمع  
إلا أرفقت ، ولا دعامه صبر إلا انقضت ؛ وكان الحزن غير ما تسمع وترى ، والوجد  
فوق ما يجرى وجرى ، لكن لا معنى لحزن لما يقع فيه الاشتراك ، ولا وجه للأسف  
على ما لا يصح فيه الاستدراك . وما أنتم بحمد الله ممن يدرك بما هو فيه أذكر ،  
ولا ممن يئنه على ما هو بالنتية عليه أخلق وأجدر ؛ ولولا أن التعازى مما أطرد به  
العمل ، ومنه الصالحون الأول ، لما سلك سبيله معكم وأنتم ممن قدر الأمور  
قدرها ، وعلم أن الحياة ولو طالت فالموت أثرها ؛ وإذا لم يكن من الموت بدء ، ولم يمنع  
منه صد ولا سد ؛ فالصبر خير من الجزع ، وأدلك على كرم المتعزى والمتزع ، وأخرى  
بأن يكون الثواب جزئيا ، والجزاء حسنا جسيلا ؛ والله يبيحكم أتم البقاء ، ويرقيكم  
أتم الأرقاء .

### ابن أبي الخصال :

الشيخ الأجل فلان - آنس الله وحشته ، وجدد على فقيدته رحمته . معزّيه عن  
أهله المالكية وسكنه ؛ ومساهمته بأوجب حزن في القلوب وأسكنه . فلان :  
فإنا كتبناه عن دموع تصوب وتضرب ، وضلوع تخفق من وجعها وتضطرب ،  
وأنس يشرد منا ويحتجب ، بموت فلانة رحمها الله التي أودعت في جوارحنا من الشغل  
ما أودعت ، ورضيت أ بكادنا بمصاها وصدعت ، عزّانا الله جميعا فيها ، وأولاهنا نعيّا  
في الفردوس الأعلى وترفيها ، وأعقبنا من الوحشة أنسا ، وعمر بالرحمى جدّا مباركا  
ورمسا ؛ وجعلنا كلاً ممن يردع عن الانحطاط إلى الدنيا نفساً بمنه وكرمه .

## من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

لَمَّا عَم مَمْلُوكُ الْمَجْلِسِ السَّامِي أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ، وَأَعْظَمَ أَجْرَهُ وَأَحْسَنَ عَزَاءَهُ، وَفَاةَ  
السَّيِّدَةِ الْمَرْحُومَةِ سَقَى اللَّهُ عَهْدَهَا عَهْدًا يَبْلُغُ الثَّرَى، وَجَعَلَ الرَّحْمَةَ لِمَنْ نَزَلَتْ بِهِ لَهَا  
الْقِرَى؛ تَأَلَّمَ لِفَقْدِهَا غَايَةَ الْأَلَمِ، وَوَجَدَ حُرْفَةَ كَسْتِهِ ثَوْبِيَّ صَنَى وَسَقَمَ؛ وَحُزْنَا لَا يَبْعُرُّ عَنْهُ  
بِعِبَارَةِ بَيَانِهِ، وَلَا يَسْتَوِيبُ وَصْفَهُ بِلِسَانِ قَلَمِهِ وَبَيَانِهِ :

وَلَوْ كَانَ النَّسَاءُ كُنْ فَقَدْ نَا \* لَفُضِّلَتِ النَّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ !

وَالْمَوْلَى أَوْلَى مِنْ عَزَى نَفْسِهِ، وَاسْتَحْسَنَ رِذَاءَ الصَّبْرِ وَلُبُّسَهُ؛ وَعَلِمَ أَنَّ الْمَوْتَ  
غَرِيمٌ لَا يُنْجِي مِنْهُ كَثْرَةُ الْمِطَالِ، وَلَا يُدَافِعُ بِالْأَطْلَابِ وَالْأَبْطَالِ؛ وَأَنَّهُ إِذَا طَالَبَ  
بِزِمَةٍ كَانَ اللَّهُ الْخِصَامَ، وَإِذَا حَارَبَ فَعَلَ بِيَدِهِ مَا لَا تَفْعَلُهُ الْحُكْمَةُ بِحَدِّ الْحَسَامِ .

## الضرب السابع

(التعازي المطلقة مما يصلح لإيراده في كل صنف)

من ذلك، من ترسل أبي الحسين بن سعد :

مَنْ حَبَّبَ الْإِيَّامَ وَتَقَلَّبَ فِي آثَانِهَا، أَعْتَوَرَتْهُ أَحْدَانُهَا، وَأَخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ أَحْكَامُهَا:  
بَيْنَ مَسْرَّةٍ وَمَسَاءَةٍ يَتَعَبَّانِ، وَفَرَحَةٍ وَرَحَةٍ يَتَنَاقَبَانِ [وَكَانَ] فِيمَا تَأْتِيهِ مِنْ مَحْبُوبِهَا عَلَى  
غَيْرِ نِقَةِ مِنْ دَوَامِهِ وَأَتَصَّالِهِ، وَلَا أَمْنٍ مِنْ تَغْيِيرِهِ وَأَنْتَقَالِهِ؛ حَتَّى تَعْقُبَ السَّلَامَةُ حَسْرَةً،  
وَتَسْتَحِيلَ النِّعْمَةُ مِحْنَةً؛ وَالسَّعِيدُ مَنْ وُفِّقَ فِي كُلِّ حَالٍ لِحَظِّهِ، وَأُعِينَ عَلَى مَا فِيهِ  
سَلَامَةُ دِينِهِ : مِنْ الشُّكْرِ عَلَى الْمَوْهِبَةِ، وَالصَّبْرِ عَلَى النَّازِلَةِ، وَتَهْدِيمِ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى

في حال الغبطة والرزية . ولم تكن بالجميعه مفردا عني وإن كان النسب يقربه منك ، والرغم تصله بك : لما كنت أوجبه من حقه ، وأرعه من مودته ، وأخصه بالاعتداد فيه دون أداني أهلي والثقة من إخواني ؛ فضى رحمه الله أقوى ما كان الأمل فيه ، وأكل ما كان عليه في لبه وأدبه ، واجتماع فهمه وكلام هديه ، وانتظام أسباب الخير وأدوات الفضل فيه .

ومنه : لا ينكر للعبد أن يتناول مولاة عند وقوع المحنة في أهل خاصته ، وتكون ريب المتون من حاشيته ، بالتعزية عن مصيبته ، والإخبار عما يخصه من ألم يقيعته وعظم رزيته ، لاسيما إذا كان بحيث لا يرى شخصه في الباكين ، ولا تسمع صرخته بين المتفجعين ، ولو سعت على حذقي .

ومن ذلك :

إن الله تعالى أمر أهل طاعته ، بتزيل هذه الدنيا بمنزلتها من إهانتها ، وسوى بين البدل والفاجر في رغائبها ومصائبها ، ولم يجعل العطية دليلا على رضاه ، ولا الرزية دليلا على خطئه ، ولكنه ألزم كل واحد من أهل الرضا والسخط من نعمها بتصيب ، وسقام من حوادثها بذنوب : ليلتلى أهل رضاه في أهون الدارين عليه ، ويحسن لهم الجزاء في أكرمهما لديه ، ولذلك حبب إليهم الزهادة في زهيد فائدتها ، وممنوح زهرتها ، وسماها لينا ومثوا : لئلا يعلقوا بخطاياها ، وينغمسوا في آثامها ، وخنمها بالموت الذي كتبه على خليفته ، وسوى بينهم في سكرته : ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَقِّ ﴾ . ويقربهم بذاريقى الموت ويقون فيها بعده ، كما فنوا في هذه الدار وبقي الموت بعدهم ؛ فإن تأخر الأجل فلان غاية ، وإن تطاول الأمد فلان نهايه ؛ ولابد أن يلحق التالي الماضي ، والآتئ بالسالف ، وهذه حال نصب الأفكار ، وتلقاء الأبصار ، لا يحتاج أن يرتاض الصبر على آلامها ،

والتحمل لمُضَلَّاتِ سِيَاهِمَا، والجَزَعُ عند وَقُوعِهَا قَادِحٌ فِي الْبَصَائِرِ وَالْأَفْهَامِ، دَالٌّ عَلَى الْجَهْلِ بِالْيَالِي وَالْأَيَّامِ؛ وَقَدْ طَرَقَ الْمَلُوكَ نَاعِي فُلَانٍ فَهَذَا جَلْدِي، وَقَتَّ كَيْدِي، لَا أَرْتَابُكَ لِلْحَادِثَةِ: لِأَنَّهَا لَوْلَمْ تُكُنْ فِيهِ لَكَانَتْ فِي الْمَمْلُوكِ، وَلَوْ لَمْ تَطْرُقْ إِلَيْهِ لَتَطَوَّقَتْ إِلَى الْمَدْرَكِ (٩) وَلَكِنْ الْأَسْفُ عَلَى عَطَلِ الزَّمَانِ مِنْ حِلْيَةِ فَضْلِهِ، وَتَعَزُّيهِ مِنْ حُلَّةِ نُبْلِهِ، وَخُلُوعِ عِرَاصِهِ مِنَ الْأَنْسِ بِمَثَلِهِ، وَمَانَالِ سَيِّدِي لِفَقْدِهِ، وَتَجَلَّهِ مِنْ بُعْدِهِ؛ وَإِلَى اللَّهِ تَعَالَى يَرْغَبُ الْمَلُوكُ أَنْ يَرْبُطَ عَلَى قَلْبِهِ بِالصَّبْرِ، وَيُوَقِّفَهُ لَتَنْجِزَ مَا وَعَدَ بِهِ الصَّابِرِينَ مِنَ الْأَجْرِ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

على بن خلف :

رقعة : ليس عند المصيبة - أطل الله بقاء سيدي - خير من التسليم إلى الله والرضا بقضائه ، والصبر على بلائه ؛ فإنه تعالى مَدَحَ الصَّابِرِينَ فِي كِتَابِهِ ، وَوَعَدَهُمْ بِصَلَوَاتِهِ . فَقَالَ جَل قَائِلَا : ﴿ أَلَيْسَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ . وَقَالَ جَل قَائِلَا : ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ ﴾ . وَلَمْ تَزَلِ الْأَوْلِيَاءُ مِنَ الْقُدَمَاءِ يَحْضُونَ عَلَى الصَّبْرِ وَهُمْ لَا يَرْجُونَ عَلَيْهِ ثَوَابًا ؛ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْجَزَعِ وَلَا يَخَافُونَ عَلَيْهِ عِقَابًا ؛ وَمَنْ عَرَفَ الْأَيَّامَ وَتَدَاوَلَهَا ، وَالْأَحْوَالَ وَتَحَوَّلَهَا ، وَسَّعَ صَدْرَهُ لِلثَّوَابِ ، وَصَبَرَ عَلَى تَجَرُّعِ الْمَصَائِبِ ، وَمَنْ أَغْتَرَبَ بَطُولَ السَّلَامَةِ ، وَطَمِعَ فِي الْإِسْتِمْرَارِ وَالْإِقَامَةِ .

رقعة : وقد اتصل بالملوك خبر الفجيعة بفلان ، فأفيض المدامع ، وتضعضعت الأضاليع ؛ وزقرت الأنفاس ، وهملت الحواس ؛ وأذاب الطرف

(١) لم يذكر في الأصل لهذا الشرط جوابا ويمكن أخذه من المقام أى « فقد حاول محالا ، ومنزل في سببه ضللا » أو نحو ذلك .

سَوَادُهُ عَلَى الْوَجَنَاتِ بَدَلًا مِنَ الْأَنْفَاسِ ، وَخَلَعَتِ الْقُلُوبُ سُودِيَادَهَا عَلَى الْأَجْسَادِ ،  
عَوَضًا عَنْ جَلَالِيبِ الْحِدَادِ ؛ وَغَضَّتِ الْأَنَامِلُ جَزَعًا ، وَمُرَّتْ الثِّيَابُ تَفْعُجًا  
وَتَوَجُّعًا ، وَكُلُّ هَذَا وَإِنْ فَارَقَ حَيْدَ التَّمَّاسُكِ ، وَوَافَقَ ذَمِّمِ التَّهَالُكِ ، غَيْرُ مُؤِيفٍ بِحَقِّ  
ذَلِكَ الدَّارِجِ الَّذِي بَلَغَ الْمَعَالِي وَهُوَ فِي مَهْدِهِ ، وَشَدَّ دَعَائِمَ الْفَضْلِ وَلَمْ يَبْلُغْ أَوَانَ  
رُشْدِهِ ؛ وَعِلِمُ سَيِّدِي أَنَّ غَايَةَ الْجَاوِزِ وَإِنْ صَدَعَتِ الْمُصِيبَةُ قَلْبَهُ ، وَأَطَاشَتِ  
الْفَجِيعَةُ لُبَّهُ ، الصَّبْرُ وَالسُّلُوءُ ؛ وَأَنَّ نِهَايَةَ الْفَلَقِ وَإِنْ هَجَمَتْ عَلَيْهِ الْحُرْقَةُ بِمَا لَا تَتَوَفَّرُ عَلَيْهِ  
الْأَضَالِيعُ ، وَلَا تَمَّاسُكٌ مَعَهُ الْمَدَامِيعُ ، الْقَرَارُ وَالْهُدُوءُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُرِيهِ بَعْدَ هَذَا  
الرُّزْءَ رُزْءًا بِنَفَائِهِ ، وَيَنْقُلُ ذَلِكَ عَنْهُ إِلَى حَاسِدِيهِ وَأَعْدَائِهِ .

رقعة : مَنْ عِلِمَ أَنَّ الْأَقْصِيَّةَ لَا تُحِطُّ بِسَهَامِهَا ، وَالْإِقْدَارَ لَا تُرَدُّ أَحْكَامُهَا ، سَلِمَ  
الْأَمْرَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ، وَرَضِيَ بِمَا مَنَاهُ فِي الْبَلَاءِ وَالْإِبْتِلَاءِ ؛ وَلَا سِيَّيَا فِي مُصِيبَةِ  
الْمَوْتِ الَّتِي سَوَى بَيْنَ الْخَلِيقَةِ فِي تَجْرِيعِ صَاحِبِهَا ، وَاقْتِحَامِ عِقَابِهَا ؛ وَقَدْ أَتَّصَلَ بِالْمَمْلُوكِ  
خَبْرُ الْحَادِثِ الْفَاصِمِ لِعُرَى الْجِلْدِ ، الْبَارِحِ فِي الْجِلْدِ . فَاسْتَحَالَتْ فِي عَيْنِ الْمَمْلُوكِ<sup>(١)</sup>  
الْأَحْوَالُ ، وَمَالَتْ عَنْهَ الْأَمَالُ ، وَرَأَى السَّمَاءَ وَقَدْ تَكَدَّرَ جَوْهَرُهَا ، وَالشَّمْسَ وَقَدْ تَعَكَّرَ  
صَوْنُهَا ، وَالسَّحَابَ وَقَدْ أَخْلَفَ نُوْهَا ، وَالنَّهَارَ وَقَدْ أَظْلَمَ ، وَاللَّيْلَ وَقَدْ أَدْلَهَمَ ، وَالنَّسِيمَ  
وَقَدْ رَكَدَ ، وَالْمَعِينِ وَقَدْ جَدَّ ، وَالزَّمَانَ وَقَدْ سُهَمَتْ وَجَتَهُ ، وَسُلِيتِ حِلْيَتُهُ ،  
وَأَقْرَجَتْ قَبْضَتُهُ عَنِ التَّمَّاسُكِ ، وَقَبْضَتْ عَلَى التَّهَالُكِ ، وَعَدَلَتْ عَنِ التَّجَلُّدِ ، إِلَى  
التَّبَلُّدِ ؛ ثُمَّ أَفَاقَ مِنْ غَمْرَةِ خَيْمَتِهِ ، وَهَيَّبَ سِنَةَ رَوِيَّتِهِ ، فَسَلَّمَ لِلَّهِ رَاضِيًا بِأَقْصِيَّتِهِ ،  
رَاضِيًا فِي مَثْوِيَّتِهِ .

(١) لعله البادح والبلح واليدح بالاحمال والاعجام الشق والمراد ظاهر .

أبو الفرج البغدادى :

إذا كان أيده الله أهدي في النعم إلى سبل الشكر، وأعرف في المحن بطرق الصبر؛  
فكيف نحاذر عليه من المصائب ، ونذكره التسليم تحتوم التوايب ؛ والمصيبة بفلان  
أعظم من أن نهتدي فيها إلى سلوة غير مستفادية منه ، أو تقتدي في العزاء بغير  
مانأخذه عنه ؛ إذ كانت قلوبنا تبع قلبه - سره الله - في طروق السراء والضراء ،  
وحالتي الشدة والرخاء . وأحسن [الله] عن الفجعة عزاءه ، وأجزل من المثوبة  
عطاءه ؛ ولا شغله عن حلاوة شكر النعم بمرارة الصبر على ورود المحن ، وجعل ما تقل  
الماضي إليه ، أتع له ولسيدي من الجزع عليه .

وله في مثله :

أفضل بي خبر المصيبة بفقد الحسره، وسكب العبره، وأضرم الحرقه، وضاعف  
اللوعة، وكان الأسف عليه، بقدر تشوف الآمال كانت إليه : فإننا لله وإننا إليه  
راجعون !! أخذنا بأمره، وتسلياً لحكمه، ورضاً بمواقع أقضيته، وأحسن الله في العزاء  
هدايته، وحرس من فتن المصائب بصيرته، وحمل عن قلبه ما أظله من ثقل المصيبة  
وعظم الرزية .

ولا أزال على جملة من القلق إلى أن يرد على كتابه - أيده الله - بما أكون فيه  
بأدبه مقتدياً ، وبهدياته إلى سبيل العزاء والصبر مهتدياً ؛ فإن رأى إيجرائي من  
تشريفه بذلك على مشكور العادة، فعل ، إن شاء الله تعالى .

وله في مثله :

أشترأك القلوب فيما ألم بقلب سيدي بحسب تساويها في المسرة بما سره ، إذ كان  
لا يختص دون أوليائه بنعمه ، ولا ينفرد دون مؤمليه بحلول موهبه ، والمصيبة بفلان



- وإن جَلَّ موقِعُها وعظُمت الفَجيعة [ بها ] - جَلَّ<sup>(١)</sup> مع سُقوط الأَقدارِ دُونَهُ ،  
وتجاوُزِها عنه ، وسُاعَتِها به ، فلا شَغَلَ اللهُ قلبه بَعْدَها بِمَرارةِ الصَّبْرِ عَمَّا تُوجِبُهُ النِّعمُ  
من حَلالَةِ الشُّكرِ ، ولا جاوره بِرِزِيَّةٍ في حَميمٍ ولا نَعَمه .

وله في مثله :

بصيرتُكَ إلى العِزِّاءِ تَهْدِيكَ ، وأَعْتَبْتُكَ بِثَوَابِ اللهِ يُسَلِّيكَ ، وعَلِمْتُ بِقِلَّةِ الغِناءِ  
عن الجَزَعِ يَتَيْنِكَ ، وجَمَعْنَا بِكَ في الصَّبْرِ مَقْتَدُونَ ، ولَرَأَيْكَ في الرِّضَا بِمَا أَخْتارَهُ اللهُ  
تعالى مُتَبِعُونَ ؛ لَحَمَلَ اللهُ عَنْ قَلْبِكَ ثِقَلَ المِصْيبَةِ ، وحَرَسَ يَقِينَتِكَ من أَعْتَرَضَ  
الشُّبْهَةَ ، وأَحْسَنَ إلى جَمِيلِ الصَّبْرِ هِدَايَتَكَ ، وتَوَلَّى من قَتَنِ المِحْنِ رِعايَتَكَ ، وجعل  
ماتَقَلَّ المَاضِيَ إِلَيْهِ ، أَنْفَعَ لَكَ وَلَهُ من الأَسَفِ عَلَيْهِ .

وله في مثله :

اتَّصَلْ بِى خَبَرُ المِصْيبَةِ فَأَضْرَمَ الحَسْرَةَ ، وَسَكَبَ العَبْرَةَ ، وَقَدَحَ اللُّوْعَةَ ، وَأَمْتَرَى<sup>(٢)</sup>  
الدَّمْعَةَ ، وَكَانَتْ مُشَارِكَتِي لِمَا لَكَ في المِصْيبَةِ بِهِ ، وَالْفَجِيعَةِ لِفَقْدِهِ ، بِحَسَبِ اخْتِصَاصِى  
بِمَوَاهِبِ اللهِ عِنْدَكَ ، وَأَعْتَبَاتِى بِمَنَحِهِ لَدَيْكَ ؛ فَإِنَّا اللهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ !! تَسْلِيًّا  
لَأُضْرَهُ ، وَأَقْبَادًا لِحُكْمِهِ ، وَرِضًا بِمَوَاقِعِ أَقْدَارِهِ ، وَأَحْسَنَ اللهُ عَلَى العِزِّاءِ تَوْفِيقَكَ ،  
وإِلَى السُّلُوةِ إِرْشَادَكَ ، وَلَا أَخْلَاكَ فِيمَا تَطَرَّقَكَ بِهِ مِصْيبَةٌ مِنْ مِصَابِحَةِ الصَّبْرِ ،  
وَفِيمَا تَهْدِي بِهِ عَلَيْكَ نِعْمَةً مِنَ الاسْتِرَادَةِ بِالشُّكْرِ ؛ وَحَرَّكَ في نَفْسِكَ وَأَحْبَبْتَكَ ، وَذَوَى  
عَنَّا يَتَكَ وَنِعْمَتِكَ .

(١) أى يسيرين على حد قول امرئ القيس لما قتل أبوه :

يقتل بنى أسد دهم \* ألا كل شيء سواه جلال

(٢) فى القاموس « ومرئى الشيء استخرجه كاستراه » .

وله في مثله :

قدرك أكبر، وبصيرتك أنور، وثقتك بالله تعالى أعظم من اعتراض الشكوك  
عليك فيما يطرقك من عظمته بالحوادث وإن عظمت، والمحزن وإن جلت ؛ اختياراً  
بالمصائب لصبرك، وبما يُظهره عليك من النعم لشكرك، ومثلك أيدك الله من قابل  
الفتنة بفلان - إذ كانت من الواجب المحتوم - بأحسن عزاء وأفضل تسليم، غير  
مرتاب بما اختاره الله له ولك فيه، فعظم الله به أجرك وحرّسك وحرّسك .

### الأجوبة عن التعازي

قال في "موادّ البيان" : أجوبة التعازي يجب أن تُبنى على وقوف المعزّي على  
كتاب المعزّي ، وأنّ إرشاده تقع عُنْته ، وعظه تقع عِلْته ، وتبصيره سَكُنْ أوّاره ،  
وتذكّره أحمَد ناره، وتنبهه أيقظ منه بحسن العزاء غافلاً، وهدى إلى الصبر ذاهلاً،  
وحسّن عنده الرزية بعد جهامتها، ودمّت نفسه للصيبة بعد فدّامتها، فسلم لله تعالى  
متادّباً بأدبه، وعمل بالحكم مقتدياً بمثلّبه ، وغالب الرّزء بالعزم، وأخذ فيه بالحزم؛  
وسأل الله تعالى أن يُحسّن له العِوضَ في رَدّه ، ويعمّله له خَلْقاً من أُصيبَ بفقده؛  
ونحو هذا مما يخرط في سلكه .

جواب عن تعزية : من زهر الربيع :

أعزّ الله سيّدنا وأسعدّه ، وسهّل له طريقَ المسرة ومهدّه ، وصانَ عن حوادث  
الأيّام حِجابَه، وعن طوايق الحسدان حِجابَه ؛ وجعله في حِمى عن عوارض النير  
والفرّ، وأصار أيامه محسّنة لوجوه الأيّام كالفرّ .

ورد الكتاب الذى أنعم بإرساله ، بل المشرف الذى كسنته اليد العالیه حلة من حلل جماله ، فوقف عليه وفهمه وتذكر به إحسانه الذى لا ينساه ، وفضله الذى لا يعرف سواه ؛ فاما التعزية بفلان ، فإنه رد بعذب لفظها قوته ، وبلى بماء حسنها غلته ؛ وصبره على حادثته بفلان بعد أن عز عليه العزاء وأعوزه ، وطلب وعده من صبره لما أنجزه : لأنه كان وجد لموت المذكور حزنا ما استطاع له تركا ، وفقد لموته خلا مثله ينال عليه ويبيى ؛ وفي بقاء مولانا مسرة تطرد كل حزن ، وفي بهاء طلعته عوض عن كل منظر حسن ، جعله الله ساميا على أثرابه ، مقدما على أضرابه ؛ ما سميت الأسماء على الأفعال ، وتقدم الحال على الاستقبال .

آخر : ضاعف الله بقاءه وأطال عمره ، وشرح لإسداء المكريم صدره ؛ وأغند نبيه وأمره ، ولا زال إلى أوليائه محسنا ، وفضله يحصل لمحبيه غاية السؤل والمنى ؛ ورد مشرقة المعزى ب وفاة فلان سقى الله عهد عهاد رضوانه ، وأسكنه فى غرف غفرانه ؛ فخر مصابا ، وقح إلى الصبر أبوابا ؛ وهدى إلى طريق الخير وقال صوابا ؛ وسكن نفسه ، وذكره إحسانه الذى لم ينسه ، وأزال الوحشة وزاد أنسه ، بعد أن كان فقد المبدكور قد هذ ركنه وقت عضده ، وأوصله إلى أمد الحزن وضاعف على الأيام أمده ، وألبسه رداء الأكتاف ، على ترابه الذى أصبح تحت التراب ، وصديقه الموصوف بالصدق ، الذى فاق سناء ذلك الأثق ؛ جعله الله أصلا فى تحصيل المسرة إذا ذوت الفروع ، وسيفا يهزم به وليه الحوادث التى ترزع ؛ إن شاء الله تعالى .

آخر : جعل الله أجره عظيما كقدره ، والقلوب جمعة على حبه كاجماع الأنسة على شكره .

المملوك يُعلمه بؤرود كتابه الكريم المعزى بفلان - قدس الله روحه، وأمطر بمصابٍ  
الرحمة صريحه - عليه، وعنده من شديد الحزن، ما أعدمه لذيد الوسن؛ ومن زائد  
الاكتئاب، ما كاد يحرمه التغمص بثوب الثواب؛ بحيث إنه حوَّض بالزمن الأسود  
عن العيش الأخضر، وذاق من موجب لبس الأبيض طعم الموت الأحمر، وأنه صمَّ  
إليه ضمَّ المحبوب، وأبتهج به أتهجَّج من ظفر بغاية السؤل والمطلوب؛ فاعمدت  
الكتابة خوفاً من قلعه سيقها، وأزالت الدنيا الدنية عنه حيقها، وعزى نفسه  
وسلاها، وشغله إحسانه عن محاسن عا الموت سناها؛ فرفض من توجعه ما فرضته  
حادثته، وسلك منها غير المنهج الذي فتنت فيه حساه ومهجته؛ فالله تعالى يكفيننا  
ما نحاذره في المجلس ويحرس سناه، ويديم سعده وعلاه .

### النوع الثالث

(من مقاصد المكاتبات التهادى والملاطفة)

قال في "مواد البيان": رِقَاعُ التهادى يجب أن تُودع من الألفاظ المستحسنه  
ما يمهّد لقبول الملاطفة والمبرة التي تليها في المودة. قال: وينبغي أن يُطريف الكاتب  
إذا كان مُهْدِياً أو مستهْدياً؛ وقد جرت العادة أن تُودع هذه الرقاع من أوصاف  
الشيء المُهْدَى ما يمحسسه في نفس المُهْدَى إليه . قال: وينبغي لمن ذهب هذا  
المذهب أن لا يعتمد تفخيم هديته، ولا الإشارة إلى جلالة خطرها، فإن ذلك يُنزل  
بشروط المُرُوءة ويحماها الكرماء .

ثم هي على ثلاثة أضرب :

## الضرب الأول

( ما يَكْتَبُ مع التَّقَادُمِ إلى المُلُوكِ من أهل مَمْلَكَتِهِمْ )

إلى القائمِينَ بإيصال التَّقْدِيمَةِ إلى المَلِكِ وكتابِ السَّرِّ ونحوهما )

الشيخ جمال الدين بن نباتة : إلى كاتبِ السَّرِّ بالأبواب السلطانية صحبةً تَقْدِمةً من نائب الشام إلى السلطان :

لَا زَالَتْ أَفْلاهُمُا لَتَنَاجِجِ الْفَضْلِ مُقَدِّمِهِ ، وَلَمَّا كَضِ الْكَرَمِ وَالْبَاسُ جِيَادًا مُسَوِّمِهِ ؛  
وَلِكُتَّابِ الْمَلِكِ مِنْ كُتْبِهِ أَعْلَامًا بِشِعَارِهَا الْعَبَّاسِيِّ مُعَلِّمِهِ ، وَفِي يَدِ صَاحِبِهَا مِنْ أَصْحَابِ  
الْيَمِينَةِ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَنِعَمِهَا مِنْ أَصْحَابِ الْمَشَامَةِ ؛ تَقِيلُ حُبًّا لَا تُنْفَسُ  
عُقُودُ وَلَا تَهْ الْمُحْكَمَةِ ، وَلَا تُنْسَخُ إِلَّا فِي الْكُتُبِ عُقُودُ تَسَائِهِ الْمُنْظَمَةِ ، وَلَا تَطُوفُ  
الْأَشْوَاقُ بَيْنَ قَلْبِهِ إِلَّا وَهِيَ مِنْ مَلَابِسِ السُّلُوكِ الْمَحْرَمِ مُحْرِمِهِ .

وَيُنْهَى أَنَّهُ قَدْ اخْتَارَ مِنْ عِنَايَةِ مَوْلَانَا بِمَقَاصِدِهِ أَحْسَنَ الْخَيْرِ ، وَبُورِكَ لَهُ  
فِي قَصْدِهَا ( وَمِنْ بُورِكَ لَهُ فِي شَيْءٍ فَلْيَلْزِمَهُ ) كَمَا جَاءَ الْخَبَرُ ؛ وَقَدْ جَهَّزَ فَلَانًا إِلَى الْأَبْوَابِ  
الشَّرِيفَةِ خَلَّدَ اللَّهُ سُلْطَانَهَا بِتَقْدِيمَتِهِ عَلَى الْعَادَةِ فِي كُلِّ سَنَةٍ ، وَاتَّبَعَ سِفَارَةَ مَوْلَانَا بَيْنَ  
يَدَيِ الْمَوَاقِفِ الشَّرِيفَةِ فَاتَّبَعَ مِنَ الْقَوْلِ أَحْسَنَهُ ؛ وَسَالَ حُسْنَ نَظَرِ مَوْلَانَا الَّذِي إِذَا  
لَا حَظَّ قَصْدًا أَعْلَنَهُ وَسَعَدَا عَيْنَهُ ، وَقَدْ جَهَّزَ الْمَمْلُوكُ بِرِسْمِ مَوْلَانَا مَا هُوَ بِمَقْتَضَى الْوَرَقَةِ  
الْمَجْهُزَةِ عَطْفُهَا ، الْمُؤَمَّلَةِ وَإِنْ كَانَتْ وَرَقَةً قَطَعَهَا ، وَسَالَ مُقَابَلَتَهَا بِالْجَلْرِ الَّذِي يَحْسَبُ  
الْأَمْلَ حِسَابَهُ ، وَيَسْتَفْتَحُ بَيْنَانِ الْقَلَمِ بَابَهُ ، وَالْإِصْفَاءَ لِمَا يُعْلَى مِنْ رَسَائِلِ الشُّوقِ  
فَاتَّهَا مِنْ رَسَائِلِ إِخْوَانِ الصَّفَا الْمُسْتَطَابَةِ ، لَا يَرِيحُ الْقَاصِدُونَ مَرَجِينَ بِأَيَّامِ مَوْلَانَا  
وَحَقٌّ لَمْ أَنْ يَمْرُحُوا ، تَالِينَ نَسَبَهُ بَيْتَهُ وَرُحْمَى اللَّهِ عَلَى يَدِهِ : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ  
فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ .

وله إليه أيضا مع الجهاز الشريف السلطاني :

أتمنّى الله من خيرى الدنيا والآخرة بركم الأمرين ، وبشرف الدّكرين ، وسرّها بما يجهّز فى الثّناء والثّواب من الوقرّين ، وأعلى منارها المخلّق إلى السماء على وكّر النّسرين . ولا زالت الآمال لا تبحر حتى تبلغ من تلك اليدين تجمّع البحرين ؛ تقبيل غلص فى الولاء والدّعاء ، مستشهد بالخواطر الكريمة على ثبوت الأدّعاء ، واردة لموارد النّعم قبل صدور بل قبل ورود الرّعاء .

وينهى أنه ليس للملوك فيما يؤمّله ويتأمّله ، ويفضّله من عقود المطالب ويجهّله ؛ غير إحسان مولانا الذى لا يملّ على طول الإيناس والإلباس ، وعوارف بيته المستجدة تالية : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ﴾ . وقد جهّز الملوك الولد فلانا بالجهاز المبارك إلى الأبواب الشريفة خلّد الله سلطانها ، وملاّ به جواهر حبات القلوب وريحانها ، وهو على قدر الملوك ومقداره ، لاعلى قدر مراده وأخياره ؛ ولو أن المراد مما يجعله العبد إلى سيّده ، ويقدمه من سبّد الحال ولّبه ، على قدر المحمول إليه ، والمقدم بين يديه ، لضعفت قوى أكثر العبيد عن ذلك ، ويس من الرضوان جهّدهم المالك ؛ وإنما على العبيد أن تنصّب على قدرتها الحال ، وعلى السادات أن تُصرف بعوامل الخبر مستقبل الأفعال . وعلم مولانا الكريم مُحيط بتقلّ الملوك فى هذه السنين من بلد إلى بلد ، ومن أمد كلفه إلى أمد ، وبما حصل فى ذلك من التّمحق فى إقطاعات كاد أن ينجّى عليها الذى أخفى على لبد . وكان الملوك يودّ لو كان هذا المحمول من الجهاز من جواهر النجوم المتشورة ، وأخية السعود الماثورة ، وجميع مازين للناس من الشّهوات المدكورة ، أضعاف أضعافه الآن ، بل أضعاف أضعاف ما حمل الأوّلون من فلان وفلان ؛ كالحسن بن سهل مع الجهة المامونية التى حلاّ ذكرها ، وأبن طولون مع المعتضدية التى كثر هذا الغيث قطرها ، والسامانية

وما أدراك، والسَّجُوقُ وما أسراك، وجميع ما تضمته التواريخ التي لو عاينت تاريخ هذه الدولة الشريفة عنت في الحال تحيده، وكان كل مجلد منها يموت للهبة في جلده : لما خلده أيامها الشريفة من أخبار حُكْمها وخيرها، وكرمها وبرها، وعطفها على عمالِك بيتها الشريف : تتقبل ميسورهم، وتكفل سرورهم، ولعملا يجيوش الأشرار صدورهم، وتبلغهم من همم مطلوبهم؛ وتُقيل على زاهرات نجاياهم ورياحين قلوبهم :

ولو لم تُطعمه نيات القلوب \* لما قيل الله أعمالها.

والمملوك يسأل من إحسان مولانا الذي أَلَفه، ومعروفه الذي عَرَفه، ملاحظة الولد فلان بين يدي المواقف الشريفة خلَّد الله سلطانها، وإقامة عذر المملوك بعباريته التي أحلَّ الله سحرها وبياتها ؛ فبالمملوك في مقاصده مثل مودة مولانا الوافية المتوافية، ومقدمة عبارته الكافية الشافية ؛ والله تعالى يُعين على شكر منته، والقيام بفرائض حمده وسننه ؛ والنهوض بأوصاف أياديه التي يُفترد بها قلم الحُكَّاب كما يُفرد القمرى على فنته .

### الضرب الثاني

( ما يكتب مع الهدية عند بعثها )

وهو على عشرة أصناف :

الصنف الأول — ما يكتب مع إهداء الخيل .

على بن خلف : في إهداء جوادٍ أدهم أغرَّ محجل .

وقد خدم المملوك ركابه الأكرم ، بجوادٍ أدهم مطهم ، قد سلب الليل غياهبه وكواكبه ، فاشتمل بأديمه ، وتعلل بجوِّمه ، وأطلع من غُرته الساذجة قرأ متصلا

بالحجره ، وتحمل من رُمته بالثرى<sup>(١)</sup> او الثره ، صافي القميص ، ممحوس الفصوص ، حديد الناظر ، صليب الحافر ، وثيق القصب ، نقي العصب ، قصير المطا ، جعد النساء ، كأنما أنتعلت بالرياح الأربع أربعه ، وأصغى لاستراق السمع مسمعه ، إن ترك سار ، وإن غمز طار ، وإن ثنى انحرف ، وإن أمستوقف وقف ، أديب نجيب ، متين صليب ، صبور شكور ، والله تعالى يجعل السعادة مطلع غرته ، والإقبال معقد ناصيته .

### من كلام المتأخرين :

كتاب عن نائب الشام إلى الملك الصالح : شمس الدين صاحب مريدن قرين خيل متم بها إليه ، عن السلطان الملك الصالح : عماد الدين إسماعيل بن الناصر محمد ابن قلاوون - من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباته ، وهو بعد الانقلاب .

وأجرى بالنصر جواده ، وبالظفر مراده ، وعلى عوائد السعد مطالع شمسه التي يسميها عرف المملكة بلاد ، ولا زالت منيرة بسعادة شمسه الأحلاك ، نظيمة بذر محامده الأسلاك ، ماثلة خيول سعده حتى حمر السوايق من البروق والشهب السوانح في الأفلاك .

المملوك يقبل اليد التي إذا بسطت فلان تجود وتسلم ، وإذا قبضت فعلى سيف أوقلم .

ويُنهى بعد ولاء وثناء للإخلاص شارحين ، وفي الضائر والآفاق سائحين ، وأشتياق وعهد كانا أحق بالانتفاء لاسمه ونعته وكان أبواهما صالحين ؛ أن المرسوم الشريف زاده الله تعالى شرفا ، ورد يتضمن تشريف مولانا على العادة وإعظامه ، واستقرار مكانته من الخواطر الشريفة في دار مقامه ؛ واستمرار كرامته من الآراء المعظمة

(١) هي بالضم يياض في طرف آف الفرس . قاموس .



ولا يُتكرَم الصالح والصالح استمرار الكرامة ، وأنَّ الصَّدَقَاتِ الشَّرِيفَةَ أَنْعَمَتْ عَلَى  
مَوْلَانَا بِثَلَاثَةِ أَرْوَاسٍ مِنْ الْخَيْلِ كَثَلَاثَةِ الرِّاحِ ، إِلَّا أَنَّ حَبَابَهَا عَرِقَ سَبْقُهَا ، وَثَلَاثَةُ  
الشَّجَرِ (١) كَمَا قَالَ الطَّائِي تَسَاوَى شَرَفُ ثَمَرِهَا وَزَهْرُهَا وَعَرَفُهَا ، مَامِنْهَا إِلَّا مَنْ تَقْصُرُ  
الرِّيحُ أَنْ تَسْلُكَ بَحْثَهُ ، وَالْبُرُوقُ أَنْ تَتَّبَعَ نَهْجَهُ . وَمَنْ تَوَدَّ الثَّرَى أَنْ تَكُونَ لِحَامَهُ  
وَالْهَلَالُ أَنْ يَكُونَ سَرَجَهُ . وَمَنْ يَتَطَرَّ كَالْغَمَامِ وَيَرْكُضُ كَالسَّيْلِ . وَمَنْ كَلَّتْ حِلَالُهُ  
وَلَيْسَ حُلَّةُ الْفَخَّارِ فَشَى عَلَى الْخَالَتَيْنِ فِي الْخَلَّتَيْنِ مُسْبِلَ الذَّيْلِ . وَمَنْ عَقِدَ بِنَاصِيَتِهِ كُلَّ  
الْخَيْرِ وَعَقِدَ لَهُ لَوَاءَ الْفَخَّارِ عَلَى كُلِّ الْخَيْلِ : مِنْ كُلِّ خَصْرَاءٍ مُعْجِبَةٍ فِيهِ عَلَى الْمَجَازِ  
حَدِيثِهِ ، وَكُلِّ أَحْمَرٍ سَابِقٍ فَهُوَ الْبَرُّ عَلَى الْحَقِيقَةِ ، وَكُلِّ أَصْفَرٍ شَفِيقٍ إِلَّا أَنَّ الرِّيحَ  
مِنْ مُجَارَاتِهِ عَلَى نَفْسِهِا شَفِيقَةٍ . وَكَيْفَ لَا يُشَبَّهَ بِالشَّقِّقِ وَهُوَ مِنَ الْأَصَائِلِ ، وَكَيْفَ  
لَا يَفْتَحِرُ الْمُسْكِرُ بِهَذِهِ الْخَيْلِ وَخَنَاصِرُ عَدَدِهَا فِي الْحُسْنِ أَوَائِلُ ، قَدْ صُرِفَتْ وَجُوهُهَا  
الْمُقْبِلَةَ ، لِأَنَّ مَوْلَانَا أَحْسَنَ الْمَصَارِفِ ، وَكُنِيتُ عَوَارِفُ الْفَضْلِ فِي مَعَارِفِهِ الْمُسْتَبْلَةِ ،  
فَنَاهِيكَ مِنْهَا بِكَلَابِ عَوَارِفِ الْمَعَارِفِ ؛ وَوَصَلَ لِمَوْلَانَا بِذَلِكَ مِثَالُ شَرِيفٍ ؛ وَرَسَمَ  
لِلْمُلُوكِ بِتَجْهِيزِهَا مَع مَنْ يَرَاهُ ؛ وَقَدْ جَهَّزَ الْمُلُوكُ لَخِدْمَةِ مَوْلَانَا الْخَيْلَ الْمَذْكُورَةَ مَعَ الْمِثَالِ  
الشَّرِيفِ صَحْبَةَ فَلَاحٍ ، وَمَوْلَانَا أَدْرَى بِنَفَحَاتِ رِيَاضِ الْحَمْدِ بِهَذِهِ الدِّيمِ الْمُطْلَةِ ؛  
وَبِالتَّقْيِيلِ فِي الْأَرْضِ الَّتِي هِيَ سَمَاءُ حَوَافِرِ هَذِهِ الْخَيْلِ الَّتِي هِيَ أَهْلُهُ ؛ وَأَوْلَى أَنْ  
يَشْرَفَ الْمُلُوكُ بِمُحَامَاتِهِ ، وَيُؤْنَسَ لِحَفْظِهِ الْبَقْلَةَ مِنْ مَشْرِفَاتِهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى  
يَجْتَدِ لِمَعَالِيهِ فِي كُلِّ قَصْدٍ مُجْحَا ، وَيَعْلَى لِحَبْلِهِ فِي كُلِّ حَالٍ قَدْحَا ؛ وَيُرْوَعُ الْأَعْدَاءُ

(١) كذا في الأصل باستعمال من في غير المائل .

(٢) في الأصل يتطرق كالغمام ولعله مصحف عما أثبتناه يقال تطمرت الخيل إذا جاءت مسرعة يسبق

بعضها بعضاً تأمل .

(٣) في الأصل وجاد مجده تأمل .

من خَطَوَاتِ خَيْلِهِ فِي بِلَادِهِم بِالْمُنِيرَاتِ صُبْحًا ، وَمِنْ خَطَرَاتِ ذِكْرِهِ فِي قُلُوبِهِم بِالْمُورِيَّاتِ قَدْحًا .

وفي معناه :

يَقْبَلُ الْبَاسِطَةُ الشَّرِيفَةُ أَعْلَى اللَّهِ شَانَهَا ، وَجَمَلُ بَيْقَاتِهَا زَمَانَهَا ، وَضَاعَفَ عَلَى الْأَوْلِيَاءِ رِبَّهَا وَإِحْسَانَهَا .

وينبئ : أَنَّهُ أَتْبَاعَ جَوَادًا أَعْجَبَهُ ، وَطَرَفًا آتَنَحَّيَهُ ، وَقَدْ قَدَّمَهُ لَوْلَى نِعْمَتِهِ ، وَمَالِكٌ عُهُدَتِهِ : لِأَنَّ الْكَرَامَ لَا تَكُونُ إِلَّا عِنْدَ سَيِّدِ الْكَرَامِ ، وَالَّذِي يَصْلُحُ لِلْوَلَى عَلَى الْعَبْدِ حَرَامٌ ، فَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُ التَّوْفِيقَ ضِيَاءَ غُرَّتِهِ ، وَالْإِيمَانَ مَقْدَدَ نَاصِيَتِهِ ، وَالْإِقْبَالَ تَحْجِيلَ أَوْظَفَتِهِ ، وَالسَّعَادَةَ مَوْضِعَ الْجُلُوسِ مِنْ صَهْوَتِهِ ، وَالْمَمْلُوكَ يَسْأَلُ الْإِنْعَامَ يَقْبُولُهُ ، وَ[أَنْ] يَلْقَاهُ مِنْ ذَلِكَ [غَايَةً] مَأْمُولُهُ ؛ مَضَافًا إِلَى مَا سَبَقَ بِهِ سَابِقُ إِحْسَانِهِ الْعَمِيمِ ، وَفَضْلِهِ الْجَسِيمِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَحْرُسُهُ بَعِينُهُ الَّتِي لَا تَنَامُ ، آمِينَ .

### الأجوبة بوصول الخليل

جوابٌ عن نائب الشام إلى أميرأخوَر بالأبواب الشريفة ، عن وصول خليل إليه من الإنعام الشريف - من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، وهو بعد الألقاب :

لَا زَالَتْ مَبْشَرَةٌ بِأَعْظَمِ الْخَيْرِ وَكَرَامِ الْخَلِيلِ ، مَيَّسَرَةٌ لِلنَّعَاءِ بِسَوَاقِ السَّيْرِ كَدَوَاقِ السَّبِيلِ ؛ مُسْفِرَةٌ عَنْ إِيجَادِ سَوَاحِجٍ إِلَّا أَنَّهَُا فِي الْفَخَّارِ وَالشَّيَةِ ضَافِيَةُ الدَّبِيلِ ، سَفِيرَةٌ فِي الْجَوَادِ بِكُلِّ جَوَادٍ تَبَسُّمُ غُرَّتِهِ أَبْشَامُ النَّهَارِ وَيُدْرِكُ طَلَبَهُ إِدْرَاكُ اللَّيْلِ ؛ تَقْيِيلًا يَسْتَقْبِقُ أَسْتَبَاقَ الْحَيَادِ ؛ وَيَسْتَقِ عَلَى الدَّرَجِ أَنْسَاقَ الْعُقُودِ عَلَى الْأَجْيَادِ .

(١) النعم والنعمة والنصي والنماء ما ينعم به فكل الصواب الاتمام .

وَيُنْبِئِي بَعْدَ ثَنَاءٍ وَوَلَاءٍ : هَذَا يَهْمُ فِي كُلِّ وَادٍ ، وَهَذَا يَهْمُ بِمَثَلِهِ كُلُّ وَاذٍ ؛ وَرُودَ  
 مَشْرِفَةِ مَوْلَانَا الْكَرِيمَةِ بِمَا مَلَأَ الْقَلْبَ مَسْرَهُ ، وَالْعَيْنَ قُرَّهُ ، وَدَرَجَ عَامَ الْقِيلِ مِنْ نُجْبٍ  
 الْخَلِيلِ السَّيَّارَةِ مَسْتَهْلٍ وَغَرَّهُ ؛ فَقَابِلُهَا الْمَمْلُوكُ بِتَقْبِيلِهِ ، وَقَامَ لَهَا عَلَى قَدَمٍ تَجِيلِهِ ؛  
 ثُمَّ قَامَ إِلَى الْخَلِيلِ الشَّرِيفَةِ الْمَنْعَمِ بِهَا عَلَيْهِ فَقَبَّلَ مِنْ حَوَافِرِهَا أَهْلَةً ثُمَّ مِنْ غُرَرِهَا  
 نُجُومًا ، وَتَأَمَّلَ شَيَاتِهَا الْبَرْقِيَّةَ وَاسْتَمَطَرَ مِنَ السُّعُودِ غُيُومًا ؛ فَأَذْنَتْ لَهُ مِنَ الْإِقْبَالِ أَمَدَ  
 قَاصِبِهَا ، وَظَلَّ بِمَثَلِهِ الْخَيْرُ الْمَعْقُودُ بِنَوَاصِيهَا ؛ وَتَضَاعَفَتْ أَدْعِيَتُهُ الصَّالِحَةُ لِهَذِهِ الدَّوْلَةِ  
 الْقَاهِرَةِ الصَّالِحِيَّةُ زَادَهَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَالْوَقْتُ الَّذِي مَلَأَ الدُّنْيَا بِسَعَابِ جُودِهِ  
 وَرِيَاحِ جَيَادِهِ وَرِيَاضِ عَنَلِهِ ؛ وَالْمَلِكُ الَّذِي لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ، وَلَوْلَا سُهُودُ  
 الْمَهْدِ الشَّهِيدِيِّ لَقَالَ وَلَا لِأَحَدٍ مِنْ قَبْلِهِ ؛ وَأَعَدَّ الْمَمْلُوكُ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ مِنَ الْخَلِيلِ لِيُقْنِي  
 عَلَيْهَا بِالْقِتَالِ أَهْلَ التَّعْطِيلِ وَالتَّثْلِيثِ ، وَيَسْتَحْفَ بِهَا أَجَالَ الْأَعْدَاءِ بَيْنَ يَدَيْ  
 مَالِكِهِ ؛ فَلَهَا مِنْ ذَوَاتِ الْعَزِّ وَالْعِزِّ الْحَيِّثِ ؛ وَمَا هِيَ إِلَّا كَوَاكِبٍ سَعَدَ تَعْدُّهَا أَسْتَبْهَا  
 الْوَقَادَةُ ، وَزَهَرَاتُ حَسَنِ حَيْثُ بِهَا عَلَى الْبُعْدِ سِفَارَتُهُ الْمَتَادَةُ ؛ لِأَبْرَحَ مَوْلَانَا يَقْلُدُ  
 بِعَيْنَاتِهِ وَإِعَاتِهِ الْمِنْزَ الْجَسَامِ ، وَيَنْصُرُ بِعِزَائِمِهِ الْقَاطِعَةَ ، وَكَيْفَ لَا يَنْصُرُ وَيَقْطَعُ  
 وَهُوَ الْحَسَامُ ؟ .

وله في جواب وصول أكديش وبازر [وكوهية] :

لَا زَالَ جَزِيلًا سَمَاحُهُ ، جَمِيلًا مِنَ الْحَمْدِ رَبَّاحُهُ ، جَلِيلًا بِرُهُ الَّذِي يَشْهَدُ بِهِ طَائِرُ  
 الْخَلِيرِ وَيَمْنُهُ وَطَائِلُ الْخَلِيلِ وَتَجَاحُهُ . هَذِهِ الْمَفَاوِضَةُ تُهْدِي إِلَيْهِ سَلَامًا يَنْفُخُ جَنَاحُهُ ،  
 وَثَنَاءً تُشْرِقُ غُرَّهُ وَأَوْضَاحُهُ ؛ وَتَوْصَحُّ لِعَلَمِهِ الْكَرِيمِ وَرُودَ مَكَاتِبِهِ سَرِيعَةِ الْأَحْتِثَاتِ ،  
 طَائِرَةٌ يَمْنُ طَرَسُهَا وَهَدَيْتُهَا بِأَجْنِحَةٍ مَتْنَى وَثَلَاثَ ؛ فَخَصَلَ الْوُقُوفُ عَلَيْهَا ، وَتَجَدَّدَ  
 عَهْدُ الْأَرِيَاكِجِ لَدَيْهَا ؛ وَقَهْمُنَا مَا لَمْ تَزَلْ فَهْمُهُ مِنْ وَدِّ الْجَنَابِ الْعَالِي ، وَبِرِّ الْمُتَعَالَى ؛

ووفاء عهده الذى نتقاه المحامدُ بأمالى المحبِّ لأمالى القالى، ووصل الأكديش الايكر  
ظاهراً حسنه، سافرا عن وفق المراد يُمنه؛ تجمل به المواكب، وتماشيه الرياحُ  
وبعضها من خلفه جنائب؛ وكذلك وصل البازى والكوهية، وكلاهما يدعُ  
الأوصاف، سريحُ الأخطاف لأزاهير الطير والأخطاف، يسبقُ الطرفَ بجماعه  
الأموح، ويستعجل من الأفق واردة الرزق المنوح؛ ويواصل الخير والمير إلى المطبخ،  
فكان حوامج كاش تقنو إليه وتروح؛ لأبرح إحسانُ الحناب العالى وإصلا، وذكره  
في ضمير الإعتداد حاصلا؛ وحكم سماحته وشجاعته باستحقاق الثناء فاصلا .

جواب بوصول جوارح :

كُتِبَ به عن نائب الشام، جواباً لمطالعة وردت على نائب الشام من الصالح  
صاحب ماريدين من بقايا بنى أرتق، محبة سناقر، هدية للصالح إسماعيل بن الناصر  
محمد بن قلاوون : صاحب الديار المصرية . من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة :

وأيد هممه السوايح، ونعمه السوايح، وشبهه التى تنظم منها عليه دُرر المحامد  
والمناجح؛ وشكر هداياه التى منها جوارح طير تحقق لقرط استحسنها الجوارح .  
ولا زال من أجنحة نصره حتى السماء الرابع؛ ومن جنود سعيه للأولياء سعدُ  
السود، وفي الأعداء سعدُ الناجح؛ ومن جياذ ركابه الشهب إلا أنها شهبُ الأفلاك  
السوايح؛ ولا برح سلطان البسيطة مكافئاً عمل قلبه الوفي، ولا ينكر العمل بالقلوب  
بين الصالح والصالح .

المملوك يقبل الأرض التى تستمد الشحب من سمائها، وتستعد منازل الأنجم للتعلم  
من أنوائها؛ ثقيلاً يودع ورق الرسائل أزاهيره، ويطلع في ليلى السطور زواهره،  
ويتخفى أبداً الحروف إلى أن يصل إلى أجياد المتأبرج جواهره .

ويُنهي - بعد دعاء صالح، إذا جُتد تجدد، وولاء ناجح، إذا أنعطف تأكد، وشاء  
 سانح، إذا سرى لا يتوقف إلا أن تسمعه في الآفاق يتردد، وأرتياح لما يرد من  
 أخبار دياره السارة إذا شافه سروره سمع الوليَّ شهد وسمع الحاسد تشهد، حيث  
 يتلقى ببلاده النجح والمقاصد، وصلات البر والعوائد، وفؤود الآمال من كل أوب:  
 فديار بكر ديار زيد وعمرو وخالد - ورود المشرف الكرم، بل الغيث السائر يخصب  
 المقيم، على يد فلان ونعم اليد المائلة لأيدى البر العيم، ونعم المشرف الوارد عن  
 مقر: هذا للأمل كهف وهذا للتأمل رقيم؛ ففضه المملوك عن علامة أسم لحسنا  
 وسوم، ولها رؤوم، وأستجلى مواقع تلك الأنايل المضية وأقسم على فضلها بواقع  
 النجوم؛ وآتتهى إلى الإشارات العالیه، وعلم ما كان القلب يعلمه من ضمائر الود  
 الحالیه لا الخالیه، وقابل كل أمر حسن بما يجب من مذاهب الود المتوالیه،  
 ووصلت السناقر المتيرسنا فضلها، المير في معارك الصيد شبا نصلها، القائمة  
 في كواير الطير مقام الملوك الأکسرة إلا في حكمها وعندلها؛ لا جرم أنها إذا  
 دخلت آفاق طير أفسدتها وجعلت أعزرة أهلها أنله؛ وإذا أقضت على سرب  
 وحش جذبتها من دم الأوردة بأرسان حيث كستها من قوادم الأجنحة أجله؛  
 لأيسأل كاسرها في الطيور بأى ذنب قتلت، ولا يجملها جانب الطير والوحش إذا  
 عاندته فإعجبا لها على أيدي البشر كيف جملت؛ تظل الصيد فلا عجب أن يفرع بها  
 من ظله، وتكتب عنايم الثين والظفر بما في لونها من شبه الخط وشكله، نعم  
 الجالبة للخير والمير، والسارة بما يخيف المصيدات وكيف لا؟ وعلى رؤومها  
 الطير، أزاير حسن لا يدع أن يكون لها كآيم، وبوارق العزم لا جرم أن أجنحتها  
 غمايم، ونواقل الباس والكرم عن مرسلها فهما جمعت الشجاعة فرقته المكارم.  
 أستجلاها المملوك بعد أفاظ المشرف الكرم فقال: (تلك الرياض وهذه السحب،

وتلك الأنوار الهادية وهذه في أفق مطارها الشهب ، وجهاز المملوك المطالمة المحصرة  
للأبواب الشريفة أعلاها الله وشرفها على يد فلان المذكور فقوبل بالإكرام والكرم ،  
ومثل بالمواقف الشريفة مثولا رقى بهمته إلى الكواكب لا جرم ، وذكر بصالح  
بيت الارتقاء صالح بيت أرتقى حتى أنشد :

فهل درى البيت أنى بعد فرقته \* ما سرت من حرم إلا إلى حرم !

وقد عاد معلما من البشر بما يراه مولانا عليه ، معلما بما تقدم من نجوى الإتمام  
بين يديه ، حاملا من كرم وجاه يعدان للأولياء في يوم نزل وللأعداء في يوم نزال ، قائلا  
برجاء سعيه المؤمن : (يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) ولن نزال ، والله تعالى  
يُجزي كرم مولانا على عوائد إسماعده ، ويحرم بينه وملائكنه نفاسة نفسه وبلاده ،  
ويدخله بأسمه ومسماه لدى الدنيا والآخرة في الصالحين من عباده .

وله جواب بوصول بازين :

ولا زالت بزاة كرمه على الحمد مطله ، وصحائبه مستهله ، وهمه مستقلة بأعباء  
المكارم وإن كانت لكثير ما يهديه مستقلة . هذه المفاوضة تهدي إليه من السلام  
أجله ، وتوضح لعله الكريم ووصول مكاتبة العالية فوقنا عليها ، وعوذناها بكلمات  
النساء التسامة من خلفها ومن بين يديها ، وعلما ما لم نزل نعلمه من موالاته وآلاته  
المستند في الشكر عنها والمستند في الولاء إليها ، ووصل كلا البازين الحسين الحسين  
كأنهما فرقا سماء قد اجتمعا ، وقرأ حسين طلعا ، وعلى محاسن الصيد طلعا ، سمران  
القلوب والأبصار ، ويحمل كل منهما على التمين فيحصل به اليسار ، وما هما بأول  
إحسانه الأنسى ، ويره الأثنى ، وأبديه التي أبى الكرم إلا أن ترد مثنى مثنى . وعلم  
اعتذاره عن الكهوية التي كانت أدتورها فتفتت ، ولو أقيمت بها أسواق الصيد

فَنَقَتْ ، وَأَرْسَلَ بِرَوَايَتِهَا تَحْقِيقًا لِدَعْوَى الْمَكَارِمِ الَّتِي مِنْ زَمَانٍ تَحَقَّقَتْ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى  
يَشْكُرُ بِرَّهُ ، وَيَعْلَمُ بِذِكْرِهِ بِحَرَ التَّنَاءِ وَبِرَّهُ .

وله جوابٌ بوصول كوهيتين على يد شخص اسمه باشق :

لَا زَالَتِ الْحَمَامُ مِنْ مَصَائِدِ إِنْعَامِهِ ، وَفَوَائِدِ أَيَّامِهِ ؛ وَثَمَرَاتِ الْبَاسِ وَالكَرَمِ مِنْ  
قَضْبِ سُيُوفِهِ وَأَقْلَامِهِ ؛ تَقْبِيلَ مَعْرِفٍ بِإِحْسَانِهِ ، مَغْتَرِفٍ مِنْ مَوَارِدِ أَمْتِنَانِهَا ؛ مُتَحِفٍ  
مِنْهَا بِعَالِي مُتَحِفٍ تَدُلُّ عَلَى مَكَانِهَا فِي الْفَضْلِ وَإِمْكَانِهَا .

وَيُنْهِى وَرُودَ مُشْرِفٍ مَوْلَانَا الْكَرِيمِ عَلَى يَدِ الْوَلَدِ « بَاشَق » فَيَالَهُ بِاشَقُّ جَاءَ  
بِكُوهيتين جيلتين ، وَطَارَ لِلشَّرْعَةِ وَهُوَ حَامِلٌ مِثْلَيْنِ جِلْيَتَيْنِ ؛ وَقَدْ وَصَلْنَا وَ[ كُنَّا ] هَا  
حَسَنَةُ الْخُبَرِ وَالْخَبَرِ ، حَمِيدَةُ الْوَرْدِ وَالصَّدْرِ ، يَحْسُنُ مَسْرَى كُلِّ مِنْهُمَا وَسِيرُهُ ، وَيَتَحَمَّلُ بَيْنَهُمَا  
بَابُ الشُّكْرِ خَانَاهُ وَصَدْرُهَا وَيَكْثُرُ خَيْرُ الْمَطْبُخِ وَمِيزُهُ ، فَذَلِكَ الْمَلُوكُ إِلَيْهَا يَدُ الْمُتَحَمِّلَةِ  
الْحَامِلَةِ ، وَإِلَى الْمَشْرِفِ الْكَرِيمِ يَدُ الْمُتَوَلِّئَةِ الْمُتَنَاوِلَةِ ؛ وَعِلْمُ مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الْحُسْنِ  
وَالْإِحْسَانِ ، وَذِكْرُ الْمَوَالَةِ الَّتِي يَحْكُمُ بِهَا الْقَلْبُ الْعَالِمُ قَبْلَ شَهَادَةِ اللِّسَانِ ؛ وَاعْتِدَارِ  
مَوْلَانَا عَنْ تَعَدُّ وَجُودِ الشَّاهِينَ ؛ وَكُلُّ إِحْسَانٍ مَوْلَانَا شَيْءٌ كَافٍ ، وَكُلُّ مَوَارِدِ  
نِعْمَةٍ هِيَ صَافِي ، وَمَوَافَاتٍ مَقْصَدٌ وَإِنْعَامٌ مَوْلَانَا وَرَأَى طَلَبُهُ وَإِنْ طَالَ الْأَمَدُ ، وَلَا فَرْقَ  
مَطْلُوبٌ حَتَّى يَأْتِيَ بِهِ سَعْدُ مَوْلَانَا مَقْرُونًا فِي صَقْدٍ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَشْكُرُ عَوَائِدَ فَضْلِهِ ،  
وَلَا يُضَيِّحِي الْأَمَالَ الْمُتَجَنِّةَ [ إِلَيْهِ ] مِنْ ظِلِّهِ .

جواب بوصول طيور، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة :

وَشَكَرَ هَدَايَاهُ الْمُتَقَبَّلَةَ ، وَبِحَبَابِهَا الَّتِي هِيَ بِأَفْوَاهِ الْحَمَامِ مُقْبَلَةً ، وَلَا زَالَ بِدَرِّ سَعَادَتِهِ  
الْمَامُولَةِ وَطَارَتْ هَدِيَّتُهُ الْمُتَأَمَّلَةَ .

صدرت هذه المكتبة إلى الجناح المالى تُهْدَى إليه من السلام أئمة، ومن الثناء أئمة؛ وتوضح لعلمه الكريم وُرودَ مكاتبة الكريمة، ومكاريه العِميمة؛ وطُيُورِ هديته التى كُلُّ منها فى الحُسْنِ بدرتِمْ، وظهرتْ ظُهورَ البدرِ لِتَمامه فأبتْ عَاسِنُها أَنْ تُكْتِمَ، فحُسْنُ وُرُودِها، ورُعى بفضلِ التلطف والتودد مقصودِها؛ وأقبلتْ تلكَ الطيورُ التَّمةَ تامةَ الإِنعام، دالةٌ بِمُخْمِنِ طائرِها على بركة عامَّة وكيف لا؟ وقد جاءت بيضاءَ عددَ شهورِ العام؛ والله تعالى يزيده من فضله، ويُجْرِى الأقدارَ بالسُّمُودِ الشاملة لجمعه الجامعة لِشُملِه؛ إن شاء الله تعالى .

جواب فى المعنى؛ من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة أيضا :

لا زالت الجوارحُ شاهدةً بِبرِّه، والجوائحُ حائمةُ الجناحِ على شَرِيفِ ذِكْرِه؛ والمحامدُ من مَصائِدِ أَقْلامِه وِرماحه فى السُّلْمِ والحَرْبِ : فإِما بِقَوادِمِ ثَمَرِه ، وإِما بِمَنايِرِ مُرِه ؛ تَقِيلًا يَبْعُثُه على أَجنحةِ أوراقِ الرِّسائلِ ، وَيَتَصَيَّدُ به على البُعدِ مِشاَفَهةً تلكَ الأناملِ الجَلَّالِ .

وَيُنهى بعد دعاء، تُخلَقُ إلى السماءَ كَلِماتُه الحَسَنَة ، وَوَلَّاهُ وِشاءَ : هذا تَحْفِيقُ بِتَشَوُّقه أَجنحةُ القلوبِ ، وهذا تَحْفِيقُ بِذِكْرِه أَجنحةُ الأَلْسِنَة - أَنَّ كَتابَ مولانا وَرَدَ على الملوِكِ فأورَدَ عليه المَسارَ ؛ و[ملاً] يده بالمَبَّارِ ، ومَصائِدِه بِالْمَيِّرِ ، وَمَنازِلَه بِالخَيْرِ ؛ وآماله بِأمالِ الكَرَمِ لَذى السَرحاتِ المَنشَرجِ بِأَيَةِ (وَعَلَّمَنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ) فقابِلِه الملوِكُ بِتَقْبيلِه ؛ وواصلَ فَضْلَ الإِعتِدادِ بِتَفْضيلِه ، وَحَصَلَ مِنْ هَذا بِإِياها وَهَذاها على جَملةِ الإِحسانِ وَتَفْصِيلِه ؛ وَاتَّهى إلى الإِشاراتِ العالِيَة التى زَكَّتْ على العِيانِ وَتَأَمَّلِه وَأَرَبَّتْ على الجَنانِ وَتَأَمَّلِه .



فأما الإنعام بالكوهيتين اللتين ماقدف البحر إلى الساحل أبهى من درهما  
المكنونه ، وأزهر من وجوههما المباركة الميمونه ، فقد وصل كلا الطائرتين يمينه ،  
والسابقين يمنة ، والغائسين في جَوْ السماء الآتين من الصُّبُود بأوفى من قطرات مونه ،  
وأستقبل المملوك منهما وجوه المسار ، وحملت يمينه الثروة وحملت على اليسار ،  
وتناولت يده يدي إحسان يسر الناظرين والسامعين ، وأستخدما للشكر خافاه ولحفظ  
مطبخ يملأ عيون المشبعين والجائعين ، وقال صنع الله لصناعتهما : اثبتا بصُود السماء  
طوعاً أو كرهاً (قائلاً آتينا طائعين) . قد كتبت باليمن في مطاوي ريشها أشباه الحُرُوف ،  
وقضى الجود لئلك الأحراف أن تقرى ما تقرى عوامى الطير له بطاقة تفيد السابح  
في طلقه ، ويعود مطلقها وقد أزم نجاح الطير طائرَه في عُقه ، فشكر الله إحيان  
مولانا الذى ألحف الأمل جناحه ، والقصد نجاحه ، وبره الذى أحمد في سوانح  
الطير وبوارحه مساءً وصباحه ، وعلم ما أشار مولانا إليه في أمر فلان وأمره علم  
الله تعالى في الخاطر حاضر ، وما يؤثر شغلُه عن إهمال وعائب الإهمال غادر ،  
وما أشار إليه في أمر فلان أمير شكّاره وأمير شكر المملوك ، وتقدم بخلاص حقه ،  
وأستزل بهديته قضاء الشغل من أفقه ، لأبرح مولانا ممثلاً الأوامر ، هامي محب  
البرّ الهوامر ، مجدداً في كل وقت نعى ، مالتاً بهداياه قلوب محبيه وبيوتهم شفاً ولحماً ،  
إن شاء الله تعالى .

وله جواب في وصول طيور العقق :

لا زالت متصلة من إرفاها وإرفاقها ، نازلة على حُكْمها [ الأشياء ] حتى  
الطير العاقّة من آفاقها ، خافقة أعلام نصرها بالأجنحة مؤمنة لظنون القاصدين من

إخفائها ، تقييل مطلق لسان الحميد على عوائيد إطلاقها ، مجتن ثمرات الإحسان من غصون أعلامها وغصون أوراقها .

وينهى ورود مشرف مولانا العالى على يد الولد فلان فوق الملوك عليه ، وعلم من جميل الاحتفال ما أشار إليه ، وأنه موقع على المقصود من طيور العقيق فأوقعها من مطارها ، وأستقرت من أوكار أفعها وأفق أوكارها ، وأرسلها قرين مشرفه الكريم ، وقد عتق الأمل بعقدها النظيم ، ووصلت سبعة كمد أيام الجمعة الكاملة ، والكواكب المائلة ، والسّموات لاجرم أن تحبب يمينها هامله ، حسنة الشكل الموصوف والوصف وإن كان مع عقوقه المألوف ، طائفة لأوامر توقيعه فساعق منها شيء غير تصعّف أسمها المعروف ، لابرّح إحسان مولانا متقنا ، وبره الجزيل متبرّطاً ، وغصن قلبه بأنواع المكارم متفرّطاً .

وله جواب بوصول يمينات ، وإوز صيني ، وطلب إمرة عشرة :

حمى الله تلك النعمة من الغير ، وأطلعها عليه بأمن الفر ، ولا يرح طائر منه كوصفه أبيض الخبر والخبر . هذه المفاوضة إلى الجنب الكريم تهدي إليه سلاماً يشوق الصباح ، وثناء خفاق الجناح ، وتوضّع لعلمه الكريم ورود مكاتبه الكريمة جميلة الفوائد ، جليّة المصايد ، تميّة البثور المتناولة من منال الفراقيد ، فوقتنا بالأشواق عليها ، وعطفنا على العادة بتأكيد الولاء إليها ، ووصلت تلك التمام واضحة الأنوار ، لائحة كياض النوار ، تامة تمام ميقات موسى عليه السلام إلا أنها لياضها كأربعين نهار ، وكذلك البط الصيني كأيام الحج عشرة كاملة ، مفرّضا على عشرتها ولاء القلوب المتألمة الأمل ، صينية مملوءة بحاسن الألوان التي هي بغير مثل مائله ، وحصل الاعتداد ببره ، والإزدياد لجمده وشكره ، وفهمنا ما ذكره من إمرة العشرة التي انحلت

عن فلان، وقد طألتنا بأمرها، وعجلنا بذكريها، وزجوا أن يسجل بإمانها المنتظرة،  
 وأن يقابل بخوافق أعلامها خوافق بطله فتقابل عشرة بعشرة، والله تعالى يسجل  
 لمآليه الصعود، ويؤكد لمساغيه السُّعود؛ إن شاء الله تعالى .

### الأجوبة عن وصول الصيود ولحومها

جواب عن نائب الشام إلى نائب حلب بوصول [لحم] طير صيد قديد وصحبتة  
 بطيخ أخضر، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة . وهو بعد الألقاب :

لا زالت تُقتنص المحامد بعمايه المكره، وأوابد الصيد برمايه المقترة، ورفاق  
 الإنس والوحش : إما بسهام نعمة المتواترة، وإما بسهام قسيه المؤترة؛ ولا برحت  
 تفحات مكارمه، تشهد أن المسك بعض دم الغزال، وسرحات عزائم، تمتد  
 في صيد الوحش لقرى تزيل أو في صيد الأعداء لتقير رزاق؛ تقيلاً تنطف أجساد  
 الطباء لمحاولة عقوده، وتردح أفواه الأولياء على مشافهة وروده .

ويُنهى بعد ولأ تقوم الخواطر الكريمة في دَعَواه مقام شهوده، وشوق لا تزال  
 النسمات الشمالية قاضية باستمرار وفوده - أت مشرف مولانا الكريم ورد على المملوك  
 على يد فلان وصحبته الإنعام المتجدد، وإن كان قديماً في المعنى، والطم القدید،  
 وإن كان أطرى من الروض النضير حسنا، والسمين المحبوب وإن كان كحال عده  
 الذين تُقدّ جُسومهم في الحياة قبل الممات حُزنا، فقابل المملوك المشرف الكريم،  
 بتقيل أثره، والإنعام العميم، بقبول مُسعدِه ومُسعِفِه، وعاطفهما بجوانح آماله،  
 وأخذ الكتب والبرسكا يقال يمينه وشماله، فإلها من ظباء تمشق وإن بليت  
 محاسنها، وغزلان تَنَازَل وإن بادت عيونها إلا أنه ماباد حُب من يعاينها، وصيود  
 تُوصف وإن قصبتها قصد السهام بطن، وتبقى بقرونها القتال والقسى تالية :

(كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ) . سَلَكْتُ خِيُولُ مَوْلَانَا لَقَنْتَهَا الْمَصَابِعَ  
وَأَتَحَنَّاهَا الْآكِلُونَ سَهْلًا ، وَتَصَيَّدَهَا مِنَ الْفَلَاءِ وَأَصْطَادَهَا الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمِقْلَى ؛  
ووصل معه الْبَطِيخُ الْأَخْضَرُ فَشَبَّهَ بِنَارِ الْجَنَّةِ الْمَشْبُوهُونَ ؛ وَقِيلَ : هَكَذَا تَرْتِيبُ مَا كَلَى  
الْجَنَّةَ لَمْ فِيهَا فَا كَهْهُ وَلَمْ طَيْرٌ مِمَّا يَسْتَهْوُونَ ؛ لَا زَالَتْ مِنْ مَوْلَانَا مَشْرُوحَةٌ  
مَشْرُوعَةٌ ، وَثَمَرَاتُ نَعِيمِهِ مِنَ الدُّنْيَا كَثُرَتْ أَهْلُ الْجَنَّةِ غَيْرَ مَقْطُوعَةٌ وَلَا مَمْنُوعَةٌ ؛  
بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ .

أَجُوبَةُ هَدَايَا الْفَوَاكِهَةِ وَمَا فِي مَعْنَاهَا

الشيخ جمال الدين بن نباتة :

جَوَابُ وَصُولِ شَمِشِ لَوْلُؤِيٍّ وَدَغَيْشِيٍّ مِنْ حَمَاءِهِ .

بَسَطَ اللَّهُ ظِلَّهَا وَنَدَّاهَا ، وَأَطْلَعَ بِالْيَمِينِ نُجُومَ هَدْيِهَا وَهَدَّاهَا ؛ وَلَا زَالَتْ مَوَاهِبُ  
بَحْرِهَا لَوْلُؤِيَّهِ ، وَشَوَاهِدُ يَمِينِهَا كَوْكِبِيَّةٌ ، وَثَمَرَاتُ جُودِهَا فَضِيَّةُ الْأَعْيَانِ ذَهَبِيَّةٌ ، تَقِيلُ  
حَلَّتْ مَوَاقِعُهُ ، وَجَلَّتْ مَطَالِمُهُ .

وَيَنْهَى بَعْدَ وِلَايَةِ وَحِيدٍ : هَذَا قَدْ ثَبَّتَتْ فِي الْقَلْبِ شَرِيعَتُهُ وَهَذَا قَدْ عَذَّبَتْ  
فِي السَّمْعِ مِشَارِعَهُ ، أَنَّ مَشْرِفَةَ مَوْلَانَا الْكَرِيمَةِ وَرَدَّتْ عَلَى الْمُلُوكِ تَتَضَمَّنُ الْحُسْنَ  
وَالْإِحْسَانَ ، وَيَمِينُ الْبِرِّ الشَّامِلُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ ؛ وَعَهْدُ الْمَحَبَّةِ الَّتِي حَكَتْ فِيهِ بِلَعْنِهَا  
الْقُلُوبُ فَمَا تَحْتَاجُ إِلَى بَيِّنَةٍ لِسَانٍ ؛ فَقَابِلُهَا الْمُلُوكُ مَقْبَلًا ، وَاسْتَجْلَى وَجْهَ الْوُدِّ وَالْإِحْسَانِ  
مُقْبَلًا ؛ وَوَصَلَ الْمِشْمِشُ الَّذِي شَفَى لَوْلُؤِيَّهِ نَظَرَ النَّاطِرِينَ ، وَنَوْعُهُ الْآخِرُ الدَغَيْشِيُّ  
الَّذِي هُوَ الشَّهَدُ بِحُسْنِهِ وَلَا يُدْعَمُشُ بِاسْمِهِ عَلَى الْحَاضِرِينَ ، فَتَنَاولَ الْمُلُوكُ عَوَارِفَ  
رَبِّهِ الْمَعْرُوفِ وَالْمُبْتَكِرِ ، وَاسْتَضَاءَ نُجُومُهُ الْمَتَرَدَّةُ مُنْشِدًا قَوْلَ الْمَعْرِيِّ : ( كَمْ دُرُوبٌ ،  
وَكَمْ يُرْنَ هَذِهِ الْأَكْرَى ) ، وَقَالَ : شَكَرَ اللَّهُ هَذِهِ الْمَتْنَ الْحُلُوءَةَ الثَّمَرَاتِ ، الْمُتَّصِلَةَ

الخطرات ؛ وهذه المجاني التي طابت أصولها وفروعها فلا أبعدن الله من شجرات ،  
وحيا حماة وما جلبت ، وجنبت ذلك الوادى وما أنجبت ؛ وحدائق ذلك العاصي  
الذى أطاع ببركة مولانا فأنبت أحلى وأحل ما نبت ؛ وقد جهز المملوك هذه الخدمة  
منطوية على وظائف الحمد المستجادة ، ولطائف الحب المستفاده ؛ وحمد المني التي  
لا تزال من مولانا عادة ومن المحيين شماده . لا يرحب يد مولانا الكريمة إن بسطت  
فيوائد إنصامها ، وإن قبضت فعلى سيوفها لمصالح الدول وأقلامها ، وإن زهت  
فروع المكارم ، تساقطت ثمرات برها من زهرات أكلامها .

جواب بوصول مشمش ويطيخ حلي ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة .

وينهى بعد ولاية وشاء : لهذا في الأسماع أزهى وأزهر ثمره ، ولهذا في القلوب  
أزنى وأرفع تجرم وروود المشرف الكريم على يد فلان بما ملا السمع من أخبار  
مولانا المرتبة سرورا ، والعين من آثار يده الكريمة نورا ؛ والقلم من هدايا المشمش  
الحموي كسوس لذة كان مزاجها كافورا ؛ فقبل المملوك أسطره مستحيا مواقع  
رشفاته ، وقابله بعوائد المحامد مستجليا عوائد آفئاداته وصلاته ؛ ومد يده وفكره  
فالتقط النجوم المشرقة من هداياه وكلماته ، وتقلد جواهر المبرات الحسنة المحسنة ،  
والثروات التي جاءت بديرة القدوم وإن كانت نجوية الهيئات المكونة ؛ واستصوب  
نتائج الغيث فقال : لعل هذه بنادق قوس السماء الملوثة ، وصفا وطاب ظاهرها  
وقلبها وكذا تكون صفات قوى القلوب المؤمنة ؛ والمؤمن حلوى لاجرم ، والحموي  
على تحججه الخراساني أولى بفصاحة الفخار والكرم ؛ لا زالت فعلات من مولانا  
مستجاده ، ونعمه لاسيما المشمشية مستزاده ؛ وآفئاداته المشهورة لدى ممالكه

وَحَبِيَّهِ مِنْهُ عَادَةً وَمِنْهُمْ شَهَادَةٌ ؛ وَجَاءَتْ فَالْكُهُ الْبَطِيخُ الْحَلِيّ وَقد رَضَعَ حَلَبَ الْغَنَامِ  
فَانْتَجَبَ ، وَأَسْتَوَىٰ بِأُطْنِ وَظَاهِرُهُ فِي الْحُسْنِ فَأَنْجَبَ مِنْ حِينَ أَعْشَبَ ؛ وَأَسْتَطَابَ  
الذُّوقُ وَالشَّمُّ مَطْعَمُهُ وَأَنْفَاسُهُ ، وَوُصِفَ بِالرُّعُوسِ فَضَمَّهُ كُلُّ مَنَاقٍ وَقَبْلَ رَأْسِهِ ؛  
وَقَالَ : نَعَمْ الْمَدِيَّةُ السَّرِيَّةُ ، وَالْفَاكُهُ الَّتِي طَلَعَتْ حُرْزَ [ها] هَلَالِيَّةٌ وَتَمَرَّتْهَا بِدَرِيهِ .  
جَوَابٌ عَنْ وَصُولِ بَطِيخِ حَلِيّ ، مِنْ إِنْشَائِهِ أَيْضًا ، [وَهُوَ] بَعْدَ الْإِلْقَابِ :

وَشَكَرَ تَجَاوَاهُ الَّتِي عَلَتْ ، وَهَدَايَاهُ الَّتِي تَكَرَّرَتْ خَفَلَتْ ، وَأَقْفَادَاتِهِ الَّتِي طَابَ ظَاهِرُهَا  
وَبَاطِنُهَا فَكَانَهَا مِنْ أَخْلَاقِهِ الْجَمِيلَةِ قُلَّتْ ؛ أَصْدَرَهَا تُهْدِي إِلَيْهِ سَلَامًا يَتَقَدَّمُ  
كَهْدِيَّتِهِ نَسِيمُهُ الْعَاطِرُ ، وَشَاءَ يُنْتِجَ أَطْيَابَ الثَّمَرِ مَقْدَمَاتُ غَيْثِهِ الْمَاطِرُ ، وَتَوْصَحَ لَعَلَّمَهُ  
الْكَرِيمُ أَنَّ مَكَاتِبَهُ الْكَرِيمَ قَوَّرَتْ خَسَنَتْ بِالْوَدِّ مَشَافَهَتَهَا ، وَأَقْرَتْ فِي الْأَسْمَاعِ فَالِكَهْتَهَا  
وَمُقَا كَهْتَهَا ؛ وَوَصَلَ الْبَطِيخُ فَلَهُ دُرٌّ حَلَبِهِ وَدُرٌّ جَلِيهِ ، لَقَدْ حَسُنَتْ فِي مَلَاذِ الْمَطَاعِمِ  
طَرِيقَتُهُ الْمَرْضِيَّةُ ، وَلَقَدْ أَشْبَهَ الْقَنَادِيلَ بِتَكْوِينِهِ وَفَتِيلَةَ عِرْقِهِ فَلَا جَرَمَ أَنَّ قَنَادِيلَهُ  
عِنْدَ الشُّكْرِ مُضِيَّةٌ ، وَلَقَدْ مَلَأَ خَبْرَهُ وَخُبْرَهُ عَيْنَ الْبَصَرِ وَأَذَّنَ الْمُصْبِخُ ، وَلَقَدْ خَلَقَ دَوَاءً  
لِلْأَجْسَامِ حَتَّى سَمِعَ قَوْلَ الْحَلِيبِينَ لِلْأَرْمَدِ : دَوَاؤُكَ الْبَطِيخُ ؛ فَشَكَرَ اللَّهُ إِحْسَانُ الْجَنَابِ  
الْعَالِي ، وَرَبِّهِ الْمُتَوَالِي ؛ وَعَلَى الْوَالِدِ وَالْوَلَدِ وَمَنْ عِنْدَهُمَا سَلَامُ الْحُبِّ الْمُتَغَالِي ، وَاللهُ  
تَعَالَى يَحْفَظُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْفَضْلِ مَا وَهَبَ ، وَيَرْزُقُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَيَرْزُقُ الْفَلَنَ فِيهِمْ  
مَا حَسِبَ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَلَهُ أَيْضًا جَوَابٌ بِوَصُولِ بَطِيخِ حَلِيّ ، وَهُوَ بَعْدَ الْإِلْقَابِ :

وَشَكَرَ إِحْسَانَهُ الَّذِي حَلَا مَذَاقَهُ ، وَزَكَّتْ أَعْرَاقَهُ ، وَحَيَّا عَلَى الْبُعْدِ تَحِيَّةَ طَبِيبَةٍ  
نَفَحَتْ بِهَا أَزْهَارُ الْكَلْبِ وَأَثْمَرَتْ أَوْرَاقُهُ ؛ هَذِهِ الْمَفَاوِضَةُ تُهْدِي إِلَيْهِ سَلَامًا طَيِّبًا  
كَهْدِيَّتِهِ ، وَشَاءَ زَايَا كَطَوِيَّتِهِ ، وَتَوْصَحَ لَعَلَّمَهُ الْكَرِيمُ وَرُودَ مَكَاتِبِهِ الْجَامِعَةِ حَسَنَ

الأقوال والأفعال، المطيلة بوارِدِ غَمَامِهَا أَطْيَبَ الثَّرَفِ الحال؛ فَأَحْبَتَ وَلَاءَ حَانِيْ  
لوجوده من العدم، وَجَدَّتْ عهدَ الْبَشَرِ - وما بِالْمَهْدِ من قَدَمٍ - ووصلَ الْبَطِيخُ  
الْحَلِيَّ أَصْلَهُ، الْحَمْوَى فَضْلَهُ، الدَّمَشْقِيَّ شُمَّهُ وَشَمَهُ وَأَكَلَهُ، اللَّيْكَى لَا سِيَّماً من الْأَهْلَةِ  
الْمَجْتَمِعَةِ شَكْلَهُ؛ فَكَرَّمْ مَطْلَعاً، وَحَسِّنْ من الْأَفْوَاهِ مَوْقِعاً؛ وَعِمِ الْحَاضِرِينَ نَوَالاً،  
وَأَشْتَمِلْهُمْ بِعَطْفِ الْإِحْسَانِ أَشْتِمَالاً، وَأَخِذِ الْعَلَامَ السَّكِينِ :

فَقَطِّعْ بِالْبَرْقِ شَمْسَ الضُّحَى \* وَنَاولْ كُلَّ هَلَالٍ هَلَالاً

لَا بَلَّ أَهْلَةً كَثُرَ تَعْدَادُهَا، وَكَرَّرَ تَرْدَادُهَا، وَرَصَدَ قُرْبَهَا وَلَا نَقُولُ كَمَا يَقُولُ أَصْحَابُ  
الْمَيْسَةِ أَبْعَادُهَا، فَشَكَرَ اللَّهُ إِحْسَانَ الْجَنَابِ الْعَالِي حَاضِراً وَغَائِباً، وَبَرَهُ الَّذِي يُطْلِعُ  
كُلَّ وَقْتٍ مِنْ هَدَايَاهُ وَكُتِبَ أَهْلَةً وَكَوَاكِباً، وَمَرَبَاهُ الَّذِي نَقَلَ عَنْ مَلُوكٍ كَانَتْ  
مَنَازِلُهُمْ لِلْحَامِدِ رَوْضَاً وَكَانَتْ أَيْدِيهِمْ لِلكَرَمِ سَحَابَاتٍ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وله جوابٌ بوصولِ قَصَبِ سُكَّرٍ وَأُتْرِجٍ وَقُلُقَاسٍ :

لَا زَالَتْ أَوْصَافُ شَيْمِهَا، تُطْرَبُ كَمَا يُطْرَبُ الْقَصَبُ، وَالْطَافُ كَرَمُهَا، مِمَّا يُعْدَى  
الْجَسَدَ وَيُنْعَشُ الرُّوحَ وَيُسْفَى الْوَصَبُ، وَأَصْنَافُ نَعِيمِهَا مِنَ الْحُلُوفِ إِلَى الْحَامِضِ  
مِمَّا يُعْدَى الْأَيْدِي الْمُنَاقِلَةَ فِيهِ عَلَى الْأَعْدَاءِ تَنْتِصِبُ؛ تَقْيِيلَ عَجَبٍ حَلَّتْ لَهُ الْمُنَى  
فَتَنَاوَلَهَا، وَمَوَاقِعُ اللَّتَمِ فَمَاجَ إِلَيْهَا وَعَاجَلَهَا .

وَيُنْهِي وَرُودَ مُشْرِفِ مَوْلَانَا الْكَرِيمِ، عَلَى يَدِ فُلَانٍ يَتَضَمَّنُ الْحَسَنَ وَالْإِحْسَانَ،  
وَالْبَرَّ الْمَأْتُورَ بِكُلِّ فَمٍ الْمَشْكُورَ بِكُلِّ لِسَانٍ، فَجَابِلُهُ الْمَمْلُوكُ بِمَا يَجِبُ مِنَ الْخِدْمَةِ لِمِثْلِهِ،  
وَلِقَاقِهِ بِعَوَائِدِ تَحَدُّ عَوَائِدِ فَضْلِهِ، وَوَصَلَ قَرِينَهُ الْإِنْعَامَ الَّذِي تَنَوَّعَ قُنُونُهُ وَأَفْسَانُهُ،  
وَمَلَأَ فَمَ الشَّرَابِ خَانَهُ سُكَّرًا وَيَدَ الْمَطْبُخِ إِحْسَانًا؛ وَذَكَرَ نَبَاتَهُ الطَّرَابُلسِيَّ عُھُودَ الدِّيَارِ  
الْمُصْرِيَّةِ، وَأَوْقَاتِ الْأَنْسِ بِخِدْمَةِ مَوْلَانَا السَّيِّدِ؛ سَقِيَا لَهَا مِنْ أَوْقَاتِ عُھُودِهَا، وَشُكْرَا

لجُود مولانا الذى هو فى كُلِّ وادٍ موجود ؛ ولتديره الشمسى الذى احيا الله به على  
عباده عناصر هذا الوجود، ولا برحت مكارمه متنوّعه، ونعم أياديه متفرّعة : فمنها  
ما حلّا فرعُه فأصبح لكلّ حلوا أصلا ؛ ومنها ما طاب ريحه وطعمه فكانت للؤمن  
مثلا ؛ ومنها ما لذّ طعامه الشهى فما هو مما يهجر وإن كان مما يقلى .

وله جواب بوصول بأكورة خيار وملوخية :

لا زالت تشرح بكارها الصدور، وتفتح بركات الأعوام والشهور، وتمنح من  
لطائف منها كل جماعة السرور، وتلح في هداياها المستبقة الى الأولياء خيار  
الأمور ؛ تقيّل محبّ لا تُغيّر ولاه الدهور، ما من طريق المصافاة والموافاة  
في نُور على نُور .

وبنى ورود مشرقه مولانا على يد فلان تتضمن المعهود من ولائه وآلائه ؛  
والمشهود المشهور من إحسان نداءه قبل ندائه ؛ فقابلها المملوك مقابلة الشيق الى قرب  
الديار ، المضى في المحبة قلبه لمولاه قبل شرط الخيار ، ووصلت لطائف هديته  
الخضرة النضرة ، وطرائف الفضل الباكورة كعاني اللفظ المتكره ؛ فتتجز المملوك  
الفاكهة قبل أوانها البديع ، ورصد من أفلاك القلب فى ذى الحجة غرة ربيع ؛  
وتفأمل بالهدية المجمعة الأجاب فى أن يعود الشمّل وهو جميع ؛ وقد عاد فلان حاملا  
من رسائل الشوق والشكر ما يؤذيه بين أيدي مولانا الكريمه ، ويحدّد بذكراه عهود  
الأئس القديمه ؛ لا يرجح مولانا سابق الكرم ، مُحضّر المرافق يبيض النعم .

قلت : وكتبت جوابا لبعض الأصحاب وقد أهدى لي سمكا :

أهدى لنا سمكا قد طاب مَظعمه \* أكرّم به سمكا لم يسكن البركا !

لا شك أنّ له بالبحر شاكلة \* والبحر عادته أن يهدى السمكا !



## الضرب الثاني

(من كُتِبَ التهادى الاستهداء)

وأعلم أن كل ما يُكْتَبَ مع إهدائه قد يُكْتَبَ مع استهدائه، إلا أن الغالب مما جرت به عادة الكُتَّاب في الاستهداء طلب الأشياء المستظرفة الخفيفة المنية دون ما يعظم خطره، اللهم إلا أن يكون الاستهداء من الملوك ونحوهم فيطلب فيه ما جل وعظم.

والذى جرت عادة الكُتَّاب بالكتابة في استهدائه على أصناف :

الصنف الأول — آلات الكتابة : من الأدوية<sup>(١)</sup> والمِدَاد والأقلام :

ما تقدم ذكره في الإهداء .

أبو الفرج البغاء في استهداء دواة :

أنفس الدخائر وأشرف الآمال ما كان للفضل نسبا، وللصناعة والحظوة سببا، وبالهدوى تجتنى ثمرة الصناعة، ويحتلب دُر الكتابة، وقد أوحش المملوك الدهر مما كنت أقتنيه من نفائسها، وضايقه في وجود الرضى على الحقيقة منها، فإن رأى مولانا أن يُمِيطَ ببعض ما يستخذه من حالها أو عاقلها سمة عظمة المملوك، ويسمع بإهدائها إلى أهل تصرفه ويقابل بالنتيج والتقبل رغبته، فعل؛ إن شاء الله تعالى .

وله في استهداء مداد :

الناسُ - أيدك الله - في أدوات الكتابة وآلات الصناعة بحسب التفائُر في ظهور النعمة، والتخيّر لبيان الإمكان والقدرة، وإلا فسائر الهدوى سواء فيما تُصَدِّره

(١) لعل الصواب من الهدوى انظر القاموس .

الأقلام عنها ، وتستمدُّه بطلونُ الكتُب منها ؛ وأولى آلائها بأن تتوفّر العناية عليه ،  
وينصرف التّغَيُّرُ بالضرورة إليه ؛ المدادُ الذي هو ينبوعُ الآداب ، وعَتَادُ الكُتُبِ ،  
ومادّةُ الأفهام ، وشربُ الأقلام ؛ فجعلها الله بواجبِ القضيّة والحُكْمِ ، في حَيِّزٍ وصفه  
من الحمد والذّم ؛ ومازلت لنفاس الأخلاق موطناً ، ولجج الإخوان في المحلِّ معدناً ؛  
ولامعدّل بي عن استمّاحة خزائنك عمرها الله الممكّن من جيده ، فإن رأيت أن تستنقذ  
دواي من مخولِ العُطلّة ، وتزّه قلبي عن ظلمِ القلّة ، وتكشف عنها سمة النقصان  
والخلّة ، فعلت ؛ إن شاء الله تعالى .

على بن خلف ، في مثله :

أولى ما أنيسط في استهدائه ، وتسمّح [نقسي] في استمّاحته وأستجداه ، ما كان  
ناقصاً لعلّة الأقلام ، مقيّداً لشوارد الأفهام ، محجراً لبرود اليان ، حاليّاً في معارض  
الحسن والإحسان ، وكتبت هذه الشكوى أطال الله بقاء سيدي :

الصنف الثاني — الشّراب .

في استهداء مشروب .

أبو الفرج البغاء :

أنا - أيد الله سيدي - ومن ساعني النّهر بزيارته من إخواني وأوليائه ، عضّد الله  
جمعنا ببقائه ، وقوف بحيث يقف بنا اختياره : من القبول والالتباس ، ويرتضيه لنا  
إيثاره : من الهمّ والسرور ، لأنّ الأمر في ذلك مما يؤلّينا من المساعدة بالممكن من  
المشروب إليه ، والاعتماد دون كلّ أحد في اجتماع شمل المسرة لنا به عليه ، فإن رأى  
أن يكلّي إلى أولى الظنين به وأحقهما بما تورقوته ، فعل .

وله في مثله :

الطُّفُ الْمَنِّ مَوْضِعًا ، وَأَجْلُهَا مِنَ الْأَنْفُسِ مَوْقِعًا ، مَا عَمَّرَ أَوْطَانِ الْمَسْرَةِ ، وَطَرَدَ  
عَوَارِضَ الْهَمِّ وَالْفِكْرِ ؛ وَجَمَعَ تَمَلُّ الْمَوَدَّةِ وَالْأُلْفَةِ ، وَأَدَّى إِلَى اجْتِنَاءِ ثَمَرَةِ اللَّذَّةِ ؛  
وَبَذَخَازِكِ مِنَ الْمَشْرُوبِ مَعَ هَذِهِ الْأَوْصَافِ [مَا] يَسْتَرْقُ حُرَّ الشُّكْرِ ، وَيُحْرِزُ قَصَبَ  
السَّبْقِ إِلَى الثَّنَاءِ وَجَمِيلِ الذِّكْرِ ؛ فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُجِدَ بِالْمِكِنِ مِنْهُ مُرُوقِي ، عَلَى قَضَاءِ  
حَقٍّ مِنْ أَوْجِبِ الْمَنَّةِ عَلَى زِيَارَتِي ؛ فَعَلْتَ .

وله في مثله :

مَنْ كَانَ لِلْفَضْلِ سَبَبًا ، وَلِفَلَكَ الْفُتُوَّةَ قُطْبًا ، لَمْ تَفْزَعْ الْقُلُوبُ مِنَ الْهَمِّ إِلَّا إِلَيْهِ ،  
وَلَمْ تَعُولِ الْأَنْفُسُ فِي اسْتِجَابَةِ الْمَسَارِ إِلَّا عَلَيْهِ ؛ وَقَدْ طَرَقَنِي مِنْ اخْوَانِي مَنْ كَانَ  
الدَّهْرُ يُحَاطِلُنِي بِزِيَارَتِهِ ، وَيَتَمَسَّ عَلَيَّ بِقُرْبِهِ وَمُشَاهَدَتِهِ ؛ فَصَادَفَنِي مِنَ الْمَشْرُوبِ  
مُعْصِرًا ، وَوَجَدْتُ الْإِنْسَاطَ فِي آتِمِيَّاسِهِ مِنْ غَيْرِكَ عَلَى مَتَعَدَّرًا ، وَإِلَى تَفَضُّلِكَ  
تَفَزَّعَ مُرُوقِي فِي الْإِسْعَافِ مِنْهُ بِمَا يَلُمُّ شَعْتَ الْأُلْفَةِ ، وَيَجْمَعُ تَمَلُّ الْمَسْرَةِ ؛ وَيَحْمِلُنَا  
لَكَ فِي رِقِّ الْأَعْدَادِ بِالْمَنَّةِ ، وَيَقْضِي عَنِّي بِتَفَضُّلِكَ حَقُوقَ الْمَوَدَّةِ .

على بن خلف :

قَدْ أَتَقَطَّمْ لَنَا - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ سَيِّدِي - مَجْلَسَ وَأَقِفَ بَيْنَ النَّشَاطِ وَالْقُتُورِ ، وَالْكَاتِبَةِ  
وَالسَّرُورِ ؛ لِقُرُوبِ نُجُومِ الْخَمْرِ عَنِ سَمَائِهِ ، وَعَطَّلَهُ مِنْ حُلِيِّ نُورِهِ وَلَا لَانِهِ ؛ وَقَدْ عَوَّلْنَا  
فِي إِطْلَاقِهِ إِلَى إِحْدَى الْجَهْتَيْنِ عَلَيْهِ ، وَجَعَلْنَا زِمَامَهُ بِيَدَيْهِ ، فَإِنْ رَأَى أَنْ يُرَوِّجَ أَفْكَارَنَا  
بِشَيْءٍ مِنْ رَاحِهِ الْمُشَابِهَةِ عَجَبًا وَعِثْقًا لِأَخْلَاقِهِ وَأَعْرَاقِهِ ؛ فَعَلْ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وله في مثله :

أَفْضَلُ مَا أَهْدَى سَيْدِي مَا أَهْدَى السُّرُورَ إِلَى أَحِبَّتِهِ ، وَنَفْظَمَ شَمْلَ الْمُتَحَقِّقِينَ بِخِدْمَتِهِ ؛  
وَحَسَمَ عَنْهُمْ هَوَاجِسَ الْفِكْرِ ، وَأَعْدَاهُمْ عَلَى الدَّهْرِ ؛ وَقَدْ جَمَعْنَا مَجْلِسٌ وَهَبْنَا لِلشَّاءِ  
عَلَيْهِ ، وَزُقَّتْ عِرَائِسُ الْخَمْرِ إِلَيْهِ ، فَإِنَّ رَأْيَ إِيثَارَتِنَا بِمَا يُكَلِّلُ تَشَاطُنَا ، وَيَتِمُّ  
أَنْبِسَاطُنَا ، فَلْيَعْرِ هُمُومُنَا بِنَيْءٍ مِنْ عُقَارِهِ ، وَيَنْظِمَ [ جَمَعْنَا ] فِي سِلْكِ أَيْادِهِ وَمِبَارِهِ ؛  
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

### النسوع الرابع

#### ( الشِّفَاعَاتُ وَالْعِثَائِيَّاتُ )

قال في "موادِّ البيان" : وهذه الكتب إنما تصدُر عن دَوَى الرُّبِّبِ والأخطار ،  
والمنازل والأفئدة ، الَّذِينَ يُتَوَسَّلُ بِمَجَاهِمِهِمْ إِلَى نَيْلِ الْمَطْلُوبِ وَدَرْكِ الرِّغَائِبِ .

قال : والمتَّمس فيها مَنْ تُنْفَذُ إِلَيْهِ أَحَدُ ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ : إِمَّا بِذَلِّ مَالِهِ وَلَا يَسْتَدِلُّ  
مَالَهُ إِلَّا دُورَ مَرْوَةِ يَفْرِضُ عَلَى نَفْسِهِ حَقًّا فِيهِ لِقَاصِدِيهِ ؛ وَإِمَّا بِذَلِّ جَاهِهِ وَفِي ذَلِّ  
الْجَاهِ إِرَاقَةُ مَاءِ الْوَجْهِ وَالتَّعَرُّضُ لِمَوْقِفِ الرَّدِّ ؛ وَإِمَّا الْأَسْتِزَالُ عَنْ تَخَيُّمَةٍ وَمَوْجِدَةٍ  
فِي التَّزُولِ عَنْهَا كَفَّ حَدَّ الْغَضَبِ وَغَضَّ طَرْفَ الْحَقِّقِ ، وَهِيَ صَعْبَانِ إِلَّا عَلَى مَنْ  
فَضَّلَ حِلْمَهُ ، وَطَلَفَ فَهْمَهُ .

ثم قال : والكتبُ يَخْتِجُ إِلَى التَّلَطُّفِ فِيهِمَا وَإِدَاعِيهِمَا مِنْ الْخِطَابِ مَا يَخْرُجُ بِهِ  
الشَّافِعُ عَنْ صُورَةِ الْمُثَلِّ عَلَى الْمَشْفُوعِ إِلَيْهِ بِمَا كَلَّفَهُ إِيَّاهُ ، وَيُودَى إِلَى بُلُوغِ غَرَضِ  
الْمَشْفُوعِ لَهُ وَنَجَاحِ مَطْلَبِهِ ؛ ثُمَّ اتَّبَعَ ذَلِكَ أَنْ قَالَ : وَسَيَلُّ مَا كَانَ فِي أَسْتِخَاةِ الْمَالِ ،  
أَنْ يُنْقَى عَلَى الْإِبَانَةِ عَنْ مَوْقِعِ الْإِفْضَالِ ، وَفَضِيلَةِ النَّوَالِ ؛ وَأَغْتَنَامَ قُرْصَ الْإِقْتِدَارِ ،

في مَعُونَةِ الْأَحْرَارِ ، وما جارى هذا - وسبيل ما كان منهما في طلبِ الاستفاجِ بالجاهِ  
أَنْ يُنْفَى عَلَى هَرِّ الْأَرْيَحِيَّةِ لِاصْطِنَاعِ الصَّنَائِعِ ، وتعملُ المَشَاقِّ في تَقْلِيدِ الْمِنِّ ، وأَذْخَارِ  
الفِعْلِ الحَسَنِ ، وأَغْنَامِ الْأَجْرِ والشُّكْرِ - وسبيل ما كان منهما في الْإِسْتِزَالِ عَنْ  
السَّخَائِمِ أَنْ يُنْفَى عَلَى الْمَلَاظَقَةِ ، والإِشَارَةِ إِلَى فَضِيلَةِ الْحِلْمِ وَالصَّفْحِ عَنِ الْخَاطِئِ ،  
وما في ذَلِكَ مِنْ حُسْنِ السَّمْعَةِ فِي الْعَاجِلِ ، ومتوفرُ الْمُثُوبَةِ فِي الْآجِلِ ، ونحو ذَلِكَ .

وذكر أَنَّ أَحْسَنَ مَا قَصِدَ فِي هَذَا الْفَنِّ مَسْلَكُ الْإِيحَازِ وَالِاخْتِصَارِ ، وَأَنْ يُسَلَّكَ بِهِ  
مَسْلَكُ الرَّقَاعِ الْقِصَارِ الْمُجْمَلِ ؛ لِأَنَّ الْكُتُبَ الطُّوَالَ الْمُفَصَّلَةَ ؛ وَأَنْ يُرْجَعَ فِيهَا يُوَدَّعُهُ إِلَى  
قَدْرِ الشَّافِعِ وَالْمَشْفُوعِ فِيهِ ، وَالْكَاتِبُ إِذَا كَانَ مُرْتَاضًا مَاهِرًا لَمْ يَضِلَّ عَنْ تَرْجِيلِ كُلِّ  
شَيْءٍ [فِي] مُثْلِهِ ، وَتَرْيِيهِ فِي مَرْتَبَتِهِ .

قُلْتُ : وَمِنْ أَحْسَنِ مَا يَطَائِقُ هَذَا النَّوعَ مَا رَأَيْتُهُ فِي بَعْضِ الْمَصْنُفَاتِ : أَنَّ عَمْرُو  
أَبْنَ مُسْعِدَةَ وَزِيرَ الْمَأْمُونِ كَتَبَ إِلَى الْمَأْمُونِ فِي رُقْعَةٍ :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ فَلَانًا سَأَلَنِي أَنْ أَشْفَعَ لَهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَخْبَرْتُهُ أَنِّي لَمْ أَبْلُغْ عِنْدَ  
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَبْلَغَ الشَّفَاعَةِ - فَلَمَّا وَصَلَتِ الرُّقْعَةُ إِلَى الْمَأْمُونِ وَقَعَ عَلَيْهَا بِخَطِّهِ :  
قَدْ قَهَمْنَا تَصْرِيحَكَ بِهِ وَتَعْرِيفَكَ بِنَفْسِكَ ، وَأَجَبْنَاكَ إِلَيْهَا وَأُحْمَفْنَاكَ بِهَا .

من كلام المتقدمين :

الحسن بن سهل :

كُتِبَ إِلَيْكَ كِتَابٌ مَعْتَرٍ بِمَنْ كَتَبَ لَهُ وَاتَّقِ مَنْ كَتَبَ إِلَيْهِ ، وَلَنْ يَضِيعَ حَامِلُهُ  
بَيْنَ عَنَابَةِ وَثِقَةٍ ، وَالسَّلَامِ .

أبو الحسين بن سعد :

وقد توجه إليك فلان بقصد فيه مستجمع ، وأمل فيما قبلك مُنْبَسِط ، وليس بعد إصابتك عنده موضعا وعندنا متحملا للبد الحسن إلا اقترأ ذلك منه ومنا في أمره على يسر في حاجته ، وتخفيف من مشوئته ؛ فإن رأيت أن تأتي في ذلك بما يشبه أمله وظنه ، وتوجب عليه الحق به ، ونشكر لك منه مايقب عندنا ، بأنك بحيث تأتي الفضل وتوثق الصلاة ؛ [فقلت] إن شاء الله تعالى .

آخر : مرفقي بأنك لا تتجاوز في العقوبة سبيلها من مواقع الأدب ، تتجلى على مسألتك ماأنت موجب له والذكرى تنفع المؤمنين ، ولولا ذلك لاستغنى صاحب كتابي عنه ؛ فإن كان ذنبه صغيرا فالصغير يُخرج من حبسه ، وإن كان كبيرا فالعفو يسعه . وكأني متقاض لك تقديم العفو على العقوبة ، والحسنة على السيئة ، والإستصلاح على القوة في التأديب .

طفال بن شبة :

وأحق من يعطف على أهل البيوتات ، ويحود لهم بما يتق ذكروه ، ويحسن به ذنوره ، مثلك ؛ وقد وجهت إليك فلانا ، وهو من ذوى قراباتي ، وذوى الهيئة من أسرتي ، وعرضته لمعرفك ، وأحببت أن تليسه نعمتك وتصرفه إلى وقد أودعني وإياه ماتجده باقيا على البشر الجميل في الغيب والحضر .

ولغيره :

وقد جعلك الله غيانا ، وجعل عندك لمؤمليك وراجي رفدك ، أبلغ ذريعة من كرمك وفضلك ؛ وقد أصبحت مفرع كل ذي هم ، وملجأ كل ذي أرب ، وموضع كل أمل ، وأصبحت ملتقى السبل ، وجمع الأصناف المختلفة ، والطوائف المتصرفة .

أبو مسلم محمد بن بحر :

قد شَهِرَتْنِي بِاصْطِنَاعِكَ [ حَتَّى ] تَكَافَأَ فِي مَعْرِفَةِ خَبَرِهَا أَهْلُ بُلْدَانِ الْمَشْرِقِ  
وَالْمَغْرِبِ . وَالَّذِينَ عَرَفُونِي فَصَدِيقٍ مِنْهُمْ مَتَّعِيْتُ بِذَلِكَ لِي ، وَشَرِيكَ فِي النِّعْمَةِ بِهِ  
عَلَيَّ ، وَقَوِي الظَّهْرَ بِمَا مَتَّعَنِيهِ اللَّهُ مِنْ رَأْيِكَ ؛ وَإِذَا نَابَتْ بَعْضُهُمْ نَائِبَةٌ يَرْجُوكَ  
لِكَشْفِهَا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَيْكَ طَرِيقٌ يُدْزِنُهُ وَلَا حَرْمَةٌ تُقَرِّبُهُ وَتَعْطِفُكَ عَلَيْهِ ، سَأَلَنِي  
الشفاعةَ لَهُ إِلَيْكَ ؛ فَفَعَلْتُ ذَلِكَ مُدِلًّا بِمَا أَعْتَقَدُهُ مِنَ الشُّكْرِ عَلَى نِعْمَتِكَ عِنْدِي ،  
وَالْإِخْلَاصِ فِي طَاعَتِكَ الْمَفْرُوضَةِ عَلَيَّ ؛ وَأَتَمَّا بِنَسْوَيفِكَ إِيَّائِي مَارُقِيْتُ إِلَيْهِ مِنْ دَرَجَةِ  
الشافِعِ لِعَبْدِهِ ، وَالسَّائِلِ ( ؟ ) فِي طَرِيقِهِ وَذَوِي الْحَقِّ عَلَيْهِ : لَتَكُونَ قَدْ أَكَلْتَ  
عَلَى النِّعْمَةِ ، وَوَكَّدْتَ لَدَى الْعَارِفَةِ ، وَأَسْتَمَمْتُ عِنْدِي الصَّبِيغَةَ .

أبو الخطَّاب بن الصَّابِي :

أَبْسَطُ الشَّفَاعَةِ وَجْهًا ، وَأَقْرَبُهَا نَجْمًا ، وَأَوْقَعُهَا فِي الْقُلُوبِ ، وَأَسْرَعُهَا إِلَى الْقَبُولِ ،  
مَا وَقَعَ مِنْ أَقْسَامِ ثَلَاثَةٍ : مِنْ إِدْلَالِ السَّائِلِ بِحُسْنِ الظَّنِّ ، وَارْتِيَاكِ الْمُسْتَوَّلِ إِلَى فِعْلِ  
الْخَيْرِ ، وَاسْتِحْقَاقِ الْمُسْتَوَّلِ فِيهِ لِقَضَاءِ الْحَقِّ ؛ فَإِذَا أَجْتَمَعَ لَهَا ذَلِكَ كَانَتْ الثَّقَّةُ بِهَا  
زَائِدَةً ، وَالْفُتُوَّةُ لَهَا زَائِدَةً ، وَالْفَضْلُ عَلَيْهَا قَائِمًا ، وَالنَّجْحُ بِهَا قَادِمًا ؛ وَكَانَ الشُّكْرُ  
مِنْ أَقَلِّ مَوْجُودَاتِهَا ، وَالْمِنَّةُ مِنْ أَجَلِّ مَذْخُورَاتِهَا .

وله : إِنْ دَلَّ الْمَمْلُوكُ فَبِصْنَقِ الْمَوَدَّةِ ، أَوْ عَوَّلَ فَعَلَى حُسْنِ النِّيَّةِ ، أَوْ اسْتَظْهَرَ  
فَبَقْدِيمِ الْحَرْمَةِ ، أَوْ اسْتَنْصَرَ فَبِكَرَمِ الرَّعَايَةِ ، وَوَرَاءَ ذَلِكَ هُمَةٌ مِنْ مَوْلَانَا بَعِيدَةُ الْمَرَامِيِّ ،  
طَوِيلَةُ الْمَسَاعِي ، شَاغِئَةُ الْأَنْفِ ، سَابِقَةُ الطَّرْفِ ، تُوجِدُ الْآمَالَ سِرَّاحًا ، وَتُوسِّعُهَا  
تَجَاحًا ، وَتَأْخُذُهَا نَحَاصًا ، وَتُرِيْدُهَا بَطَانًا ، وَتُورِدُهَا هَزَالًا وَتُصْدِرُهَا سَمَانًا ؛ وَثِقَّةٌ مَنَى<sup>(١)</sup>

(١) لم يرد هذا الجمع في كتب اللغة التي بأيدينا والقياس على بطلان وسحان لا ياباه .

قد أحكم عقدها الزمان، وأوثق شدتها الإمتحان، فصارت لأعراض المملوك رائده، وفي قوة نفسه زائده؛ فالمملوك من أجتاع هذه الأقسام، ووجوب ما تقتضيه من الأحكام، بين ظن جميل لا مجال للشك عليه، ويقين صحيح لأوصول للآرتياب إليه .

آخر : ولئن كان المملوك أسرف في تجارى التنكيل على مولانا، فإن المملوك لم يردّ بعضا من دواعى الأمل فيه، فإن المظنون من قوة مولانا رائد الثقة بجميل نيته، ولن يعدم النجاح من اعتمد على الفتوة والثقة .

آخر : وينبى أن المملوك إن أدل، فبحق لدى مولانا أكده، أو استرسل، فبفضل منه عوده، وبين الدالة من المملوك والعادة من مولانا موضع لنجاح الحاجة، وبلوغ الإفادة، وقد فصل المملوك ما تعلق به واثقا بالكرم من مولانا؛ فليقل مولانا ما يتعلق به محققا للأمل فيه .

آخر : وينبى أن المملوك إن أنبسط، فبذل بالحمة الوكيدة، ومعوّل على النية الكريمة، أو أقبض، فلهية الإقدام على مولانا ومراعاة التخفيف عنه، ولفضله فيما بين ذلك مسلك وغبة تسلط يدعوان إلى حسن الظن بمولانا، ويوثقان من وجود النجاح لديه .

آخر : بذل الجاه في إعانة الضعيف، وإغاثة الملهوف، والترويح عن المضطوط، والتفرج عن المكروب المكود؛ كبذل المال في إسعاف المعسر، وإسعاد المقتر، ومواساة المحروم، والتعطيف على المرحوم، وما فى الحالتين إلا ما للديانة له ضامته، والمروءة له قائمة؛ والحق به مستوجب، والأجر به مكتسب، والصنيعة به معتقدة، والمثوبة به منتهى .



آخر : وينهى أن حُرمة الجوار من أوجب الحُرُمات حقاً ، وأحْكَمَها عقداً ، وأخَصَّها بالعناية ، وأحَقَّها بالرعاية ، وما رَعَاهَا إِلَّا ذُو قَدِيرٍ عَظِيمٍ ، وَخُلُوٌّ كَرِيمٍ ، وَأَجَلٌ عَرِيقٌ ، وَعَهْدٌ وَثِيقٌ . وفلان من يَضْرِبُ بِذَاتِهَا ، وَيَمُتُّ بِوَسِيلِهَا ، وَيَتَخَفَّرُ بِذِمَّتِهَا ، وَيَتَعَلَّقُ بِعِصْمَتِهَا ، وَيَعْتَدِهَا وَزَرًا مَانِعًا ، وَذُنُورًا نَافِعًا ، وَعُدَّةً مَوْجُودَةً عِنْدَ الْحَاجَةِ ؛ وَلَهُ أَمْرٌ يَذْكُرُهُ مَشَافَهَةٌ ، فَإِنْ رَأَى مُوَلَانَا أَنْ يَحَقِّقَ مِنْ ظَنِّهِ مَا كَانَ جَبِيلًا ، وَيَصْدَقَ مِنْ أَمَلِهِ مَا كَانَ فَضْلًا مُوَلَانَا إِلَيْهِ سَيِّلًا ، فَهُوَ الْمُعْهُودُ مِنْ إِحْسَانِهِ ، وَالْمَوْثَلُ مِنْ فَضْلِهِ .

آخر : مَنْ سَاقَرَ إِلَى سَيِّدِي بِأَمَلِهِ وَرَغْبَتِهِ ، وَمَتَّ إِلَى حَضْرَتِهِ بِوَفَادَتِهِ وَغَيْرَتِهِ ، فَقَدْ اسْتَفْنَى عَنِ الشَّافِعِ ، وَكَفَى أَمَرَ الْوَسَائِلِ وَالذَّرَائِعِ ؛ وَحَامِلُ كِتَابِي هَذَا قَدْ تَجَسَّسَ الْقُدُومَ إِلَيْهِ ، وَتَمَسَّكَ بِذِمَامِ الْوَفَادَةِ عَلَيْهِ ؛ مَعَ مَا يَتَحَقَّقُ بِهِ مِنْ حَقِّ الْمَشَارَكَةِ فِي الصَّنَاعَةِ ، وَيَسْتَوْجِبُهُ بِفَضِيلَةِ الْكِفَايَةِ وَالْأَمَانَةِ ؛ وَإِنَّمَا أَصْدَرَ الْمُلُوكَ هَذِهِ الْخِدْمَةَ عَلَى يَدِهِ مَهْدَةً لِأَنْفُسِهِ ، وَمَقْوِيَةً لِنَفْسِهِ ؛ وَإِذَا مَثَلَ بِحَضْرَتِهِ ، وَنَظَرَهُ بَيْنَ نَبَاهَتِهِ ؛ فَقَدْ غَنَى عَنِ الشَّفَاعَةِ وَبَلَغَ الْإِرَادَةَ .

آخر : وَيُنْهَى أَنْ مَا يُفَرِّضُهُ مُوَلَانَا لِمَنْ أَمَّهُ بِالرَّجَاءِ ، وَمَتَّ لَهُ بِإِخْلَاصِ الْحَمْدِ وَالنَّثَاءِ : مِنْ إِذْرَارِ أَخْلَافِ الْإِفْضَالِ ، وَتَحْقِيقِ الرِّغْبَاتِ وَالْأَمَالِ ، يُغْنِي قَاصِدِيهِ عَنِ الشَّفَاعَاتِ وَالْوَسَائِلِ ، وَيَكْفِي أَمَلِيهِ تَهْمَلُ الذَّرَائِعِ وَالْمَسَائِلِ ؛ وَالْوَاصِلُ إِلَيْهِ بِهَذِهِ الرُّقْعَةِ فَلَانٌ ، وَمُوَلَانَا يَعْرِفُ حَقَّهُ عَلَى الْمُلُوكِ وَمَالِهِ مِنَ الْمَوَاتِّ لَدَيْهِ ؛ وَقَدْ تَوَجَّهَ إِلَى حَضْرَتِهِ ، رَاجِيًا أَنْ يُلْحِفَهُ مِنْ ظِلِّ سَعَادَتِهِ مَا يَتَكَفَّلُ بِمَصْلَحَتِهِ ، وَيَقْضِي عَلَى الزَّمَنِ بِإِعْدَائِهِ وَمَوْتِهِ ؛ وَمُوَلَانَا أَحَقُّ مِنْ تَوَلَّاهُ بِحَسَنِ خِلَافَتِهِ فِيهِ ، وَالتَّفَضُّلُ عَلَى الْمُلُوكِ بِتَحْقِيقِ مَا يُرْجَى .

(١) الذِمَامُ بِأَذَالِ الْمَعْجَمَةِ الْحَقِّ وَالْحَرَمَةِ .

آخري معتقل : عِلْمُ الْمَلُوكِ أَنَّ مَوْلَانَا لَا يَتَعَدَّى فِي الْعِقَابِ مَوْضِعَ الْإِصْلَاحِ  
وَالتَّأْدِيبِ ، وَلَا يَتَجَاوَزُ فِي النَّصَبِ مَوْضِعَ التَّقْوِيمِ وَالتَّهْذِيبِ ؛ عَمَلًا بِالْعَدْلِ ، وَتَمَسُّكًا  
بِالْفَضْلِ ؛ يَبْعَثُهُ عَلَى تَنْبِيهِ لِمَا أَغْفَلَهُ ، وَأَنْقِيَادِهِ لِمَا أَصْلَحَ ؛ وَفَلَانٌ قَدْ تَطَاوَلَ  
أَعْتَقَالُهُ : فَإِنْ كَانَ جُرْمُهُ صَغِيرًا فَقَدْ ظَلِمَ فِي الْقِصَاصِ ، وَإِنْ كَانَ كَبِيرًا فَقَدْ أَسْتَحَقَّ  
الْخَلَّاصَ ؛ وَالْمَسْئُولُ مِنْ إِحْسَانِهِ أَنْ يُسَوِّدَ جَمِيلَ عَادَتِهِ ، وَيُرَاجِعَ كَرِيمَ شَيْئِهِ ؛  
فَيَعْمَلُ فِي أَمْرِهِ بِالْعَدْلِ ، إِذَا لَمْ يَرَهُ أَهْلًا لِلْفَضْلِ ؛ وَإِنْ كَانَتْ حَقُوقُهُ مَتَاكَّدَةً ،  
وَحَرْمَتُهُ مُؤَكَّدَةً ؛ فَلَا يَحْسُنُ أَنْ يُضَاعَ وَيُخْفَرَ ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُجْعَدَ وَيُنْكَرَ ؛ وَهُوَ حَرِيٌّ  
أَنْ يَحَقِّقَ الظَّنَّ فِيهِ ، وَيَقَابِلَ هَذَا السُّؤَالَ بِمَا يَقْتَضِيهِ .

آخر : عَلَى حَسَبِ أخطار الودائع يَكُونُ الْإِشْفَاقُ عَلَيْهَا ، وَالشُّكْرُ مِنْ صَرْفِ  
رِعَايَتِهِ إِلَيْهَا ؛ وَقَدْ كَانَ الْمَلُوكُ أَوْدَعَ كَنَفَ مَرْوَتِهِ ، وَفَنَاءَ هِمَّتِهِ ، فَلَانٌ ؛ وَهُوَ دُرَّةُ  
الْمَحَاسِنِ الْفَرِيدَةِ ، وَنَادِرَةُ الدَّهْرِ الشَّرِيدَةِ ؛ وَالْجَامِعُ لِأَسْبَابِ الْمَحَامِدِ بِفَضَائِلِهِ وَمَنَاقِبِهِ ،  
وَالنَّاظِمُ لِنِشَارِ الْمَآثِرِ بِخُلُقِهِ وَأَدَبِهِ ؛ مَعَ مَا خُصَّ بِهِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِقَدْرِ الصَّنِيعَةِ ، وَالتَّعْوِيزِ  
بِالشُّكْرِ عَنْ قَلِيلِ الْعَارِفَةِ ؛ وَالْمَلُوكُ يَرْجُو أَنْ يَكُونَ مَوْلَانَا قَدْ أَحْسَنَ خِلَاقَتَهُ فِيهِ ،  
وَنَزَّلَهُ مِنْ حِيَاطَتِهِ وَتَوَلَّاهُ ، بِمَا يُوجِبُهُ مَكَانُهُ مِنَ الْمَلُوكِ وَيَقْتَضِيهِ ؛ مُتَعَوِّضًا مِنْ شُكْرِ  
الْمَلُوكِ وَشُكْرِهِ بِمَا هُوَ خَلِيقٌ أَنْ يَطُوقَ أَجْيَادَ مَعَالِيهِ ، وَيَنْتَظِمَ فِي سِلْكِ مَسَاسِيهِ .

رقعة - وَيُنَبِّئُ أَنْ الْأَيَّامَ ، إِذَا قَعَلَتْ بِالْكَرَامِ ، فَانْزَلَتْهُمْ بَعْدَ السَّعَةِ ضَيْقًا ،  
أَوْ جَدَّتْهُمْ إِلَى التَّثْقِيلِ عَلَى مَنْ يُثَبِّتُونَ إِلَيْهِ بِسَالِفِ الْخِدْمَةِ طَرِيقًا ؛ وَمَنْ تَحَدَّاهُ الزَّمَنُ  
بِنَكْدِهِ ، وَعَوَّضَهُ بَيُوسُهُ مِنْ رَغَدِهِ ، فَلَانٌ ؛ وَكَانَ قَدْ فَرَعَ إِلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْخُلَّانِ ،  
وَاتَّقَمَا مِنْهُمُ بِالْإِمْتِنَانِ وَالْإِحْسَانِ ، فَالْفَى وَفَدَا جَمِيلًا ، وَمَطَّلَا طَوِيلًا ؛ فَعَدَّلَ عَنْهُمْ

إلى سيدى وعزل عنهم إليه، وتوجه إليه معتمداً بعد الله فى مقصده عليه ؛ فتمه  
بفضل غيره<sup>(١)</sup>، وحسن أثره ؛ وتحمل عبودية المملوك هذه ذريعة تبسط له من مولانا  
نحياء، وتوصله إلى ما يرجوه من معروفه وتداءه . وما أولى مولانا بأن يحقق ظن  
المملوك وظنه، ويموز شكره وشكره ؛ إن شاء الله تعالى .

رقعة — وينهى أن رغبة سيدى فى إهداء المعروف ، وغوث الملهوف ،  
تبعث على السفر إليه ، والتقدم بالرجبات عليه ؛ والله تعالى يواصل المرح لذيته ،  
كما وصلها من يديه ؛ وقد سبقت له عوارف لا يسأها المملوك ، ولا يؤمل جزاءها  
إلا بمرفوع الدعاء ، وكرم الثناء ؛ حتى تقتضى ضارئها ، وتستدعى نظائرها ، وحامل  
عبوديتى هذه ، فلان ؛ والمملوك يرضى لمولانا لسان شكره ، كما يرضاه لتحمل ربه ؛  
وقد ركض ظهر الأمل إلى حضرة ، ووثق ببلوغ الوطر من جهته ؛ وأن ينظم  
فى سلك من أسيفت عليه عوارفه ، وعمته لطائفه ؛ وعزز ذلك باستصحاب كتاب  
المملوك إلى بابه ، وتقديمه ذريعة فى الترام حقه وإيجابه .

رقعة — من كان سيدى شافعه أنبسط فى المنى ، ولم يرض بغير الملا ؛ وقد علم  
مولانا أن الشفاعة أحوالاً ثلاثاً ؛ حالاً تحض الشافع ، وحالاً تحض المستشفع ؛  
وحالاً تحض [المشفوع إليه] ولكل حد يجب الاتهاء إليه ، ولا يجوز التقصير فيه ؛  
فعلى المستشفع ارتياد أخصب جناب ، وأسكب محاب ، وقصد الجهة التى لا تصد  
عن البقية سائلاً ، ولا ترد عن الأمل أملاً ، وأن ينهض بالشكر على العارفة ، ويحدث  
بالنعم عنه فى الأحوال الطارفة ؛ وعلى الشافع أن يهريق ماء وجهه فى السؤال ،

(١) غار الرجل يغوره ويفره فمه فالمراد بفضل فمه تأمل .

(٢) فى الأصل الشفع وهو غير مناسب .

ويجوز رغبته في تسهيل المنال ، ويعتقد أن ذلك من الدين المفترض ، والدين المفترض ؛ ويتكفل بالقيام بما يستدعي منه من المكافاة ، ويُلتَمَس من العوض والمجازاة . وعلى المشفوع إليه أن يعلم أن الشافع والمستشفع ما قصدها إلا بعد الثقة بأحديته ، ولا أعمدها إلا بعد السكون إلى أزيحيته ؛ وأنه لا ينبغي أن يُحسر متجرهما ، ولا يُضيق سفرهما ، وقد اجتمعت هذه الأحوال الثلاث للرئيس المشفوع إليه ، ولسيدي الشافع ، ولخادمه المستشفع به ؛ ولم يبق إلا عزيمة منه تهز أفتان الإقبال فتساقط أثمارها ، وتُنشئ عوارض الآمال فيتهاق قطارها .

أبو الفرج البغاء :

وموصل كتابي هذا غني عن شفاعتي له بما يمت من حرمت الرغبة إليك ، والوقوف دون كل مقصد عليك ، وبما يشفع ذلك من التقدم في الصناعة ، والتوصل بوجه الكفاية ؛ وإنما زودته هذه الأحرف لأفتح له باب الأنسة ، وأسهل السبل إلى التعلق بالخلعة ؛ وأدلل بها على ما تكشف منه المطاولة والخيرة ؛ وأنت أبلد الله ولي التولول بالتقدم في إيناسه وبسطه في الخنمة بما يستريد له محمود الأثر فيها من حسن النظر وجميل الرأي .

وله في مثله :

وموصل كتابي فيما يؤمله منك ويلفه بك متمسك من رجائك بأوكد ذمه ، ومن شفاعتي بأوجب حرمة ، ومهما مت به بعد ذلك من ظهور كفاية أو تقدم في صناعة كان غير ضائع عند رعائك ، ولا مجهول مع تيقظ عنايتك ؛ وأرجو أن يحل من قبلك ، بحيث أحله حسن النظر تطولك .

وله في مثله :

وفى عليك ما أخذ به نفسى ، وأروض به أخلاقى : من التقباض عن التسرع  
إلى مسألة ، والاحتشام من الانبساط فى حاجة ، مادلك على موضع فلان ومكانه  
من إيتارى بواجبات حقوقه ، وسالف موآته ، ولذلك سمحت بالكتاب له اليك ،  
وفارقت رسمى بالثقل فى قضاء حقه عليك ؛ وقد قصد نحوك بأمله ، واختارك  
لرجائه ؛ وقدّر بك بلوغ البغية ، واختصر بشفاعتى إلى تفضلك السبيل إلى إدراك  
الحجة<sup>(١)</sup> ؛ فإن رأيت أن تأتى فى باب ما يشبه فضلك ، ويُناسب وكيد تفتته بك ؛  
وأنى أشركه فى الشكر وأسأله فى الاعتداد ، فعلت .

آخر :

رَأَيْتُ الْمَسَاكِينَ قَدْ أَجْمَعُوا \* عَلَى أَنَّكَ الْوَزَرُ الْمُتَمَدِّد !

فَأَنْتَ لِطِفْلِهِمْ وَالِدٌ \* وَأَنْتَ لِشَيْخِهِمْ كَالْوَلَد !

السلامُ العَمِيمُ ورحمةُ الله وبركاته على مَنْ جملة الله للساكين ظلاً يقيمهم ، وظلاً  
يسقيهم ، ونعمة تعمهم ، ورحمة تضمهم ؛ أبواه الله فى عزّة نالده طارفه ،  
وسعادة لا تزال طارقة بكلّ عارفه .

مَنْ أقامه الله مقامك أيها الشيخ المبرور بالترقى بالفقراء ، والإحسان إلى الضعفاء ،  
لم يعلم مريضاً يقصده فى الشفاء ، ولا يعدم فيضاً يتمده للاكتفاء ، لاسيّما إذا  
توسّل وحده ، وتسقّى بمن لا يضيع عمل عامل عنده ، ومتحملها فلان قصّ الفقر  
جناحه ، وأخنى عليه الدهر وأجتاحه ؛ ولما رأى الفقراء ببركم مرتفقين ، وعلى

(١) لعله الطائفة .

شركم متّفين ، أمم حسن الظنّ بالمتنّ ، ولم يُقدّم شفيماً دُنيوياً ، ولا طريقاً واضحاً  
سويّاً ، وأنتم أيّها الشيخ الموقر تُزِلّونه منزلة سواه ، بمنّ نوى متّواه ، ونوى فيكم  
من الأجر والشكر متّواه ، إن شاء الله تعالى ، والسلام الكريم العميم ، يخصّ جنابكم  
ورحمة الله وبركاته :

فَاللهُ سُبْحَانَهُ يُبْقِيكَ فِي دَمَةٍ \* وَحُسْنِ حَالٍ وَتَيْسِيرِ وَأَقْبَالِ !

مُقَدِّمُ الْمَجْدِ فِي عِزٍّ وَفِي كَرَمٍ \* مُؤَمِّلُ النِّعَمِ مِنْ جَاهٍ وَمِنْ مَالِ !

الشفاعات من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

شفاعة في استخدام كاتب درج :

جعل الله تعالى دوره رَحْبَةً العِراص ، وسعادته في الزدياد وأعاديه في الإثناقص ،  
والدعاء لإخسانه مقروناً بصديق النية والإخلاص :

وهذا دعاء لو سكّثُ كُفَيْتُهُ \* فَلَأَنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ فَيْكَ وَقَدْ قَعَلِ !

صدرت هذه الخدمةُ تستمطرُ سحابَ كَرَمِهِ ، وهامِي دِيَمِهِ ، وتَسْأَلُ جَمِيلَ شِمَمِهِ ،  
في معنى مَملوكِ المولى وداعيه ، والساكِرِ لآياديه ، والمُلازِمِ على رِواية أخبار فضائله  
وبشّاه ، وتشرُفُ فضائله وتبّاه ، فإنّه من بيت كريم التّجار ، زائد الفخار ، وله على  
مولانا حقّ خدمة ، وهو يمتّ بسالف معرفة ، ومحبة المملوك له شديده ، والصّحبةُ  
بينهما قديمة وشقّة المودة جديده ، ولولا ذلك ما تهلّ على خدمته ، وتبجّع على المولى  
بمكاتبته ، وقد توجه إلى بابهِ العالى مُهاجراً ، وناداه لسانُ جوده قلباًه وأجابه مبادراً ،  
وغرضه أن يكونَ كاتباً بين يديه ، ومملوكاً تقع عينُ العناية عليه ، وهو من الكرام

الكاثرين ، والراغبين في الانتظام في سلك خَدَمِهِ والمؤثرين ، وصفاته بالجميل موصوفه ،  
وفصاحته معروفة ، وقلبه الذي يَقْلُمُ ظُفْرَ المَهْمَاتِ وَيَكُفُّ كَفَّ الحَدَثَانِ ، ولسانه  
الذي يُفْنِي بِسَبَاتِهِ عن حَدِّ السَّنَانِ ؛ ورأيه المَقْدَمُ في المِهْجَاءِ على شِجَاعَةِ الشُّجْعَانِ ؛  
فإذا أَنعمَ المولى بِاستِخدامِهِ ، وتحقيقِ مَرَامِهِ ، كَانَ قد وَضَعَ النِّشَاءَ في مَحَلِّهِ ، وصنعَ  
المعروفَ مع أَهْلِهِ ؛ وبَيَّضَ وَجْهَ المملوكِ وشفاعته ، وصلَّى الأملَ في إِحْسَانِهِ  
ومُرُوءَتِهِ ، ورأيه العالِ ؛ إِنَّ شاءَ الله تعالى .

وله شفاعه في استِخدامِ جُنْدِي :

لازَالِ رِيَّةُ مَطْلُوبَا ، وجُوده مَخْطُوبَا ؛ وَذِكْرُ إِحْسَانِهِ في المِلَالِ الأَعْلَى مَكْتُوبَا ؛ ولا  
بَرِيحَ رِياضِ جُودِهِ أَزْهَرُ وَأَنْضَرُ من رَوْضِ الرُّبَا ، وَيَدُهُ البِيضَاءُ تَرْقُمُ لَهُ في سَوَادِ  
الْقُلُوبِ سَطُورَ حَمِيدٍ أَحْسَنَ من نَوْرِ نُفُوسِهِ الصَّبَا . هذه الخِدْمَةُ صَدَرَتْ على يَدِ فُلَانٍ  
تُهْدِي إِلَى المولى سَلامَ المملوكِ وَتَحْيِيَّةَ ، ودُعَاءَ الصَّالِحِ الذي أَخْلَصَ فِيهِ نِيَّتَهُ ، وَتُسْقَعُ  
إِلَيْهِ في تَزْيِيلِهِ في الحَلَقَةِ المنصُورَةِ وَاستِخدامِهِ ، وَتَرْبِيَةِ في سَلَكِ جَيْشِهِ المؤيَّدِ  
وَأَنْتِظَامِهِ ؛ فَإِنَّهُ من الأَجْنَادِ الحَيَادِ ، وَذَوِي الجَلَدِ على الجَلَادِ ؛ وَهُوَ الغَسَمُ الذي  
لَا يَرُدُّ ، وَالشَّمَمُ الذي لَا يُصَدِّ ؛ وَالبَاسِلُ الذي لَا تُحْصَرُ بِسَائِلُهُ بِوصفٍ وَلَا تُحَدِّدُ ،  
وَالنَّقِيبُ المِمْوُنُ القُرَّةَ وَالتَّقِيْبَهُ ، الموصُوفُ في المِهْجَاءِ بِحَزْمِ الكُھُولِ وَجَهْلِ ذَوِي  
الشَّيْبَةِ . وَالمولى وَإِنْ كَانَ يَحْمَدُ اللهَ غَيْرَ مُحْتَاجٍ إِلَى مُسَاعَدَةٍ ، وَلَا مُفْتَقِرٍ إِلَى مُعَاوَدَةٍ ؛  
فَإِنَّ أَسِنَّةَ لَا تُحْتَاجُ عَن رُوحٍ مُحْتَجِبٍ ، وَنَفْسَهُ الشَّرِيفَةَ تَقُومُ وَحْدَهَا يَوْمَ الكِفَاحِ  
مَقَامَ عَسْكَرٍ لِحَبِّ ؛ وَقَلْبُهُ يُغْنِيهِ عَنِ الأَطْلَابِ والأَبْطَالِ ، وَجِيوشُ سَطُوْتِهِ لَا تَكْلِفُهُ  
المَقَامَ في مَنَازِلِ التَّرَالِ ؛ فَإِنَّ المملوكَ يَعْلَمُ أَنَّ نَفْسَهُ الشَّرِيفَةَ تَهْوِي تَرِيدُ عَسْكَرِهِ وَجُنْدِيَهُ ،  
وَتَرْغِي حَرَمَةَ قَاصِدِهِ وَقَصْدَهُ ، فَلهَذَا تَوَسَّلَ بِشَفْعِ وَرَّ الشَّفَاعَةِ ؛ وَتَوَصَّلَ إِلَى إِزَالَةِ

صَرَّحَ حاله بِكَثْرَةِ الضَّرَاعِ ؛ إِذَا أَنَّمُ الْمَوْلَى بِقَبُولِ شَفَاعَةِ الْمَمْلُوكِ فِيهِ ، وَحَقَّقَ لَهُ مِنَ الْعِنَايَةِ مَا يُؤَمِّلُهُ وَرَتَّبِيهِ ؛ كَانَ قَدْ شَدَّ لِلسَّارِ إِلَيْهِ مَا أَضْعَفَتُهُ الْعُطْلَةُ مِنْ مُتَّهِ ، وَقَلَّدَ الْمَمْلُوكَ لِلْمَوْلَى جَمِيلَ مُتَّهِ .

شفاعة في ردِّ معزول إلى ولايته :

يَقْبَلُ الْيَدَ الْعَالِيَةَ لِأَزَالَتِ مَقْبَلِهِ ، وَلِإِسْدَاءِ الْخَيْرِ إِلَى أَهْلِهِ مَوْهَلِهِ ، وَبِأَيَادِيهَا عَلَى الْكَافَّةِ مُتَفَضَّلِهِ .

وَيَنْبِئُ مَلَازِمَتَهُ عَلَى شُكْرِ مَوَاهِبِهِ ، وَنَشْرِ فُضَائِلِهِ الْجَسِيمَةِ وَمَنَاقِبِهِ وَحَمْدِهِ كَرِيمِ شَيْمِهِ ، وَالْاعْتِزَارِ مِنْ تَقْيِيلِهِ عَلَى خِدْمَةِ الْمَوْلَى بِخِدْمَتِهِ ، وَسُؤَالِ إِعْزَامِهِ بِوُجُوهِ مَكَاتِبَتِهِ وَلِسَانِ قَلْبِهِ ؛ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِئَلَّا يَتَحَقَّقَهُ مِنْ كَرِيمِ نِجَارِهِ ، وَشَدَّةِ تَقَلُّبِهِ لِإِسْدَاءِ الْعَوَارِفِ وَإِشَارِهِ ؛ وَالْوَجِبُ لِهَذِهِ الْوَسِيلَةِ وَسُؤَالِ مَكَارِمِهِ ، وَاسْتِطَارِ مَحَاطِبِ مَرَامِهِ ، مَا بَلَغَهُ مِنْ عَزَلِ مَمْلُوكِ الْمَوْلَى وَعَبْدِهِ ، وَوَصِفِ جَمِيلِ أَوْصَافِهِ بِلِسَانِ شُكْرِهِ وَحَمْدِهِ ، فَلَانِ ؛ أَفَاضَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِحْسَانَ الْمَوْلَى وَإِعْزَامَهُ ، وَخَلَّدَ لَنَا وَلَهُ دَوْلَتَهُ وَأَيَّامَهُ ؛ فَإِنَّهُ صَاحِبُ الْمَمْلُوكِ وَصَدِيقُهُ ، وَشَرِيكُهُ فِي الدُّعَاءِ لِمَوْلَانَا وَرَفِيقُهُ ؛ وَهُوَ مِنَ السُّدُولِ الْأُمْنَاءِ ، وَالثَّقَاتِ الْأَقْيَامِ ؛ وَهُوَ قَلِيلُ الْحِدَّةِ كَثِيرُ الْعِيَالِ ، لَا يَجِدُ حِيلَةً إِذَا بَطَلَ بِخِلَافِ مَا يُحْكِي عَنْ الْبَطَالِ ؛ وَقَدْ تَسَقَّعَ بِالْمَمْلُوكِ وَمَكَاتِبَتِهِ فِي مِلَاحِظَةِ الْمَوْلَى لَهُ بَعِيْنِ عِنَايَتِهِ ، وَالتَّقَدُّمِ بِرَدِّهِ إِلَى جِهَةِ وِلَايَتِهِ ؛ فَلهَذَا كَتَبَ إِلَيْهِ وَأَكَّدَ فِي مَعْنَاهِ السُّؤَالَ ، وَعَلَّقَ بِتَحْصِيلِ أَمَلِهِ الْأَمَالَ ؛ يَعْلَمُ ذَلِكَ مُوَقَّعًا .

شفاعة في خلاص مسجون :

فَسَّحَ اللَّهُ فِي مُدَّتِهِ ، وَسَهَّلَ أَدَاءَ مَا يَجِبُ مِنْ شُكْرِ نِعْمَتِهِ ؛ وَأَلَزَمَ الْأَلْسِنَةَ بِحَمْدِهِ وَالْقُلُوبَ بِحُبَّتِهِ ؛ وَجَمَلَهُ مَفْرَجًا كُلِّ كَرْبٍ ، وَمَسْهَلًا مِنَ الْمَقَاصِدِ كُلِّ صَغَبٍ .



وبعد ، فإن كافة الأمة قد تحققت رحمة قلب المولى وراقته ، وتيقنت إحسانه ومروءته ، وأنه يؤثر إعانة كل عاين وإغاثة كل ملهوف ، وأنه لا يُمسك إلا بالإحسان ولا يسترح إلا بالمعروف ، بحيث سارت بحسن سيرته الركاب عوضاً عن الركبان ، ودرأت مكارمه عن الأولياء نوب الزمان ؛ وعلا على حاتم فلو تشبه بكرمه قلنا له : (مرعى ولا كالسعدان) . وللملوك من إحسانه أوفر نصيب ، وهو يرقل من جوده في نوب قشيب ؛ وقد أشتهر ما يعامل به من الإكرام ، وأن قسمه من العناية أوفر الأقسام ؛ وكان يعد من جملة العبيد فأصبح مضافاً إلى الأكرام ؛ وهذا مما يوجب على الملوك أن يتبهل إلى الله في تخليد دولته ويتضرع ، وعلى حلم مولانا أنه إذا شفع إليه في مذنب أن يسفح ، وهو يسفح إليه في مملوكه وعبيده ، والملازم على رفع رايات مجده وتلاوة آيات حمده ، فلان ؛ رزقه الله رضا الخواطر الشريفة ، وأسبل عليه حلة عفوه المنبغة على الحلال بظلالها الكثيفة ؛ فإنه قد طالت مدة حبسه ، وأعترف بأنه الجاني على نفسه ؛ والمعتري بذنبه كمن لا أدنب ، والمعتري من بحر جوده يروى دون أن يشرب ؛ والطالب لبره ينال سؤله والمطلب ؛ فإن حسن في رأيه العالى زاده الله علاء ، وضاعف له سناء ، المشى على منار جوده ومنهاجه ، وبروز أمره المطاع بإطلاقه وإخراجه ، أغتم أجره ، وجبر كسره ، ورجح في هذا الشهر المبارك دُعاءه الصالح وشكره ؛ وكان قد أنعم على الملوك بقبول شفاعته إليه ، وفعل ما يوجب على كل مسلم الشاء عليه ؛ والله الموفق .

شفاعة بسبب خلاص حق :

يختم المجلس السامى لآفتي بالتحيات تحنوما ، وحبل سعه مبروما ، ودر المدائح لجيد جوده منظوما ، وعدله بين الأخصام قاضياً فما يترك ظالماً ولا مظلوما .

(١) في الأملين «ردارت مكارمه على الأولياء» ويظهر أنه تصحيف من النسخ .

ولا زالت الآمال متعلقة بهيمته ، منوطة بسعيد عزيمته ؛ راجية خلاص كل حق من هو في جهته . وتوضح لعلمه أن فلانا أدام الله سعادته ، وخلد سيادته ، ذكر أن له ديناً في جهة غريم مُسَاطِلِ مُدَافِع ، وخَصْمُ مُمَانِع ؛ وقد جعل هذه الخدمة ذريعة إلى خلاص حقه ، وخالف إلى الوصول إلى عناية المولى أقرب طرقه ؛ وهو جدير بالتقدم بإحضار غريمه ومحققته ، وأخذ مالمالوك في ذمته ، وأن لا يُفسح له في تأخير ؛ ولا يُسمح بقليل الصبر ولا كثيره ؛ فإنه يعلم أن المولى المشار إليه واجب الخدمة ، وإفرا حرمة ؛ وقد تعلق أمله في خلاص حقه بالمولى ، ولا يُجاوب عن هذه الخدمة بلو ولولا ، بل يسذل جهده ، ويطلق في تحصيل القرض لسان الاجتهاد ويده ؛ ويعتمد من الإهتمام ما يليق بأمثاله ، ويبض وجه الشافع وسؤاله ، موثقاً . شعر :

وَلَوْ كَانَ [بلى] فِي حَاجَتِي أَتْفَ شَافِع \* لَمَا كَانَ فِيهِمْ مِثْلُ جُودِكَ شَافِعُ

شفاعة فيمن أسمه سراج الدين إلى من أسمه جمال الدين :

الشيخ جمال الدين بن نبانة :

وينبى بعد ولائكم على القلوب شافعُ جماله ، وثناء يحرُّ على أكام الزهر فضل أذباله : أن العلوم الكريمة محيطة بإيجاب حق من هاجر إلى بابها ، وشكا غلة الفاقة إلى منهل منهل محابها ؛ وأن المائل بهذه الخدمة ، فلان ؛ ذكر احتياجه إلى عاطفة من عواطف مولانا التي شملت ، وعارفة من عوارفه التي لو استمدت من غررها الليالي لما أظلمت ولا ظلمت ؛ وأن بيده وظيفة شهادة بيت لحم بتواقع شرفية نظرت في حاله ، ونشرت حال عياله وأطفاله ، وأن تم من ينازعه في جهته المتعاده ،

وَقَصِدَ نَزَعَهُ وَالتَّرْعَ عَنْ تِلْكَ الشَّهَادَةِ الْمُسْطَرَّةِ أَخَفُّ مِنْ نَزْعِ الشَّهَادَةِ ، وَمَوْلَانَا أَوَّلَى مَنْ رَحِمَ مِنْهُ ضَعْفًا ، وَاشْتَمَلَ عَلَيْهِ عَطْفًا ؛ وَدَارَكَ بِكَرَمِهِ هَذَا السَّرَاجَ قَبْلَ أَنْ يُطْفِئَ ؛ وَرَعَى سِيرَةَ مَبَاشَرَتِهِ الْحَسَنَةِ الْآثَارَ ، وَأَعْتَمَّ أَدْعِيَتَهُ وَأَدْعِيَةَ أَوْلَادِهِ الَّذِينَ هُمْ كَقِطْعِ الشَّطْرِ نَجْصِصًا وَبِجَارٍ ؛ وَكَفَّ يَدَ التَّمَرُّضِ إِلَيْهِ فِي أَيَّامِ عُدْلِهِ فَلَمَّا أَيَّامٌ لِأَضَرِّهَا فِيهَا وَلَا ضَرَّارَ ؛ وَعَلَى الْجَمْلَةِ فَقَدْ تَرَكْتَهُ الْإَيَّامُ قِطْعَةً لَحْمٍ ، فَبَاشَرَةُ بَيْتِ لَحْمٍ أَوَّلَى بِهِ ، وَرَجَالُهُ فِرْجَانِيَّةٌ وَأَخَوَاتُهَا أَحَقُّ أَنْ يَتَعَلَّقَ سَبَبُهَا بِأَسَابِهَا ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُبَيِّرُ بَيْنَ مَوْلَانَا أحوَالِ الْمُضْطَرِّينَ فَلَمَّا ظَلَّامٌ ، وَيُنْصَرِّهُمُ عَلَى حَرْبِ الْإَيَّامِ بِسُيُوفِهِ الَّتِي هِيَ أَقْلَامٌ ، وَيَتَمَتَّعُ بِأَيَّامِ عُدْلِهِ وَإِحْسَانِهِ الَّتِي تَتَنَافَسُ فِيهَا أَعْمَارُ الرِّعَايَا فَلَهُمْ يُتَّبِعُونَ أَيَّامًا بِأَعْوَامٍ .

وله إلى شخص اسمه شمس الدين :

وَيُنَبِّئُ بَعْدَ قِيَامِ بوظائفٍ شَاءَ يَتَمَسَّكُ بِنَفْعَاتِهِ [ المتواليه ] ، وولاءٍ يَتَمَسَّكُ بِجِوَالِهِ التَّيْنَةِ وَمَا كُلُّ شَيْءٍ حَبَالُهَا وَاهِيه : أَنَّهُ يَتَادُّ الْأَوْقَاتَ لِحُطَابِ مَوْلَانَا بِالْأَقْلَامِ ، حَيْثُ حَبَسَ الْبَعْدُ خِطَابَ الْكَلَامِ ، وَيَتَخَيَّرُ حَمَلَةَ رَسَائِلِ الشُّوقِ ، وَإِنْ أَضْعَفَ عَطْفُ النَّسِيمِ رَسَائِلَ السَّلَامِ . وَلَمَّا حَضَرَ مِنْ مَكَانٍ كَذَا ، عَارِضَ هَذِهِ الْخِدْمَةِ فَلَانَ ، وَذَكَرَ تَوَجُّهَهُ إِلَى حِمَى حِمَاةِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَقَصِدَ كِتَابًا يَكُونُ فِي وَحْشَةِ الْإِغْتِرَابِ أَيْنِسَهُ ، فَوَافَقَ ذَلِكَ غَرَضَ الْمَمْلُوكِ ، وَسَلَكَ طَرِيقَ مُرَادِهِ وَلَا يُنْكَرُ مِنْ جِهَةِ هَذَا الرَّجُلِ الصَّالِحِ السُّلُوكِ ، فَأَعْلَمْتَهُ أَنَّ الْمَكَارِمَ الْحَمَادِيَّةَ لَا تَحْتَاجُ غَيْرَ الْحَمْدِ وَالْإِنْخِرَ شَافِعًا إِلَيْهَا ، وَالْمَنَازِلَ الشَّمْسِيَّةَ لَا تَقْتَرِفُ إِلَى دَلِيلِ بَيْتِهِ عَلَيْهَا ، وَطَلَبًا جَمَعَتْ لِقَاصِدِهَا التَّعَلُّلَ وَالْقَوْلَ السَّيْخِي ، وَطَلَبًا قَالَ يُوسُفُ رَحِمَهُ اللَّهُ أَخُو مَوْلَانَا أَقْبَاهُ اللَّهُ لِلْقَاصِدِ : أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَيْحَى ، وَلَكِنِ الْمَمْلُوكُ يَذْكُرُ الْخَاطِرَ الْكَرِيمَ بِهَذَا الْقَادِمِ فَإِنَّهُ مِنْ

أحله ، و يلقاه قبل ذلك باليُسر المنشد \* أَصَاحُكَ صَبِيٌّ قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ \*  
 فإنه من أصحاب وليّ الله طالماً فاضّ وليّ معروفيه ، واستفاضت نسبته المرشديّة  
 فكان وليّاً مرشداً قامت صفته مقام موصوفه ؛ وإن آثار هذه البركات على هذا  
 القادم لأئمه ، وإن على يده تجارة ذكر وأجروهي في سوق همّ مولانا تجارة رايحه ،  
 والله تعالى يجعل له في كلّ ثناء وثواب نصيباً ، ويديم قلبه الكريم مقصداً رفد وجاه  
 (فطوراً ريشاء وطوراً قليلاً) .

وله : عن نائب الشام إلى نائب حماة شفاعاً في شخص اسمه شهاب الدين ، وهو  
 بعد الألقاب :

لا زالت الأقدار تُسعيده ، والملائكة تُحجده ، ومواطن النصر تجرّدُ حدّ بأسه ومواطنُ  
 الحلم تُعَمِّده ، والجنّة تلوذُ بظله : فأى جاني ذنب مابعفو عنه ، وأى جاني برّ مايرقى  
 عليه ويرفده ، قبيلاً يترادف مدده ، ولا تنهى في القرب والبعد مدده .

وينهى بعد ولاء وثناء : هذا لا يئيلُ جديده وهذا لا تخفى جنده ؛ وشوق  
 وأرتياح كلاهما يروى عن ابن شهاب توقّده ، ويجعل على يد شهاب سنده : أن  
 العلوم الكريمة محيطة بمقدار الحلم وفضله ، والعفو ومحلّه ، والتجاوز عن هفوات  
 المخطئين من القوم ، وطلب العفو من الله غداً بالعفو عن عياده اليوم ، قال الله تعالى :  
 ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ ﴾ . ولما سمع الصديق رضي الله  
 عنه هذه الآية ، قال : ( بلى ) والله إنّي لأحبُّ أن يغفر الله لي ) ثم عفا عن نزلت  
 بسببه ، ومملوك مولانا أعزّ الله أنصاره فلان ، قد أترف بهقوة بدت منه ، وزلة  
 نُقلت عنه ؛ ما يسمعها إلا عفو مولانا وصرّاحه ؛ وقدم على المملوك فكأنه مانحرج عن  
 ظلّ مولانا ولا فارقه معاملة ؛ وسأل سؤال مولانا أن يشمله بالعفو ، ويتجاوز له

عن السَّهْوِ ؛ وَيَرْحَمُ كِبَرِ سِنِّهِ وَكِبَرَةَ جَهْلِهِ ؛ وَرِعَى قِدَمَ هِجْرَتِهِ لِحُدْمَةِ هَذَا الْبَابِ  
الَّذِي نَشَأَ عُمُرًا طَوِيلًا فِي ظِلِّهِ ، أَهْلًا لِأَن تَشْمَلَهُ عَوَاطِفُ أَهْلِهِ ؛ وَهُوَ - كَمَا عَرَفَ  
الْمَمْلُوكُ وَأُطْلِعَ عَلَيْهِ حَيْثُ كَانَ فِي نِيَابَةِ حِمَاةٍ - مَشْكُورُ السَّيْرِ بِالْإِعْتِبَارِ ، نَاهِضُ  
الْخِدْمَةِ بِالْإِخْتِبَارِ ؛ مَلَاذِمٌ لَثَرَى الْبَابِ بِعِزِّ مَاعِلِيهِ غُبَارٍ ؛ وَلَهُ عَلَى الْمَمْلُوكِ بِالْأَمْسِ  
حَقُّ خِدْمَةٍ وَبِالْيَوْمِ حَقُّ سَوَالٍ يَشْفَعُ بَيْنَهُمَا فِي الْقُلُوبِ وَهِيَ كِبَارٌ ؛ وَالْمُسْتُولُ مِنْ  
صِدَقَاتِ مَوْلَانَا تَجَاوُزُهُ عَنْ هَفْوَتِهِ ، وَرُدُّهُ إِلَى أَمْنِهِ وَوُضُوفَتِهِ ؛ وَإِجْرَاؤُهُ عَلَى عَادَةِ  
إِقْطَاعِهِ ، وَحَاشَاهُ أَنْ يَأْخُذَ بِأَيَّامِ مَوْلَانَا أَنْ يَقْطَعَ ، بَلْ حَاشَى الْمَذْكُورُ أَنْ لَا يَسْتَنْبِرَ وَأَنْ  
لَا يَقْطَعَ ؛ وَأَسْتَقْرَأُهُ فِي مَكَانِ خِدْمَتِهِ ، وَإِجَابَةُ سَوَالِ الْمَمْلُوكِ فِي كُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِنَجَاحِ  
يُجِيرُهُ عَنْ عِزِّهِ ؛ وَلَا يَبْرَحُ مَوْلَانَا مَأْمُوكَ الْمَتْنِ الْغَائِبَةِ وَالْحَاضِرَةِ ، وَالْمَقِيمَةِ وَالسَّارَةِ ؛  
مَأْمُوكَ الْخَوَاطِرِ بَرَفَعُ ذِكْرِهِ وَقَدْرِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

الشيخ جمال الدين بن نباته :

لَا زَالَتِ الْمَحَامِدُ بِذِكْرِهَا مُتَوَجِّهَةً ، وَمَقْدِمَاتُ الْفَضْلِ وَالْفَضَائِلِ مِنْ تِلْقَاءِ شَيْئِهَا  
مُتَتَبِعَةً ؛ وَمَطَالَعُ الْكِرَامِ الْإِكْرَامِ هَادِيَةً إِلَى حَرَمِهَا مِنْ أَجْلِ تَقْبِيلِ مَوَاطِئِ عَلَى الدُّعَاءِ  
يَرْفَعُهُ ، وَالْوَلَاءِ يَجْمَعُهُ ؛ وَالثَّنَاءُ يَقُولُ بَضَاعُ أَرْجَاهُ لَا مِمَّا نُضَيِّعُهُ بَلْ مِمَّا نُضْوَعُهُ ؛  
[وَيَنْهَى] أَنْ عَارِضُ هَذِهِ الْخِدْمَةِ عَلَى عَارِضِ كَرَمِ مَوْلَانَا الْمُخْطَرِ ، وَبَابِهِ الَّذِي هُوَ لِكَيْدِ  
الْحَاسِدِ وَقَمِ الْوَارِدِ مُقْطَرٌ ، فَلَنْ يَقْضَى تَعَلُّقَاتُ لَهُ أَوْ لَهَا التَّعَلُّقُ بِجَبَلِ رَجَائِهِ الْمُحْصَدِ ،  
وَأَتَانِهِ الْمُرْصَدِ ، وَالتَّجَمُّلُ بِقَصْدِ بَابِ مَوْلَانَا الَّذِي هُوَ الْمُهِمُّ الْمُقَدَّمُ عَلَى كُلِّ مَقْصَدٍ ؛  
وَهُوَ مِنَ الْفَضْلَاءِ الَّذِينَ يَعْرِفُهُمْ أَنْتِقَادُ مَوْلَانَا مَعْرِفَةَ الْخَيْرِ ، وَلَهُ اتِّصَالٌ بِالْأَكْبَارِ الَّذِينَ  
سَلَّمَتْ مِنْهُمْ زِيَامُ الْمَفَاحِرِ كُلِّ كَبِيرٍ ؛ وَقَصَدَ مِنَ الْمَمْلُوكِ هَذِهِ الْخِدْمَةَ لِمَوْلَانَا تَوَيْسُ اعْتِرَابِهِ ،  
وَتَشْدُ الْمَقَرَّ الَّذِي مَاقَرَعَ سَنَ النَّدَامَةِ مَنْ قَرَعَ بَابَهُ :

يَا غَرِيبَ الْمَقَاتِلِ حَقٌّ لِمَنْ كَا \* نَ غَرِيبًا أَنْ يَرْحَمَ الْغُرَبَاءُ!  
 والملوك يسأل من إحسان مولانا ملاحظة المذكور بعين عنايته التي ما أغفَتْ  
 عن القاصدين ولا غفلت ، وعواطفه التي طالما فتحت أبوابها فأنفت عليها الركايب  
 التي قفلت ؛ والله تعالى يُديم تقليد الأعناق بكلمه وبره ، ويمتّع الممالك الساحلية  
 بما قدّفت لها من دُرر بحره .

## النوع الخامس

### (التشويق)

قال في "مواد اليان" : وينبغي للكتاب أن يجمع لها فكره ، ويُظهر فيها صناعته ،  
 ويأخذ في نظمها مأخذاً من اللطافة والرفقة يدل على تمازج الأرواح ، وأتلاف  
 القلوب ، وما يجري هذا المجرى ؛ وأن يستخدم لها أدب لفظ والطف معنى ؛  
 ويذهب فيها مذهب الإيجاز والإختصار ، ويعدل عن سبيل الإطناب والإكثار ؛  
 لتلا يستغرق جزءاً كبيراً من الكتاب فيمِلُّ ويضعجر ، وينتظم في سلك الملقى والتكلف  
 اللذين لا يعتادهما المتصافون من الأصدقاء .

وهذه نستخرج من ذلك :

أبو الفرج البهاء :

شوق الملوك إلى مولانا بحسب مكانه من تفضله ، وحظه من جميل نظره ،  
 وأختصاصه بإنعامه ، وأغتيابه بشرف خدمته ، ومكانه من إشاره ؛ والله يجمع للملوك  
 شَمْلُ السعادة بمشاهدة حضرته ، وسناه من الدهر بالنظر إلى غرته ، على الحال  
 السائرة فيه وبه .

(١) كذا في الأصلين بإهمال النقط والمراد أنه يمنه بالنظر الخ تأمل .

وله : شوق المملوك إليه شوقُ الظَّمانِ إلى القطر ، والسَّارى إلى غُرَّةِ الفجر .

وله : شوقِي إليه شوقٌ مَنْ لم يَجِدْ مع بُعْدِهِ عَوْضًا منه ، فتقوِّدُهُ الزيادةُ إلى الانصرافِ بالرَّغبة عنه .

وله : شوقِي إليه شوقٌ من قَدَّ بالكُرْ سَكَنه ، وفارقَ بالضرورةِ وطنه .

وله : لو كان مأْبُصِدْره من خطاب ، ويُناجيه به من متَّصِن كتاب ، بقدر ما أَعَانِيهِ من ألمِ الشوقِ إلى غُرَّتِه ، ومَضَضِ الفاتئِ من مشاهدَتِه ، لَمَّا أحاطَتْ بِذِكْرِهِ بَسْطَةُ لسان ، ولا نَابَ في إثباتِه أَسْتِخْدَامُ بَيِّن .

وله : أَمَّا الدهرُ فما يَسْتَحِقُّ من إبعادِ المملوكِ عنه عَتَا ، ولا يُعَدُّ ما جَنَاهُ من ذلك ذَنْبًا ، إذ كان إنما تَقَلُّ من حِشْمَةِ المخاطبةِ ، إلى أنْ يَسَاطِ المِكتَابَةِ .

وله : وقَدْره - أَبْقاء الله تعالى - يَرْفَعُ عن ذكرِ الشَّوقِ إليه ، فالمملوكُ يعبِّرُ عنه بِذكرِ الشَّوقِ إلى ما فارقه من تَفَضُّله ، وبُعْدِ عنه من أوطانِ تَطوُّله .

وله : ولولا أَنَّ المملوكَ يُجِدُّ نارَ الاشتياقِ ، وَيَرِدُّ أَوَارَ الفراقِ ، بالصَّخِيلِ المُمَثِّلِ لَمَنْ نَأَتْ محلَّتُه ، والتَّفَكُّرِ المصوِّرِ لِمَنْ بَعُدَتْ شُقَّتُه ، لأَلْهِبَتْ أنْفاسُه ، وأُسْعَرَتْ حَوَاسِه ، وَهَمَّتْ دُمُوعُه ، وَأَنْقَضَتْ ضُلُوعُه ؛ واللهُ المحمودُ على ما وَفَّقَ له من تَمَازُجِ الأرواحِ ، عند تَبَيُّنِ الأشباحِ .

وله : ولا بُدَّ أَنْ يَكْفُفَ بالمِكتاباتِ ، من غَرَبِ الإشتياقِ ، ويستعينَ بأَنْسِ المِرْاسَلاتِ ، على وَحْشَةِ الفِراقِ ؛ فإنَّها أَلْسُنٌ ناطقة ، وَعُيُونٌ على البُعدِ راقية .

وله : عِنْدَ المملوكِ لِمَوْلانا خَيَالٌ مُقِيمٌ ، لا يَبْرَحُ ولا يَرِمُّ ؛ يَحُلُّ عليه صُورَتُه ، وَيُطْلِعُ على عَيْنِ فِكْرَتِه طَلْعَتُه ، إِنْ سَهِرَ المملوكُ ساهِرًا مُعِينًا على الشَّهادِ ، أو رَقَدَ

تصوّر مُعَذِّباً طَمَّ الرُّقَادُ، لَا يَمُتُّلُهُ بَرَارَتُهُ، وَلَا يُوحِشُهُ بَنِيَّتُهُ، كَأَنَّمَا تَصَوَّرُ بِصُورَتِهِ فِي الْوَفَاءِ، وَتَحَاقُّ بِحُلُقِهِ فِي الْمَحَافِظَةِ عَلَى الْإِخَاءِ .

وله : إِنْ تَرَأَيْتِ الْأَشْيَابَ، فَقَدْ تَوَاصَلَتِ الْأَرْوَاحُ؛ وَإِنْ تَزَحَّتِ الْأَشْخَاصُ وَبُذِلَتْ، فَقَدْ دَنَّتِ الْأَنْفُسُ وَتَقَارَبَتْ؛ فَلَا تُحِصُّ الْفُرْقَةُ وَتُؤَلِّمُ، وَتُغْنِصُ النَّوَى وَتُكَلِّمُ؛ وَقَدْ يُنَالُ بَنَاجِي الضَّائِرِ، وَتَحَاوِرُ السَّرَائِرَ، مَا لَا تَصِلُ إِلَيْهِ الْإِشَارَةُ، وَلَا تَكُلُّ عَلَيْهِ الْعِبَارَةُ؛ إِذَا الْأَنْفُسُ الْبَسِيطَةُ أَرَقَّتْ مَسَرَّى، وَأَبْعَدُ مِنَ الْأَلْسِنَةِ مَسَرِّى .

### التشويق من كلام المتأخرين :

نسخة كتاب من ذلك، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة؛ وهو بعد الصدر:  
لَا زَالَ الْبَهْرُ يَقْضِي خِدْمَهُ، وَيُمِضِي رَأْيَهُ وَسِقْفَهُ وَقَلَمَهُ، وَيَرْضَى الدُّوْلَ الشَّاكِرَةَ تَحْدِيدَهُ فِيهَا وَقَلَمَهُ؛ وَلَا بَرِحَتْ الْأَقْدَارُ الْمُعَرِّبَةُ تُجْزِمُ أَمْرَهُ وَتَكْثِرُ ضِدَّهُ وَتَرْفَعُ عِلْمَهُ؛ تَقِيلًا إِذَا لَمْ تَلَمْ التُّرْبُ التَّثَمَةَ، وَإِذَا أُودِعَ الْقَلْبُ فِي ذَلِكَ التُّرْبُ خْتَمَهُ .  
وَيُنْهَى مَوَاطِبَتَهُ عَلَى وَلَاءٍ لَا يَنْسَخُ الْبُعْدُ مُحْكَمَهُ، وَدُعَاءٍ يَقَابِلُ النُّجُومَ وَلَا تَنْقَطِعُ مِنَ الْقَبُولِ إِدْرَارَاتُهُ الْمُنْجَمَةَ .

وَيُنْهَى أَنَّهُ سَطَّرَهَا عَنْ شَوْقٍ يَعْزُّ عَلَيْهِ أَنْ يُنَوَّبَ فِيهِ سَعَى الْقَلَمِ، عَنْ سَعَى الْقَدَمِ، وَأَرْتَاجٍ إِلَى الثُّرْبِ الَّذِي بَانَسُهُ يُؤْنِسُهُ أَنْوَارًا عَلَى أَعْلَى عِلْمٍ؛ وَتَطْلُعُ لِمَعَاوِدَةِ الْأَخْبَارِ أَوْفَى مِنْ تَطْلُعِ الْعَامِرَى إِلَى مُعَاوِدَةِ أَيَّامِ ذِي سَلَمٍ؛ وَتَعْلَلُ بِقَوْلِ الْقَائِلِ :

بَعَثْتُ لَكُمْ سَوَادًا فِي بَيَاضٍ \* لِأَنْظُرَكُمْ بَشِيءَ مِثْلِ عَيْنِي !

وهيأت! أين نظرات الحروف المرقومة من نظرات الميُون الراقية، وأين مثال السلو من تجو يقول : \* أعيدها نظرات منك صادقة \*



ما يحسبُ المملوكُ من النظرِ إلّا ما يملأُ العينَ من ذلك الوجهِ الكريمِ ، ولا يلبسُ من خلعِ الأيامِ إلّا ما يطيحُ الأهدابُ على شَبَا ذلك القُربِ الرقيمِ ؛ وعلى ذلك فقد جَهِزَها المملوكُ على يدِ فلان ، وحمله من رسائلِ الشوقِ ما يرجو أن ينهضَ فيه بأعباءِ الرِّسالة ، ويسألُ الإصغاءَ والملاحظةَ فيما توجهُ فيه وإن أدتِ الأُمالي إلى الملالة ؛ والله تعالى المسئولُ أن يبلغَ في امتدادها مولانا الأُمْنِيَّة ، ويمتّعَ الدُّولَ منه بهذه البقيّةِ النقيّة ، إن شاء الله تعالى .

نسخة كتاب في المعنى عن نائب الشام ، إلى القاضي علاء الدين بن فضل الله ؛ كاتب السّرِّ بالأبواب السلطانية ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نُبَاتَة أيضًا ؛ وهو بعد الألقاب .

لا زال قلبُها مفتاحَ الرِّزقِ لطالِبِه ، واجلَاهِ لكاسِيِه ، والظفرِ لمستَنبِيبِ كُتُبِها عن كُتُبِه ، والنَّججِ لرائدِ مُطالبةِ الدَّهرِ بعد المطالِ به ، ولا يَرِحُ البأسُ والكرَمُ يتحدَّانِ عن بحرِها ولا حَرَجَ عن عَجائِبِه ؛ تَقِيلًا تَقِيظُكُه في مرابعِها ، تُقَوِّرُ الأزاهرَ ، لا بل تحسُّدُه في مطالِعِها ، تُقَوِّرُ الزَّواهرِ .

وينهى بعد دعاء أحسنَت فيهِ الألسنةُ وأخلصَت الضمائرُ ؛ وولاءٍ وشاءٍ لهما مَصَاعِدُ التَّجَمُّينِ إلّا أنْ هَذَا في القلوبِ واقعٌ وهَذَا في الآفاقِ طائرٌ - أنه جَهِزَ هذه الخِدمةَ مُعَرِّبَةً عن شوقِ تَجَدُّدٍ ، وأرتِياحٍ لا يتعدى ولا يتعَدَّدُ ، ساعيةً عنه بخطواتِ الأقلامِ ، أنْ منعَ الوقتُ خَطَواتِ الأقدامِ ، ناثبةً في تَقْيِيلِ الأنايِلِ التي تُسَسِّقُ دِيَمِها على القُربِ والبُعدِ ولا كَيْدَ ولا كَرَامَةَ اللَغَامِ ؛ وجَهِزَها على يدِ فلان بعد أن حمله من رسائلِ الشوقِ ما إنَّ حَمَلْنَا من إحسانه لِيُنْضِيَ عَقُودَ الأُنْجُمِ لو تَسَدَّتْ ، ومَقَاتِيحَ أبوابِها لَتَنَوَّهَ بالعُصْبَةِ أُولَى القُوَّةِ لو تَجَسَّدَتْ ؛ وهو بين يَدِيهِ يَقدِّمُ نَجَواها ، ويستشهِدُ

بالخاطر الكريم قبل حضور دَعَوَها ، والمسئول إصغاء السمع الكريم إليه ،  
والملاحظة فيما توجه فيه متكللاً على الله وعليه ؛ وإذا عاد مشمولاً بعناية مولانا  
المعهود ، مكفولاً برعايته المقصورة على نَجْح الآمال الممدودة ، فليُنعم على المملوك من  
المشرفات الكريمة بما يسكن على جور البعد خواطره الدهشة ، ويُعينه على الوحشة  
التي حرّكها نحوه البعاد فهي الوحشة ، والله تعالى يشكرهم مولانا غائباً وحاضراً ،  
وشافِعاً لرسائل خَلَمه وناظرها ؛ ويخص بابَه العلويّ بسلام كسلام سقيط الطل عن  
ورق الغصن ناضراً .

آخر من كلامه : كتب به إلى بعض رؤساء مصر .

ويُنهي أنه سَطَرها مُعْرِبة عن شوق مُقيم ، وعهد لا يبرح على صراطه المستقيم ؛  
وأرتباج لجنائيه ، أو لكتابه ، ليتلو لإنصات تجوّه : ( أُم حَسِبْتَ أَنَّ أَفْخَابَ الْكَافِرِ  
وَالرَّقِيمِ ) . متطعاً لما يرد من أخبار مولانا الساترة البازة ، مرتقباً لأخباره أرقاب  
الزُهيرة الفاغرة إلى ضرع الغمام الدّارة ، ولو أنّ كلّ ما يمتنى المرء يدركه ، وكلّ ما يفتريح  
على الدهر يملكه ، لفني بقرب مخاطبه ، عن بُعد المكاتبه ، وأستجلى كوكب الجمال  
المشرق وأقصر في ليل إلى الانتظار عن المراقبة . وقد جهّزها على يد فلان ، وجمله من  
رسائل الشوق أوفى وأوفر من رسائل الصفا ، وسأل الإصغاء والملاحظة من مولانا  
بكاره النيل مغروف المنافع والوفاء ؛ ولآمال المملوك بمشرفاته وأواصره جمال حين يريح  
وحين ينسرح ، وحين يقتصر على مقترحات الأيام حين ينسرح ؛ فينعم مولانا بمواصلتها  
على هذه المقامه ، ويحصل ذلك من إدارات صلاحه المنجّمه ، والله تعالى لا يعدم  
المملوك في حال كرمه : إما أن يفيض في القرب ببحره وإما أن يبعث على البعد ديمه .

وله إلى كاتب السر :

أعلى الله أمرَ قلبها على الأفلام، وأدام فيض أناميله عليه بسط كلمة الإسلام،  
وراع بكتائب كتبه العدا إذا أنبئوا، فإذا أغفوا «سَلَّتْ طيهم سِيوفها الأحلام» .

ولا زالت تلك الأفلامُ العالية في تلك اليدِ الكريمة إن لم تكن من المنشآت  
فإنها من المنشآت في البحر كالأعلام ؛ تقبيل مواظب على دُعاء يطلعُ طلوع طُرة  
الصبح تحت ذلك الظلام ، وولاء إذا اعتبر الخاطر الكريمُ مسعاه وخدمته :  
( قال يابشرأى هذا غلام ) .

وينهى أنه جَهَّز هذه الخدمة مقصورةً على وصف الأشواق الممدودة ، وجوانح  
الشجر المعهودة ؛ وأنفاس التذكر التي لولا شرف مذكورها لم تكن عنده من  
الأنفاس الممدودة ؛ فيالها مقصورة على شوق ما فيها غير طيور الجوانح خفاقة الخناج ،  
سبابة الارتياح ؛ ويالها أنفاس ذكر أغنت منادمتها عن كيس كأس وأقتراج  
وقت راح ؛ ويالها ورقة فازت بمشاهدة ثم اليد الشريفة فكرمت وصفا ، ونأت  
عن نغار الروض عطا ؛ وأستطابت بشفاء السطور على تلك البنان رشفًا :

وسَطَرْتُها وإلحَمْتُ أنحل ما يُرى \* فياليتني أصبحتُ في طيها حرقًا

واصلة إلى الباب الكريم بسلام وصل عقبه قبل ماوصلت ، واردة على يد فلان  
وقد حمل من رسائل الصفاء والود مثل ما حملت ، وحصلت على القرب والاسقى  
على ما حصل وحصلت . والمملوك يسأل الإصغاء إليها وإليه بفضل النظر والسمع ،  
والإنعام على المحبِّ المفارق بمشرفات تجلُّو عليه أيام جمع ؛ وتعينه على أوقات وحشة  
إذا وصفها المشتاقون وأفلامهم ولَّوا وأعْيَبُهم تقيض من السمع ؛ لا يرح ذكر مولانا  
عليًا ، وبره بملء الآمال مليًا ، ووصفه بالتقى ومحاب الجود على الحالين وليًا :



يَأْمِنِيَّةَ النَّفْسِ وَيَأْمَالِي \* مُذْغِبَتَ عَنِّي لَمْ تَنْمُ مُقْلِي !  
 إِنَّ بِنْتَ عَنِّي بَرَعِي فَقَدْ \* سَكَنْتَ فِي قَلْبِي وَفِي مُهَجِّي !  
 لَا أَوْحَشَ اللَّهُ مِنْ طَلْعَتِهِ ، وَلَا أَخْلَى مِنْ كَرِيمِ مَسَاعِدَتِهِ ، وَجَمَعَ شَمْلَ الْأَنْسِ  
 بِضَلَّتِهِ .

الْمُلُوكُ يَشْكُونُ الْمَوْلَى فِرَاقًا أَوْجِبَ لَهُ عَلَى نَفْسِهِ فِرَاقًا ، وَجِيشَ صُدُودٍ مَنَحَهُ  
 مِنَ الْعَزَائِمِ طَوَائِفَ وَفِرَاقًا ؛ وَدَاءَ صَبَابِهِ كَلْبًا تَرْجَى الْإِفْرَاقُ مِنْهُ <sup>(١)</sup> أَزْدَادًا تَلْهَبُ وَحَرَقًا ،  
 وَوَجُوبَ قَلْبٍ تَحْتَمُّ لَنَيْتِهِ وَوَجَبَ ، وَدَمْعَ عَيْنٍ يَجْوِي مُهْمَا عَبْرَتِهِ لَسَانُ قَلَمِهِ  
 أَوْ كَتَبَ ، وَقَدْ أَطَالَ الْمَهْجُرُ تَأْلَمَهُ وَعَتَبَهُ ، وَأَطَارِسَتَهُ وَلَبَّاهُ ؛ مُذْ وَصَلَ الْمَوْلَى غَيْرَهُ  
 وَقَطَعَ عَنْهُ كُتْبَهُ ، وَالْمَوْلَى يَعْلَمُ أَنَّ الْمُلُوكَ لَفِظُ وَالْمَوْلَى مَعْنَاهُ ، وَسَمِعَهُ شَخْصَ وَأَنْتَ  
 وَجْهَهُ الْمَيْمُونُ وَيُنْمَاهُ ؛ فَيُؤَاتِرُ إِسْرَالَ مَكَاتِبَاتِهِ ، وَيُخَفِّفُ بِمَأْثُورِهِ وَلِبَائِنَاهُ ؛ وَيُسَطِّرُ  
 بِذِكْرِهِ الْجَمِيلِ الْأَمَّاكِنَ وَيُسَنِّفُ الْمَسَامِعَ ، كَمَا شَرَّفَ بِمُحَلُّوهِ فِيهَا الْأَضَالِعَ ؛ وَاللَّهُ  
 يُدَيِّمُهُ وَيُمَدِّهِ بِالْإِسْعَافِ وَالْإِسْعَادِ ، وَيَنْصُرُهُ عَلَى الْأَضْدَادِ وَالْحُسَادِ :



أَقَامِي مِنْ يَسَادِكَ مَا أَقَامِي \* وَقَلْبُكَ رَاحِمٌ وَعَلَى قَامِي !  
 وَأَحْمِلْ مِنْ نَوَالِكَ بَضْعَ نَفْسٍ \* عَنَاءَ يَحْجِزُ الشَّمَّ الرَّوَاسِي !  
 وَتُبْعُدْنِي وَأَمْرُكَ إِنْ أَنَانِي \* جَعَلْتُ حَمَلَهُ عَنِّي وَرَاسِي !

(١) أى البرء مصدر أفرق الطليل إفرافا إذا برأ من علته . انظر اللسان ج ١٢ مادة ف رق .

قَرَّبَ اللهُ أَوْبَتَهُ، وَجَعَلَ رُؤْيَتَهُ؛ وَحَرَسَ نَفْسَهُ مِنَ الْغَيْرِ وَالْحَادِثَاتِ، وَصَانَ حِجَابَهُ  
الْمُنْتَجِعَ عَنِ الْمِلْمَاتِ الْمُؤَلِّمَاتِ؛ وَجَعَلَ الْأَيَّامَ بِوُجُودِهِ، وَالْأَنَامَ بِجُودِهِ. وَلَا زَالَتِ  
الدُّنْيَا بِهِ مَجْمَلُهُ، وَأَعْنَقُوا أَيْدِيَهُمَا لِمَنْتَهُ مَتَحْمَلُهُ .

صدرت هذه الخدمة إلى خدمته متضمنة إهداء سلامه، وشاكية لغيرته جور  
أيامه؛ ومُنِيْبَةً شِدَّةَ أَشْوَاقِهِ الَّتِي أَفْنَتْ بِالصَّبَابَةِ قَلْبَهُ، وَأَذْهَبَتْ حُشَاشَتَهُ وَلَيْلَهُ؛ وَهِيَ  
فِي ذَلِكَ نَائِبَةٌ مَنَابٍ سَائِرِ الْخِدَمِ، وَمَعْبَرَةٌ عَنِ أَلْسِنَةِ الْأَقَالِمِ بِلِسَانِ الْقَلَمِ؛ فَإِنَّ الْأَعْيُنَ  
مَتَطَلِّعَةٌ إِلَى رُؤْيِيهِ، وَالْقُلُوبُ مَتَعَطِّشَةٌ إِلَى قُفُولِهِ وَرَجْعَتِهِ؛ كَمَا تَنْطَلِعُ إِلَى السَّمَاءِ عُيُونُ  
النُّجُجِيسِ، وَتَنْعَطِّشُ الرِّيَاضُ إِلَى الْوَابِلِ الْفَدَقِ بَعْدَ الْيَوْمِ الْمُحَرِّ الْمَشْمُسِ؛ فَلَمَلُوا  
يَجْعَلُ مَوَاصِلَتَهُ بِأَخْبَارِهِ قَرْضًا لَازِمًا، وَيَمْتَنِعُ مِنْ إغْفَالِهِ كَمَا يَمْتَنِعُ مِنْ لَذَّةِ الطَّعَامِ إِذَا  
كَانَ صَائِمًا؛ فَإِنَّ الْمَوْلَى هُوَ صُورَةُ الْجُودِ وَمَعْنَاهُ، وَبَيْتُهُ الْكَرِيمُ فَنَاءُ الْخَيْرِ وَمَعْنَاهُ؛  
وَالنَّاسُ مَا لَمْ يَرَوْكَ أَشْبَاهَ، حَرَسَهُ اللهُ وَتَوَلَّاهُ، وَضَاعَفَ عِلَّاهُ، وَالسَّلَامُ .



يَا أَجْمَلَ النَّاسِ سَنَاءً وَسَنًا \* جَفَتْ جُفُونِي لِحَفَاكَ الْوَسَنًا!

يَمَارِ الْأَيَّامِ إِلَّا لَمْ أَجْنِي؟ \* يَا لَيْتَنِي أَعْلَمُ حَظِّي مَا جَنَّا؟

وَأَتُمُّ يَا أَهْلَ بَابِ لَعْلٍ \* مُدُّ يَدَيْكُمْ لَمْ أَرِ شَيْئًا حَسَنًا!

أَقْسَمُ بِمُتَحَنِّي أَضَالِي \* وَسِرَّتُمْ يَا أَهْلَ وَادِي الْمُتَحَنَّا!

فِي بُعْدِكُمْ مَتَيْتِي لَا تَتَّبِعُوا \* وَقُرْبَكُمْ غَايَةُ سُؤْلِ وَالْمُنَّا!

خَلَّدَ اللهُ سَعَادَتَهُ، وَبَلَّغَهُ مِنَ الْعِلْيَاءِ إِرَادَتَهُ؛ وَأَثَلَ مَجْدَهُ، وَأَدَامَ سَعْدَهُ؛ وَأَعْتَبَ  
مَنْهَلَهُ وَرَدَّهُ .

المَلُوكُ يَشْتَوُّ إِلَى لِقَائِهِ، وَيَشْتَوُّ إِلَى أَنْيَابِهِ، وَيَصِفُّ شَدِيدَ أَشْوَاقِهِ وَصَبَابَتِهِ، وَحِينَئِذٍ إِلَى مَشَاهِدِ الْمَوْتِ وَمَشَاقِفَتِهِ، وَمَا يَجِدُهُ لَذْلُكَ مِنْ أَلَمٍ فِي جَوَارِحِهِ الْحَرِيحَةِ، وَسَقَمٍ فِي جَوَائِمِهِ الصَّحِيحَةِ؛ وَيَتَمَسَّ مُوَاسَلَتَهُ بِكُتْبِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ، وَأَخْبَارِهِ السَّائِرَةِ لِيَتَضَاعَفَ بِهِ مَزِيدُ الْإِسْتِيشَارِ؛ فَإِنَّ الْقَلْبَ بِنَارِ الصَّبَابَةِ قَدْ وَقَدَّ، وَأَمَّا صَبْرُهُ عَلَى [بُعْدِهِ] فَقَدْ وَقَدَّ؛ وَمَتَى وَرَدَ كِتَابُ الْمَوْتِ شَفَى الْفَلِيلَ، وَأَبْلَّ الْعَلِيلَ، وَنَجَّى طَعْمَ الْحَيَاةِ وَنَجَّى التَّأْمِيلَ؛ فَلْيَصِيرْ وَثَرُ مَكَاتِبَاتِهِ شَفْعًا، وَلَا يَجْعَلْ لَوْصِلَهِنَّ قَطْعًا؛ وَاللَّهُ يَمْنَحُ عَيْشَهُ خَفْضًا وَمَكَانَهُ رَفْعًا، وَالسَّلَامَ .



شعري معنى التشوق :

قد كَانَ لِي شَرْفٌ يَصْفُو بِرُؤُوسِكُمْ \* فَكَدَّرْتُهُ يَدُ الْأَيَّامِ حِينَ صَفَا  
غِيَرِهِ :

كَتَبْتُ <sup>(١)</sup> لِلْكَاتِبِ مَجْلَدٌ \* عَلَى أَنَّهُ قَبْلِي بِقِيَاكَ يَسْعُدُ

## النوع السادس

### (فِي الْإِسْتِرَارَةِ)

قال في "مواد اليان" : رَفَاعُ الْإِسْتِرَارَةِ إِنَّمَا تَشْتَمِلُ عَلَى وَصْفِ حَالَاتِ الْأُنْسِ وَمَجَالِسِ اللَّذَاتِ، وَمَشَاهِدِ الْمَسَرَّاتِ . قال : وَيَجِبُ عَلَى الْكَاتِبِ أَنْ يُودِعَهَا حُلُو الْأَلْفَاظِ، وَمُؤَنِّقَ الْمَعَانِي وَبَارِعَ التَّشْبِيهَاتِ، وَيُبَالِغَ فِي تَشْوِيقِ الْمَسْتَرَارِ إِلَى الْحُضُورِ، وَيَتَلَطَّفَ فِيهِ أَحْسَنَ تَلَطُّفٍ .

(١) بياض في الاصل ولعله "وشوق للكتاب الخ" .

(٢) لعله مجالات كما لا يخفى .

وهذه نسخ من ذلك :

على بن خلف :

رُفِعتي - أطال الله بقاء سيدي - ومجلسي بمن حله من خدمه ، وزله من صنائع كرمه ؛ فلک مزین بانجته ، فإن رأى أن يُطْلِع فيه بَدْرًا بطلوعه وينقل قدمه اليهم ، ويكمل قصصهم بتمامه ؛ ويضيف ذلك إلى تليد إنعامه ، فعل ؛ إن شاء الله تعالى .

وله في مثله :

قد أنتظمت لنا - أطال الله بقاء سيدي - مجلس رقت حواشيه ، وتيسمت راحه عن حبيب ، كلالتي على ذهب ، وقامت فيه سوق السرور ، لا يكسدها إلا تحفقه عن الحضور ؛ فإن رأى أن يكمل جدلنا بلطلاح طلعته علينا ، ويصدق ظننا بنقل قدمه إلينا ؛ سر وأنجح ، وتمم من الإحسان ما أخرج ؛ إن شاء الله تعالى .

وله : هذا - أطال الله بقاء مولانا - يوم صفيق الظل ، رقيق غلالة الظل ؛ قد ترفعت شمسك يريج<sup>(١)</sup> أنسه ، وأقتر جدلا عن مضاحك برفه ، وترنم طربا بزججيرة رعه ؛ ووشئت مدارج نسيمه ، بأرج شميمه ، وقام على منابر السرور يخطف أبنه الكرم لأبناء الكرام ، وينادي بأعلى صوته : حي على المدام ؛ فقد وجب على كل موثق لاجتناء ثمار السرور ، والتعاف عطف الجبور ؛ أنت بلي دعوة ، ويتنهر فرصته ؛ ويؤوضه من شمس الآله ، براج لإظهار ما أخفى من شعاعها كافله ؛ ويقفه على التمل بالكلس والتدمان ، ويعمله سلكا ينتظم فيه الإخوان . ورُفِعتي هذه صادرة إلى مولاي وقد تهيأ لنا مجلس من مجالس الأئس ، يسقط تجمد النفس

(١) لله "أقده" .

(١) فيه بَمَ وَنَمَ ، وَمِزْهَرُ وَزَهَرُ ، وَخُلَانٌ قَدْ تَرَضَعُوا لِأَنَّ الْعُقَارَ ، وَتَسَاهَمُوا قَلَّ الْوَقَارَ ، وَتَجَبَّعُوا فِي مَعَارِكِ الْخَجَارِ ، وَأَدْمَعُوا عَلَى الْمُسَاسَةِ وَالْإِتِّكَارِ ؛ إِلَّا أَنَّ هَذَا الْخُلَيْسَ مَعَ تَمَامِهِ مُحْدَجٌ ، وَعَلَى كَيْلِهِ غَنَجٌ ؛ لَبَعْدَ مَوْلَايَ الْحَالِ مِنْهُ مَحَلُّ الْوَاسِطَةِ مِنَ النَّظَامِ ، وَالْأَرْوَاحِ مِنَ الْأَجْسَامِ ؛ فَإِنْ رَأَى أَنْ يَكْتَلَّ مِنْهُ مَا نَقَصَ ، وَيُمِيطَ عَنْهُ [ مَا نَقَصَ ] فَلْيَجْمَلْنَا بِالْمَصِيرِ إِلَيْنَا ، وَالطَّلُوعِ عَلَيْنَا ؛ وَإِعْفَانَا مِنْ إِحْجَارِ الْأَنْتِظَارِ ، مَعْتَدًا بِذَلِكَ فِي كَرِيمِ الْأَيَادِي وَالْمَبَارِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وله في مثله :

هذا اليوم - أطال الله بقاء سيدي - يوم أعرس فيه الحقُّ بالجارية البيضاء تَفَدَّرَهَا ، وَحَجَّجَهَا بِسَجْفِ الْعَامِ وَسَرَّهَا ؛ وَأَخْتَالَ آخِثِيَالُ الْمَعْرَسِ فِي مَعْرَسِهِ ، بِمُصْنَدِلِهِ وَمُحْسَكِهِ وَمُؤَرِّسِهِ ؛ وَأَتَّخَذَ مِنْ ذَهَبِ الْبَوَارِقِ نِتَارًا ، وَأَسْتَنْطَقَ مِنْ زُنَارِ الرُّوَاعِدِ أَوْتَارًا ؛ وَدَعَا إِلَى حُضُورِ وَلِيِّمَتِهِ ، وَالسُّرُورِ بِمَسَرَّتِهِ ؛ فَإِنْ رَأَى أَنْ يَلِيَّ طَلَبَ هَذَا الْيَوْمِ الصَّفِيقَ ، وَيَتَمَتَّعَ بِعَيْشِهِ الرَّافِعِ الرِّفِيقَ ؛ فَيُطْلِعَ عَلَيْنَا طَلْعَتَهُ الَّتِي تَبْهَرُ الْقَمَرَ الْمُزْهِرَ ، وَتَصْدَعُ اللَّيْلَ الْمُعْتَكِرَ : لِيُنْهَضَ غُرَّةَ الْإِصْبَاحِ ، بِغُرَّةِ الرَّاحِ ، وَيَقْطِفَ شِمَارَ الْأُنْسِ وَالْمَحَاضِرِ ، وَيَتَمَلَّى بِالسَّمَاعِ وَالْمَذَاكِرِ ؛ وَيَأْخُذَ بِحُظٍّ مِنْ لَذَاذَةِ الْفَيْحَةِ الشَّبِيهِ بِشِمَائِلِهِ ، وَيُعَدُّ ذَلِكَ مِنْ مَبَارِهِ وَفَوَاضِلِهِ ؛ [ فَعِلْ ] إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وله في الاستدارة في بُسْتَانِ :

كُنْتُ - أطال الله بقاء سيدي - وَقَدْ غَدَوْتُ فِي هَذَا الْيَوْمِ [إِلَى] بُسْتَانِي وَالْطَّيْرِ فِي الْأَوْكَارِ ، وَالْإِنْدَاءِ تَهَيَّطَ كَالْتِيَارِ ؛ وَاللَّيْلُ مُشْتَمِلٌ عَلَى الصَّبَاحِ ، أَشْتَمِلُ الْأَذْهَمِ

(١) هو الفتح وبالفهم وبالحريك ما يتناقل به على الشراب . أنظر اللسان ج ١٤ .

(٢) في الأصل « أطل » ولعله من تصغير التامح .



على الأوضاح؛ عازماً على مشاركته ومشارفة ما استمدت من عمارته، لا للقلوة فيه  
بمعاطة المدام، ومؤانسة الندام؛ فحين سرحت الطرف في مبادئه وجدأوله، وأقبلت  
على تصفح حلاه وحلله؛ رأيت مناظره تغلق القلوب اعتلاق الأشراك، وتتناق  
المستوفز عن الحرارك؛ وتقيم قاعد المزاج والنشاط، وتوقظ هاجد الفرح والإنيساط:  
فمن أشجار كالأوانس، في ریحائی الملابس؛ حالية من موشع الزهر والتمر، بأنصع  
من الباقوت والجوهر؛ كأنما تحفلت لاجتلاء عروس، أو معاطة كئوس؛ ما بين  
تحليل قد نشرت عذب السندس على ذراها، وأطلعت طلعا كالتخاير غشياً صداها؛  
ونارنج يحمل أكبر العيان، أو وجنات القيان؛ وأترج قد استعار ثمرة أشواق العشاق،  
إذا صالت عليهم يد الفراق. ومن ریحان زاهية بشرها، وقضبا غزالة في ملايس  
زهرها؛ وترجسها كمين حب حلق إلى الحبيب، وثنى جیده خوف الرقيب، إذا  
عبث به التسييم جمع بين كل قضيب وإلفه، وسعى بالاعتناق من شوقه وكلفه؛  
ورودها كداهن ياقوت فيها نضار، وشقيقها كداهن عقيق فيها صوار؛ وبفسجها  
نقد تمضي فيه من القرص آثار، أو جام بلجين عليه من الندى تثار. ومن أنهار قدت  
حافاتها قد الأديم، وحنت على صراط مستقيم؛ بحجرة مسجوره، كالسيوف المشهورة  
أو المهارق المشهورة؛ إذا نحتها الهوى خلع عليها متون المبادر، أو سلوخ الأسود؛  
يتفرق ذلك كله نسيماً رقيق الغلائل، حلو الشائل؛ يسعى بالنسيم، في المعاطس  
والشميم؛ انصببت إلى مجلس فسيح البناء، ضيق الأقباء؛ موشى الجدران والسماء  
في صدره شائر وان يرمى بكسر البلور، وفي وسطه نهر ينساب ماؤه أنسياب

(١) الریحان والریاض جمع الروضة .

(٢) الصوار والصور « أى بالنعم والكسر » الرائحة الطيبة والقليل من المسك أنظر ج ٦ - ص ١٤٧

الشَّجَاعُ الْمَذْمُورُ ، وَتَوَسَّطَهُ بِرُكَّةٍ مَنَّمَةٍ يَنْصَبُ الْمَاءُ إِلَيْهَا بِالْوَالِي إِلَى أَرْبَعِ شَاذِرَوَانَاتٍ ، وَيُخْرَجُ عَنْهَا مِنْ أَرْبَعِ فُطَيْمَاتٍ ؛ يَحْتَفُّهَا كُلُّ شَجِيرٍ مُثْمَرٍ ، وَرَوْضٍ مُزْهِرٍ .  
 قُلْتُ : هَذَا الْمَرَادُ الَّذِي يَحُطُّ بِهِ الرَّائِدُ رَحْلَهُ ، وَيُوفِدُ إِلَيْهِ أَهْلَهُ ، وَيَدْعُو إِلَى اخْتِيَارِ مَنْ يَهْبُ إِلَى السُّرُورِ ، وَيُسَاعِدُ عَلَى الْحُضُورِ ، لِلشَّارِكَةِ فِي التَّمَلُّقِ بِبَهْجَتِهِ ، وَالتَّمَتُّعِ بِنَضْرَتِهِ ؛ فَكَانَ مَوْلَايَ أَوَّلَ مَنْ جَرَى إِلَيْهِ ذِكْرِي ، وَوَقَعَ عَلَيْهِ طَرْفُ فِكْرِي ؛  
 لِأَنَّهُ السَّاكِنُ فِي قُوَادِي ، الْحَالُّ فِي عَمَلِ رُقَادِي ؛ فَإِنْ رَأَى أَرَاهُ اللَّهُ مَا يُقَرُّ الْعَيْنُ أَنْ يُكَلِّ مَسْرُقِي بِنَقْلِ قَدَمِهِ إِلَى ، وَإِطْلَاعِ سَعْدِ طَلْعَتِهِ عَلَى : لِيَتِمَّ مَحَاسِنَ مَا وَصَفْتُهُ ، وَيَكْبَلَ الْاَلْتِنَادُ بِمَا شَرَحْتُهُ ؛ فَعَلَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

### أَجْوِبَةُ رِقَاعِ الْأَسْتِزَارَةِ

قَالَ فِي "مَوَادِّ الْبَيَانِ" : لَا يَخْلُو الْمُسْتَرَارُّ مِنَ الْإِجَابَةِ إِلَى الْحُضُورِ أَوْ التَّنَاقُلِ عَنْهُ ، فَإِنْ حَضَرَ عَلَى الْقَوْرِ ، فَلَا جَوَابَ لِمَا نَفَذَ إِلَيْهِ ، وَإِنْ وَعَدَ الْحُضُورَ وَتَلَوَّمَ لِيَقْضَى شُغْلًا وَيَحْضُرَ ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَبْنِيَ الْجَوَابَ عَلَى سُورِهِ بِمَا دُعِيَ إِلَيْهِ ، وَحُسْنِ مَوْقِعِهِ مِنْهُ ؛ وَأَنْ تَلُوَّمَهُ لِلْعَائِقِ الَّذِي قَطَعَهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ جَوَابًا عَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ ، وَأَنْ حُضُورَهُ يَشْفَعُ رُقْعَتَهُ . وَإِنْ أَيْسَ مِنَ الْحُضُورِ ، وَجَبَ أَنْ يَبْنِيَ الْجَوَابَ عَلَى مَا يَمْتَدُّ عُدْرَهُ ، وَيَقَرَّرُ فِي نَفْسِ مُسْتَرِيرِهِ أَنَّهُ لَمْ يَتَأَخَّرْ عَنِ الْمُسَاعَدَةِ عَلَى الْأَنْسِ إِلَّا لِقَوَاطِعِ صَدَّتْ عَنْهُ ، يَعْلَمُ الْمُعْتَذِرُ إِلَيْهِ صَحَّتْهَا لِيَحْرَسَ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْمَوَدَّةِ ، فَإِنْ كَثُرَا مَا تَنَافَسَدُ الْخُلُلَانُ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ .

## النوع السابع

### ( في آخِطاب المودة وأفتاح المكتبة )

قال في " مواد البيان " : الرّفاع الدائرة بين الإخوان في آخِطاب المعاشرة ، وأنتماء المكاتره ، وطلب الخلطة والمؤانسة ، يجب أن يقدر الخطّاب فيها على أن يصل المرغوب في عشرته إلى الانخراط في سلك أحيائه ، والانتحياز إلى أهل ولّائه ، ويصمّت على قصده ، في الالتحاق بؤده ، ويدلّ على الماحصة ، والصّفاء والمخالصة ، وما جرى هذا المجرى مما يتعامل به أخلاء الصّدق ، ويعملونه مهراً لما يتمدّسونه من المازجه ، ويرومونه من الاختلاط والمواشجة .

قال : وينبغي أن يذهب الكاتب في هذه الرّفاع مذهبا لطيفا ، ويحسن التوصل إلى الإنصاح عن أغراضها : ليأخذ بجميع القلوب ، ويؤمن على نيل المطلوب .

وهذه نسخ من ذلك :

رقعة : وينبغي أن المملوك لم يزل مذوق طرّفه على صورته ، وولج سمعه بعد شيمته ؛ يناعي نفسه بافتتاح مكاتبه ومراسلته ؛ وأخِطاب مازجته ومواصلته ؛ رغبة في الاعتقاد بإخائه ، والارتشاف من مّشارع صفاته ، والمقادير تطوى الطوية على ما فيها ، والعوائق تمّطل النية بنجّاز مآتويه وتلويها ؛ إلى أن أذن الله تعالى بإغراض الأعراض ، وأقباض أسباب الانقباض ؛ فأظهر المملوك ما في القوّة ، واتقا من مولانا بحسن المروءة ؛ وأنه يوجب القبول بإجابته ، ويوجب إلى مساعدته ؛ ويرضى المملوك أهلا لأصطفائه ، ومعلّلا لإخائه ؛ علما بإيجابه للحق ، والمعرفة بالسبق ؛ وأن تلقى هذه الرغبة بالقبول ، ويسلم إليها مفتاح المأمول .

رقعة : لو كانت المودة لا تحصل إلا من ألفة نالده ، ومواصله سالفه ؛ لم يستطير المرء صفيًا ، ولم يستحدث وليًا . وما زال البعداء يتقاربون ، والمتناكرون يتعارفون ؛ ولما تمى إلى الملوكة من أنباء مولانا ماتصويع عطره ، وطاب نشره ؛ سافر بالأميل إليه ، وقدم بالرغبة عليه ؛ طالبًا الانخراط في سلك أوليائه ، والاختلاط بخاصته وخلصائه ؛ ومثل مولانا من أجاب السؤل ، وصدق المأمول ؛ والملوك يرجو أن تكشف الأيام مولانا منه عن خلة صادقة ، ومودة صحيحة ، لا تضيع معها إجابته ، ولا تحسر صفقته .

رقعة : وينهى أن الملوكة مازال مذ وقع طرؤه على صورته البدرية ، وأحاط علمًا بخلايقه المرضية ؛ راغبًا في موافقته ، باعًا نفسه على أخطاب مودته ، وإكباره يقده ، وإعظامه يبعده ؛ فلما تطلوّل يراع همته ، شجعت على إنفاذ عزيمته ؛ فقدم مكاتبتة أمام مشافهته ؛ فإن حظي بالإجابة وتبويل الطلبة ؛ فقد فاز قدحها ، وتبلج صُبغها ؛ ونال مناه ، وبلغ رضاه ؛ وصادف هناء ، وديدا موثوقا بوده ، مسكونا إلى عقده وعهده ؛ يحمده عند الاختيار ، ويعرف به صحة رأيه عند الاختيار ؛ والملوك يرجو أن يصح ما سأله وكفله ؛ إن شاء الله تعالى .

رقعة : وينهى أن من عمر الله تعالى بنائه الحافل ، وعطر بانيائه الفضائل ؛ وأقام من مساعيه الكرام خطيبًا يحطّب بسودده وفضله ، ويعرب عن شرف تحته وأصله ؛ تطلمع الآمال للانتظام في سلك أحبائه ، وتشوق الهيم إلى الامتراج بخلصائه وأوليائه ؛ لما يصفو على المعتصم برى مضافاته من لباس جماله ، ويحلّى المعنى إلى ولاته من حلّ جلاله ؛ وأحق من أسعفه مولانا بالمودة إذا خطبها ،

وأجابه إلى المصافاة إذا طلبها ؛ من بدأه بالرغبة ، ومَتَّ إليه بالمحبة ، لا لمُرغِب ولا مُرْهَب ، واختاره لنفسه على عِلْمٍ بكمالهِ ، ومعرفةٍ بِشرفِ خِلالهِ .

وما زال المملوكُ مُذْ أطلعه الله على ماخُصَّ به مولانا من المحاسن المتعددة إلا لَدَيْهِ ، والفضائل المتنعة إلا عَلَيْهِ ؛ يُحَوِّمُ على مَشَارِيعِ مِمَّا رَجَّهَ ولا يَرُدُّهَا ، وَيُرْوِمُ مواقعَ مُوَاتِحَتِهِ ولا يَسْتَمِدُّهَا ، إِكْجَارًا لِقَدْرِهِ ، وإِعْظَامًا لِحَظَرِهِ ، وخَوْفًا من تَصَفُّحِهِ وتَقَدُّهِ ، وإِبْقَاءَ على مَاءِ وَجْهِهِ من رَدِّهِ والمملوكُ وإن كان عالمًا أَنَّ كَرَمَ مولانا يَرَقِّعُ الخَلَلَ ، وَفَضْلُهُ يُصَدِّقُ الأَمَلَ ؛ فإنه لا يَعمَدُ مَذْ رَغِبٍ في قُرْبِ مولانا مَالَعَلَهُ يَجِدُهُ فِيهِ ، مِمَّا يُخَالِفُ مَذْهَبَهُ وَيُنَافِيهِ ؛ إِذْ كَانَ لا يَبْلُغُ تَضَاهِيهِ في ائْتِمَارِهِ وَتَوَافِيهِ ، إِلَى أَنْ أَذِنَ اللهُ تَعَالَى بِأَنْ أَبْلَغَ نَفْسَهُ الأَمْنِيَّةَ ، وَأَظْهَرَ مَا طَوَّيْتُ عَلَيْهِ الطَّوْيَةَ ؛ فَكَتَبَ هَذِهِ الرُّقْعَةَ وَجَعَلَهَا فِيهَا رَأْيَهُ مِنَ الإِعْتِلَاقِ بِحَبْلِ مَوَدَّتِهِ سَفِيرًا ، وَعَلَى مَا أَتَقَسَّه مِنَ الأَنْضِیَامِ إِلَى جُلُوسِهِ ظَهْرًا ؛ وَقَدِمَ بِهَا عَلَيْهِ وَطَنُهُ يَتَرَجَّحُ مِنَ الإِعْرَاضِ إِلَى القَبُولِ ، ثَقَّةً بِقُرْبِ نَيْلِ المَأْمُولِ ؛ فَإِنْ رَأَى أَنْ يُجِيبَهُ إِلَى مَا سَأَلَهُ ، وَسُورَةً بِتَنْوِيلِ مَا اقْتَرَحَهُ ، فَعَلْ ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

اختطاب المودة ومفاتيح المكاتبة من كلام المتأخرين :

الشيخ جمال الدين بن نُباتة :

وَضَاعَفَ لِلْمَالِكِ بَقَايَاهُ الإِتِّفَاعَ ، وَبَارَقَانِيهِ الإِرْتِفَاعَ ؛ وَسَرَّ بِحَاسَنِ نَظَرِهِ وَخَبَرِهِ الْعِيَانَ وَالسَّمْعَ .

ولا زال لِلْحَيِّينَ من وَدِّهِ عَطْفُ المُلْتَطِّفِ وللأَعْدَاءِ من بَأْسِهِ خَطْفُ الشُّجَاعِ .  
أَصْدَرَهَا المملوكُ مَنطُوبَةً عَلَى مَا عَاهَدَ مِنْ صِدْقِ المحبة ، وَوَفَاءِ العُهُودِ المَسْتَبَقَةِ ؛ وَدَرَرَ .

الحامد التي لا تسوى لثمتها دُرُّرُ المَقُودِ حَبِّه ، مُبْدِيَّةٌ لَعَلِمَهُ الْكَرِيمُ أَنَّ الْمَوَدَّاتِ إِذَا صَفَتْ ، وَالْقُلُوبَ إِذَا تَجَنَّدَتْ وَتَعَارَفَتْ ؛ حَثَّتِ الْمَحْبِّينَ فِي الْبِعَادِ عَلَى الْمَفَاتِحَةِ بِكُتُبِهِمْ وَرَسَائِلِهِمْ ، وَالْمَخَاطِبَةِ فِي ظِلَالِ الْأَوْرَاقِ بِالسِّنَةِ أَقْلَامِهِمْ مِنْ هَوَاتِ أَنْامِلِهِمْ ؛ لِإِثَارَةِ لَتَجْدِيدِ الْأَنْسِ وَإِنْ صَحَّ الْمِيتَاقُ ، وَتَذَكَّرَا لِحَوَاطِرِ الْوُدِّ ، وَإِنْ رَسَخَتْ مِنْهُ الْأَصُولُ وَنَمَتِ الْأَعْرَاقُ ؛ وَلِذَلِكَ فَاتَّحَ بِهَا غَاطِبًا ، وَارْتَقَبَ لِمُنَادِيهَا بِالْأَخْبَارِ السَّارَةِ مُجَاجِبًا ؛ نَائِبَةً عَنْهُ فِي مَشَاهِدَةِ الْوَجْهِ الْكَرِيمِ ، وَمَصَاحِفَةِ الْيَدِ فِي حَدِيثِ رِهَا الْقَدِيمِ ؛ تَسْتَطِيعُ أَخْبَارَهُ ، وَتَسْتَعْرِضُ أَوْتَاطَرَهُ ؛ وَتُحْيِي بِالسَّلَامِ وَجْهَهُ وَعَهْدَهُ وَدِيَارَهُ ، عَلَى يَدِ فُلَانٍ ، وَقَدْ حَمَلَ مِنَ الْمَوَدَّاتِ وَالْمَشَاقِفَاتِ مَا يُعِيدُهُ عَلَى السَّمْعِ الْكَرِيمِ الْمُتَمِّمِ بِإِصْغَاتِهِ ، الْمُصْنَعِي بَنَاتِهِ ؛ الْمُتَحِفِ بِالْمِهْمَاتِ الَّتِي يَحْصُلُ فَوْزُ الْقِيَامِ بِهَا ، وَالْمُشْرِفَاتِ الَّتِي كُلُّ أَسْبَابِ السُّرُورِ مُتَّصِلٌ بِسَبَبِهَا ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُنْهِجُ مِنْ تَقَاتِهِ سَمْعًا وَنَظْرًا ، وَيُثَبِّتُ عَيْشَ حَاسِدِهِ هَشِيمًا وَعَيْشَ مُحِبِّهِ نَضْرًا ، وَيُدِيمُ رِيَاضَ ذَكَرِهِ تَالِيَةً عَلَى الْمَسَامَحِ : ﴿ فَانْخَرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا 》 .

### أَجْوِبَةُ أَخْطَابِ الْمَوَدَّةِ

قال في "مواد اليان" : لا يخلو من يرَامُ ذَلِكَ مِنْهُ مِنْ أَنْ يُجِيبَ أَوْ يَمْتَلَّ ، فَإِنْ أَجَابَ بَنَى الْجَوَابَ عَلَى وَقُوعِ رَغْبَةِ الْمُخْتَطَبِ أَحْسَنَ مَوَاقِعِهَا ، وَأَتَهَاجَ الْمُخْتَطَبَ بِهَا ، وَمَعْرِفَتِهِ بِقَدْرِ مَا رَأَاهُ أَهْلًا لَهُ وَمَسَارَعَتِهِ إِلَيْهِ ؛ وَإِنْ أَعْتَلَّ بَنَى الْجَوَابَ عَلَى أَنَّهُ قَدْ عَرَضَ لَهُ مَا يَقْصُرُ عَنْهُ ، وَلَا تَرْضَى نَفْسُهُ بِهِ ، وَأَنَّ الْعَذْرَ [لِيسَ] بِعَادَةٍ لَهُ فِي الْمُرَازِلَةِ ، وَطَرِيقَةٍ فِي الْاِكْتِرَادِ وَالْمُجَانَبَةِ .

(١) أى لا تسوى يقال سوى درهما يسوى من باب تعب ومنعها أبو زيد . أنظر المصباح .

## النوع الثامن

(في خطبة النساء)

قال في "مواد البيان" : الرِّقَاع في التماس الصَّهر والمواصلة يجب أن تكون مبنية على وصف المخطوب إليه بما يقتضى الرِّغبة ، ويدل الخاطب عن نفسه بما يؤدى إلى الكفاية والإسعاف بالطلبية .

قال : وينبني للكتاب أن يؤدعها من ألفاظ المعاني المنتظمة في هذا الباب أو قمها في النفوس ، وأعوذها بتقريب المرام ، وأدلسا على صدق القول فيما تكلفه من حسن معاشره ، ولين معاملة ؛ وأن يذهب بها إلى الاختصار والإيجاز .

وهذه نسخ من ذلك :

كما أورده أبو الحسين بن سعد في ترسله .

وأفضل تلك المواهب موقعا وأطفها وأحمدها عاقبة ، وأرهنا يدا ، ما يؤلف الله به القربات ، ويؤكد به الحُرُمات ؛ ويوجب به الصَّلَات ، ويمحذ به المَكْرُمات ، ويحدث به الأنساب ، ويقوى به الأسباب ، ويكثر به من القِلَّة ، ويمجّع به من الفرقة ، ويؤيس به من الوحشة ، ويزاد به في الحقوق وجوبا ، وفي المودات ثبوتا ؛ ثم لا مثل لما كان لله طاعة وريضاء ، وبأمره أخذًا وأقضاء ، وبكتابه قُدوة وأخذاء ؛  
(١)  
فإنه نسالُ الخيرة في قضائه ، والبركة فيما يقوم بناؤك عليه .

ومنه : نِصْلٌ رَجَمًا، وَتَعْقِدُ سَبَابًا، وَتُحَدِّثُ نَسَبًا، وَتُجَدِّدُ وَصْلَةً، وَتَوَكَّدُ أُلْفَةً .

رقعة : مَنْ خَصَّهُ اللهُ تَعَالَى بِمَا خَصَّ بِهِ سَيِّدِي : مِنْ طَهَارَةِ الْأَعْرَاقِ وَالْأَنْسَابِ ، وَشَرَفِ الْأَخْلَاقِ وَالْآدَابِ ؛ وَأَفْرَدَهُ بِاجْتِمَاعِ خِلَالِ الْخَيْرِ الْمُتَفَرِّقَةِ فِي الْأَنْوَامِ ، وَعَطَّرَ بَنَاتِهِ مَلَابِسَ الْأَيَّامِ ؛ رَغِبَ الْأَحْرَارُ فِي مُوَاصَلَتِهِ ، وَهَانَ عَلَيْهِمْ بَذْلُ الْوَجْهِ فِي اخْتِطَابِ مِمَّا زَجَّتْهُ ، وَالْتَمَسَ مُوَاسَجَتَهُ وَمُنَاسَبَتَهُ ؛ وَجَدِيرٌ مِنْ رُغْبٍ إِلَيْهِ ، وَطَلِبٌ مَالِدِيهِ ؛ وَاخْتِيرَ لِلشَّابِكَةِ فِي الْوَلَدِ وَالْخُصْمَةِ ، وَالْمَشَارِكَةِ فِي الْمَالِ وَالنَّعْمَةِ - أَنْ يَجِيبَ وَلَا يَمْنَعُ ، وَيَصِلَ وَلَا يَقْطَعَ ؛ مُصَدِّقًا لِأَمَلٍ مِنْ أَفْرَدِهِ بِأَرِيَّادِهِ ، وَتَوْحِيدِهِ بِاعْتِمَادِهِ ؛ عَارِفًا لَهُ حَقَّ آبْتِدَائِهِ بِالثَّقَّةِ الَّتِي لَا يَحُوزُ رَدُّ مِنْ أَعْتَقَدَهَا ، وَلَا صَدٌّ مِنْ حَسَنِ ظَنِّهَا ؛ وَقَدْ عَلِمَ اللهُ تَعَالَى أَنْ [مَضَى] لِلْمَلُوكِ مَتْنٌ طَوِيلَةٌ [وَهُوَ يَحْتَضِرُ] مُتَطَلِّبًا مَرَبِّهَا لِلتَّاهِلِ ، مُؤَثِّرًا لِمَعَارَةِ الْمَنْزِلِ ، رَاغِبًا فِي سَكْنِ تَطْمِئِنِّ النَّفْسِ إِلَيْهِ ، وَتَعْتِمِدُ فِي الْقَوَائِمِ وَالْمَصَائِرِ عَلَيْهِ ؛ وَكَلَّمَ عَرِضَ لِلْمَلُوكِ بَيْتُ أَبَاهُ ، أَوْ ذَكَرَ لَهُ جَنَابَ قَطْعٍ عَنْهُ رَجَاءً : لَعَلَّ بَعْضَ الشَّرُوطِ الَّتِي يُرِيدُهَا فِيهِ ، وَتَعَدُّهَا عَلَيْهِ ؛ فَلَمَّا قَرَعَ سَمْعَهُ ذَكَرَ سَيِّدِي ، عَلِمَ أَنَّهُ الْغَايَةُ الَّتِي لَا مَرْتَقَى بَعْدَهَا ، وَالنَّهَائِيَّةُ الَّتِي لَا مَطْمَاحَ وَرَاءَهَا ، وَأَنَّهُ قَدْ ظَفِرَ بِالثَّقَّةِ ، وَوَصَلَ إِلَى الْأُمْنِيَّةِ ، وَوَجَدَ مِنْ يَجْمَعُ الْخِلَالَ الْمُرِضِيَّةَ وَيَزِيدُ ؛ وَيُحُوزُ مِنَ الْفَضْلِ الشَّأْنَ الْبَعِيدَ ، وَكَتَبَ الْمَلُوكُ هَذِهِ الرِّقْعَةَ خَاطِبًا كَرَمَتَهُ فَلَانَةً [لِيَكُونَ لَهَا] كَالْفِعْدِ الضَّامِنِ لِلْهَنْدِ ، وَالْخِلْدِ الْحَافِظِ لِلْجَلْدِ ، وَيَكُونَ لِمَوْلَانَا كَالْوَلَدِ الْبَرِّ أَبِيهِ ، وَلَا خِيَا كَالصَّنَوِ الشَّفِيقِ عَلَى أَخِيهِ ؛ فَإِنْ رَأَى سَيِّدِي أَنْ يَتَدَبَّرَ مَا كَتَبَهُ الْمَلُوكُ وَيَتَسَمَّعَ مِنْ تَوْكِيدِ رُفْعَتِهِ مَا حَمَلَتْهُ ، وَيُجِيبَنِي إِلَى مَا سَأَلَهُ فَلَهُ عُلُوُّ الرَّأْيِ فِي ذَلِكَ ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .



رُفْعَةً : وَنُبِّئَ أَنْ مَوْلَانَا بِمَا تَمَّ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ مَحَاسِنِهِ وَمَنَاقِبِهِ ، جَدِيرٌ أَنْ يَلْقَى مَنْ خَطَبَ الْأَعْصَامَ بِعُرَى مَازَجَتِهِ ، وَسَعَى فِي نَيْلِ عِلْقِهِ مِنْ مُوَاتَجَتِهِ ، بِالْقَبُولِ ، الْغَاضِي بَنَيْلِ الْمَأْمُولِ ، وَدَرَكِ الرَّغَبِ وَالسُّوْلِ ؛ وَلَا سِمًا إِذَا كَانَ عَارِفًا مِنْ سُمُو خَطَرِهِ ، وَأَعْتَلَاءِ قَدْرِهِ ، مَا يَقْضِي عَلَيْهِ بِجَفْضِ الْخَنَاحِ فِي مَعَاشِرَتِهِ ، وَغَضِّ الطَّرْفِ فِي مَعَامِلَتِهِ ؛ وَالْوُقُوفِ دُونَ دَرَجَةِ الْمَسَاوَةِ وَالْمِثَالَةِ ، وَالتَّرْخُوحِ عَنْ رُتْبَةِ الْمُبَارَاةِ وَالْمُطَاوَلَةِ ؛ وَالْإِنْتِظَامِ فِي سِلْكِ الْإِتْبَاعِ وَالْحَاشِيَةِ ، وَاتِّخَادِ الْغَاشِيَةِ ؛ وَكَثِيرًا مَا وَجَدَ الْمَمْلُوكُ الْبَرَكَةَ فِي مَشَارِكَةٍ مِنْ هَذِهِ صِفَتِهِ أَوْفَرَ مِنْهَا فِي مَشَارِكَةِ النَّظَرَاءِ ، وَكَانَتْ الْعَاقِبَةُ فِي مَشَابِكَةٍ مِنْ هَذِهِ حَالُهُ أَجْمَلَ مِنْهَا فِي مَشَابِكَةِ الْأَكْفَاءِ ؛ الَّذِينَ يُصَادِقُونَ فِي الْحَقُوقِ شَطَطًا ، وَلَا يُغْضُونَ عَنْ يَسِيرِ الْوَاجِبَاتِ تَبَسُّطًا : لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ الْوُصْلَةَ مِمَّنْ دَانَاهُمْ فِي الرُّتْبَةِ وَالْمَنْزِلَةِ لَيْسَتْ عَائِدَةً عَلَيْهِمْ بِشَرَفٍ ، وَلَا مُطَهِّرَةً لَهُمْ مِنْ جُمُودٍ . وَلَئِنْ يَسْتَبْخِصُ مِثْلُ سَيِّدَى مِنَ الرُّؤَسَاءِ ، مِثْلُ الْمَمْلُوكِ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ ، وَيَخْتَصُّه بِأَثَرِ الْإِحْتِيَاءِ وَالْإِصْطِفَاءِ ، فَيَكُونُ مَفْخَرُهُ إِلَيْهِ مَحْسُوبًا ، وَمَا يَرْقِيهِ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ بِرَكَّتِهِ مِنْ دَرَجِ الْفَضْلِ فِي نَفْسِهِ مَحْسُوبًا ؛ أَوَّلَى مِنْ طَلَبِ مُثَائِلِ بِنَاوِي بَقْدَرِهِ وَيَطَاوِيلِ . عَلَى أَنَّهُ لَوْ طَلَبَ ذَلِكَ لَطَلَبَ مُعَوِزًا ، وَرَامَ مُعْجِزًا : لِمَا أَفْرَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنَ السِّيَادَةِ الَّتِي لَا يُتْرَاقُ إِلَى مِثْلَتِهَا ، وَلَا يُتَسَامَى إِلَى مُطَاوَلَتِهَا ، وَإِذَا كَانَ النَّظِيرُ مَعْدُومًا ، وَالْكُفُوُ مَفْقُودًا ؛ وَلَوْ وَجِدَ كَمَالٌ مَتَسَلِّطًا ، وَوَقَعَ سُوْمُهُ مَنِبَسَطًا ؛ وَمَوْلَانَا يُطَلَّبُ إِلَيْهِ وَلَا يُطَلَّبُ ، وَيُرْغَبُ فِيمَا عِنْدَهُ وَلَا يَرْغَبُ ، فَقَدْ سَهَّلَتِ السَّبِيلُ إِلَى مَا يَرْوَمُهُ الْمَمْلُوكُ مِنْ جِهَتِهِ ؛ وَيُؤَثِّرُهُ مِنْ مُوَاصَلَتِهِ ؛ وَأَتَّسَعَ الْجَبَالُ فِيمَا يُقَدِّمُ عَلَيْهِ مِنَ الرَّغْبَةِ فِي تَقْلِيدِهِ شَرَفُ مُصَاحَرَتِهِ ، وَإِضَافَتِهِ بِذَلِكَ إِلَى بَطَانَتِهِ وَأَهْلِ خَاصَّتِهِ ؛ وَيُخْرِجُهُ عَلَى مَا يُخْرِجُ عَلَيْهِ الْوَالِدُ وَلَدَهُ ، وَالسَيِّدُ عَبْدَهُ ؛ وَقَدْ حَمَلَ الْمَمْلُوكُ مُوَصَّلَ

(١) لعله يشير إلى المثل العربي «عرض عليه سوم عالة» يضرب لمن عرض عليك ما أنت عنه غنى تأمل .

مطالعتة هذه مالم تسع إبداعه المكتبة، فإن رأى مولانا أن يُصنّف إليه ويُجيب عبده بما يعتّمه المملوك في ذلك فله الفضل؛ إن شاء الله تعالى .

رقعة : وينهى أن لنوى المناجب الطيبة الأنساب، والمناحت الزكية الأحساب ؛ والأخلاق الكريمة والآداب ، بين الأثام لسان صدق ينخطب لهم بالمحسن والمحامد، ويُعطر بثنائهم الصادق والوارد؛ ويدعو القلوب إلى نبيل طلقه من ممازجهم، وأتمسك بطرف من مواسلتهم؛ وقد جمع الله مولانا من كريم المثلد<sup>(١)</sup> والمطرف، وقديم حديث الفضل والشرف، ما تفرق في السيادات، وتوزع على أهل الرياسات؛ وجعله في طهارة المولد، وطيبة المحدث، وأستكمال الماتر، وأستتمام المفانر، عاكسًا ظاهرًا، ونجما زاهرا؛ فما من رئيس سوى مولانا تُعجزه خلّة من خلال الرياسة إلا وجدّها لديه، ولا نفيس تُعوّزه خصلة من خصال النفاسة إلا أستمحها من يديه؛ ولذلك أمتدت الأعناق إلى أتمسك بحبله، وتطلعت إليه من مواضعه في كريم أصله؛ وصار مرغوبا إليه لارغبيا، ومطلوبا لديه لاطاليا؛ وهو جدير بما وهبه الله من هذا الفضل الدائع، والنبل الشائع، أن يُجيب سائله، ويصدق آمله؛ ولا يتجهّم في وجهه قاصده، ولا يرده عن مقصده؛ ولا سيما إذا كان قد أسلفه الظن الجليل، وبدأه بالثقة والتأويل؛ وتعدّر عليه قدر العارف بقدره، العالم بحظّره؛ المرتضى بشرائطه، النازل على حكمه، المتدبر برأيه؛ وقد علم الله تعالى أن المملوك مُدّ نسا وصلح للتأهل مرغوب فيه، مخطوب إليه؛ من عدة جهات جلييلة، وجنّات رئيسة؛ والمملوك صائد عن الإجابة، صارف عن المطاوعة : لشؤذ بعض الشروط التي يروم أن تكون مجتمعة في النسب، الذي أعنه شريكا في الولد والنسب؛

(١) المثلد (أي ككرم) ما ولد عنك من مالك أو نتج وعال مثله قديم .

ومفاوضاً في الحال والسبب؛ مرتاداً من مَقَنع بالمواقفه، ويرتضٍ بالعِشرة والمراقفه؛ حتى أفضى في الاستفاد إلى مولانا فوجد المراد على اشتراط، وألقى المقصود على اشتطاط؛ فدعاه ذلك إلى التهجم بعد الإنجام، وحمله على التجاسر والإقدام؛ والتوسل إلى مولانا بما يتوسل به الأحرار، إلى الأخيار، وأمه بصادق الرغبة وصميم المحبة والانبساط، في خطبة كريته فلانة؛ على أن يعاشرها بغاية الأئس، ويصحبها محبة الجسد للنفس؛ ويعرف لها من قدر أبوتها وأمومتها ما تستحق براستها، وقد أصدر هذه الرقعة ناثبة عنه في ذلك؛ فإن رأى مولانا أن يحققه بالقبول، ويعمله أهلاً لإجابة السؤل، فله الفضل في ذلك؛ إن شاء الله تعالى.

ومن النادر الغريب ما ذكره الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي في "حسن التوسل" في الكتابة إلى شخص في ترويح أمه، وهو:

هذه المكتبة إلى فلان - جعله الله ممن يؤثّر دينه على الهوى، ويتوى بأفعاله الوقوف مع أحكام الله تعالى فإنما لكل أمرئ ما نوى؛ ويعلم أن الخير والخيرة فيما يسره الله من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وأن الشر والمكره فيما طوى؛ تعرض له بأمرٍ لا حرج عليه في الإجابة إليه؛ ولا خلل يلحقه به في المروءة وهل أخل بالمروءة من فعل ماحض الشرع المظهر عليه؛ وأظهر الناس مروءة من أبلغ النفس في مصالح حرمه عذرهما، ووفى من حقوق أخصن بيرة كل ما علم أن فيه برها؛ وإذا كانت المرأة عورة، فإن كمال صونها فيما جعل الله فيه سترها، وصلاح حالها فيما أصلح الله به في الحياة أمرها، وإذا كانت النساء شقائق الرجال في باطن أمر البشرية وظاهره، وكان الأولى تعجيل أسباب العصمة فلا فرق بين أقر [وقت] (١) الاحتياج [إلى ذلك]

واتمه ؛ وما جَدَعَ الحلالُ أَنْفَ الْغَيَةِ إِلَّا لِيُرْوَلَ تَتِمَّ الْحَيَّةُ ، وَتُنَزَّلَ عَلَى حَكَمِ اللَّهِ فِيمَا شَرَعَ لِعِبَادِهِ التَّقْوَى الْإِيْتِيَّةُ ؛ وَيُعَلَّمُ أَنَّ الْفَضْلَ فِي الْأَقْيَادِ لِأَمْرِ اللَّهِ لَا فِي اتِّبَاعِ الْهَوَى بِمَضَلِّ الْوَلِيَّةِ ؛ وَإِذَا كَانَ رُؤُوسُ الْوَالِدَةِ أُمَّ ، وَحَقُّهَا أُمٌّ ؛ وَالنَّظَرُ فِي صَلَاحِ حَالِهَا أُمٌّ ؛ تَعَيَّنَتْ الْإِجَابَةُ إِلَى مَا يَصْلُحُ بِهِ حَالُهَا ، وَيَسْكُنُ إِلَيْهِ بِأَلْهَا ، وَيَتَوَقَّرُ بِهِ مَالُهَا ، وَيَعْمُرُ بِهِ فَنَافُوهَا ، وَيَحْصُلُ بِهِ عَنْ هَقْلِ الْمَنِّ اسْتِفْنَاؤُهَا ، وَتَحْمُلُ بِهِ كُفَّةَ خَدَمِهَا عَنْهَا ، وَتُدْفَعُ بِهِ ضَرُورَاتُ الْأَبَدِ لَذَوَاتِ الْحِجَابِ وَالْحِجَالِ مِنْهَا ، وَيَضْفَوْهُ بِهِ سِتْرُ الْإِحْصَانِ وَالْحَصَانَةِ عَلَيْهَا ، وَيُظْهَرُ بِهِ سُرْمَا أَوْجِبَهُ اللَّهُ لَهَا مِنْ تَتَبُّعِ مَوَاقِعِ الْإِحْسَانِ إِلَيْهَا .

وقد هَدَمَ مِنْ سَادَاتِ السَّلَفِ مَنْ تَوَلَّى ذَلِكَ لَوَالِدَتِهِ بِنَفْسِهِ ، وَأَعْتَدَهُ مِنْ أَسْبَابِ رِيُومِهِ الَّذِي قَابِلُ بِهِ مَا اسْلَفَتْهُ إِلَيْهِ فِي أَمْسِهِ ؛ عَلِمَ مِنْهُمْ أَنَّ اسْتِكْمَالَ الرِّمْمَا يُعْلِي قَدْرَ الْمَرْءِ وَيُقَلِّي ؛ وَقَدْ أَجَابَ زَيْدُ بْنُ زَيْنِ الْعَابِدِينَ هِشَامًا مَّا سَأَلَهُ : لِمَ زَوَّجْتَ أُمَّكَ بَعْدَ أَبِيكَ ؟ فَقَالَ : لَتُبَشِّرَ بِأَحْرَمٍ مِثْلِي ، لِأَسْمِيَا وَالرَّاعِبِ <sup>(١)</sup> [ إِلَى الْمَوْلَى ] فِي ذَلِكَ مَنْ يُرْغَبُ فِي قُرْبِهِ ، وَيُقْبِطُ عَلَى مَالِدِيهِ مِنْ نِعَمِ رَبِّهِ ؛ وَيَعْظُمُ لِاجْتِنَاعِ ذُنُوبِهِ وَبَيْنِهِ ، وَيُكْرَمُ لِيَنْ تَقِيَّتِهِ وَجُودِ يَمِينِهِ ؛ وَيَعْلَمُ أَنَّ الْعَقِيلَةَ تَحْمُلُ مِنْهُ فِي أَمْنٍ حَرَمٍ ، وَتَسْتَظِلُّ مِنْ ذَرَاهِ بَأَضْفَى سِتُورِ الْكَرَمِ ، مَعَ أَرْتِفَاعِ حَسْبِهِ ، وَاشْتِهَارِ نَسَبِهِ ، وَعُلُوِّ قَدْرِهِ فِي مَنْصِبِهِ وَحَالِهِ وَسَبِيهِ ، وَأَنَّهُ مَنْ يُحْسِنُ أَنْ يَحْمِلَ مِنَ الْمَوْلَى عَمَلَ وَالِدِهِ ، وَأَنْ يَتَعَمَّلَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ مَنْ يَكُونُ فِي الْمَلَمَّاتِ بَنَانًا لِيَدِهِ وَعَضْدًا لِسَاعِدِهِ ؛ فَإِنَّ الْمَرْءَ كَثِيرُ بَاخِيهِ ، وَإِذَا أُطْلِقَ عَلَيْهِ بِحَكَمِ الْحَاجَزِ لَفْظُ الْعُمُومَةِ ، فَإِنَّ عَمَ الرَّجُلِ صِنْتُ أَبِيهِ ؛ وَأَنَا أَتَوَقَّعُ مِنَ الْمَوْلَى الْجَوَابَ بِمَا يَجْمَعُ تَمَثُّلُ الثَّقَى ، وَيُعَلِّمُ بِهِ أَنَّهُ تَحْيِيرُ مِنَ الرِّبِّ أَفْضَلُ مَا يُتَّقَى ؛ وَيَتَحَقَّقُ بِفَعْلِهِ أَنَّ مِثْلَهُ لَا يَهْمِلُ وَاجِبًا ، وَلَا أَمْرًا مَا قَالَ الْأَحْنَفُ وَقَدْ وُصِفَ بِالْأَنَاءَةِ : لِكَيْنِي أَتَجَلَّلُ أَنْ لَا أَرْدُ كُفُّوا خَاطِبًا .

## النوع التاسع

( في الاسترضاء والاستعطاف والإعتذار )

قال في "مواد البيان" : المكتبة في استعطاف الرؤساء ، وملاطفة الكبراء ، تحتاج إلى حُسن تأتٍ : لما تشتمل عليه من إيجاب حقوق الخدمة ، وما أسلفوه من مَرَعَى الخدم ، وما يتبع هذا من التنصل والإعتذار الذي يسأل السخائم من القلوب ، ويستزِل الأوجار من الصدور ، ويُطِلح الأئس وقد غَرَب ، ولما موقع في تأليف الكلام .

قال : وينبغي للكاتب أن يستعمل فيها فكره ، ويوفّيها حقها من جودة الترتيب ، واستيفاء المعاني ، وأن يذهب إلى استعمال الألفاظ الجامعة لمعاني العُدْر ، الملوحة بالبرامة مما قُوف به ؛ ولا يُخرج لفظه مُخْرَج من يُقيم المحجة على براءة الساحة مما رُمي به ، فإنّ ذلك مما يكرهه الرؤساء : لأنّ عادتهم جاريةٌ بإيثار أعتراف الخدام لهم بالتقصير والتفريط والإخلال بالقروض : ليكون لهم في العفو عند الإقرار عارفةٌ توجبُ شكرا مستأنفاً ؛ فأما إذا أقام التابع المحجة على براءته وسلامته مما رُفع عنه ، فلا يوضع الإحسان إلا إليه في إقراره على مثرتة ، والرضا عنه والاستعطاف ، بل ذلك واجبٌ له ، في منعه منه ظُلم .

(١) في الاصلين «ما قرب منه» وهو تصحيف من النسخ .

(٢) المراد أن إقراره والرضا عنه ليس من الاحسان بل من الواجب تأمل .

وهذه نسخ من ذلك :

لأبي الحسين بن سعد :

فإن رأيت أن تشظى أمرى نظراً يشبه أخلاقك المرضية ويكون لحسن ظنى بك مصداقاً، ولعظيم آملى [فيك] حقاً، ولكم لم تزل تعدني متجزاً، ولحق حرمي بك وقديم اتصالي بأسبابك قاضياً، فعلت ؛ إن شاء الله تعالى .

ومنه : لسليمان بن وهب .

من أنصرف في الاحتجاج إلى الإقرار بما يلزمه وإن لم يكن لازماً، فقد أطفأ الاستعطاف، وأستوجب المسامحة والإنصاف .

ومنه : وقد نالني من جفوة الأمير بعد الذي كنت أتعرف من بره والطافه أمرٌ أحلني محل المذنب في نفسى مع البراءة من الذنب ، وألزمني الإساءة مع الخروج من التصير ، وزاده عندي عظماً وشدة أتى حاولت الخروج منه بالإعتذار، فلم أجذل إلى الأمير ذنباً أعذر منه ، ولا على فيما ألزمني من معيته حجة أحاول دفعها والتخلص منها ؛ فأصبحت أعالج من ذلك داء قد خفى دواؤه، وأحاول صلاح أمرى لم أجني فساداً ؛ فإن رأيت أن تفعل كذا وكذا فتصل قديم ما أصبح عندي من معروفك بحديثه ، فليس عندي في مطالبة حجة أنجح من التوجه إلى الأمير بنفسه ، والقة عنده بفضله ، فإن كنت مذنباً عفاً، وإن كنت بريئاً راجع .

ومنه : لأبي علي البصير .

وأنا أحد من أسكتته ظلك ، وأعلقته حبلك ، وحبوته بلطيف برّك ، وخاص عنائيك ، وانتصف بك من الزمان ، وأستغنى بإحائك عن الإخوان ؛ فهو لا يرغب

إِلَّا إِلَيْكَ ، وَلَا يَتَعَدَّ إِلَّا عَلَيْكَ ، وَلَا يَسْتَفِجُ طَلِبَهُ إِلَّا بِكَ ، وَقَدْ كَانَ قَرَطَ مَنِّي  
قَوْلٌ : إِنْ تَأَوَّلْتَهُ لِي ، أَرَاكَ أَوْجُهُ عُدْرِي ، وَقَامَ عِنْدَكَ بُحْبُجِي ، فَأَغْنَانِي عَنْ تَوْكِيدِ  
الْإِيمَانِ عَلَى حُسْنِ ثِقَتِي ، وَإِنْ تَأَوَّلْتَهُ عَلَيَّ ، أَحَاقَ بِي لَأَيْمَتُكَ وَحَبْسِي عَلَى [ أَسْوَإِ ]  
حَالٍ عِنْدَكَ ، وَقَدْ أَتَيْتُكَ مَعْتَرِفًا بِالزَّلَّةِ ، مُسْتَكِينًا لِلْوَجْدَةِ ، عَائِدًا بِالصَّفْحِ وَالْإِقَالَةِ ،  
فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَهْرُغَ عَيْنَا قَرَّتْ بِنِعْمَتِكَ عِنْدِي ، وَلَا تَسْأَلْنِي مِنْهَا مَا لَيْسَتْ بِي ، وَأَنْ تَقْتَصِرَ  
مِنْ عَقُوبِي عَلَى الْمَكْرُوهِ الَّذِي نَأْتِي بِسَبَبِ عَيْتِكَ عَلَيَّ ، وَتَأْمُرَ بِتَعْرِيفِي رَأْيِكَ بِمَا  
يُطَافِئُ هَلْجِي ، وَتُسْكِنَ إِلَيْهِ نَفْسِي ، وَيَأْمَنَ بِهِ رُوعِي ، فَعَلْتَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ومنه : لِأَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي الْبَغَلِ .

نُبُو الطَّرْفِ مِنَ الْوَزِيرِ دَلِيلٌ عَلَى تَغْيِيرِ الْحَالِ عِنْدَهُ ، وَالْجَفَاءُ مِنْ عَوْدِ اللَّهِ إِلَيْهِ  
شَدِيدٌ ، وَقَدْ أَسْتَدَلْتُ بِإِزَالَةِ الْوَزِيرِ لِإِمَائِ النَّحْلِ الَّذِي كَانَ تَحْلِيَّتَهُ بِتَطَوُّلِهِ ، عَلَى مَا  
سُوتَ لَهُ ظَنًّا بِنَفْسِي ، وَمَا أَخَافُ عَتَبًا : لِأَنِّي لَمْ أَجِدْ ذَنْبًا ، فَإِنْ رَأَى الْوَزِيرُ أَنَّ  
يَقُومُنِي لِنَفْسِي ، وَيَدُلَّنِي عَلَى مَا يُرِيدُهُ مِنِّي ، فَعَلَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ومنه : لِأَبِي الرَّبِيعِ .

أَصْدَقُ الْمَقَالِ ، مَا حَقَّقَهُ الْفَعَالُ ، وَأَفْضَلُ الْخَبَرِ ، مَا صَدَّقَهُ الْأَثَرُ .

ومنه : لِمَوْلَانَا سِيرَةٍ فِي الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ مَا أَمْلَأَهَا آمِلٌ إِلَّا جَادَتْ وَنَحَتْ  
وَمَتَحَتْ ، وَعَوَائِدُ فِي الْعَفْوِ مَارَجَاهَا رَاجٌ إِلَّا صَفَحَتْ وَنَمَحَتْ ، وَأَحَقُّ مَنْ تَلَقَّاهُ  
عِنْدَ الْعَارِ ، بِالْإِقَالَةِ وَالْإِعْتِفَارِ ، وَوَقَفَ بِهِ عِنْدَ حَدِّ التَّقْوِيمِ وَالْإِصْلَاحِ ، وَلَمْ يُعَرِّضْهُ

لَقِيصَةِ الْإِقْصَاءِ وَالْإِطْرَاحِ، مَنْ شَفَعَ الْحَقُّوَّةَ بِالْإِعْتِدَارِ، وَخَطَبَ التَّعَمُّدَ بِلِسَانِ  
الْإِقْرَارِ؛ وَدَلَّتِ التَّجَارِبُ مِنْهُ عَلَى حَسْمِ الْأَضْرَارِ؛ وَكَانَ لَهُ مِنْ سَالِفِ الْخِلَامِ وَسَائِلُ  
وَدَرَائِعُ، وَمِنْ صَحِيحِ الْإِخْلَاصِ مَهْمَدٌ وَشَافِعٌ؛ فَلَا تَجَبُّ أَنَّ الْمُلُوكَ يَهْتَفُونَ بِهِ؛  
وَيُظَلِّمُ فَيُكَلِّمُ، وَيُجْهَلُ فَيُعَلِّمُ، وَيُخْطِئُ فَيُصِيبُ، وَيَدْعُو مُتَنَصِّلًا فَيُجِيبُ؛ وَقَدْ جَعَلَ  
اللهُ سَهْمَهُ الْمَعْلَى، وَيَدَهُ الطُّوْلَى، وَأَلْهَمَهُ التَّفَضُّلَ بِالْإِنْعَامِ، وَالتَّغْلِيصَ عَنْ زَلَّاتِ  
الْكَرَامِ؛ وَقَدْ حَصَلَ لِلْمُلُوكِ فِي هَذِهِ النَّبُوءَةِ مِنْ إِزْرَائِهِ عَلَى عَقْلِهِ، وَتَفْصِيحِهِ لِفِعْلِهِ؛  
أَعْظَمُ تَجْرِيبَةٍ، وَأَكْبَرُ مَادَّةٍ؛ وَالْمُلُوكُ يُسْأَلُ إِحْسَانُ سَيِّدِي أَنْ يُعِيدَهُ إِلَى رِضَا  
وُلُطْفِهِ، وَيُؤْنِسَ مِنْهُ مُسْتَوْحِشَ إِقْبَالِهِ وَعَظْفِهِ؛ وَيَصَدِّقَ رِجَاءَهُ فِيهِ، وَيُجْزِلَ  
ثَوَابَ وَقَادَتِهِ عَلَيْهِ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

رَقْعَةٌ : الْمُلُوكُ يُخْطَبُ صَفْحَ سَيِّدِهِ وَإِقَالَتهُ بِلِسَانِ الْاِغْتِفَارِ، وَيَسْتَعِيدُ  
مَاعَرَفَ مِنْ رِضَاهِ وَعَاطِفَتِهِ بِوَسَائِلِ الْاِغْتِدَارِ: لِيَكُونَ الْمُتَفَضِّلُ فِي كُلِّ الْحَالَاتِ،  
وَالْمُنِيمُ مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ؛ وَقَدْ عَرَفَ السُّهُوَّ وَالنَّسْيَانَ، الْمُعْتَرِضِينَ لِلْإِنْسَانِ؛ وَأَنْتُهُمَا  
يُحُولَانِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَلْبِهِ، وَيُزَوِّرَانِ عَلَيْهِ خَطَاةَ فِي صُورَةِ صَوَابِهِ؛ فَيَتَوَرَّطُ فِي السَّقَطِ  
غَيْرَ عَامِدٍ، وَيَتَهَوَّرُ فِي الْفَلَطِ غَيْرَ قَاصِدٍ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ  
فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْإِيمَانَ﴾ . وَمَا أَوَّلَى مُؤَلَانَا بِأَنْ يُحَفَظَ  
عَلَى الْمُلُوكِ جَمِيلَ آرَائِهِ، وَلَا يَسْلُبَهُ مَا شِئِلَهُ مِنْ ظِلِّ آلَائِهِ؛ وَلَا يَسِمُهُ بِمِيسَمِ السُّقُوقِ  
فَإِنَّهُ يُمِدُّ نَفْسَهُ بِخِلَافِ ذَلِكَ فِي طَاعَتِهِ، وَمُرْتَبَتِهَا بِغَيْرِ هَذِهِ الرِّبَةِ فِي خِدْمَتِهِ .

فَصْلٌ : وَقَدْ آوَى سَيِّدِي الْمُلُوكُ مِنْ ظِلِّهِ، وَأَعْلَقَهُ مِنْ حَبْلِهِ، وَأَسْفَغَ عَلَيْهِ  
مِنْ قُضْلِهِ، مَا أَنْصَفَهُ بِهِ مِنَ الزَّمَانِ، وَأَغْنَاهُ عَنِ الْإِخْوَانِ، وَوَقَّفَ رَعِيَّاتِهِ عَلَيْهِ،  
وَصَرَفَ آمَالَهُ إِلَيْهِ، وَنَزَلَهُ مَنْزِلَةً مَنْ لَا يَشْكُ فِي اعْتِقَادِهِ، وَلَا يَسْتَرِيبُ بِوُدَادِهِ؛ وَكَانَ



المملوك أرسل لفظاً على سبيل الإشفاق ذهب به الحاسد إلى غير معناه ، وخالف في تفسيره حقيقة مفرّاه ، وأحاله عن ينيته ، وعرضه عليه على غير صورته : ليوحش عمل المملوك المانوس من رعايته ، وينفر سرّبه المطمئن بملاحظته وعنايته ؛ وقد أرسل المملوك هذه العبودية سائلاً في نحو إظلام موجدته ، وأن يُعيد المملوك إلى مكانه من حضرة ؛ إن شاء الله تعالى .



لا أتوسل إليك إلا بك ، ولا آتيك إلا من بابك ؛ ولا أستشفع إليك بسواك ، ولا أكل رجعة هواك إلا إلى هواك ؛ ولا أنتظر إلا عطفتك التي لا تقودها زخارف الأموال ، ولا تعيدنا شفاعات الرجال :

إذا أنت لم تعطفك إلاشفاعة \* فلا خير لي ود يكون بساغع

شعري معنى ذلك :

هَبْنِي تَعَطُّتُ إِلَى زَلَّةٍ \* وَلَمْ أَكُنْ أَذْنَبْتُ فِيمَا مَعْنَى !

أَلَيْسَ لِي مِنْ قَبْلِهَا خِدْمَةٌ \* تُوجِبُ لِي مِنْكَ سَبِيلَ الرِّضَى !

غيره :

وَحَقَّقَ مَا هَجَرْتُكَ مِنْ مَلَالٍ \* وَلَا أَعْرَضْتُ إِلَّا خَوْفَ مَقْتٍ !

لِأَنَّ طَبَائِعَ الْإِنْسَانِ لَيْسَتْ \* عَلَى وَفْقِ الْإِرَادَةِ كُلِّ وَقْتٍ !

اعتذار عن التأخر ، من ترسل أبي الحسين بن سعد .

إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي تَأَخَّرِي عَنْكَ عُدْرٌ قَبْلَهُ ، فَاجْمَلْهُ ذَنْبًا تَفَرَّه .

على بن خلف

الأعداء - أطال الله بقاء سيدي - تنأى على الأمتناع ، وتضيق على الإلتساع ؛  
وذلك بحسب ما تضادفه من قبول ورد ، ومسايرة وتقدير ، وأنا أحمد الله على أن  
جعل عذري إلى من يتحمل العذر للعتذر ، ويصفح صفح المالك المقتر ، كما  
أنتم بقول الشاعر :

إذا ما أتت من صاحب لك زلة \* فكُنْ أنت مُحْتَالاً لِزَلَّتْهُ عُدَا

ولم يجعله إلى من يُغلب هاجس الظنون ، على واضح الحجّة ، ومعتل الشك على  
صحيح اليقين . ومضى إلى أن غابها لمكانى من حضرته ، حسدنى على عخل من  
مودته ، وزور ما ينكشف عن الإفك والبُهتان ، ودلّس الكذب في صورة البرهان ؛  
فلما جلاه في معارض زخارفه أظهر لسيدي عواره ، وأبدى لطرفه شواره ؛ فشل  
سمعه عن وعيه ، وطرف طرفه عن رعيه ؛ وأستمرّ علامت شيمته ، في حسن الظن  
باحبته ؛ فقبلت من الاعتذار ما يقدمه المذنب تُزولا على طاعته ، وتأدبا في خدمته ،  
وشفقت من الشكر بما يقتضيه إحسانه ويوجبه .

أبو الفرج البغاء :

أحقّ المعاذير بالتقبل وأولها بسعة القلوب ماصدر عن استكانة الأقدار ، ودلّ  
على حتم مواد الأضرار ، وصفا من كدر الاحتجاجات ، وقرة عن تمحل الشبهات :  
ليخلص به ملك العفو ، وتكامل نعمة التجاوز . ولست أكره شرف تأديه ، ونبل  
تتقيفه وتهنيه ؛ ما لم يتجاوز في العقوبة والتقويم إلى مؤلم الإعراض ، ومضيق

(١) أى عيه وشل منه أى طرده والمراد أنه لم يضع إليه .

التنكر والإقْباض؛ ولا أخطبُ الإقالة من تفضله إلا بلسان الثقة وشافِعِ الخِدمة ،  
 هاربا إلى سعة كرمه مما دفعتني المحبة إليه، وأشفى بى عَدَمُ التوفيقِ عليه ؛ فإن رأى أن  
 يكونَ عِنْدَ أَحْسَنِ ظَنِّي به فى الصَّفْحِ ، كما هو عِنْدَ أَصْدَقِ أُمْلِ فيه بالإِنعام ، فَعَل .

وله فى مثله :

ليس يَحُلُو الإِعْرَاقُ فى التَّنَصُّلِ والمبالغة فى الاعتذار من إقامة حُجَّة ، أو تَمَسُّكُ  
 باعتراض شُبْهة ، وأنا أَجَلُّ ما أخطبه من عَظِيمِ عَفْوِهِ ، وأَكْرَمُ ما أَجْلَوْهُ من نِعمةٍ  
 تَجَاوَزُهُ ؛ عن المِقابِلَةِ بَينَ الاعتراف بالزَّلَلِ وبعْدَ الإِستِحقاقِ من الصَّفْحِ ، ما لم يُوجِبْ  
 لى بِسَعةِ تَأْوُلِهِ ، وَيُحْدِثَ عَلى فيه بَعَادَاتِ تَفَضُّلِهِ : لِنَصْفِهِ مِنَ الأَعْضاء ، وَلِتَزَيِّنِ  
 واجباتُ الشكرِ والثناءِ غيرَ مَمْتَنِعٍ مع ذلك من التَبَرُّى إليه ما أَنْكَرَهُ من تَجَاوُزِ السَّهْوِ  
 إلى العَمَلِ ، والتَّوَجُّهِ إلى ما قَرِطَ بالاختيار والقَصْدِ اللَّذِينَ يُنْفَرُ بِتَحْتِيجِهِمَا مَذْمُومُ  
 الأَعْمَالِ ، وَيَتَعَمَّدُ سَيِّئُ الأَعْمَالِ ؛ فإن رأى أن يَحِلَّ أَمْرِي فِىما قَصِدْتَنِي الأَيَّامُ بِتَوَجُّهِ  
 الظُّنُونِ فيه عَلى غَيْرِ النِّيةِ لِأَظَاهِرِ الفِعلِ ، إِذْ كَانَتْ صِفَاتُ الإنسانِ بِالأَشْهرِ من  
 أخلاقِهِ والأَكْثَرِ من أَعْمَالِهِ ، ولا صِفَةَ لى أَعْرِفُ بِهَا وَأُنْسِبُ إِلَيْهَا غَيْرَ الإِعْتِرَافِ  
 بِإِغْماهِ ، والتَّطَلُّوِي من اصْطِناعِهِ ، أَخْذًا من كُلِّ حالٍ بِالْفَضْلِ ، ومَشْفَعًا بِسُطَّةِ  
 الرِّياسَةِ والنَّبْلِ .

وله فى مثله :

لَسْتُ أَخْلُو فى المِلَّةِ الَّتِى تَجَاوَزَ الدَّهْرُ لى عَنَّا فى خِدمَتِهِ من تَوْصِيلِ قَرِطِ  
 الاجْتِهَادِ ، إلى ما وَصَلَ من رَأْيِهِ إلى رِثْبَةِ التَّقبُّلِ والإِحْمالِ ؛ وليس يَحِطُّ ما أَتَيْتُهُ من  
 مَرْضَى الخِدمةِ بِالنِّيةِ والعَمَدِ بما لَعَلَّهُ قَرِطَ من غَيْرِ مُرادٍ ؛ إِذْ كَانَ - أَيْدِهِ اللهُ بِغَائِضِ

طَوَّلَهُ ، وَمَأْتُورٌ قَضَلُهُ - أَخَذًا مِنْ آدَابِ اللَّهِ بِمَا أَحَاكَمَهُ مِنْهُ : <sup>(١)</sup> (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُكْتَبُ عَلَيْهَا السَّيِّئَاتُ) . و [ لو ] لَا يَأْتِي عَلَى مَقَرَّضِ الطَّاعَةِ وَاسْتِكَانَةِ الْإِعْتِدَادِ ؛ وَأَنْ لَا أُخْطَبَ بِرِضَاهِ بِلِسَانِ الْاِحْتِجَاجِ ، وَلَا أُنَمِّسَ عَفْوَهُ بِوُجُوبِ الْاِسْتِحْقَاقِ : لَتَسَلَّمَ لَهُ صِفَاتُ التَّفَضُّلِ ، وَلِي مَوَاتٍ الْإِعْتِرَافُ بِسَالِفِ التَّطَوُّلِ ؛ لِبَرَهْنَتِي عَلَى سَلَامَتِي مِمَّا قَصَّرَ عَلَى تَبَوُّجِهِ الظُّنُونُ وَاعْتِرَاضِ الْأَوْهَامِ ، وَلَا أَقُولُ بِشَعَثِ النَّيَّةِ وَفَسَادِ الرَّأْيِ ؛ فَإِنْ رَأَى أَنْ يَحْفَظَ مَا أَبْتَدَأَ مُحْتَارًا مِنْ أَصْطِنَاعِي بِمَا يَصُونُهُ عَنِ التَّنَكُّرِ ، وَيَصُونَتِ عَادَتِي فِي شُكْرِ ذَلِكَ وَالْإِعْتِدَادِ بِهِ عَنِ الْفُتُورِ وَالتَّغْيِيرِ ، فَعَلَّ .

### أَجْوِبَةُ الْأَسْتِرْضَاءِ وَالْاِسْتِعْطَافِ

قال في "مواد البيان" : لَا يَخْلُو الْمُعْتَذِرُ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَنْ يَقْبَلَ الْعُذْرَ ، وَالْآخَرُ أَنْ يَسْتَمِرَّ عَلَى الْمَوْجِدَةِ وَيَرْفُضَ مَا يَأْتِي بِهِ مِنْ تُجْبَةٍ ؛ فَإِنْ كَانَ قَدْ قَبِلَ الْعُذْرَ ، وَجَبَ أَنْ يَبْنِيَ الْجَوَابُ عَلَى وُصُولِ الْكَلَامِ ، وَالْوُقُوفِ عَلَيْهِ ، وَالتَّحْقِيلِ لِمَا تَضَمَّنَتْهُ ، وَتَبَيُّنِ الْمُعْتَذِرِ عَنِ الْحَاجَةِ إِلَى الْإِعْتِذَارِ ، وَالْإِقْنَادِ إِلَى الْإِعْتِرَافِ بِالْجُرْمِ وَالْإِقْرَارِ ، إِكْرَامًا لِحُلَّتِهِ عَنِ التُّهْمَةِ ، وَلِلوَدَّةِ عَنِ الظَّنَّةِ : فَإِنَّ الْأَمْرَ الَّذِي أَوْجِبَ الْعُذْرَ لَوْ صَدَرَ مِنْهُ ، لَا قِصْفَ وَدَادَهُ التَّأَوَّلَ لَهُ بِأَنَّهُ مَا صَدَرَ إِلَّا عَنْ بَاطِنِ سَلِيمٍ وَمَصْلَحَةٍ أَوْجِبَتْهُ . قال : وَلَيْسَ هَذَا الْمَعْنَى هُوَ الَّذِي يُجَابُ بِهِ مَنْ قُبِلَ عُذْرُهُ فَقَطْ : لِأَنَّهُ يَحْزَنُ أَنْ يَجِبَ بِأَنَّهُ قَدْ قَبِلَ الْعُذْرَ ، وَصَفَحَ عَنِ الْجُرْمِ ، عَلَى أَنْ لَا يَعُودَ إِلَى مِثْلِهِ . وَإِنْ أَسْتَمَرَ عَلَى الْقَصْدِ ، بَنَى الْجَوَابُ عَلَى إِبْطَالِ الْعُذْرِ وَمَعَارَضَتِهِ بِمَا

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَلَعَلَّ «إِلَيْهِ» .

(٢) فِي الْأَصُولِ «وَلَا يَأْتِي عَلَى مَقَرَّضٍ ... لَا أُخْطَبُ بِرِضَاهِ» .

(٣) أَيْ قَصْدَ الصِّدْقِ وَبَنَى عَلَى مَجْرَمِهِ وَلَمْ يَقْبَلِ الْإِعْتِذَارَ .

يقتضيه ؛ والدلالة على خطأ المعتذر ، وأنه مما لا يسوغ الصنوع عنه ، ولا يليق بالحزم إقائته .

قال : وهذان معنيان يتجلان من العبارة مالا يكاد يُخَصَّرُ في قول مشروح مهسوط ؛ فضلا عن قول مجمل مُوجَز ، ألا أن المتدرب بالصناعة إذا مرَّت به هذه الأصول أمكنه التفرُّع عليها .

## النوع العاشر

( في الشكوى - أعاذنا الله تعالى منها )

قال في "موادّ البيان" : رِقَاعُ الشَّكْوَى - عَصَمَنَا اللهُ مِنْ مُوجِبَاتِهَا - يجبُ أن تكون مبنيةً من صِفَةِ الحَالِ المُشْكِيَةِ ، على ما يُوجب المشاركة فيها وَيُقْضَى بالمُسَاعَدَةِ إن أَسْتَدْعِيَتْ عليها ، من غير إغراق يُقْضَى إلى تَطْلِيمِ الأَقْدَارِ وإِحْبَاطِ الأَجْر ، وشكوى المبتلى بالخير والشرِّ سبحانه وتعالى ، ويدلُّ على التهاك بالخرع ، وضعف التماسك وقُوَّةُ المَلْع ، بِأَسْتِيْلَاءِ القُنُوطِ والإيَّاس ، وأن يَشْفَعَ الشَّكْوَى بِذِكْرِ الثِّقَةِ بالله سبحانه ، والتسليم إليه ، والرِّضَا بأحكامه ، وتَوْقُّعُ الفَرَجِ مِنْ عِنْدِهِ ، وتَلَقُّى أَخْبَارِهِ بالصبر ، كما تَتَلَقَّى نِعْمُهُ بالشكر ؛ ونحو هذا مما يليق به ويمجى مجراه . قال : وقد يَكْتَسِبُ الإِجْبَاعُ للرُّؤَسَاءِ رِقَاعاً بِشِكَايَةِ الأحوال ومَسْأَلَةِ النظر ؛ ثم ذكر أن سبيل هذه الرِّقَاعِ أن يُعَدَّلَ بها عن التصريح بالشكوى إلى لَفْظِ الشُّكْرِ ومعناه ، وطلب الزيادة والإلحاق بالنظرَاءِ في الإحسان : لما في إطلاق الشكاية ، والتصريح بها من التعريض بإخلال الرئيس بما يلزمه النظر فيه من أحوال خاصتهم وتمهّد مراراً فيهم من الكفاية .

وهذه نسخ من ذلك :

رقعة شكوى هموم :

كتب المملوك هذا الكتاب وهو رهين فكري وغم، وقلبي وهم، وحليف جوى  
قد سكن القلب، وخوف قد أطار اللب، وبالله العباد، وهو الملائكة، وبسده تحل  
القدرة، وبأمره ترول الشدة، وقد ألم الله سبحانه المملوك صبرا يسر أمره، وأملا  
في الفرج خفف ضره، وليس بأئس من عطفته، ولا قانط من نعمته .

رقعة في معنى ذلك :

كتب المملوك وهو شاك لتجاهل الأيام، وقيد من مواقع سهامها الرغية الكلام،  
منهم بهموم تضعف الجليد، وتسوء الوديد، وتسر الحسود، لاق من قسوة الدهر  
وقطاطلته، ونبوة العيش وفقرته به ما يرد الحقون عن الحق، ويفرق العيون  
بالدموع، والله تعالى في عباده أفضية يقضيها، وأقدار يمضيها، والله أسأل حسن  
العاقبة والختام، وتمحيص الأوزار والآثام .

رقعة : كتب المملوك وجسمه صحيح، وقلبه قريح، وجنانه سليم، وجنابه  
سقيم : لما يبادر إليه من نكبات قدح وتقرح، وحادثات تكلم وتجرح، ونوب  
تهض، وتهدم وترض، وخطوب تحاطب شفاها، وتوصل من اليد إلى اليد أذاها،  
إلا أن الله يهب ريح المنع، وقد تداكت الحن فينشفها، ويشق عمود الفرج، وقد  
أذهمت فيكتشفها، وظن المملوك بالله تعالى جميل، وله في صنعه ولطفه تأميل .

رقعة : ويئس أنه قد كتب هذه العبودية بيد قد أرعشتها الآلام، يمل عليها  
قلب قد قلبته الأسقام، وخسسه ناكل، وجسده بعد النضرة قاحل، وقوام قد

وَهَنَتْ ، وَجَلَادُتُهُ قَدْ وَهَتْ ؛ وَصَبْرُهُ قَدْ تَحَلَّى وَأَضْطَرَبَ ، وَتَحْمَلُهُ قَدْ نَأَى وَأَقْرَبَ ؛  
وَعَادَ شَبَابًا مِنَ الْأَشْبَاحِ ، وَهَبَاءٌ تَذَرُوهُ الرِّيحُ ؛ فَلَوْ اعْتَلَقَ بِشَعْرَةٍ لَمْ تَنْصَرِمَ ، أَوْ وُلِجَ  
تَحَرَّتْ إِبْرَةٌ خَوَاطِمُ لَمْ تَنْفَصِمَ ؛ وَلَوْلَا الثَّقَةُ بِاللهِ وَانْهَوَانَهُ يُتْبِعُ السُّقْمَ بِالصَّحَّةِ ، وَيَشْفَعُ الْحُبَّةُ  
بِالْمُنْحَةِ ؛ لَذَهَبَ مَا بَقِيَ مِنْ ذِمَّائِهِ ، وَأُطْلِلَ عَلَى شَفَا شَقَائِهِ ؛ وَالْمَمْلُوكُ يَسْتَشِيرُ مِنْهُ  
تَعَالَى لَطْفًا يُعِيدُ الْكَالِيلَ حَدِيدًا ، وَالْمُخْتَلِقَ جَدِيدًا .

رقعة : وَيُنْهَى أَنَّهُ قَدْ كَتَبَ هَذِهِ الرَّقْعَةَ ، وَقَدْ سَاءَ أَثَرُ الْأَيَّامِ عَلَيْهِ ، وَقُبِحَ  
صُنْعُهَا لَدَيْهِ ؛ وَأَبْتَلَتْهُ بِمَوْلِمِ الْبَلْوَى ، وَأَنْطَقَتْهُ بِلِسَانِ الشُّكْوَى ؛ فَهُوَ مُحَرِّقٌ بِنَارِ الْغَيْظِ ،  
يَدْعُو عَلَى نَفْسِهِ بِالْقَيْظِ ؛ إِنْ لَمْ يَكُنْ فَرَجٌ يَفْرُجُ بَيْنَ الْأَضْدَادِ ، وَلُطْفٌ يُرِيحُ مِنْ هَذَا  
الْجِهَادِ ؛ وَكُلَّمَا طَلَبَ الْمُرَايَلَةَ عَوَّقَ ، أَوْ طَلَبَ الْفِكَالَةَ آعَتَقَ ؛ فَهُوَ قَاطِنٌ فِي صُورَةِ  
الظَّالِمِينَ ، وَحَالٌ فِي حَالِ الرَّاحِلِ ، وَاللَّهُ يَمُنُّ بِالْمُخْرِجِ ، وَيَأْتِي بِالْفَرَجِ

رقعة : وَقَدْ سَطَرَ الْمَمْلُوكُ هَذِهِ الْعُبُودِيَّةَ ، وَقَدْ أَنْجَلَتْ هَذِهِ النَّبُوَّةُ ، بَيْنَ الْبَلَاءِ  
وَالشُّقْوَةِ ، وَتَقَادِ الْمَالِ ، وَأَسْتِحَالَةِ الْحَالِ ، وَأَسْتِيلَةِ الْعُدُوِّ ، وَأَسْتِعْلَاءِ السُّبُوِّ ، وَكَذَا  
الدَّهْرِ خُدُوعَ غُرُورٍ ، خَشُونِ غُثُورٍ ؛ إِنْ وَهَبَ أَرْتَجَعَ ، وَإِنْ أَلْبَسَ أَتَرَعَ ؛ وَإِنْ  
أَعْطَى أَعْطَى قَلِيلًا وَقَلَعَ ؛ وَإِنْ أَحْلَى أَمَرَ ، وَإِنْ تَقَعَ ضَرَّ ؛ وَإِنْ أَهْرَمَ نَقَضَ ، وَإِنْ  
رَفَعَ خَفَضَ ؛ وَإِنْ أَقْبَلَ أَعْرَضَ ، وَإِنْ وَعَدَ أَمْرَضَ ؛ فَنِعْمَهُ مَقْرُونَةٌ بِالزُّوَالِ ،  
وَمِثْمَهُ مَعْرُضَةٌ لِلِانْتِقَالِ ؛ وَصِفْوُهُ مَشُوبٌ بِالْكَدَرِ ، وَعَيْشُهُ مُمَزَّجٌ بِالْغَيْرِ ؛ مَا أَجَنُّ  
إِلَّا أَوْجَدَ خَلَاءً ، وَلَا أَمَّنْ إِلَّا أَتْبَعَ الْأَمْنَ جَلَاءً ؛ وَالْمَمْلُوكُ يَجْعُدُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَنْ أَوْسَعَهُ  
فِي حَالِ الْبَلَاءِ شُكْرًا ، وَفِي حَالِ الْإِبْتِلَاءِ صَبْرًا .

## أجوبة رِقَاع الشكوى

قال في "مواد البيان" : يجب أن تنفي أجوبة هذه الرقاع على الارتماض في الحال المشكية، والتوجه منها، وبذل الوسع في المعونة عليها، والمشاركة فيها؛ وما يجزى هذا المجزئ مما يليق به .

## النوع الحادى عشر

( فى استباحة الحوائج )

قال فى "مواد البيان" : ورقاع الاستباحة يُختار أن تكون مُودعة من الألفاظ ما يُحرك قوى السّماح ، ويبعث دواعى الارتياح ؛ ويوجب حرمة الفضل المسهلة بذل المال الصّعب بذله ، إلّا على من وقر الله مُروءته ، وأرخص عليه أثمان المحامد وإن غلّت .

قال : وينبى للكتاب أن يتلطف فيها التلطف الذى يُعود بفتح المرام ، ويؤمن من الحصول على إراقة [ماء] الوجه ، والخيبة بالرد عن البقية ، ويعدل عن التثقل والإلحاف المضجرين ولا يضيق الصدر على السّماح إلّا أن يتمكن للثقة به ، ويعلم المشاركة فى الحال .

وهذه نسخ من ذلك :

من كتاب [أبى] الحسين بن سعد .

أفضل القول أصدقه ، وأهنى المعروف أعجله ، وأبلغ الشكر أظهره .



ومنه : إن حضرتك نية في قضاء حاجة فنجلبها ، فإن أمني المعروف ما تجلب ، وأنكده ماتنازعه العلل ، وأعرضته كثرة الإقتضاء .

ومنه : أنت أعزك الله وأجد السبيل إلى أصطناع المعروف واكتساب الثواب ، وأنت أعرف بما في استنقاذ أسير من أسرى المسلمين ، من وارد الأمر ، وعصرمة الكفر ، وأتياشه من الذلة والفاقة ، والبلاء والمشقة ، من جزيل ثواب الله وكريم جزائه [ وأجل ] من أن تخاطب في ذلك مخاطبة من يحتاج إلى زيادة في بصيرته ، وتقوية لنيته ؛ وبالله توفيقك وعونك .

على بن خلف :

قد تمسك أمني بزمانك ، وتطلع رجائي إلى إحسانك ، وكفل لي النجاح مشهور كرمك ، ورغبتي في رب نعمك ، ولي من فضلك نسيب أعتري إليه ، ومن شكري شفيع أعتد عليه .

وله : المواعيد أطال الله بقاء مولاي - غروس ، حلو ثمرها الإنجاز والتعجيل ، وممره المثل والتطويل ؛ وقد شام أمني من محائب فضله ، حقيقاً بأن ينهمر ويهيم ، وأرتاد من روض ثبيله ؛ جديراً بأن يزيد وينى ، فإن كانت هذه الخصلة صادقة ، فلتكن منه همة للرجاء محققه ، إن شاء الله تعالى .

وله : هممت أن أستصحب إلى مولاي ذريعة تحجب مطلق ، وتكون حجاباً على وجهي في المطالعة بأربي ، فلاح لي من أساريه برق أوضح مقصدي ، ومن أخلاقه أنبساط آمال تجعدي ، ولست مع معرفته بحق نعمة الله تعالى وحق مؤمله ، محتاجاً عنده إلى ذريعة ولا مفتقراً إلى وسيلة .

وله : ولا يَجْلِيْ مَوْلَايَ عَلَى ظَاهِرِ تَجَلِّي ، وَجَمِيلِ تَوَكُّلِي ، عَلَى حَالٍ قَدْ أَحَالَهَا الْعُطْلَةُ ، وَتَحَلَّلَهَا الْخَلَّةُ ؛ وَإِنَّمَا أَتَيْتُ بِالتَّجَمُّلِ عَلَى دِيَابِجَةِ هِمَّتِي ، وَأَصُونُ بِالْتَّخَفِيفِ عَنْ الصَّدِيقِ مُرُوتِي ؛ وَلَوْلَا أَنَّ الشُّكُوفَ تَحْفَفُ مَتَحَمُّلَ الْبَلَاوِي ، لَأُضْرِبْتَ عَنْ مُسَاءَلَتِهِ ، وَأَمْسَكْتُ عَنْ تَذَكُّرِهِ ، وَلَكِنْ لَا بَدَّ لِلْوَصِيبِ الشَّاكِي ، مِنْ ذِكْرِ حَالِهِ لِلطَّيِّبِ الشَّافِي ، وَقَدْ كَانَ بَرَقَ لِي مِنْ سَحَابٍ وَعِنْدَهُ مَا هُوَ جَدِيرٌ بِالْإِنْهَامِ ، وَأُورِقَ مِنْ تَمَّانِهِ مَا هُوَ حَقِيقٌ بِالْإِنْهَامِ ؛ فَإِنِ رَأَى أَنْ يَسَمَ وَجْهَ التَّائِيلِ ، بَعْدَ الْإِنْجَازِ وَالتَّعْجِيلِ ، فَعَل .

وله : مَا حَامَتِ آمَالِي - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ - إِلَّا وَقَعَتْ بِحَضْرَتِهِ ، وَلَا صَعِبَتْ عَلَى جَوَانِبِ الرَّجَاءِ إِلَّا سَهَلَتْ مِنْ جِهَتِهِ ؛ وَلَا كَذَّبَتْنِي الظُّنُونُ إِلَّا صَدَّقَهَا بُلُوْهُمَّتِي ؛ فَلِذَلِكَ أَعْتَلَّقُ فِي الْمُهَمِّ بِجَمِيلِهِ ، وَأَعْتَصِمُ فِي الْمُلَمِّ بِظُلْمِهِ ؛ وَقَدْ عَرَّضَ لِي كَذَا وَطِيلَهُ فِيهِ الْمُعُولُ ، وَهُوَ الْمَرْجُوُّ وَالْمُؤْمَلُ ؛ وَمَا أَوْلَاهُ بِالْجُرْيِ عَلَى عَادَتِهِ فِي رَيْشِ جَنَاحِي ، وَالْمُعُونَةِ عَلَى صَلَاحِي .

في طلب كسوة، من كلام المتأخرين :

أَلَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الَّذِي نَهَرُ جُودِهِ \* يَزِيدُ وَعَاصِي أَمْرِهِ الدَّهْرُ يَنْقُصُ !  
إِلَيْكَ أَشْتَكَاؤِي مِنْ دِمَشْقَ وَبَرْدِيهَا \* وَمَا أَنَا فِيهِ مِنْ أُمُورٍ تُغْنِصُ !  
وَإِنِّي فِي عُرْسٍ مِنَ الْبَرْدِ دَائِمٍ \* تُصَفِّقُ أَسْنَانِي وَقَلِّي يَرْقُصُ !

المملوك يُنْهِي بَعْدَ الْإِثْنَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي إِدَامَةِ نِعْمَتِهِ ، وَإِدَالَةِ دَوْلَتِهِ ، أَنَّهُ مَا لَأَفَّ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَّا أَنَّهُ يُضَاعِفُ رَسْمَ الْإِنْعَامِ ، وَيُؤَاتِرُ إِرْسَالَهُ عَلَى مَرَّ الْأَيَّامِ وَالْأَعْوَامِ ؛ وَلِلْمَمْلُوكِ فِي خِرَاتِهِ الشَّرِيفَةِ فِي كُلِّ عَامٍ تَشْرِيفٌ يُفِيضُهُ عَلَى جَسَدِهِ ،

(١) كذا في الأصول والظاهر "بل أنا على" الخ .

وَيُسِّرْ بِهِ قُلُوبَ أَوْلِيَانِهِ وَيُقِثُّ أَجَادَ حُسْنِهِ، وَيَتَّقِي بِهِ سَوْرَةَ الشَّتَاءِ وَقُرَّةَ، وَيَجْعَلُهُ  
قُرَّةً وَيَجْمَلُ بِهِ مِنَ الدَّعَةِ وَقُرَّةَ، وَقَدْ دَرَسَ رِسْمُهُ، وَقَعْدَ مِنَ الدِّيَّانِ المَعْمُورِ أَسْمُهُ،  
وَهُوَ يَسْأَلُ بُرُوزَ الأَمْرِ العَالِي بِإِجْرَائِهِ عَلَى عَادَتِهِ المُسْتَمِرَّةِ، وَقَاعِدَتِهِ السَّالِفَةِ المُسْتَقَرَّةِ؛  
بِشَرِيفِهِ بِأَخَذِ التَّشْرِيفِ وَلَيْسَهُ : لِيُدْفَعَ بِذَلِكَ شِدَّةَ البَرْدِ وَالْهَيْمَ مَسَّهُ؛ وَيَتَذَكَّرُ بِهَا  
فِي يَوْمِهِ مَا يُوجِبُ حَمْدَ المَوْلَى وَذَمَّ أَمْسِهِ، وَرَأْيَهُ العَالِي .

وله في طلب ورق :

يَا أَتَمَّحَ النَّاسِ وَيَأْمَنَ غَدًا \* جَيِّئُهُ يُجْبِلُ ضَوْءَ الشَّفَقِ !  
جُودُكَ بِالْوَرَقِ عَسِيٍّ <sup>(١)</sup> [فَلِمَ] \* أَنْعَرْتَ يَا مَوْلَايَ بَعَثَ الْوَرَقَ ؟

وله في طلب رَسْم :

رَسْمِي يَا مَوْلَايَ غَدًا \* مُؤَثِّرًا وَلَوْ حَضَرَ !  
وَلَوْ أَرَادَ سَيِّدِي \* إِحْضَارَهُ، كَانَ أَمْرًا !  
قَدْ مَعْنَى مُحَرَّمٌ \* وَرَاحَتِي مِنْهُ صَفْرًا !

وكتب كاتبٌ إلى تَحْدُومِهِ، وَقَدْ تَأَخَّرَ صَرْفُ مَعْلُومِهِ :

وَتَعْلَمُ أَنِّي كَثِيرُ العِيَالِ \* قَلِيلُ الحِرَايَةِ وَالوَاجِبِ !  
فَلَسْتُ عَلَى ظِلْمٍ قَانِعًا \* يُوْرِدُ مِنَ الوَثَلِ النَّاضِبِ !  
وَلَا شَكَّ فِي أَنِّي هَارِبٌ \* [فَ] قَدَّرْتُ نَفْسَكَ فِي كَاتِبِ !

(١) الورق مطع وككتف وجبل الدرهم المضروبة اه من القاموس .

قلت : وكتبْتُ نظماً لأَمير المؤمنين المستعين بالله أبي الفضل العباس : خليفة العصر؛ أَسْتَمِيعُهُ حَاجَةً فِي مَجْلِسٍ كَانَ فِيهِ هُوَ وَوَلَدُهُ يَحْيَى وَأَخَوَاهُ دَاوُدُ وَيَعْقُوبُ مَاصُورَتِهِ :

إِذَا رُمِتَ أَنْ تَحْطَى بِنَيْلِ مَآرِبٍ \* فَبَادِرْ إِلَى الْعَبَّاسِ مِنْ آلِ عَبَّاسٍ !  
إِمَامٌ بِهِ تَقَرُّ الْخِلَافَةُ بِاسْمٍ \* وَعَرِيْنُهَا يَسْمُو عَلَى قِمَّةِ الرَّاسِ !  
أَبَى الْفَضْلُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لِأَهْلِهِ \* [دَوَامًا] وَأَنْ يُدْعَى أَبَا الْفَضْلِ فِي النَّاسِ !  
فَالْمُسْتَعِينَ أَقْصَدُ تَجِدَ خَيْرَ مُنْجِدٍ \* حَرِيصٌ عَلَى الْمَعْرُوفِ بَرٌّ بِالنَّاسِ !  
فَيَحْيَا لَهُ يَحْيَى وَدَاوُدُ صَنْوُهُ \* وَيَعْقُوبُ أَعْضَادًا وَحَصْبًا مِنَ الْبَاسِ !



وكتبْتُ لقاضي القضاة شيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن ابن شيخ الإسلام عمر البلقيني أَسْتَمِيعُهُ حَاجَةً أَيْضًا :

أَيَا شَيْخَ إِسْلَامٍ وَقَاضِيَ قَضَائِهِ \* وَمَنْ قَدْ سَمَا فِي النَّاسِ عِلْمًا وَمَنْصِبًا !  
لَقَدْ عَمَّ نَوَاهُ مِنْكَ كُلُّ مُؤْمِلٍ \* وَحَاشَى لَبْرِقِ شِمْتٍ يَظْهَرُ خُلْبًا !  
أَأَحْرَمُ مَعْرُوفًا لَهُ كُنْتُ أَرْجُو \* وَيَحْجُبُ ذُو بَعْدٍ مِنَ الْقَوْمِ أَقْرَبًا !  
وَمَا زِلْتُ أَرْجُو فِي زَمَانِكَ رِفْعَةً \* وَلَكِنْ جَوَادُ الْخَطِّ بِالْبُعْدِ قَدْ بَكَأ !  
وَلَنْ يَسْتَمِيعَ الْخَفَضُ بِالرَّفْعِ مَاجِدٌ \* خُصُوصًا وَمَنْ أَخْرَجَ مَا نَالَ مَطْلَبًا !  
وَلَسْتُ تَرَى مِنِّي إِلَيْكَ وَسِيلَةً \* سِوَاكَ وَحَسْبِي بِإِعْتِلَاكَ تَقَرُّبًا !



وكتبت للقاضي القضاة جمال الدين محمود القيسراني ، وهو يومئذ قاضي قضاة  
الحنفية وناظر الجيوش المنصورة ؛ أذكركم بطلالة عرّضت لي من وظيفة مباشرة  
كانت بيدي :

إلى الله أشكركم من زمانى بواره \* فامسيت في الحرمان بي يضرب المثل !  
تماديت بطلالا وأعوزت حيلة \* ولم يريج البطال تعرف له الحيل !  
فلا ملّحتي جاء ولا عز صاحب \* ولا مالك يحنو فياقوم ما العمل ؟  
ولكن (محمود) العواقب أرتجى \* ومن يمد العقب على القصد قد حصل !



وكتبت للقاضي شمس الدين العمري كاتب الدست الشريف في حاجة تجزها :  
إن لا أرى عمرا حتى ألسم به \* ألفت من نسله من كان لي عمرا .  
لم يغف عن حاجتي حتى أنبهه \* وكيف يغفوف في المعروف كم سهر ؟  
جعلته مبتدا في رفعه خبري \* وعادة المبتدا أن يرفع الخبر !

### أجوبة استماعة الخواص

قال في "موادّ البيان" : لا يخلو المستاح والمكف حاجة من أن يسعف أو يمنع ،  
فإن أسعف فقد غني عن الجواب ، وربما أجاب المسعف بجواب مبنّى على حسن  
موقع أنيساط المستمع ، والاعتذار عن التفسير في حقه وإن كان قد بلغ به فوق

ما يجبُ له - تكراً وفضلاً ، وإن منع فربما أجاب بُعدُ في الوقت الحاضر أو عذر في المستقبل ؛ وربما أخلَّ بالحواب تفاؤلاً .



وهذه نسخة جواب بالإسعاف بالمقصود ، كُتِبَ بها في جوابٍ لكاتبِ المرِّ عن نائب الشام ، في طلبِ إقطاع ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نُباتة إجابةً للطلوب ، وهي :

لا زال قلبُها يمدُّ على الإسلام ظلاً طليلاً ، ويستجدُّ صنعا جميلاً ، يأخذُ بأمرِ الله أعداءَ دينه أخذًا وبيلاً ، ويقومُ بجتهاده في مصالح الملك النهاركة والليل الأقبلا ؛ تفصيل مواظبٍ على ولائِه لا يحدُّ له تبدُّلاً ، وشاء لو سمعه الحُبُّ فشافه الأحباب إذا لاحتُوه خليلاً .

وُنِهي ورود مشرفة مولانا القديم فضلها ، الكريم وصلها وأصلها ؛ فوقف المملوك عليها ، وأصغى بجملة إليها ؛ وعلم مارسم به مولانا ، وأشار إليه تيانا ؛ وكذلك بلغه مملوكه الولدُ فلان المشافهة الكريمة عقيدنا من صاحب السرِّ اسراراً وإعلانا ؛ وشكر لها مشرفة ومشافهة أوردا الإحسان مثنى مثنى ، وسراً سمعه المملوك لفظاً وأستهداه مثنى ؛ فبا منهنَّما في الإحسان إلا زائده ، ولا في الصلوات إلا عائده ؛ لا جرم أن المملوك أقبل على قلبهما بسمعِه وناظره ، وقلبه وخطيره ، وجملة وسائرِه ؛ وأتمثل الإشارة العالية التي من حقها أن تقدّم على كلِّ ميمٍ يردُّ عليه ، وأمرٌ يتوجه إليه ، ويدُ الزمان مشكورة يأخذها منه بكتنا يديه ؛ وعين المملوك لوقته الإقطاع المطلوب ، وتقدم بكايه مرسته حسب مارسم من تيمرى السعادة من سطره تحت مكتوب ؛ وجهزها قرين هذه الخلمة ومن ذا يُقارن سبق ذلك البر الماسيد ، وكيف توازى

المربعة كتابا هو بالإحسان للعنق قليد؛ لا برحت مرايم مولانا معدودة من رسوم  
نعمه، ومشرفاته محسوبة من تشرفات التي يحلمها على أبناء محبيه وخدمه .

## النوع الثاني عشر

### (في الشكر)

قال في "مواد البيان" : رقاع الشكر يجب أن تكون مودعة من الاعتراف بأقدار  
المواهب، وكفاية الاستقلال بمحقوق النعم، والأضطلاع بعمل الأيادي، والنهوض  
بأعباء الصنائع، ما يشعذ الهيم في الزيادة منها، ويوثق المصطنع بإفاضة الصنع؛  
ويعرب عن كريم سجيّة المحسن إليه .

قال : وينبغي للكاتب أن يفتن فيها، ويقرب معانيها، ويتعمل لها من ألفاظ  
الشكر أنوطها بالقلوب : تستيقن نفس المتفضل أنه قد آجنى ثمرة تفضله، وحصل  
من الشكر على أضعاف ما بذله من ماله أوجاهه، إلا أنه ينبغي أنها إذا كانت صادرة  
من الاتباع إلى رؤسائهم، ومن يرجع إلى اختصاص وأثرة، أن لا تنبئ على الإغراق  
في الشكر : لأن الإغراق في الشكر يحمل هذه الطبقة على التملق الذي لا يليق إلا بالأباعد  
الذين يقصدون الدلالة على استغلالهم بمحقوق ما أسدى إليهم؛ فاما من ضفا عليه  
من النعم ما يذفع الشك في اعترافه بالذل لديه، فإنه يفتنى عن المبالغة في الشكر  
والاعتداد؛ ثم قال : وإنما يجب أن يذهب فيما يكتب عن هؤلاء من هذا الفن  
مذهب الاختصار، والإتيان بالألفاظ الوجيزة الجامعة لمعاني الشكر، دون مذهب  
القلو والإفراط، ودو الطبع السليم، والفكر المستقيم؛ يكفى بسير التمثيل .

وهذه نسخ من ذلك :

أبو الفرج البيهقي، في شكر تابع لمتبوع :

أنا في شكره - أيد الله - مبرهن عن مواقع إحسانه إلى، وتظاهر إنعامه عليّ،  
لامقدّر أنّي مع المبالغة والإنسحاب، والإطالة والإطناب؛ أجازي عفوّ تفضّله،  
ولا أجامل أبسر تطوّله؛ وقد وسمي أيد الله من شرف أصيطناعه، بما بوّأني به  
أرفع منازل خدمته وأتباعه؛ وإلى الله أرغب في توفيق من مقابلة ذلك بالأجتهاد  
في خدمته، والمبالغة في طاعته - لما أكون به للزيد مستوجباً، وللفظوة مستحقاً.

وله في شكر قريب :

فرّض الشكر - أعزك الله - لا يسقط بقرب الأنساب، ولذلك لا أستعيز بإغفال  
الواجب عليّ منه، ولا أجد عذولاً في التسامح فيه والإضراب عنه، وإن كنت  
غيباً عن الإفاضة فيما أعتقد من ذلك وأصميره، وأبديه وأظهره؛ بالمتعلّم من خلوص  
النية وصحة الاعتقاد، فلا أخلاك [الله] من جميل تسديده، وتفضل توليه؛ يمتري  
لك المزيد من سوايغ النعم وفوائد الشكر.

وله : قد استنفدت مادة شكرى، ووُسمعت أعينى ونشروى؛ نتائج تفضّلك،  
وتوالى تطوئك؛ ولست أفدّر على الثبوت بشكر منية حتى تطرقت منك منه،  
ولا أحوّل مجازاة نعمة حتى تغدّ عليّ منك نعمة؛ فبأى عوارفك أعرّف، أم بأى  
أيديك بالثناء أنتصف؛ فقد فرغت إلى الإقرار بالعجز عما يلزم من فروضك،  
وواجبات حقوقك؛ وأنصرفت إلى سؤال الله جلّ اسمه بإزاعي شكر ما وهب منك،  
والتعاضد للكريم والفضل عنك.



وله : وقد شكرت ربك الجليل موقمه ، اللطيف موضعه ، الخفيف جسمه ، العذب منله ، وشافهتك من ذلك بما أسمعك له القدرة لا ما تقتضيه حقوق المنة .

وله : أنا في الشكرين نعمة تنطفئ ، وتجن عما يجب لك يحررني ؛ ولست أفرغ إلى غير تجاوزك ، ولا أعتد على غير مساعدتك ؛ ولا أنطاول إلا بمكانى منك ، ولا أفانر إلا بموقعى من إيتارك ؛ فالحمد لله الذى جعلنى بولائك مشهورا ، وفى شكرك مقصورا .

على بن خلف :

رقعة : وينهى أن الله تعالى لما ألهم مولانا البر ، ألهم المملوك الشكر ؛ فهو لا يزال يوسع في البر وي زيد ، والمملوك لا يزال يئس في الشكر ويئيد ، ولكن شتان بين فاعل وقائل ، ومُعْطٍ وقابل ، وواهب وسائل ، ورافد وحامد ، وشاكر وشاكذ ؛ والمملوك يحمده الله تعالى إذ جعل يده الطولى ، وحظه الأعلى .

رقعة : وصل برؤمولا وقد أحالت الخلقة من المملوك حاله ، وأمالت آماله ؛ فلأمت ماصدعه الدهر من مروته ، وجددت ما أخلقه من فروته ، فكف المملوك يديه [ عن ] آمتحان الخلان ، وقبض لسانه عن شكاية الزمان ؛ وأقر ماء وجهه في قرارته ، وحفظ على جاهه لباس وجهته ؛ فباله من روقع من الفقر ، موقع القطر من الفقر ؛ ولم يتقدمه من قدامة الوعد ، ما يتقدم القطر من جهامة الرعد ؛ وكل معروف وإن فاضت بنايعة ، وطالت فروعه ، قاصر عن الأمل في كرمه ، واقع دون غايات همه ؛ كما أن الشكر ولو أكب السج ، وساكب السجم ؛ قاصر عن مكافاة تفضله ، ومجازاة تطوله ؛ والمملوك يسأل الله تعالى الذى جعله قنوة

الكرام، وحسنة الأيام، وربّ الإنعام، وواحد الآثام؛ أن يُنهم المملوك من حَمْدِه،  
بقدر ما أسبقه عليه من رَفْدِه .

رقعة شكر : عِنْدَ المملوك لِسَيِّدِي أَيَادٍ وَصَلَتْ سَابِقَةً هَوَادِيهَا ، وَظَلَّتْ  
لَا حِجَّةَ تَوَالِيهَا ؛ فَصَارَتْ صُدُورُهَا نَسْبًا أُعْتَرِيَ إِلَيْهِ ، وَأَعْجَازُهَا [ سَبَبًا أَعْوَلَ  
فِي الْمَلَأَاتِ عَلَيْهِ ] .

رقعة : لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الشُّكْرَ ثَمَرَةَ الْبِرِّ ، وَالْحَمْدَ جَزَاءَ الرَّفْدِ ، وَأَرَادَ  
إِقْرَارَهُمَا عَلَى أَهْلِهِمَا مِنَ الْفَائِرِينَ ، وَأَنْ يَجْعَلَ لَهُمْ مِمَّا لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ؛  
لَكَانَ الَّذِي عَمَّرَ بِهِ مَوْلَانَا مِنَ الْإِنْعَامِ ، يُحَدِّثُ عَنْهُ تَحَدُّثُ الرِّيحِ بِأَنَارِ الْعَلَمِ ؛  
وَيُكْنَى المملوكُ بِالإِشَارَةِ ، مَثُونَةَ الْعِبَارَةِ ؛ وَالْمَمْلُوكُ وَإِنْ رَامَ نَادِيَةً مَا يَلْزِمُهُ مِنْ شُكْرِهِ ،  
فَاصْرُ عَنْ غَايَةِ رِيهِ ؛ وَلَوْ أَسْتَعْدَمَ أَلْسِنَةُ الْأَقْلَامِ ، وَاسْتَغْرَقَ أَمْدِي النَّثَارِ وَالنُّظَامِ ؛  
وَمَوْلَانَا جَدِيرٌ بِقَبُولِ الْيَسِيرِ ، الَّذِي لَا تُمَكِّنُ الزِّيَادَةُ عَلَيْهِ ؛ وَالصَّفْحُ عَنْ التَّقْصِيرِ ،  
الَّذِي تُقَوِّدُ الْضَرُورَةُ إِلَيْهِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

رقعة : لَوْ أَنَّ هَذِهِ الْعَارِفَةَ بِكُرِّ عَوَارِفِهِ ، وَبَأُكُورَةِ لَطَائِفِهِ ؛ لَمَجَزَتْ عَنْ  
شُكْرِهِ ، وَقَصَّرَتْ عَنْ نَشْرِهَا ؛ فَكَيْفَ وَقَدْ سَبَقَهَا قِرَائِنُ وَنَظَائِرُ ، وَتَقَدَّمَهَا أَرْبَابُ  
وَضَرَائِرُ ؛ [ مِمَّا ] أَثْقَلَ مِنَ الْمَمْلُوكِ كَاهِلَهُ ، وَبَسَطَ بِهِ يَدَى أَمَلِهِ ؛ فَمَا يَعْدَمُ شَيْئًا فَيَرْجِعُهُ ،  
وَلَا يَفْقِدُهُ فَيَرْغَبُ فِيهِ ؛ وَالَّذِي تَرْبُّهُ مِنَ الْمَمْلُوكِ جَوَارِحُهُ ، وَتَحْوِيهِ جَوَائِحُهُ ؛ عَلَيْهِ  
بَأَنَّهُ لَا يُجَاوِزُ أَيَادِيهِ ، وَلَا يُجَاوِزُ مَسَاعِيهِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَخْصُهُ مِنَ الْفَضَائِلِ ، بِمَثَلِ  
مَا تَبَرَّعَ بِهِ مِنَ الْفَوَاضِلِ .

رقعة : ومثل مولانا من [ذوى الشرف<sup>(١)</sup>] والسودد من حسن محضره، وطالب محبره، وكرم غيبه ومشهده، وصح على تفاير الأحوال عقده ووده؛ وقد اتصل بالملوك ماأعاره له مولانا من أوصافه، وجرى فيه على عادة فضله وإنصافه؛ فطلق لفضله شاكرًا، ولطوله ناشرا؛ وأضاف ذلك إلى تواليد إحسانه، ونظمه في عقد أمتنانه .

رقعة : قد طوق مولانا [مملوكه] من فضله طوقا كأطواق الحمام لا يزعج، وألبسه بردا من بره لا يملح؛ وأولاه من مزیده ما قصرت الحمة عن تمنيه، ولم تهدد القريحة إليه فتستدعيه؛ ولو وجد المملوك جزاء على عارقه، وكفاء لثوبته، غير الموالاة الصريحة، وعقد الضائر على المودة الصحيحة؛ واللّهج بالشكر، في السر والجهر، لرمي من وراء عنايته، ولا استبعد طول شقته؛ ولكن المملوك حادِم لما يقابل به يده الفراء، حاجر عما يقضى به حق موهبته الزهراء؛ مالم يحسن كرمه أمره، وقبّل منه على التقصير شكره؛ ويضف ذلك إلى لطافته، وينظمه في سلك عوارفه؛ إن شاء الله تعالى .

رقعة : وأجتهاد المملوك في نشر أباديه وشكرها، كأجتهاد مولانا في كتبها وسرّها؛ فكما أبدتها بالثناء أخفاها، أو نشرتها بالإشادة طواها؛ وهيات أن يخفى عرف كثر المسك نشرًا، ومن كالروضة تورا والفزالة تورا؛ ولو كان المملوك والعياد بالله ستر هذا العرف بكفر، وأغتمصه مانعًا لشكر؛ لثم عليه حسنة مؤم الصباح، وتوقد توقد المصباح؛ فكيف وللمملوك مَقول لا يسامى<sup>(٢)</sup> [يعجم سواد] اللبالي بالإجماد، ويرقم صفحات النهار بالاعتداد .

(١) يياض في الاصول والتصحيح من المقام .

(٢) في الاصول « ولا يسامى القبال » الخ وزدنا ما يقتضيه المقام ويتم الكلام تأمل .

## الأجوبة عن رفاع الشكر

قال في "مواد البيان" : [ ان كانت ] هذه الرِّقَاع من المرؤسين إلى الرؤساء فلا جواب لها . وإن كانت من النظير فالواجب أن يُستعمل في أجوبتها مندوبُ التناصُف والتفاوض .

جواب عن فعل المعروف والشكر عليه من كلام المتأخرين :

من ذلك ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، وهو بعد الصدر :

خَلَّدَ اللهُ عَلَى الْمَالِكِ نِعْمَهُ ، وَعَلَى الْمَالِكِ دَيْمَهُ ، وَحَرَّمَ بَيْقَانَهُ ذِمَّ الزَّمانِ وَأَوْجَبَ ذِمَّهُ ؛ وَلَا بَرِحْ نَحْوُ الْمُحَمَّدِ يُنَادِي يَوْمَ الْكَرَمِ مُقَرَّدَهُ وَيَوْمَ الْهِجَابِ عِلْمَهُ . تَقِيلَا يَسْحَبُ فِي الْقَحَارِ بُرُودَهُ الْمُعْلَمَهُ ، وَيَتَذَكَّرُ بِالْقَرَبِ فَلَا يَزَالُ الشَّوْقُ يُنْتِجُهُ حَيْثُ كَلَّا التَّذْكَارِ وَالْمَهْدُ مُقَدَّمُهُ .

وينبى ورود المثال العالى بما ملأ القلب خيراً واليد برآ ، والسمع إشارة والوجه بشرى ، حتى تنافست الأعضاء على تقييله ، والجوارح على تأميله ؛ فاليد تسابق إلى منته بالاعتداد ، والقلب يسابق إلى كرم عهده بالاعتداد ؛ والوجه يقلب ناظره في سماء مَوَاقِعِ الْقَلَمِ ، والسمع ينعم بما تُقْصُّ عليه المسائر من أخبار جيرة العلم ؛ حتى كاد المملوك يحو بالتقييل أسطره ، ويستغل بذلك عن استجلاء مآذ كره المنعم لا عديم المملوك في مصر والشام تكرر به وفهم ما أشار مولانا إليه من الفضل الذى مولانا أهله ، وكرم المهدي الذى لا ينكر من مثله وأين مثله ؛ وقابل المملوك جميع ذلك بجهده من الأدعية الصالحة ، وبساحة الحمد المتفاوضة ؛ والاعتداد بنعمة مولانا التى لولا [ مولاتها ] كل وقت لقيت فيها « ما أشبه الليلة بالبارحة » وتضاعف

نُحُوسُ الْمَمْلُوكِ عَلَى قَدَمِ الْمَوَالَةِ الَّتِي [ يَسْتَشْهِدُ ] فِي دَعْوَاهَا بِشَهَادَةِ الْخَاطِرِ الشَّرِيفِ ، وَيَتَقَدَّمُ بِهَا تَقَدُّمًا تَحْتَ لَوَاءِ الْوَلَاءِ وَتَأْتِي بَقِيَّةُ الْأَوْلِيَاءِ فِي اللَّفِيفِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُوزِعُ الْمَمْلُوكَ شُكْرَ هَذِهِ النِّعَمِ الْمُتَصِلِ مَدُّهَا ، وَالْمِنْنِ الَّتِي لَا يَعْدُمُهَا وَلَا يُعْذُّهَا ؛ وَيَطِيلُ بَقَاءَ مَوْلَانَا لِحَمْدِ يَحْيَاهُ وَيَحْتَنِيهِ ، وَشَرَفِ دُنْيَا وَأُخْرَى يَهْدُمُ وَفَرِهِ وَنَعْمَرِهِ وَيَبْنِيهِ .

### النوع الثالث عشر

#### ( الْعِتَاب )

قال في "مواد البيان" : المكتبةُ بالمعاني على التحول عن المودة والاستخفاف بحقوق الخلة من المكتبات التي يجب أن تُستوفى شروطها، وتكمل أقسامها : لأن ترخيص الصديق لصديقه في المقاطعة والمصارمة دالٌّ على ضعف الاعتقاد ، واستعالة الوداد .

#### من كلام المتقدمين :

أتيت ما أحدثت نبوءه، إلا بعد أن أحدثت جفوه؛ ولا أبدت هجرا، إلا بعد أن أبدت غدرا؛ ولا لويت وجهها عن الصلة، إلا بعد أن شئت عطفها إلى القطيعة؛ والأول منّا جان، والثاني حان؛ والمتقدم مؤثر، والمتأخر مضطّر؛ وكلّ من فعل المختار والمكروه، والمبتدع والمتبع .

آخر : إن أمسكت ياسيدي عن عتاك، مُرخيا من عتاك؛ كنت بين قطع لحبك، ورِضا بفعلك؛ أو اقتصرت فيه على التلويح به لم يغنِ ذلك مع كثرة جُمُوحك، وشدة جُنُوحك؛ وما أرتكبت من رائل؛ وأستخرجته من جفائك .

رقعة عتاب : مولانا لدى المملوك عوارف لا يهتدى إلا معرفتها فيوفيا كنه المراد، وأيا لا يبلغ ما تستحقه من الإحاد ؛ ولو عضدته خطباء إباد، أجلها في نفسه خطرا، وأحسنها عليه أثرا؛ ما يفرضه له من بره وإكرامه، وتعهد وأهتامه ؛ وقد غير مولانا عادته، وقصص شيمته ؛ وبذل المملوك من الانعطاف بالإعراض، ومن الانسباط بالانقياض ؛ وحمله من ذلك ما أوهى قوئ صبره، وأظلم بصائر فكره؛ فإن يكن ذلك لحظا واقع المملوك ساهيا، وبجرم أجترمه لاهيا؛ فنل مولانا لأبطال إلا بالقصد، ولا يعاقب إلا على العمد؛ إذ كان المملوك لا يصم من زلل، ولا يسلم من خلل؛ اللهم إلا أن يكون مولانا أراد من المملوك تقويمه وتأديبه، وإصلاحه وتهذيبه : ليحسن أثره في خدمته، ويسلك السبيل الواضح في تباعته، فلا أعدم الله المملوك تقيفه، ولا سلبه تبيصره وتعريفه؛ وإن كان ذلك لشك عرّض من المملوك في وداده، وأرتياح خامر في حُسن اعتقاده؛ فأعيد به الله من القطع بالشبهات، والعمل بمنغل السعيات ؛ ومولانا خليق بأن يطالع من أنس المملوك ما غرب، ويُنيط من سروره ما نصب؛ ويعيده لرضاه، ويخبره على ما أحسنه منه وأرضاه .

رقعة : ليس المملوك يرتفع مولانا في إعراضه، إلا إلى فضله، ولا يحاكيه على انقياضه، إلا إلى عدله؛ ولا يستعين عليه إلا بما يستعليه من آدابه، ولا يناظره إلا بما أخذه عنه من محافظته وإيحائه ؛ إذ كان المملوك مذ وصته السعادة بحاله، ناسجا على منواله ؛ متقبلا شرائف خلاله . وما عهدته عمر الله معاهده، وكبت

(١) لسهه الولد .

(٢) يقال أنظلم حديثا سمعتم إليهم به أنظر المانج ١٤ ص ١٩٤ .

حاسده ؛ يفتصبُ تقليدًا قبل الاختبار ، ويخوج البريء إلى موقف الاعتذار ؛ ولا سيما إذا كان المظنونُّ به عالمًا بشروط الكرم ، عارفاً بمواقع النعم ؛ لا يتسَخَّع الشكرُ ، بالكُفْر ، ولا يتعوَّضُ عن الحمد ، بالجهْد ؛ وقد عرف مولانا ثناء المملوك على تفضاله ، ووقف على بلاءه لأعماله ؛ وهو وفي بربِّ عوارفه وصنائمه ، وتثير مارَهَنَ لديه من وداعه ؛ وتزِيهِه شِيعِهِ عن الإصْناء إلى ما يَخْتَلِفُهُ حاسِدٌ ، ويصُوغُهُ كائدٌ ؛ وقد حَكَمَ المملوكُ على نفسه تقدُّه الذي لا يُبهرجُ عليه ولا يدلسُ ، وكشفه الذي لا يُغْطى عليه ولا يُلبسُ ؛ فليحكَّ أفعالَ المملوكِ على تحكِّ بصيرته ، وليجُلْ في تأملِ مقاصده طَرْفَ فكرته ؛ فإنه من لا يُحِيلُهُ الأحوال ولا تُحوِّلُهُ ، ولا تُغَيِّرُهُ النيرُ ولا تُبَدِّلُهُ ؛ إن شاء الله تعالى .

رقعة : أفعالُ شكرِ المملوكِ في الحِلْمِ والْفَضَبِ ، والرِّضَا والسَّخَطِ ، إذا لم يَمْتَنُصْ الحُرْمُ إيقاعها موقعَ الفضل ، واقعةً موقعَ الإنصاف والعَدْل ؛ ولا يُغْلَبُ هواه على رأيه ، ولا بادرتَه على أناته ؛ وقد جانبَ مع المملوكِ عادته ، وبأين فيه شِيعته ؛ ونالهُ من إغراضه ، وجَفَّاتِهِ وأتْقاضه ، وتغيَّرَ رأيه ، ما وسمَ المملوكُ فيه بالذنب ولم يُبْذِنِهِ ، وحمله على الجُرْمِ ولم يَحْتَقِبْهُ ؛ وأوقفه لديه موقفَ الاعتذار ، وأحوجَه إلى الاستقالة والإِسْتِغْفار ؛ وليس المملوكُ يُحَاكِهُ إلَّا إليه ، ولا يُعَوِّلُ في الانتصاف إلَّا عليه ؛ وما أولاه بأن يُعيدَ المملوكَ إلى محله من رضاه ، فإنه لم يواقع في خدمته إلَّا ما يَرْضاه ؛ وحسبُه شاهدًا بذلك ما يعلمُ من المملوكِ من سَلَامَةِ غِيهِ ، وطهارة جِيهِهِ ؛ وَفَضْلُ وَدِّهِ ، وصحَّةُ معتقده ؛ إن شاء الله تعالى .

(١) كذا في غير أصل ولعله "أفعال شيم المولى" ليستقيم الكلام بعد .

رقعة بمعانية على<sup>(١)</sup> :

كل مانع مالدني من رغبه ، دافع عما عنده من طلبه ؛ فستغنى عنه إلا الله تعالى  
المبتدئ بالنعم ، العواد بالكرم ؛ ولو عارف مولانا بطعم شجرة المعروف ، لأسرع<sup>(٢)</sup>  
إلى أحضانها ، ولو علم الله تعالى عليه من الحقوق في ماله وجهه ، لم يقصر عن  
أدائها ؛ غير أنه ظن أن الفوز بالوجود ، غاية التجدد ، وأنه إذا أخذ النسب غني عن  
التجدد ؛ وأن النعمة ترتبط بالربط عليها ، وتنصرف بالتصرف فيها ؛ وما ساء المملوك  
أن تفره عن تقلد منة لئيم ، وحرمة محمدة من كريم ؛ وهذا الحرمان أحسن والله  
في عين المملوك من التوال ، وهذا الإكداء أبرلدي من بلوغ الآمال ؛ وسينشر المملوك  
مذهبه في كل ناد ، ويكف عنه أمانى القصاد ؛ وكيفيه مئونة الاعتذار ، ويصونه  
عن أن تبذل إليه وجوه الأحرار : ليعلم أن المملوك على منعه لم يقصر في بلوغ  
أوطاره ، والسعي في إثارة ؛ إن شاء الله تعالى .

رقعة في المعنى : مارد المملوك بـمولانا مستترا لقليله ، ولا لائما لنفسه على  
تأويله ؛ لكنه انتجعه احتجاج من ظنه عارفا بقدره ، راغبا في شكره ؛ فلو أغضى  
المملوك منه على الأطراح لأمره ، لاستدل منه على قصر الهمة ، وظن أنه قومه  
بدون القيمة ؛ لا سيما وهو يفرض لمن لا يجارى المملوك في مضار ، ولا يساويه  
في مقدار ؛ من غير قصيد بتأويل ورجاء ، وتقديم ذريعة من تقيظ وتساء ، ماتصيق  
عنه الهيم الفساح ، ولا يصل إليه الاقتراح .

(١) بياض في الأصل ولعله « على منع عطاء » .

(٢) لعله « مرة المعروف ... الى اجتنائها » تأمل .



رقعة عتاب، على تقصير في خطاب :

حُوشَى مَوْلَايَ أَنْ يُخَرَّ الدَّبِيلَ عَلَى آثَارِ فَضْلِهِ ، وَتُمَيَّتَ مِنْ غُرُوسِ إِحْسَانِهِ  
 مَا هُوَ جَدِيرٌ أَنْ يَتَمَهَّدَ بَوْبُهُ ؛ وَيُعْنَى مِنِّي رُسُومَ كَرَمِهِ ، وَيَصْدَعُ بِجَانِبَةِ الْإِنْصَافِ  
 صَفَاةَ صِفَاتِهِ وَصَفَاتِهِ ، وَيُنْطِقُ الْأَلْسُنَ بَعْتَابِهِ ؛ وَيُصَلِّتُ سَيْفَ التَّائِبِ مِنْ قِرَابِهِ ؛  
 بِمَا أَسْتَحْسَنَهُ مِنْ مُسْتَقْبَحِ الْمَصَارِمَةِ فِي الْمَخَاطِبَةِ ، وَأَسْتَوْطَاهُ مِنْ جَاغِ التَّرْيِيبِ  
 فِي الْمَكَاتِبَةِ ؛ وَلَا سِيَّما وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ مَوْجِئَ الْإِكْرَامِ مِنَ الْإِكْرَامِ ، أَلْطَفُ مِنْ مَوْجِئِ  
 الْإِنْهَامِ ؛ وَأَنْ تَحُلَّ الْقَالَ ، أَفْضَلُ مِنْ حُلِّ النَّوَالِ ، وَأَنْ تُغَيَّرَ الْعَادَةُ فِي الْبَرِّ ، مُقَوِّضُ  
 لِمَعَاهِدِ الشُّكْرِ ؛ وَسَيِّحُ (؟) السَّنَةِ فِي الْإِنْصَافِ ، قَاضٍ بِالْإِنْصَرَفِ بَعْدَ الْإِنْطِافِ ،  
 وَقَدْ كَانَ الْمَمْلُوكُ أَرْزَمَ أَنْ يَتَحَمَّلَ تَقْصِيرَهُ بِهِ ، وَأَنْ يُلَّ مِنْ غَرْبِهِ ، غَيْرَ مُطَاوِعٍ  
 لِلْخِيَمَةِ ، وَلَا مُتَقَادٍ لِنَفْسِ الْعَصْبِيَّةِ ، وَلَا يَقْرَعُ سَمْعَهُ بِعِتَابِ ، وَلَا يُورِدُ عَلَيْهِ مُخْصَ  
 خِطَابِ ؛ ثُمَّ رَأَى الْمَمْلُوكُ أَنْ يُرْسِدَهُ إِلَى الْأَزْزَنِ ، وَيُعِنِّه عَلَى اعْتِدَادِ الْأَحْسَنِ ؛  
 وَيُخْضِّهِ عَلَى مُرَاجَعَةِ الْأَفْضَلِ ، وَمُعَاوَدَةِ الْأَجْمَلِ : لِيَتَحَقَّقَ مَعِ سِوَاهُ ، وَلَا يَخِيرَى  
 تَجْرَاهُ ؛ فَلَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ يَتَحَمَّلُهُ ، وَيرضى رِضَا الْمَمْلُوكِ بِمَا يَفْعَلُهُ ؛ فَوَلَا نَا حَبَّ اللَّهِ  
 إِلَيْهِ الرُّشْدَ ، وَوَقَّعَهُ إِلَى الْمَنْهَجِ الْأَسَدِ ؛ هَلْ هُوَ مِنْ شَيْءٍ سِوَى بَشَرٍ ؛ فَمَا هَذَا التَّبَهُ  
 وَالْبَطَرُ ؟ وَلِمَ هَذَا الْأَزْلُ وَالْأَشْرُ ؟ وَمَا فَعَلَ الرَّئِيسَ إِلَى مَا يَصْغُرُ عَنْهُ قَدْرُ ؛  
 وَلَا يَبْتَاسُ مِنْ نَيْلِهِ عَمْرُ ؛ وَلَا مَضَتْ أَقْلَامُكَ فِي الْأَقَالِمِ ، وَلَا أُشِيرَ إِلَيْكَ بِبَيِّنَانِ  
 التَّعْظِيمِ ؛ وَلَا قُوِّضَتْ إِلَيْكَ الْوِزَارَةُ وَالرِّدَاقَةُ ، وَلَا تَأَمَّرَتْ عَلَى الْكَافَّةِ ، وَلَا طَاوَلَتْ  
 الْأَكْفَاءَ فُطُلْتَ ، وَلَا نَاضَلْتَ الْقِرْنَاءَ فَتَضَلْتَ ؛ وَإِنَّمَا سَرَقَ إِلَيْكَ الْحِظُّ مِنْ تِمَادِهِ  
 وَشَلَا مُصَرَّدَا ، وَأَدْرَكَكَ الدَّهْرُ مِنْ أَخْلَافِهِ مُجَدِّدَا ، فَأَتَنَّتَحَتِ الْمَعَامَلَةُ بِظُلْمِ  
 الْإِخْوَانِ ، وَتَنَسَخَ شَرَائِعُ الْإِحْسَانِ ؛ كَذَبَتْكَ نَفْسُكَ ، وَغَرَّكَ حَدْسُكَ ؛ كَيْفَ بِكَ  
 غَدًا إِذَا أَسْتَرَدَّ الزَّمَنُ مَا خَوَّلَكَ ، وَأَسْتَرْجَعَ مَا تَوَلَّكَ ؛ وَصَحَّوَتْ بِالْعَزْلِ مِنْ سَكْرَةِ

(١١) الْوَلَايَةِ، وَتَهَقَّرَتْ بَعْدَ طَلَبِ الْغَايَةِ؛ وَصَلَتْ إِلَى إِخْوَانِكَ فَوَجَدْتَ أَوْطَانَهُمْ  
بِكَ نَائِيَةً، وَتَقَوَّسَهُمَ لِلْإِقْبَالِ عَلَيْكَ أَيْبَةً، وَلَوْ كَانَ الزَّمَنُ أَمَكَّنَكَ مِنْ رَقَّتِي، وَطَرَقَ  
لَكَ الطَّرِيقُ إِلَى إِيدَاعِ عُرْفِكَ فِي جِهَتِي؛ لَتَبَحُّ بِكَ أَنْ تَطُولَ بَطْوَلُكَ، وَتَدْعَى  
الْفَضْلَ بِفَضْلِكَ، وَلَمْ يَحْسُنْ أَنْ تُبَدِّلَ الْإِنْعَامَ، وَتَضِنَّ بِالْإِكْتِرَامِ؛ فَإِنْ كُنْتَ تَفْخَرُ  
بِسَلَفِكَ وَأَبْوَتِكَ، وَتَطُولُ بِأَوْلِيَّتِكَ وَأَمْرَتِكَ؛ فَلَوْ كَانَ أَبُوكَ كِسْرَى، لَمَا جَبَرَ مِنْكَ  
كُسْرًا، وَلَوْ كَانَ جَدُّكَ بَحْتٌ نَصَرَ، لَمَا أَنْتَفَعْتَ بِهِ فِي مُطَاهَرَةٍ وَلَا نَصَرَ، فَدَعُ  
أَكْثَرَ مَافَاتٍ، وَلَا تُمَوِّلْ عَلَى الْعِظَامِ الرُّفَاتِ؛ فَمَا اسْتَدَدَ إِلَيْهَا إِلَّا عَايِرٌ مِنَ الْفَضْلِ  
حَاطِلٌ مِنَ الْحِلِّ. عَلَى أَنَّكَ لَوْ فَانْخَرَتْنَا بِهَا لَفَخَرْنَاكَ، وَتَقَدَّمْنَا وَأَخْرْنَاكَ؛ وَإِنْ كُنْتَ  
تَسْتَدِدُ إِلَى دِيَارَتِكَ، وَتَعْتَمِدُ عَلَى نُسُكَ وَأَمَاتِكَ؛ فَهَذِهِ خَالِصُ حَالٍ لَا تَخْلُصُ  
مَرْتَبَتُهَا وَلَا تَتِمُّ فَضِيلَتُهَا إِلَّا بِاسْتِشْعَارِ التَّوَاضُّعِ، وَالْأَخْذِ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ لَدَى  
التَّنَازُعِ؛ فَارْجِعْ هَدْيَتَكَ<sup>(٢)</sup> إِلَى الْأَجَلِّ، وَاعْمَلْ بِالْأَفْضَلِ، وَقِفْ بِحَيْثُ رُبَّتِكَ؛  
وَلَا تَتَشَوَّفْ إِلَى غَيْرِ دَرَجَتِكَ؛ وَإِنْ أَبَيْتَ ذَلِكَ فَاقْطَعْ الْمَرَاثِلَ، وَأَعِفْهَا  
مِنَ الْمَوَاصِلِ، وَالسَّلَامَ.

رقعة عتاب على تأنر المكاتبه :

مِنْ حُكْمِ الْوِدَادِ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ سَيِّدِي - الزَّيَارَةُ عِنْدَ الْمُقَارَبَةِ، وَالْمَكَاتِبَةُ عِنْدَ  
الْمُبَاطَعَةِ؛ وَإِنْ كَانَتْ الْمَوَدَّةُ الصَّرِيحَةُ لَا يُغَيِّرُهَا اجْتِنَابُ، إِلَّا أَنْتَ الْكُتُبُ أَلْسُنُ  
الْعِبَادِ؛ وَالْأَعْيُنُ الَّتِي تَنْظُرُ حَقَائِقَ الْوِدَادِ، وَلَهَا فِي الْقُلُوبِ تَأْثِيرٌ، وَمَوْقِعُهَا فِيهَا أَثِيرٌ؛  
وَحُوشِيْ مَوْلَانَا أَنْ أَهْزَأَ أَرْيَحِيَّتَهُ لَمَّا يُوَكَّدُ الثِّقَةَ بِإِخْوَانِهِ؛ وَيَشْهَدُ بِوَفَائِهِ؛ وَلَا سِيَّامًا  
وَهُوَ يَقْرِضُ ذَلِكَ لِأَحِبَّتِهِ، وَقَوْلُهُ وَاجِبٌ فِي شَرَعٍ مَوْدَّتِهِ.

رقعة في معناه :

إن أبتدأ المملوك مولانا لم يُجب ، وإن سأله الإبتداء لم يُوجب ؛ فلا حق  
الإجابة تُؤديه ، ولا نجز المسألة تقضيه ؛ فإن كان إذا شخص غابت عن فكره  
أشخاص أحيته ، وإذا بعد عاملهم بتجافيه وجفوته ؛ فقد كان ينبغي أن يتكلف  
ويجمل ، ويتصنع ويتعمل : فإنه لو طل مشوبا بالانتظار ، أو اعتذر ممرضا  
بالاعتذار ؛ لاقت ذلك مقام المكتابة ، وصنفته عن محض المعاتبه ؛ لكنه مال مع  
اللال ، ورضى الإطراح والإهمال ؛ ودل على أنه مستقل بالإخوان ، متقل مع  
الزمان ؛ وأرجو أن تصدق المخيلة ، ويرجع إلى العادة الجميلة .

رقعة معاتبه رجل كريم الأصل لثيم الفعل :

قد عرّف مولانا وفقه الله ووقفه على منبج الرشاد ، أن جناية الغضب الذميم ،  
تقدح في كرم الحنث<sup>(١)</sup> الكريم ؛ وأن قبيح الصلف ، ينسخ تليد الشرف ، وخيت  
الذرية ، يعنى على طيب المناحي الزكية ؛ وأنه ليس لمن تحل بالظلم والجور ،  
وتليس بالثبث والفدر ، وساح نفسه باطراح الحقوق ، وأستيطاء العقوق ؛  
إلا إضاعة الحرم ، وإخفار الذمم .

المعاتبه من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

يقبل الأرض وينهى أنه قد صار يرى قريه أزورارا ، وطويل سلامه اختصارا ؛  
ويغالب في ذلك حتى شاهده عيانا مرارا ؛ وهذا ويكر الولاء ، صقيلة الجلباب ،

(١) جنت الانسان آمله . ووقع في الأصل "الحديث" وهو تصحيف .

وعروسُ الثناء، جميلةُ البرّةِ حسنةُ الشّباب، وهو لا يفتأ من الموالاة في صعدٍ وقدره في صَبَبٍ ؛ فكلُّها مَكْنٌ وتَدِ الاستعطاف يَرجو عَدَمَ تخلُّفه فُصلَ بِأَمْسِرِ سَبَبٍ ؛ بحيثُ أطفأ الإهمالُ نارَ المُسَاعَفةِ والمُساعدَةِ، وأنتقلَ تَوْهَمُ عَدَمِ العَنايةِ إلى تيقُنِ وجودِهِ بالمشاهدَةِ ؛ وقد كانَ يُرَفِّعُ قدرَهُ تخفُّضُ، وعُوضُ في الحالِ عن الرِّفْعِ بالابتداءِ، أَنه مُقَرَّدٌ ويُنصَبُ كالنِّكَةِ في النِّداءِ، وأُهمِلَ حتّى صارَ كالْحُرُوفِ لا تُسَدُّ ولا يُسَدُّ إليها ، وألنِيَ حتّى شابهَ ظَنَنْتُ إذا وقعتَ متأخِّرةٌ عن مفعولِها ؛ ومتى يَفتاقُ لأمرٍ، أنشدَ نفسه \* ما في وقوفِكَ ساعةً من بَاسٍ \*

وكانَ يفتنى بِمَجلسِهِ الكَرِيمِ خِدْمَةً وأداءً للواجبِ ، وطلباً لعاديةٍ أَكَّدها إِحسانُهُ حتّى صارتَ ضربَةً لِأَربٍ ؛ فلا يخلو مَجْلِسٌ من إظهارِ تَغْيِيرِ عَادَةٍ وطَّدِ الجُودُ أساسَها، وأتقاضِ قاعِدَةٍ أَبرَمَ الكَرَمُ أَمْرَاسَها؛ فينقطعُ سُلُوكًا للأدبِ وتخفيفًا عن انحطاطِها ، ويتلقّى ما يَصْدُرُ بقلبِ شاكٍ ولسانِ شاكرٍ ؛ فإنَّ كانَ قد عَزَمَ مولاهُ على طَرَفِهِ، وعُوضَهُ عن مَنَحَةِ القُرْبِ المَحَنَةِ بِبُعْدِهِ ؛ فإنه يَأْبَى ذَلِكَ جُودُهُ ولُطْفُهُ، ومعرفةُ إِشْكُرْ وَيَزِيدُ لا يَمِكنُ صَرَفُهُ ؛ ولو جازَ الصَّرْفُ لَجَزَدَ <sup>(١)</sup> بِالْعُبُودِيَةِ لَمَنَعَهُ العَدْلُ من سَيِّدِهِ، والحِلْمُ الَّذِي عُرِفَ من كَرِيمٍ مَحْتَسِدِهِ ؛ فكانَ المملوكُ يَسْتَحْسِنُ في حَبْرِهِ وسِبرِهِ ، ويعوِّضُ عن مَقابِلَتِهِ بِجَبْرِه ؛ فقد صارَ سَمِينُهُ غَنًا وشَحْمُهُ ورَمًا ، وحديثُهُ رَثًا وسَهْلُهُ عَلَمًا :

وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ \* كَمَا أَنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا

وما تَمَّ بِمُجْدِ اَللهِ ما يُوجِبُ ذَلِكَ ولا بَعْضُهُ ، ولا يُخَدِّثُ ذَمَّ المملوكِ وَبُغْضُهُ ؛ ولو بَدَأَ مِنْه زَلٌّ ، أو لَمَحَ مِنْه خَطَلٌ ؛ ففكارُهُ مولانا أَوْسَعُ من إِبقاءِ ذَلِكَ في صُدُورِ الصُّدُورِ ، و[أخرى] بِ[حَمْدِ] آيَاتِ السَّيِّئَاتِ فإنه لَمِنَ عَزَمِ الْأُمُورِ .

(١) بياض بالأصل ولعله « ليجرد الشك بالعبودية » .



وله : يخدمُ بدعائه ، وصادقٍ ولأئهِ ؛ ويُنبئُ أنه أنكَسَرَ خاطِرُهُ ، وأرقَ جَفْنُهُ  
وناطِرُهُ ؛ وتضاعفَ بلبأهُ ، وتزايدتْ في النقصِ أحوالُهُ ؛ منذ تأخرتْ الأمثلةُ الكرامُ ،  
وأقطعتْ عنه باقِطاعها المِنَّةُ الجسامُ ؛ وهو يسألُ العفوَ عن ذَنْبٍ وَقَعَ ، وتشرِفَهُ  
بمثالِ يَرْفَعُ من قَدْرِهِ ما وَضَعَ ، وأستمالَ الصَّفحَ عنه كسائرِ عاداتِهِ ، وإجراهُ على  
اللطفِ الذي أَلْفَهُ من تفضلاتِهِ ؛ فقد ضَعُفَ صَبْرُ المملوكِ وجَنَانُهُ ، وتفترقَ للفراقِ  
جَفْنُهُ وإنسانُهُ ؛ وصَغُرَ قَدْرُهُ ، وأهْمِلَ جانبُهُ ومُنِ أَمْرَ بَاهانتِهِ نَفْرَهُ ، ولهذا ضاقتْ  
عليه المسالكُ ، وكان لسانُ حالِهِ [ينشد] في ذلك :

وَاهَنْتِي فَاهَنْتُ نَفْسِي عَامِدًا \* مَا مِنْ يَهُونٍ عَلَيْكَ مِمَّنْ يُكْرَمُ !

والمملوكُ معترفٌ بأنه مازال يجهلُ ما يجبُ عليه من الخدمِ ، ومقرِّرٌ بتقصيره عن القيامِ  
بجُلِّ ما يواصلُ به من النعمِ ؛ لكنَّهُ أَلْفَ من مولانا أن يقابلَ إساءتَهُ بالإحسانِ ،  
وجَهْلَهُ بصَفحِ لا يَقُومُ بِشُكْرِه اللِّسانُ ، بل جميعُ الجُثمانِ ؛ فإن كان ذَنْبُ من المملوكِ  
هو الذي أوجبَ أطراحَهُ ، وأوجدَ أسفَهُ وأذهبَ أفراحَهُ ؛ وكان أيسرَ مما تقدمه  
من جهله وإساءته ، فليُكَلِّمْ جديرًا أن يُحَقِّقَهُ بإخوته ؛ وإن كان قد تزايدَ مقداره ،  
فالموليُّ قد تضاعفَ على العفوِ أَقْدَارُهُ ؛ وإذا كبرتِ الخطيئةُ كَثُرَ أَجْرُ غُفْرانها ،  
وعَلَّتِ المجاوزةُ عنها على أقرانها ؛ وعلى كَلَّا الأمرين فقد استحقَّ المملوكُ المَغْفِرَةَ بكلِّ  
طريقٍ ، وأن يُقابَلَ رجاؤُهُ بالتحقيقِ ، وأملُهُ بالتصديقِ .



وله : ويُنبئُ أنه مازالَ يشلُّو آياتِ حَاسِنِهِ وحَمْدِهِ ، ويرفَعُ راياتِ إحسانِهِ  
ومُجْمَدِهِ ؛ ويتولاه ولا يتوَلَّى عن حُبِّهِ ، ويكثرُ التَّنَاءُ على المُنِيِّ فِطْسُهُ وجَزِيلِ

مُرُوته ؛ وقد صار يُشاهد من المولى مَلَّالًا وصُّودًا ، وإعراضًا يَنْبِضُ به صَدِيقًا  
وَيُسْرِبه حَسُودًا ؛ وَأَطْرَاحًا أَوْحَمَهُ أَنَّهُ أَلِفٌ وَصَلِ دُرِجَتٌ ، أَوْ لَقْظَةً هَجْرٍ لُقِظَتْ ؛  
وَلَا يَعْرِفُ لَهُ ذَنْبًا يُوجِبُ إِعْسَادَهُ ، وَلَا جُرْمًا يَسْتَوْجِبُ بِهِ أَنْ يَنْقُصَ حَبْلَ وَصْلِهِ  
وَيَرْفُضَ وِدَادَهُ ؛ وَلَا يَعْلَمُ سَبَبًا يُوجِبُ سَبَبَهُ ، وَلَا شَيْئًا يُحْدِثُ عَتَبَهُ ؛ مَعَ أَنَّ الْمُلُوكَ  
أَحَقُّ أَنْ يَبْدَأَ بِالْإِعْرَاضِ ، وَيَرْفُلَ مِنْ إِغْفَالِ مَوَدَّتِهِ فِي التَّوْبِ الْفَضْفَاضِ ؛ فَإِنَّ  
المولى أَلَمَهُ بِالْقَوْلِ مِرَارًا ، وَجَعَلَ تَحَابَةً حَيْفَهُ تَهْمِي عَلَيْهِ مِثْرَارًا ؛ وَهُوَ يَحْتَمِلُ  
الْأَذَى ، وَيُغْنِيهِ عَنِ الْقَذَى ؛ وَلَا يُظْهِرُ إِلَّا مَحَبَّةً ، وَلَا يُبَيِّنُ لَهُ إِلَّا مَوَدَّةً ؛ فَإِنْ  
شَهِدَ المولى بَعْدَ إِعْرَاضِهِ إِعْرَاضًا فَلَيْلَمُ نَفْسَهُ ، أَوْ أَحْرَقَهُ لَهَبُ نَارِ الْخَفَاءِ فَلَا يَشْكُو  
مَسَّهُ ؛ يُحِيطُ بِذَلِكَ عُلَمَاءُ ، وَرَأْيُهُ الْعَالَى .

شعر في العتاب :

مَوْلَايَ قَدْ طَالَ التَّبَاعُدُ بَيْنَنَا \* أَوْ مَا سَمِيتَ قَطِيعَتِي وَمَلَالِي !

إِنْ لَمْ تَرَقِّ لِحَالِي يَا هَاجِرِي \* مَوْلَايَ قُلْ لِي مَنْ يَرِيقُ لِحَالِي !

غيره :

يُبَاعِدُنِي عَنْ قُرْبِهِ وَلِقَائِهِ \* فَلَمَّا أَذَابَ الْحُمَمَ مِنِّي تَمَطَّقَا

غيره :

إِنْ كَانَ هِجْرَانُنَا يَغْلِبُ لَكُمْ \* فَلَيْسَ لِلْوَصْلِ عِنْدَنَا ثَمَرُ

غيره :

ثَبَّتَ بِي الْأَعْدَاءُ حِينَ هَجَرْتَنِي \* وَالْمَوْتُ دُونَ شِمَاتِهِ الْأَعْدَاءُ !

غيره :

تَسَامُ عَيْنَاكَ وَتَشْكُو الْهَوَى \* لَوْ كُنْتَ صَبًا لَمْ تُكُنْ نَائِمًا !

ولبعضهم : سيدى بادانى بلطف من غير خبره ، وأعطينى جفاً من غير ذنب ؛  
فاطمعتي أوله في إخوانه ، وآيسني آخره من وقائه ؛ فسبحان من لو شاء لكشف  
بإيضاح المتهم عن عزيمة الرأي فيه ؛ والمملوك يقول :

عَجِبْتُ لِقَلْبِكَ كَيْفَ انْقَلَبَ \* وَصَفُوْا وِدَادِكَ أَنَّى ذَهَبَ  
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا وَذَا أَتَى \* أَرَاكَ بَيْنَ الرِّضَا فِي الْغَضَبِ

### أجوبة رفاع العتاب

قال في "مواد البيان" : حكم أجوبة هذه الرفاع حكم رفاع أجوبة الاعتذار  
إلا أنها لا تخلو من الإجابة بالإعتاب أو الإصرار على العتاب . قال : ويجب  
أن يسلك فيها المحيىب منهج المحيىب عن رفاع الاعتذار .

زهر الآداب :

في جواب العتب على تأثر مكاتبة .

وعلم المملوك ما أشار به من العتب بسبب تأثر خديمه عن جنابه ، وما توهمه  
من اشتغال المملوك بأهله وأصحابه ؛ وحاشاه أن يتوهم في المملوك غير الولاء ، والملازمة  
على الحمد والثناء ؛ فهو لا يعتد ذلك إلا تخفيفاً عن خاطره ، ووئوعاً بما يتحققه  
المولى من خالص مودته في باطنه وظاهره ؛ حرصه الله ووفقه ، وفتح له باب السعادة  
ولا أغلقه ، بمنته وكرمه .

زهر الريح :

جواب عتاب :

زاد الله جنابه حنانا، وأسبغ عليه إنعاما وإحسانا، وخلد له على كل عدو سلطانا.  
ولا زالت همته سماء لنا كب الكواكب، وأياديه تُفيض على الأولياء غرائب  
الغائب، ولا برحت محائب إنعامه هامية، وقطوف إحسانه دائمة دانية؛ وشرائع  
مياه جوده تُجفف جفونا من الفاقة دامية .

المملوك يمدد خدمته، ويؤثر للولي أذيعته؛ ويعترف بمنه التي أقرت بها السنة  
جوارحه فلا يستطيع أن ينكرها؛ ويعترف بيد تضرعه من بحار جوده التي تتعب  
الولي من سحابها إلى كل ولي وتقذف له جواهرها .

وينهى ورود المكتبة والعلم بمضمونها، والاحتواء على سائر معاني فنونها؛  
وما أشار إليه من العتب الذي يرجو به ققاء الوداد، وأستصحب حال التواصل  
من غير نقاد؛ والمملوك فلا ينكر ذنبه، ولا يتصل ولا يتوصل بل يعترف بجرمه وقلة  
خدمه؛ ويستمسك بالعمرة الوثوق من إحسانه وحلمه، ويسأل مكارمه لإجرائه  
على عادته بالصفح عنه ورسمه؛ وهو يرجو أن أم هذه الحقوة لا تلد لها أختا، وأنه  
لا يعتمد إلا ما يزيد إلى المولى مقة ويزيل مقنا؛ فإن معاتبة مولانا قد وعثا أذن  
واعيه، ومراصيه لا تخفى على المملوك بعد ذلك منها خافيه؛ إن شاء الله تعالى .

آخر : أسعد الله المجلس وعطف للأولياء قلبه، ونصر كتابه وأخذ كتبه؛  
وأرهم في نصرة الإسلام منانه وعضبه؛ وألم حبة قلب الزمان حبه؛ وأقدره  
على الحلم الزائد حتى يغفر به لكل مذنب ذنبه .



[وينهى] وُرودَ الحُكَّابِ الذى أَعَدَّته يَدُ مولانا فصارَ كَرِيما ، وكَسَتْه عِبارَتُهُ ثَوْبَ بَرَاعَتِهِ فَأَصْبَحَ مَنْظَرُهُ وَسِيما ، وَأَسْتَنْشَقُ عَرَفَ نَسِيْمِهِ الْمُبَارِكِ فَطابَ شَيْما ، وعِلْمُ الْمَمْلُوكِ مِنْهُ شِلَّةٌ عَتَبَةٍ ، وَمَرَّ التَّجَنَّى الَّذِى ظَهَرَ مِنْ حُلُوفِظِهِ وَعَدَبُهُ ؛ وَلَمْ يَعْرِفْ لَعَتَبَهُ مُوجِبًا ، وَلَا تُغْيِرُ مَوَدَّتِهِ سَبِيًّا ؛ فَإِنَّهُ ماحِدٌ عَنِ طَرِيقِ وَلَائِهِ وَلَا حَالٍ ، وَلَا زَلَّتْ قَدَمُهُ عَنْهُ وَلَا زَالَ ؛ وَلَا مَادَ عَنْ مَنَاجِجِ الْمَوَدَّةِ وَلَا مَالَ ؛ وَمَا قَتَى لِمَحَاسِنِهِ نَاشِرًا ، وَلِإِحْسانِهِ شَاكِرًا ؛ فَإِنْ كَانَ قَدْ نَقَلَ عَنْهُ إِلَى مولانا شَيْءٌ أَزَجَّجَهُ ، وَأَخْرَجَهُ عَنْ عَادَةِ حُلُمِهِ وَأَخْرَجَهُ ؛ فَإِنَّ الْوُشَاةَ قَدْ أَخْتَلَقُوا قَوْلَهُمْ وَتَقَلَّهْمُ ، وَقَصَلُوا تَشْيِيتَ الْمُصَاحِبَةِ شَتَّتَ اللَّهُ شَتْلَهُمْ :

وقد تَقَلَّوْا عَنِّي الَّذِى لَمْ أَفْهَ بِهِ \* وَمَا أَفْهَ الْأَخْبَارِ إِلَّا رُؤَاثَا !

آخر: وردت المشرفة العالمة أعلى الله بَیْحَمُ مُرْسِلَهَا ؛ وَأَسْبَغَ أَيْادِيهِ وَشَكَرَ جَسِيمَ تَفَضُّلِهَا ؛ فَابْتَهَجَتِ الْأَنْفُسُ بِحُلُولِهَا وَحُلَّ جَمَالُهَا ، وَعُومِلَتْ بِمَا يَجِبُ مِنْ إِكْرَامِهَا وَإِجْلَالِهَا ، وَفُضَّ خِتَامُهَا فَفَاحَ مِنْهَا أَرْجُ الْعَبِيرِ وَالْعَنْبَرِ ، وَتَلَيَّتْ أَلْفَاظُهَا الَّتِى هِىَ أَهْبَى مِنَ الرِّبَاضِ وَأَحْلَى مِنَ السُّكَّرِ ؛ فَأَغْنَتْ كُتُوسُ بَصَاحَتِهَا عَنِ الْمُدَامِ ، وَأَزَالَ مَائُهَا الرِّزْلَالُ الْبَارِدَ حَرَّ الْأَوَامِ ؛ وَأَعْرَبَ مُنْشِئُهَا عَمَّا فِي صَمِيرِهِ مِنَ الْعُتْبِ ، وَالضَّبِيقِ الَّذِى حَصَلَ فِي ذَلِكَ الصَّدْرِ الرَّحْبِ ؛ وَهُوَ يُقَسِّمُ نِعْمَتَهُ ، وَبِصَادِقِ مَحَبَّتِهِ ؛ أَنَّهُ لَمْ يَتَدَنَّ مِنْهُ مَا يُوجِبُ عَلَيْهِ عَتْبًا ، وَلَا آتَتْهُ عَنِ الثَّنَاءِ عَلَى [ حَمَاسِهِ <sup>(١)</sup> ] الَّتِى شَغَفَتْهُ حُبًّا ؛ فَإِنْ كَانَتْ الْمَوْلَى قَدْ تَوَهَّمَتْ شَيْئًا أَخْرَجَهُ وَأَقْلَقَتْهُ ، وَإِلَى أَلِيمِ الْعُتْبِ شَوْقُهُ ؛ فَلْيَزِلْ ذَلِكَ الْوَهْمَ مِنْ خَاطِرِهِ ، وَلْيَتَّقِ بِمَا تَحَقَّقَ مِنْ مُوَالَاتِهِ فِي بَاطِنِهِ وَظَاهِرِهِ ؛ وَرَأْيَهُ الْعَالِى .

آخِر: أعزَّ الله عزَّ ماته، وشكَّر جسيمَ تفضُّلاته .

ولا زالت نِعْمَتُهُ بِأَقْبِيهِ، وَقَدَّمَهُ إِلَى دَرَجِ الْمَعَالَى رَاقِبِيهِ؛ وَهَمَّتْهُ إِلَى السُّمُوِّ عَلَى الْكَوَاكِبِ سَامِيهِ، وَسَمَاءُ جُودِهِ عَلَى الْعُقَاةِ هَامِيهِ؛ وَعَزَمَتْهُ لثُغُورُ الْإِسْلَامِ حَامِيهِ، عَبْدُ نِعْمَةٍ، وَغَرَسَ كَرَمَهُ، يُعَلِّمُهُ بِصِدْقِ وَدِّهِ، وَالْمَدَاوِمَةِ عَلَى شُكْرِهِ وَحَمْدِهِ؛ وَأَنَّهُ وَقَفَ عَلَى مُشْرِفِهِ وَفَهِمَهُ، وَشَاهَدَ مِنْ حَتَبِهِ وَعَلَيْهِ؛ وَهُوَ لَا يَشْكُو مِنَ الْمَوْلَى جَفَاءً وَلَا يَبْغِي، وَ[عَنْ] طَرِيقِ الْمَصَافَاةِ وَالْمُخَالَصَةِ فَلَا يَنْبِي؛ بَلْ يَقُولُ :

أَنْتَ الْبَرِيُّ مِنْ الْإِسَاءَةِ كُلِّهَا \* وَلَكَ الرِّضَا وَأَنَا الْمُسِيءُ الْمُذْنِبُ

وَالْمَرْجُوُّ مِنْ لَطَافَةِ أَخْلَاقِهِ، وَطَهَارَةِ أَعْرَاقِهِ، أَنْ يَصْفَحَ عَنْ زَلَّتِهِ، وَيَتَّقُونَ ذَنْبَهُ وَإِسَاءَتَهُ :

فَأَنْتَ الَّذِي تُرْجَى لَتَخْفِيفِ زَلَّتِي \* وَتَحْقِيقِ آمَالِي وَنَيْلِ مَا رِي!

وَقُرْبِكَ مَقْصُودِي وَبَابُكَ كَعْبَتِي \* وَرُؤْيَاكَ يَأْسُؤُنِي أَعَزُّ مَطَالِبِي!

قلت : وَكَتَبْتُ إِلَى الْمَوْلَى شِهَابِ الدِّينِ الدُّنْيَسَرِيِّ وَقَدْ بَلَغَنِي عَنْهُ مُسَاعَدَةُ بَعْضِ الْجُهَّالِ عَلَى فِي بَعْضِ الْأُمُور :

عَهِدْتُ شِهَابَ الْفَضْلِ بِرَبِّي بِسَمِيهِ \* شَيَاطِينَ جَهْلِ أَنْ تُكَادِي جَنَابَهُ!

فَمَا بَالُ مَوْلَانَا عَلَى فَرْطِ فَضْلِهِ \* يُعْرِفُ شَيْطَانَ الْجَهَالَةِ بِأَبَهُ؟

## النوع الرابع عشر ( العيادة والسؤال عن حال المريض )

رقعة عيادة :

وَيُنْهَى أَنَّهُ اتَّصَلَ بِالْمَلُوكِ مِنْ أَلَمِ مَوْلَانَا - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ ، وَحَرَسَ حَوَائِجَهُ -  
مَا أُنْمِئَ مَدَامِعُهُ ، وَأُحْمِئَ أَضَالِصُهُ ؛ وَمَزَّقَ جِلْدَهُ ، وَحَرَّقَ خَلْدَهُ ؛ وَأَطَارَ الْوَسَنَ عَنْ  
عَيْنِهِ ، وَقَرَّرَ الْهَلْدُوءَ عَنْ مَضْجِعِهِ ؛ حَتَّى تَدَارِكَ اللَّهُ تَعَالَى بِكَائِلِهِ النَّاطِقَ بِإِقْلَاعِ الْمَلِكِ ،  
الْمَرْبُوعِ عَنْ دِفَاعِ الْمُهْمِ ؛ فَرَقًّا مِنْ دُمُوعِي مَا أَرَفَضَ ، وَجَبْرًا مِنْ ضُلُوعِ الْمَلُوكِ  
مَا أَرْتَضَ ؛ وَالتَّامِ مِنْ جِلْدِهِ مَا تَقَطَّرَ ، وَبَرْدٍ مِنْ خَلْدِهِ مَا تَوَقَّدَ ؛ وَجِثْمَ مَاطَارٍ مِنْ وَسَنِهِ  
وَأَنَسَ مِنَ الْهَلْدُوءِ مَا تَفَرَّعَ عَنْهُ ، وَالتَّامِتِ الْأَمَالَ بَعْدَ اثْتِلَامِهَا ، وَبَرَزَتْ ثِمَارُ الْأُمَانِيَّ  
مِنْ أَكْثَامِهَا ؛ وَطَلَعَ مِنَ الرِّجَاءِ آفَلُهُ ، وَرَوَى مِنَ الشَّرُّورِ مَاحِلُهُ ؛ وَتَجَدَّدَ مِنَ السُّودِّ  
طَائِسُهُ ، وَصَحَّكَ مِنَ الزَّمَانِ عَائِسُهُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُفَضُّ طَرْفَ الْخَدَتَانِ ، عَنْ مُهَجَّتِهِ ،  
وَيَصْرِفُ صُرُوفَ الزَّمَانِ ، عَنْ سَاحَتِهِ ؛ وَيَهَيِّئُهُ بِمَا أَعَادَهُ إِلَيْهِ مِنَ الْإِبْلَالِ ، وَيُجَلِّيهُ  
بِمَا أَفَاضَهُ عَلَيْهِ مِنَ الْاِسْتِقْلَالِ ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمٍ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

رقعة : وَيُنْهَى أَنْ مَاخَا مَرَّهُ مِنْ قَلَقٍ وَجَزَعٍ ، وَفَرَقٍ وَهَلَعٍ ، بِسَبَبِ مَا بَلَّغَهُ مِنْ  
شَكْوَى مَوْلَانَا لِاتِّخْصَرِ الْأَوْهَامِ ، وَلَا تُسْطِرَّهُ الْأَقْلَامِ ؛ وَلَوْلَا نِقْمَةُ الْمَلُوكِ بِاللَّهِ تَعَالَى  
لَوَهَتْ عَقْدُ صَبْرِهِ ، وَلَا تَخْلَعُ قُوَادِمُهُ مِنْ صَدْرِهِ ؛ وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ هَذَا الْأَلَمَ  
لَوْ قِيلَ إِلَى الْمَلُوكِ لَمَّا تَقَلَّ عَلَيْهِ ، وَكَيْفَ يَسْتَقْبِلُ مَا يَحْجُفُّ عَنْ مَوْلَانَا وَصَبِهِ  
وَيُحْسِنُهُ ، وَيُحْكِفُ لَهُ سِلْكَ الشِّفَاءِ وَيَنْظِمُهُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُهُ فِي أَمَانٍ مِنْ  
كَفَايَتِهِ ، وَصَحَّانٍ مِنْ حَيَاطَتِهِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) في الاصل "توفر" بالفاء والراء وهو لا ياسب المعنى .

## أجوبة كتب الشفاعات والعنايات

قال في "مواد البيان" : هذه الكتب إذا أُجيب المتمس إلى حاجته فينبغي أن تُبنى أجوبتها على شكر مقصد الشافع ، والإدلال والاسترسال وإنالة المشفوع له وطّره إيجاباً لحق الشافع ؛ وإن وقع الامتناع والتوقف عن الإجابة إلى المتمس ؛ فالواجب أن تُبنى على إقامة العُدْر لا غير .

زهر الريسع :

جواب شفاعة في حق كاتب :

جَدَّ الله [له] السعادة وخَلَّدها ، وأصارها له شعاراً وأبدها ؛ ووطَّده به المالك ومَهَّدَها ؛ وعَصَّدَ به طائفة الإسلام وأبدها ؛ وشكَّره له صنائع يُعدُّ منها وليٌّ ولا كُلٌّ يستطيع أن يعتدَّها .

المملوك يقبل اليد الشريفة أداءً للفرض اللازم ، وشكراً لما أولَّته من الأيادي والمكارم ؛ وحمداً لالطافه التي أطمعته بالتميز فأصبح برقع قدره كالجوارم .

وينبى وروء المشرق الذي تَرَه ناظره ، وجبر قلبه بحسن ألفاظه وخاطرته ؛ والعلم بما أمر به ، وشفع إلى المملوك بسببه ؛ وهو الكاتب الذي أشار إليه ، وقد ركن إلى ما شكره به المولى وأخى به عليه ؛ واعتقد يُمن إشارة الشافع <sup>(٢)</sup> فعقد على المشفوع فيه خِصْرَه ، وتقدّم بترتيبه في ديوان إنشائه ، وجعله من جملة خواصه وخصمائه ؛ وفعل ذلك كله أتباعاً لإشارته ، وقبولا لشفاعته ؛ فالمولى يواصل بمراسمه وأمثلته ، فإنها ترد على مرّتين ممثلة .

(١) حق هذه الأجوبة أن تكون تابعة للنوع الرابع هي مؤخرة من تقديم فننه .

(٢) لعله إشارة الشافع .

ومنه : جواب شفاعة في استخدام جُنْدَى :

ضَاعَفَ اللهُ تَعَالَى نِعْمَهُ ، وَأَرْهَفَ فِي نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ سَيْفَهُ وَقَلْبَهُ ؛ وَلَا يَرِحُ أَلْسِنَةُ الْأَنَامِ نَاطِقَةً بِوَلَّائِهِ ، وَأَيْدِي ذَوِي الرِّجَاءِ مَمْلُوءَةً مِنْ فَوَاضِلِ نِعْمَاتِهِ .

الْمَمْلُوكُ يُوَاصِلُ بِأَدْعِيَّتِهِ الصَّالِحَةَ ، وَيَسْتَشْفِقُ رُوحَانِيَّ رِيحِكُمْ فَيَسْكُنُ مِنْهُ بَلَدِيذِ تِلْكَ الرَّائِحَةِ ؛ وَيَشْكُرُ لَهُ مَا مَنَعَهُ مِنَ الْمَكَارِمِ ، وَيَبَاهِي بِعِزِّ مَاتِهِ اللَّيُوثَ الضَّرَاعِمَ ؛ فَلَا يَجِدُ مُضَاهِيًا لِتِلْكَ الْعِزَّائِمِ .

وَيَنْهِي وَرُودَ الْمِثَالِ الَّذِي أَشْرَقَتْ الْوُجُوهُ بِنُورِهِ ، وَأَبْتَهَجَتْ الْأَنْفُسُ بِبِلَاغَةِ مُنْشِئِهِ وَوُثِي سَطُورِهِ ، وَعَلِمَ إِشَارَةَ الْمَوْلَى فِي مَعْنَى فُلَانٍ : أَدَامَ اللهُ سَعْدَهُ ، وَأَعَذَّبَ مَنْهَلَهُ وَوَرْدَهُ ، وَالتَّوَصَّيَةَ بِأَمْرِهِ ؛ وَمَا أَبْدَاهُ مِنْ حَمْدِهِ وَشُكْرِهِ ، وَأَنْ يُقَطَعَ إِعْطَاءًا يَلِيْقُ بِأَمثَالِهِ ، وَيَتَقَيَّأُ مِنْ خَرَايجِهَا ضَائِقِي ظِلَالِهِ ، وَعِنْدَ مَثُولِ مِثَالِهِ الْعَالِي أَمِثِلُ وَالْأَنِيمِ ، وَاسْتَعْدَمَ الْمَشَارَإِلَ إِلَيْهِ لِإِشَارَتِهِ وَخَدَمَ ، وَهَذَا بَعْضُ مَا يَجِبُ مِنْ قَبُولِ أَمْرِهِ ، وَتَعْظِيمِ كِتَابِهِ وَتَجَمُّلِ قَدْرِهِ ، فَيُوَاصِلُ بِمَرَامِهِ فَإِنَّهَا تُقَابِلُ بِالْإِتْسَامِ ، وَمُشْرِفَاتِهِ فَإِنَّهَا تُعَامَلُ بِوَأَفْرِ الْإِكْرَامِ .

جواب شفاعة في الجملة :

قُلْ مَا تَشَاءُ فَإِنِّي لَكَ طَائِعٌ \* مَا أَنْتَ عِنْدِي شَافِعٌ بَلْ أَمِيرٌ !

جَعَلَهُ اللهُ لِكُلِّ خَيْرٍ سَبِيًّا ، وَحَقَّقَ بِهِ لِأَوْلِيَائِهِ طُنُونًا وَحَصَلَ أَرْبَابًا ؛ وَوَفَّرَ لَهُ مِنْ أَجْرِ شَفَاعَتِهِ الْحَسَنَةِ نَصِييًّا ، وَأَدَامَهُ عَنْ كُلِّ شَرٍّ بَعِيدًا ، وَإِلَى كُلِّ خَيْرٍ قَرِيبًا .

الْمَمْلُوكُ يَنْهِي تَأَلُّمَهُ لِفِرَاقِهِ ، وَمَا يَجِدُهُ مِنْ صَبَابَتِهِ وَشِدَّةِ أَشْوَاقِهِ ، وَيُعَانِيهِ مِنْ حَزِينَتِهِ وَأَتُونِاقِهِ ، وَأَنَّهُ وَرَدَ عَلَيْهِ كِتَابُهُ فَاسْتَلَمَهُ وَنَمَّه ، وَبَجَلَهُ وَعَظَّمَهُ ؛ وَعَلِمَ مَا أَشَارَ

إليه ، وأخذ أمر المشفوع فيه بكلتا يديه ، وجعل قضاء أريه أمراً لازماً ، وما قفى على ساق الاجتهاد قائماً ، إلى أن حصل غرضه ، وأدى من حسن القيام بأمره ما أوجب مشرفه العالى وأقرضه ، والمولى أمر غير شفيح ، ومهما ورد من جهته على المملوك فوارد على سميع مطيع ، فيواصل من مراسمه بما سنع ، ومن أخباره بما نارج طيب عرفه ونفع ، ورأيه في ذلك العالى .

آخر : شكر الله عوارفها ، وتالد جودها وطارفها ، ووافر ظلالها ووارفها ، ونهى شاءه على مآليه ، وملازمته ومداومته على بث محاسنه ونث آياديه ، وحيد عواقب إحسانه ومباده ، وشدة أشواقه إلى جنابه ، ولذيد مشاهدته وخطابه ، وما يعانى من غرام لازمه ملازمة الغريم ، وداء صباية يضاعف شوقه إلى رؤية وجهه الوسيم ، ومداومته على التعوض بشكر محاسنه عن المدامة والنديم ، ونظم جواهر مدحه لجيد جوده ، وحيد المولى على ذلك التنظيم ، وأنه ورد عليه مشرفه العالى قبله ، ودعا لمُرسله دعاء يرجو من الله تعالى أن يستجيبه ويتقبله ، وحصل له بوصول آتبهاج عظيم ، وقال لمن حضر وودده ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَى خَلَابٍ كَرِيمٍ ﴾ وفيهم مضمونه ونحوه ، وعلم معناه وما أظهره فيه وأبداه : من الوصية بفلان وما يؤثر من تسهيل مطالبه ، وتيسير مآربه ، ووصول المشار إليه وحصل الأئس برؤيته ، وتمتعت النواظر والمسامع بمشاهدته ومشافهته ، وقام المملوك في أمره قياماً تاماً ، وجعل عين اجتهاده في مصلحته متيقظة لاتعرف متاماً ، وتثمر من ساق الاجتهاد ، في تحصيل المرام والمرد ، إلى أن حصل له الفوز ببئل أمه ، وعاد راتماً من العيش في أخضره وأخضله ، رافلاً من السرور في أبهى حلله ، فيحيط علمه بذلك ، والله تعالى يعضد به القول والمالك ، إن شاء الله تعالى .

آخر: جعله الله مفتاحا لكل باب مُرتج، وصَدَّق به [أمل] كل أمل  
وحقق رجاء كل مُرتج، ولا زالت صحائبُ جوده هاميةً بالوسمي والولي، ماطرةً  
بويلها وطلها على الولي.

المملوك يُحْدِثُ بِحِجَةِ أَرْقٍ مِنَ النَّسَمِ، وسلامٍ أُطِيبَ عَرَفًا مِنْ بَابِ النَّقَا إِذَا تَحَلَّتْ  
عَرَفَهُ رِيحُ الصَّرِيمِ.

وينبى إلى عليه الكريم ورود مشرقه وأنه أحاط بمضمونها علما، وشاهد منها  
في حال طيها مكارم أصارت تفضيله على حاتم الطائي حتما، ووقف منها على دُر لفظ  
قدفه بحر خاطره ثرا ونظما، وبراعة عبارة زادت قلب مواليه غراما وأتق مئاويه  
رغما، وفصاحة عرفته قوله صلى الله عليه وسلم «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا» وإن من  
الشعر لحكما<sup>(١)</sup> «وفهم عنايته بفلان نفع الله بعلمه وعمله، وقرب له من الخير مالا  
يُطْعِمُهُ به بعيد أمله، وإشارته بسبب التنبيه والإرشاد على تحمل فضائله، ومفصل  
مناقبه المشهورة في البلاد، وإيضاح كفايته في وجيز تلك الفصول الصالح الإسناد،  
فإن قدوم المذكور وحلوله، وورود مشرقه ووصوله؛ أنهى المملوك أمره إلى  
مخدومه، وطالع به شريف علومه؛ ولا زال يُحَسِّنُ سعيه، ويعتمد على مشيئة الله  
ولا يترك حرصه ومشيئه؛ إلى أن حقق قصده بقضاء شغله، وقرب له أمد أمله،  
وكتب توقيعه ولم يرد الله تعويقه، ونجح طعم قصده وأنجح الله طريقه؛ وقد عاد  
مصحوبا بالسلامة، معروفا بتحصيل هذا القصد بأنه (طلاع الثنايا) من غير وضع  
العامه، حسب إشارة المولى وأمره، والله تعالى يُمِدُّه بصونه ونصره.

(١) الول المطر الذي يأتي بعد الوسمي ويقع في الأصول "الويل" وهو تحريف واضح.

(٢) هو بضم الحاء وسكون الكاف العلم واللقبه أى إن في الشعر كلاما نافعا يمنع من الجهل والسفه.....

ويرى إن من الشعر لحكمة وهو معنى الحكم. انظر اللسان ج ١٥ ص ٣٠.

آخِر : في استخلاص حق .

شَكَرَ اللهُ إِحْسَانَهُ وَإِنْعَامَهُ ، وَحَصَلَ بِهِ لِكُلِّ وَلِيٍّ مَرَامُهُ ، وَحَمِدَ تَطَوُّلَهُ وَتَفَضُّلَهُ ،  
وَأَنَالَ بِهِ لِكُلِّ أَمِيلٍ أَمَلَهُ ، وَخَلَّدَ دَوْلَتَهُ ، وَأَدَامَ نِعْمَتَهُ ، وَأَنفَذَ كَلِمَتَهُ ؛ وَلَا زَالَ فَضْلُهُ  
كَامِلًا ، وَإِحْسَانُهُ إِلَى الْأَوْلِيَاءِ وَاصِلًا ؛ وَنَوَّالُهُ لِنَبِيِّ الْأَمَالِ شَامِلًا .

المملوكُ يَخْدُمُ بِدَعَاءِ أَحْسَنَ مِنْ تَوَرُّدِ الرِّبَا ، وَشَاءِ الْطَفِّ مِنْ رِيحِ الصَّبَا ؛ وَسَلَامٍ  
أَطِيبٍ بِمَرُورِهِ مِنْ تَذَكُّرِ أَيَّامِ الصَّبَا .

وَيَنْهَى وَرُودَ الْكَتَابِ الَّذِي طَابَ بِالْمَوْلَى تَحْتَهُ وَنِجَارُهُ ، وَزَادَ عَلَى كِتَابِ الْكُتُبِ  
نَفَارُهُ ، وَأَنَّهُ وَقَفَ عَلَيْهِ وَقُوفٌ مُشْتَقٌّ إِلَى مُرْسِلِهِ ، شَاكِرٌ أُنْعَمَ فَضْلُهُ وَجَسِيمٌ  
تَفَضُّلُهُ ؛ فَأَمْسَكَتُهُ تِلْكَ الْفَصَاحَةُ بِسَدَّهَا الْأَرْجَ ، وَتَزَعَّتْ لِحْظُهُ فِي دُرِّ لَفْظِهَا الْبَهْجَ ؛  
فَظَنَّا لَمَّا اسْتَشَقَّ رَاحَتَهَا رَاحًا قَرَفَقًا ، وَلَمَّا أَهْبَجَهُ لَفْظُهَا بِالْفَاظِ تُرِيحِي عَلَى الرِّبَاضِ  
رَوْضَةً أَفْأًا ؛ وَعَلِمَ الْإِشَارَةُ الْكَرِيمَةَ فِي مَعْنَى فَلَانِ وَالْوَصِيَّةُ بِخِدْمَتِهِ ، وَمَا أَمَرَ بِهِ مِنْ  
مُسَاعَدَتِهِ وَمُسَاعَفَتِهِ ؛ وَعِنْدَ وُصُولِ مُشْرِفِ الْمَوْلَى وَقَبْلَ وَضْعِهِ مِنْ يَدِهِ ، نَوَى  
الْمَمْلُوكُ مُسَاعَدَةَ الْمَذْكُورِ عَلَى مَقْصَدِهِ ، فَقَدَّمَ بِإِحْضَارِ غَرِيمِهِ فَوَجَدَهُ عَنِ الْبَلَدِ  
غَائِبًا ، فَانْتَظَرَهُ إِلَى أَنْ عَادَ آتِيًا ؛ فَعِنْدَ وَصُولِهِ طَلَبَهُ وَأَحْضَرَهُ ، وَسَلَّاهُ عَمَّا يَدْعِيهِ  
عَلَيْهِ خَصْمُهُ فَأَنْكَرَهُ ؛ وَطَلَبَ الْحَاضِرَ إِلَى الْقَاضِي ، وَحَثَّ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى أَوْحَمَ أَنَّهُ  
الْمُتَقَاضِي ؛ فَلَمَّا رَأَى الْمَمْلُوكُ أَنَّ حُجَّةَ الْمَشْفُوعِ فِيهِ لَاتَقُومُ بِصَدْقِ دَعْوَاهُ وَحُجْجِ ،  
وَلَا يَظْهَرُ بِهَا عَلَى غَرِيمِهِ إِلَّا مِنْ طَرِيقِ حَرَجٍ ؛ بَدَّلَ فِي مُصَالَحَتِهِمَا جُهْدَ الْإِجْتِهَادِ ،  
وَمَا زَالَ يُرْشِدُهُمَا إِلَى طَرِيقِ الرِّشَادِ ؛ وَيُدْلِمُهُمَا عَلَى سَبِيلِ السَّدَادِ ، وَيَعْرِفُهُمَا أَنَّ  
التَّضَارُّرَ ضَيْرٌ ، وَأَنَّ الصُّلْحَ خَيْرٌ ؛ فَكُلَّ مِنْهُمَا يَسِيمُ فِي وَادٍ ، وَيَسْلُقُ خَصْمُهُ بِالْسِّنَةِ  
حَدَادًا ؛ إِلَى أَنْ تَرَاضِيًا وَتَوَافَقًا ، وَسَلَكَا طَرِيقَ الرِّفْقِ وَتَرَافَقَا ؛ وَصَلَّتْ الْخَصْمُ



خَصَّمَهُ قَصَادًا ، وَأَفْصَلَا وَكُلَّ مِنْهَا قَدْ أَرْضَى خِذْنَهُ ، وَعَنِ الْحَاكِمَةِ وَالْحَاقِقَةِ أَغْضَى جَفْنَهُ .

آخر : أَيْدِ اللَّهُ سَعْدَ الْمَوْلَى وَأَبْدَهُ ، وَأَثْلَ مَجْدَهُ وَمَجْدَهُ ؛ وَأَعَانَهُ عَلَى إِسْدَاءِ الْعَوَارِفِ وَعَضْدِهِ ؛ وَأَمَدَهُ مِنَ الْمَسَرَّاتِ بِمَا يُزِيلُ عَنْ الْأَيَّامِ أَبْدَهُ <sup>(١)</sup> ، وَأَنَالَهُ سَعْدًا لَاتِلُغَ الْأَنَامُ أَمَدَهُ ؛ وَلَا زَالَ بَرْدُ جَدِّهِ مِنَ السَّعَادَةِ جَدِيدًا ، وَنَجَّمَ عَنْهُ أَفْلًا وَنَجَّمَ سَعِيدًا .

الَّذِي يُحِيطُ بِهِ عِلْمُهُ الْكَرِيمَ أَنَّ كِتَابَهُ وَرَدَ فَسَّرَى هَمَّ الْأَنْفُسِ وَسَرَّهَا ، وَضَاعَفَ بِمَا ضَاعَ مِنْ نَشْرِهَ بِشَرِّهَا ؛ وَفَاحَ مِنْهُ شِدَاً عِنْدَ إِقْبَالِهِ ، فَقِيلَ : قَدْ هَبَّتِ الْقَبُولُ ، وَرَجَّحَ الْأَوْلِيَاءَ ، فَقِيلَ : قَدْ هَبَّتْ رِيحُ الشِّمَالِ وَأَدِيرَتِ الرَّاحُ الشَّمُولُ ؛ وَأَنَّ الْمُلُوكَ وَقَفَ مِنْهُ عَلَى الْأَفَاظِ سَقْنَهُ كُثُوسَ سُورٍ لَا كُثُوسَ مَدَامَ ، وَرَوَتْ لَهُ أَخْبَارَ حِلْمَ لَوْ أُسْنِدَتْ إِلَى سِوَاهِ لَتَوَثَّمَتْ أَضْعَافَاتُ أَحْلَامِ ؛ وَرَوَتْ أَكْبَادًا أَضْرَبَهَا لَقَيْتَهُ حُرَّ ظِلْمًا وَأَوَامَ ؛ وَبَيَّنَتْ مَحَرَّ الْبَيَانِ ، وَأَعْرَبَتْ بِلِسَانِ حُسْنِهَا عَمَّا لَمْ تُشِيرْ بِهَا لَمْ تُشِيرْ مِنْ الْإِحْسَانِ ، وَأَعْرَبَتْ فِي الْفَصَاحَةِ نَفْلًا كُلَّ كَلِمَةٍ تَطْلُقُ عَنْ تَحَبُّانِ بِلِسَانِ ، وَزَهَتْ بِيَانِجِ نِمَارِ فَضِيلِهَا فَتَرَهَتْ كُلَّ عَيْنٍ فِي بُسْتَانِ ؛ وَعَلِمَ إِشَارَةَ الْمَوْلَى فِي مَعْنَى فُلَانِ ، وَمَا أَبْدَاهُ مِنَ الْعَنَاءِ فِي حَقِّهِ ، وَالْإِشَارَ لِصِلَةِ رِزْقِهِ ؛ وَأَنَّهُ مِنَ الْأَنْزَامِ ؛ وَالَّذِينَ تَجِبُ مَعَامِلَتُهُمُ بِالْإِكْرَامِ وَالْإِحْتِرَامِ التَّامِ ؛ وَعِنْدَ مَا شَاهَدَ الْمُلُوكُ كِتَابَ مَنْ شَرَفَهُ ، وَتَمَسَّحَ الْأَفَاطِلُ الَّتِي يُلْطَفُهَا أَتَحَفُهُ ؛ بَلْ يَرْدَاثُهَا عَلَى الْبَرْدِ الْحَفَةِ ، تَقَدَّمَ بِإِجَابَةِ سُؤَالِهِ ، وَتَرْتِيبِهِ فِي جِهَةِ تَلْقَى بِأَمْثَالِهِ ؛ وَقَصَصَهُ مِنَ الْعَنَاءِ قِيمًا لَا يَبْلَى ، وَجَمَعَ لِحَاطِرِهِ وَالِدَعَةَ شَبْلًا ؛ وَهَذَا حَسَبَ إِشَارَةِ الْمَوْلَى الَّتِي لَا تُخَالَفُ ، وَأَمْرِهِ الَّتِي يَقِفُ كُلُّ أَحَدٍ عِنْدَهُ وَلَا يَسْتَوْفِقُ وَلَا يُوَاقِفُ <sup>(٢)</sup> .

(١) أَيْ غَضِبَهُ فَهُوَ مُصْدَرَأٌ عَلَيْهِ كَقَرَحَ إِذَا غَضِبَ .

(٢) هَذَا آخِرُ مَا حَقَّقَهُ التَّقْدِيمُ بِعَدِّ التَّوَجُّعِ الرَّابِعِ وَقِيلَ الْخَامِسُ فَتَنْبَهْ .

كُتِبَ إِلَى مَرِيضٍ بِالسُّؤَالِ عَنْهُ مِنْ كَلَامِ الْمُنَافِرِينَ :

حَاشَى مِرَاجِكَ مِنْ أَدَى \* وَكَرِيمِ جِسْمِكَ مِنْ وَصَبِ !  
يَا غَايَةَ الْمَأْمُولِ وَالشَّمْرُجُوبِ كُلِّ الطَّلَبِ !  
مُدْغِبَتِ عَنِّي لَمْ أَزَلْ \* مِنْ بَعْدِ بُعْدِكَ فِي نَصَبِ !  
جَفَنِي غَيْرِيقٌ بِاللُّهُو \* عِجْ وَمَاءُ صَبْرِي قَدْ نَضَبِ !  
وَاللَّهِ مَالِي فِي الْبَقَا \* وَأَنْتَ نَائِمٌ مِنْ أَرْبِ !  
فَتَرَى أَتَشْرُ سَيِّدِي \* أَنْ الْفَقَاءَ قَدْ أَقْرَبِ !<sup>(١)</sup>

حَرَسَ اللَّهُ مِرَاجَ الْمَوْلَى ! وَأَصَارَ الْعَافِيَةَ لَهُ شِعَارًا ، وَالصَّحَّةَ لَهُ دِفْأَرًا ، وَلَا زَالَتْ  
سَاكِنَةٌ فِي جَوَارِحِهِ ، مَقِيمةٌ حَشَوْ أَعْضَائِهِ الْمُبَارَكَةِ وَجَوَارِحِهِ .

أَصْدَرَهَا الْمَمْلُوكُ تُعْرِيبٌ عَنْ شَوْقِي يَكُلُّ عَنْ وَصْفِهِ اللِّسَانُ ، وَتَوْقِي لَا يُحْسِنُ وَصْفَهُ  
الْبَنَاتُ ، وَلَا يَجِيَّ يَعْجُزُ عَنْ حَمْلِ بَعْضِهِ الْجَنَانُ ، مُتَمَسِّمًا الْمَوَاصِلَةَ بِأَخْبَارِهِ ، وَوَاصِفًا  
مَا يَجِدُهُ الْقَلْبُ مِنْ أَلَمِ الشَّوْقِ وَنَارِهِ ، وَشَاكِيًا مِنْ جَوْرِ أَيَّامِ الْفِرَاقِ ، وَرَاجِيًا أَنْ يُشِيرَ  
بِالْإِبْلَالِ مِنْ مَرَضِهِ وَالْإِفْرَاقِ ، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِتَحْجِيلِ أَيَّامِ التَّلَاقِ . وَمَعَ ذَلِكَ فَلَوْ  
رُئِيَ أَنْ أُشْرِحَ كُلُّ مَا يَجِدُهُ مِنَ الصَّيْبَةِ لِأَسْأَمْتُ وَأُسَبِّهْتُ ، بَلْ لَوْ ذَكُرْتُ مَا أَتَانِيهِ  
لَأَلَيْسَ لَتَقَلْتُ عَلَى خَاطِرِهِ وَشَوَّشْتُ ، لَكِنْ خَاطِرُ الْمَوْلَى شَاهِدٌ بَوَّجِدِي ، وَطَارِفٌ  
بِمَا تَجَلَّتْ مِنَ الْكَاتِبَةِ الَّتِي لَمْ يَجْلِهَا أَحَدٌ قَبْلِي وَلَا تُحْمَلُ بَعْدِي ، فَيُوَصِّلُ بِأَخْبَارِهِ ،  
وَاللَّهُ يَحْرُسُهُ أَنَاءَ لَيْلِهِ وَأَطْرَافِ نَهَارِهِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) مراده قى أبشر . ولله تصحيف من الكاتب .

(٢) قل هذا القفل القاراني وتبه الجوهرى وأستعمله كاتب هذه الرسالة وأذكره بعض الخذاق وقال  
الصواب هوشت .

في معناه :

يَا مَنْ شَكَ فَشَكَ فَوَادَى حُرْقَةً \* لَا تَشْطِنِي وَصَابَةٌ لَا تَبْرَحُ !  
وَعَدَا سَقِيمَ الْحَسَنِ يَوْمًا وَاحِدًا \* فَتَرَحْتُ تَمَعًا لِلدَّامِغِ يَجْرَحُ !  
وَأَزْدَادَ شَوْقٍ تَحْوِطُ عَلَيْهِ أَلْيَ \* أَبَدًا يُنَمِّنُ بِهَاثَا أَسْتَجِجُ !  
لَا زِلْتُ فِي عِزٍّ وَسَعْدٍ دَائِمٍ \* أَبَا مُنَا بَبَقَائِهِ تَبَجَّجُ !  
وَبَقِيَتْ مَا بَقِيَ الزَّمَانُ مُؤِيدًا \* تُنَمِّسِي قَرِيرَ الْعَيْنِ فِيهِ وَتُصَبِّحُ !

كَلَّمَ اللَّهُ عَافِيَةَ الْمَوْتَى وَحَرَسَهُ ، وَلَا سَلَبَهُ تَوْبَ الصَّحَّةِ بَلْ قَصَصَهُ إِيَّاهُ وَالْبَسَهُ ؛  
وَأَخَذَهُ الْأَيَّامُ فَلَا تَسْتَطِيعُ مَخَالَفَةَ أَمْرِهِ وَلَا الْخُرُوجَ عَنْ حُكْمِهِ ، وَرَزَقَهُ أَنْ يَمْلِكَ  
الدُّنْيَا بِحَذَائِقِهَا وَهَذَا يَحْصُلُ بِعَافِيَةِ جِسْمِهِ .

الْمَمْلُوكُ يَنْهَى أَنَّهُ أَتَّصِلَ بِهِ تَأَلُّهُ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَوَصَلَ مِنْ الْقَلَقِ إِلَى حَدٍّ  
لَمْ يَصِلِ الْمَوْتُ وَالْحَدُّ لَهُ إِلَيْهِ ؛ وَأَيَّهَلَ إِلَى اللَّهِ فِي مُعَافَاةِ جَسَدِهِ ، وَأَنْ يُعْضِدَهُ بَقَاءُ  
وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ ؛ وَيُضَاعَفَ تَسْهِيلَ مَآرِبِهِ وَمَقَاصِدِهِ ، وَيَرْفَعَ كَلِمَتَهُ وَقَدْرَهُ عَلَى رَغْمِ  
مُعْطَسِ شَانِيهِ الْإِبْتِرِ وَحَاسِدِهِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

جوابٌ إِلَى مَنْ قَنَطَرَهُ فَرُسُهُ <sup>(١)</sup> :

تَبَّتْ اللَّهُ قَوَاعِدَ تَجْدِيدِهِ ، وَبَلَّغَتْهُ سَعْدًا لَا تَبْلُغُهُ الْأَمَالُ لِبُعْدِهِ ؛ وَأَهْمَى عَلَى حَيِّهِ  
مُحَاطَبَ جُودِهِ وَرِفْقِهِ .

(١) جارى في هذا القمل اللغة العامية والصواب قطره قال الشاعر :

قد طبت على وجاراتها \* ما طهر الفارس إلا أنا

المملوك يُحْدِثُ بِحَيَّةِ أَرْقٍ مِنَ النَّسِيمِ ، وَيُشْكُرُ مَوَاهِبَهُ الَّتِي مَازَلَتْ تُنَحُّوْهُ عَلَيْهِ حُنُوُّ  
الْمُرْضِعَاتِ عَلَى الْقَطِيمِ .

وَيُنْهِى وَرُودَ الْخَبَرِ بِأَنَّهُ بَكَاهُ جَوَادُهُ عِنْدَ مَا زَلَّتْ قَوَائِمُهُ ، وَأَتَقَلَّتْ فُضَائِلُ الْمَوْلَى  
وَمَكَارِمُهُ ؛ فَاتَزَعَّجَ لِفَذْلِكَ وَتَأَلَّمَ ، وَكَادَ قَلْبُهُ لَوْلَا الْمُبَشِّرُ بِسَلَامَتِهِ أَنْ يَتَكَلَّمَ ؛ وَجَوَادُ  
الْمَوْلَى لَا سَبِيلَ إِلَى ذَمِّهِ ، فَإِنَّهُ أَشْمَحُ جَوَادٍ ، وَلَا أَتَهَامِيهِ بِالْعَجْزِ ، فَإِنَّهُ عُرِفَ بِإِتِهَامِ  
وَأَنْجَادِ :

لِكُنْهَ نَظَرَ الْأَفْلَاكِ سَاجِدَةً \* إِلَى عُلَاكِ فَلَمْ تَتَّبِعْ قَوَائِمَهُ !

وَالْمَوْلَى أَوْلَى مَنْ قَابَلَ عُذْرَ طَرَفِهِ بِطَرَفِ الْقَبُولِ ، وَاعْتَمَدَ عَلَيْهِ دُونَ سَائِرِ  
الْخَلِيُولِ ؛ فَإِنَّ الْمَوْلَى وَلِلَّهِ الْحَمْدُ فِي صَحِيَّةِ دَائِمِهِ ، وَسَلَامَةِ مَلَاظِمِهِ ؛ وَهَذَا هُوَ الْقَصْدُ  
وَالْمُرَادُ ، وَالِاسْتِشَارُ الَّذِي تَقَرَّرَ لَهُ تَقَوُّرُ الثُّغُورِ وَتَعَمُّرُ بِهِ الْبِلَادِ ؛ جَعَلَهُ اللَّهُ فِي سَعْدِ مَالِهِ  
فَرَاغٍ وَلَا نَقَادٍ ، وَرَزَقَهُ مَا دُمَا بِهِ الْعِمَادُ الْفَاضِلُ وَالْفَاضِلُ الْعِمَادُ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

### أَجْوِبَةُ كُتُبِ الْعِبَادَةِ

قَالَ فِي "مَوَادِّ الْبَيَانِ" : يَجِبُ أَنْ تَبْنِيَ هَذِهِ الْأَجْوِبَةَ عَلَى وَصُولِ الرُّقْعَةِ ،  
وَمَا صَادَفْتَ الْمَرِيضَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَرَضِ ، وَأَنَّهُ أَهْدَتْ رَوْحَ الْهُدُوءِ ، وَأَرَكَدَتْ رِيَّاحَ  
السُّوءِ ؛ وَأَقْبَلْتَ بِنَسَمِ الْإِبِلَالِ ، وَتَضَوَّعَتْ بِأَرْجِ الْإِسْتِقْلَالِ ؛ وَبَشَّرْتَ بِالْعَافِيَةِ  
وَالسَّلَامَةِ ، وَأَذَنْتَ بِالصَّلَاحِ وَالِاسْتِقَامَةِ ؛ وَأَشْبَاهَ هَذَا .

ابْنُ نَبَاتَةِ الْمِصْرِيِّ :

شَكَرَ اللَّهُ أَفْتِقَادَهَا وَأَتَسَّهَا ، وَقَلَمَهَا وَطَرَسَهَا ؛ وَحَمَى مِنْ عَارِضِ الْخَطْبِ لَامِنْ  
عَارِضِ الْخُصْبِ تَمَسُّهَا ؛ وَلَا أَعْدَمَ الْأَوْلِيَاءَ قَصَبَهَا الْجَمِيلَ ، وَوَدَّهَا الْجَلِيلَ ، وَإِحْسَانَ

رسائلها التي كُتبت فما صوبُ الغمام لها رَسِيل ؛ وأمنع الممالك يُثنيها التي صحت  
بتدبيره فليس فير النسيم عليل .

ويُنهي ورود المشرف الكريم فتلقاه المملوك حبيبا وارداً ، وطيباً بإحسانه وبالحسد  
عائداً ؛ وفهم المملوك ما أنطوى عليه من الصدقات التي ما زالت في فهمه ، والمحبة  
الصادقة التي ما عزبت عن علمه ؛ وما تَضَمَّن من فصول كانت أنفع من فُصول  
أقراط لمعالجة جسمه ؛ وأين أقراط من بركات كتاب مولانا الذي طالع منه كتاب  
الشفاء على الحقيقة ، والنجاة من عروة الباس الوثيقه ؛ وأذن ورقة الحمراء لرأسه  
تبركا وإكراما وقال : نَمِ الْجَلَنَارَةُ الْمُعَوَّدَةُ مِنَ الشَّقِيقَةِ ، وَأَسْتَطَبَ حُرُوقَهَا فَإِنَّا عَنْ  
أَيْدِي الْكَرِيمِ وَالْكَرَامَاتِ ، وَلَمْ الْعَلَمَةُ وَتَمَسَّكَ بِالسُّطُورِ فَإِنَّا مِنْ أَسْبَابِ الصَّحَّةِ  
وَالسَّلَامَاتِ ؛ ووافقت عبادة مولانا مبادئ العافية وأذنت بالزيادة ، وصلاح خطه  
الكريم عائدا وما كل خط يصلح للعبادة ؛ وما تلك الجارحة المتألِّمة إلا يد أنقلتها  
مِنَ مولانا فأعيت وتألَّت ؛ ثم أعأتها بركته هي والقدم بالجل العظيم وتقدست ؛ وما  
بقية الجوارح إلا عيون كانت تنتظر لطف الله تعالى وبركته وقد قدمت ، فشكرها  
من بركات تنعم بها قبل الجسوم أرواحها ، وأدوية قلبية تُعالج بها ذوات النفوس  
فكيف أشباحها ؛ لا يرح جوهر كلمات مولانا يُؤذن بالشفاء من الغرض ، وسهام  
أقلامه إذا كتبت عائدة أو جائدة أصابت الغرض وفوق الغرض .

وله : تَقَبَّلَ اللهُ مِنْهُ فِيهِ صَالِحُ الْأَذْعِيَةِ ، وَمَلَأَ بِتَحَاسُنِ ذِكْرِهِ وَرَّهَ الْآفَاقِ  
وَالْأَثْنَدِيَةِ ، وَشَكَرَ بَهَائِهِ وَبَرَكَاتِهِ الَّتِي تَنْزِلُ بِعَارِضِ الْغَيْثِ قَبْلَ الْإِسْتِطَارِ وَرَفَعُ عَارِضِ  
الْأَلَمِ قَبْلَ الْأَذْوِيَةِ ؛ تَقْيِيلَ مُعْتَرِفٍ بِسَابِقِ النِّعَمِ ، مَقْيِمٍ عَلَى صَحَّةِ الْعُبُودِيَةِ وَالْوَلَاءِ  
فِي حَالَتِي الصَّحَّةِ وَالسَّعَمِ .

وينهى وُرُودَ مشرّف مولانا الكريم على يد فلان عائداً من جهة العيادة ، وعائداً من جهة الصّلات المعتادة ، ومُعتقداً لاعدِم الأولياء في الشّسة والرّخاء آفتقاده ، ما كان إلّا رَيقاً نَسَقَ العليلُ نَسِيَّاته الصّحيحة ، وتناولَ كأسَ ألفاظه الصّريحه ؛ وإذا بقانون المزاج قد همّ باعتداله ، وكتاب الشفاء والنجاة قد تسنّت فوائده إقباله ؛ فتميز حال الصّحة من المرض ؛ وأستعمل جوهر الألفاظ فعزم على زواله العرض ؛ وبلغ الولد فلان المشافهة وكلّ مقاصد مولانا مبتدأة مبتدعة ، والمملوك جوابها وكلّ أجوبته مُنَوَّلَةٌ مُنَوَّعة ؛ شكر الله عوارِفَ مولانا المُتَّصِله ، ورُسَلَ آفتقاده التي منها العائد ومنها الصّله .

وله : في جواب كتاب عيادة وارد في يوم عيد على يد من أسمه جمال الدين محمود . شكر الله مِنّهَا التي إذا أبدت أعادت ، وإذا جادت أجادت ؛ وإذا كُثِرَتْ الاقتصاد حلاً ، وإذا تصدّت لمؤدات القلوب صادت ؛ تهيّل غلّص في ولائه وآبتهال ، مُقيم على صحة العهد والحمد في صحته واعتلاله .

وينهى وُرُودَ مشرّفة مولانا الكريمة على يد الولد جمال الدين محمود متفقداً على العادة ، مكرراً لعيادة الإحساب وإحسان العيادة ؛ فقابل المملوك بالحمد وإيردها ، وبعوائد الاعتداد عائدها ؛ وفهم ما تضمّنته من تألم قلب المالك على ضَعْف المملوك ، وقاقى خاطره على بَدَن كَيْتِ العُروض مَنهُوك ؛ وأنه كان آبتداً ضَعْفُ المملوك تَأَلَّمَ ، ثم تلا خبر الصّحة قسلاً : ولكنّ الله سَلَّمَ ؛ ثم بلغه أنّ آلاماً تراجعت ، وموادّ واصلت بعد ما قاطعت ؛ فحملته خواطرُ الإشفاق على "على تكرير العيادة ، وارتقاب فَعَلات الشفاء المستجادة ؛ جارياً من إحسانه وآفتقاده على أجهل معهود ، باعنا مشرقه

(١) مراده وتارة أى أوصل المملوك الخ تأمل .

(٢) في الأصول "كتيب" وهو تصحيف من التسخ .

وحامِلَها وكلاهما حسنُ الحال مُحَمَّدٌ ؛ فعند ما وصلَ أو صلا كَجَلِّ العافيه ، وحققتُ  
أخيَّةَ البرِّ الشافيه ؛ وما كان المشكُّو إلا مَادَّةَ يسيرةً وزالت ، وبقيةً ضَعُفٌ تَوَلَّتْ  
بِحمدِ الله وبركة مولانا وما تَوَلَّتْ ؛ وما عيْدُ المملوكِ إلا وشفاءُ الجسدِ في أَرْزِياد ،  
والنفس بالوقت وبالمشرفة في عيدين قَائِمِينَ بأعياد ؛ لازالت مِنِّ مولانا إزاءَ الحَقِّ  
حيثُ دار ، ووُدَّه وِحْمَاهُ جامعين فَضَّلَ الجارِ والدار .

زهر الربيع :

لا زال محروسَ الشَّيمِ ، هاطِلَةً بِحائِثِهِ بِالْدَّيْمِ ؛ مشكوراً بلسانِ الإنسانِ والقلمِ .  
المملوكِ يَقْبَلُ يَدَهُ الشَّرِيفَةَ مَوْدِيًّا للواجب ، ويواصلُ بدعاءٍ صالِحٍ أَسَارَهُ إِنْعامَهُ  
ضَرْبَةً لازِبِ .

وينهى إلى كريمِ علمه وُرُودَ مشرفه الذي أبهجَ الأُنُسَ وضاعفَ الصُّبَابَ ،  
وأفنى الصَّبْرَ عن حُمَيَّاهُ وإن كان ما أفناه أَيْسَرُ صُبَابِهِ ؛ وأنه عِلِمٌ منه إِنْعامُهُ وتَشَوُّفُهُ  
إلى المملوكِ وإلى سَمَاعِ أخبارِهِ ، وما أبداه من شَفَقَةٍ أَلَقَتْ من إِحسانِهِ وعُرِفَتْ  
من كريمِ نِجَارِهِ ؛ وَتَحَقَّقَتْ من شَيْمِهِ على من يَتَأَيُّ عن بابِهِ العالى ودَارِهِ ، فاللهُ يُحْرُسُ  
هَذِهِ الأخلاقَ التى هى أَرْقُ من الماءِ الزُّلالِ ، والشبائلِ التى تَفْعَلُ بِطُفْئِهَا فَعْلَ  
الْحُرِّيَّالِ ؛ والمملوكُ فَوَاللهِ لَا يُحْصَى شَوْقُهُ إلى انْخِلَامَةِ العالِيَةِ ولا يَحْتَصِرُهُ ، ولا يَقْدِرُ  
على وصفِ مَأْسِرِهِ من الآتِواقِ وَيُظْهِرُهُ ؛ إِنَّمَا الاعتمادُ فى ذَلِكَ على شَاهِدَتِي عَنِ  
من خَاطَرَهُ وَقَلْبُهُ ، وهما يُقْنِيَانِ المملوكَ عن شَرْحِ وَلَائِهِ بِالسَّنَةِ أَقْلَامِيهِ وَوُجُوهِ كُتُبِهِ ؛  
وأما السُّؤالُ عن أخبارِ مِزَاجِ المملوكِ فَإِنَّهُ كانَ فى أَلَمٍ دَائِمٍ ، وَسُقْمٍ مُلَازِمٍ ؛ لَشِدَّةِ  
الْمَرَضِ ، الذى كادَ يَحْتَوِي على جَوْهَرِ جِسْمِهِ والعَرَضِ ؛ فُذِّدَ وَرَدَ كَتَابُ المولى  
أَتَشَعَّتْ قُوَّتُهُ ، وَأَشْتَدَّتْ مُتَّةُهُ ؛ وَصَدَقَتْ فى طَلَبِ سَأُولِ الغَدَاءِ شَهْوَتُهُ ؛ وَتَرَبَّحَ

الشفاء بعد أن كان على شفا تلف ، وكان له كالطبيب الآسى فى إزالة مَرَضِ  
الأسا والآسف . وقد حصلت للملوك مَسْرَتَانِ بكَلَابِ المولى وعافيتيه ، وفَرَحَانِ  
بما أهداه إليه من عفو إنعامه ومحو أثر الألم وتغفّيته ؛ وكل ذلك بسعادته .

ومنه : ورد المشرف العالى لزال قدر مرسله شريفا ، وشره الباذخ يجعل  
كل شريف مشروفا ؛ ومجائب جوده تُهدى إلى الأولياء من مكارمه تليدا وطربا ؛  
وقواضيه ترد [ طرف ] حوادث الأيام عنه مطروفا ؛ وأياديه تبعث لمحبيه تحفا ،  
وهيبته تُهدى إلى الأعداء خوفا ، والدهر بخدمة جنابه العالى مشفوقا ؛ فوقف عليه  
وقوف مشتاق إلى مسطّره ، متزّه فى ربيع الفاظه وحسن أسطّره ؛ وعرف منه  
إحسانا ما قفى يعرفه ، وتفضّلا مازال المولى بمثله يُحَقِّقه ؛ وما أشار إليه من شدة  
إيثاره ، لرؤية الملوك وسماج أخباره ؛ والذى يُنبئه أنّ جسده كان قد تضايف  
ضعفه ، حتى أنعب الأليسة وضعفه ؛ فلما وقف من مشرف المولى على خطّ هو  
الوشى المنتمن ، وألفاظه هى الرّحيق الحتم بل الدر المنظم ؛ ومحرّ هو محلّ وكلّ محرّ  
محزّم ؛ أبلى الملوك وبردت غلته ، وبرأت عطسه ؛ وكان كمن استوفى نصيبه من  
النّصب ، وأخذ قسمه من السقم والوصب ؛ فسقاه مشرفه الصّحة فى كاس ،  
وأفاض عليه من العافية أنقر لباس .

آخر :

وَرَدَ الْكِتَابُ قَعَمَتِ الْأَفْرَاحُ \* وَأَضَاءَ فِي لَيْلِ الْأَسَا الْإِصْبَاحُ !  
وَأَفْتَرَّتْ نَفَرُ الزَّمَانِ بَهْرَجَةٍ \* وَلِلْفُظْهِ طَرِبَتْ رُبَى وَطَاحُ !  
وَتَضَوَّعَتْ أَرْوَاحُ طَيْبٍ عَرَفُهَا \* تَحْيَا بِهِ الْأَجْسَامُ وَالْأَرْوَاحُ !  
وَسَقَى سُلَافَ فَصَاحِيَةٍ وَبَلَاغَةٍ \* مَا أَلْسَكُ عَنْدَ تَهْنِئَتِهَا مَا أَلْلَحُ !



شكر الله منته، وأخدمه زمنه، ومنعه من العيش أغضبه وأحسنه؛ وشرف ببقائه  
الدهر وشنف بتمدده أدنه .

المملوك ينهى إلى علمه ووصول مشرقه الذى تنزهت الأعين في حسن منظره ،  
ويابح ثمار لفظه البديع ووثني أسطره؛ وأنه استنشق من ريحه أطيب نفعه ،  
وقمص منه ثوبى دعة وحمه ؛ فشفي داء شف منه جسمه ، وزاد ثوروده سروره  
وزال همه ؛ وعلم إنعام المولى الذى لا يشك فيه ، وإحسانه الذى لا يحصر لسان  
مادح ولا يحصىه ؛ وما ذكره من الألم الملم به واشتغال خاطره الكريم لما ألم  
بجسمه ، والمرض بسعادة المولى قد بقي منه قلبه ، وتخلص بعد ما امتد ظله ؛ والعافية  
لتكمل إن شاء الله تعالى برؤية محبوبه الكريم ومشاهدته ، والمثول بين يديه العاليتين  
في خدمته .

### النوع الخامس عشر ( فى الذم )

ذم بخيل : لأحمد بن يوسف :

كان البخل والشؤم صاراً معاً في سهمه ، وكانا قبل ذلك في قسمه ، فآزهما  
بالوراثه ، واستحق ما استملك منهما بالشفعة ، وأشهد على حيازتهما أهل الدين  
والأمانة ، حتى خلاص له من كل مانع ، وسلبا له من تبعه كل منازع ؛ فهو لا يصيب  
إلا غطيها ، ولا يئس إلا ناسيا ؛ ولا ينفق إلا كاريها ، ولا ينصف إلا صاعرا .

وفى مثله : وصل كتابك فرأيناك قد حليت به زخارف أوصافك ، وأخليت من  
حقائق إنصافك ؛ وأكثرت فيه الدعاوى على خصمك ، من غير برهان أثبت به  
على دعواك وزعمك .

ومنه : ولو أراد غير ذلك من الأخلاق السنية، الشريفة الهنية؛ لاستوحش في سبلها، ووقع في مضرة منها، ولن يجد من سلفه ولا نفسه دليلاً عليها، ولا هادياً إليها.

ومنه : لأبي العيناء :

أما بعد، فلا أعلم للمعروف طريقاً أحذر ولا أوعر من طريقه إليك، ولا مستودعاً أقل زكاءً ولا أبعد ثمرة خير من مكانه عندك : لأنه يحصل منك في حسب ديني، ولسان بدني، ونسب قضي، وجهلي قد ملك طباعك، فالمعروف لديك ضائع، والشكر عندك مهجور؛ وإنما غابتك في المعروف [أن] تُحرزه، وفي وليه أن تكفر به.

ومنه : لمحمد بن الليث :

بكم عان الظلم، وظهرت البدع، وأندفن الحق، وعز الفاجر، وظهر الكافر، وفشت الآثام، وقضت الأحكام، وأخذ عباد الله حولا، وأمواله دولا، ودينه دخلا.

ومنه : لأبي علي البصير :

عدوك مُنعزل عنك، وصديقك على وجل منك؛ إن شاهدته عاقك، وإن غبت عنه حاقك؛ تسأله فوق الطاقه، وترهقه عند الفاقه؛ وإن أعذرك إليك لم تعذره، وإن استنصرك لم تنصره؛ وإن أنعم عليك لم تشكره؛ ولا يزيدك السن إلا تقصا، ولا يفيدك الفنى إلا حرصا؛ تسمو إلى الكبير، بقدر الصغير؛ وتسف لتطفيف للتخفيف؛ تعترض الناس بالسؤال، غير محتمس من الإملال، ولا كاره لأن ينظر إليك بعين الاستقلال؛ حتى لقد أخرجت الأضغان، وقبحت الإحسان؛ وزهدت

في أصطناع المعروف، وإغاثة الملهوف، والناس منك بين أسرار تُفشى، وبوائق تُنشى؛ وشنايع وإردة، وتوادد بارده؛ وذلك تخلق، وشرك تخلق .

ومنه : لسعيد بن حميد :

رجل يعتف بالنعم عتف من قد ساءته مجاورتها، ويستخف بحقها استخفاف من لا يخف عليه تحملها؛ ويقصر في شكرها تقصير من لا يعلم أن الشكر يرتبطها؛ ومن كانت هذه حاله في اختياره لنفسه، فكيف أرجو حسن اختياره لي؟ ومن كان في مدة من ابتلاء الله بعيدة ما بين الطرفين لا أدري أينفد في الأجل إلى أقصاها؛ أم يقصر في أذناها؛ فكيف يتسع الصدر للصبر عليه، إن الله لا يخاف القوت فهو يمهله، وإنه إن مات لم يخرج من سلطان الله جل وعز إلى سلطان غيره فيعاجله؛ وأنا على خوف من إجمال المدي عن بلوغ [منأى فأذهب] حرجاً صدرى، وعلى ثقة من الشغل في الآخرة بنفسى عن التشتى من أهل عداوتى وترقى؛ وأحمد الله على المحنة، وأسأله تعجيل روح النعمة، وتوسعة العافية .

## النوع السادس عشر

(في الأخبار)

قال في "مواد البيان": كُتِبَ الأخبار وإن كانت من الكتب الكثيرة الدوران في الاستعمال فليست مما يمكن تمثيله، ولا حصر المعاني الوامقة فيه برسوم تستعمل عليها، نعم ولا أن تقدم له مقدمة تكون توطئة لما بعدها، كما يجري الأمر في سائر فنون المكتبات الأخر التي لا تخلو من مقدمات تحل منها محل الأساس من البيان،

(١) هذه الزيادة يقتضيا المقام .

(٢) مراده الراجعة فيه ولعله مصحف عنه تأمل .

والرأس من الجثمان ؛ لكن المقدمات التي توضع في الكتب من شرطها أن تكون مشتقة من نفس معنى الكتاب ، ومنه الخبر لا يمكنه أن يستنبط من كل خبر ينهيه مقدمة تكون بساطا له ؛ وإنما يقول : كتبت من موضع كذا يوم كذا ، والذي أنبه كذا ؛ بل الذي يلزمه أن يتخذاه بطاقتيه ، ويتحرره بجهده ، أن يبين ما يطالع به من الأخبار ؛ ويكشفه ويوضحه ويُفصح عنه ، ولا يقف منه إلا عند الشفاء والإقناع لتتقرر صورته في نفس من ينهيه إليه ؛ اللهم إلا أن يكون الخبر مما يوجب الأدب العدول عن لفظه الخاص به ، والإخبار عنه بالفاظ تؤدي معناه ، ولا يهجم على الخبر بما يسوء سماعه ، كأن يكون خبرا يرفعه إلى سلطان عن عبيد له قد أطلق فيه ما يضر منه ويُسقط مهابته ، أو نحو من ذلك مما يتقّل على السلطان المنفص منه ، فإنه ينبغي أن يعدل في هذا وأمثاله عن التصريح إلى التعريض ، ومن التصحيح إلى التأمريض ، وعن المكاشفة إلى التورية ، وأن يأتي بالفاظ تدلّ على معاني ما يؤرم إبداءه ، ويحصر [ على ] صورة مثله السلطان وتوقيفه عن قرع سمعه بما يكرهه ولا تجوز مقابلته به ؛ وأن يقصد إلى استعمال الإيجاز والإطناب في المواضع التي تحتمل كلا منهما ، فهذا ما يمكن أن يتعرف من رسوم هذا الباب .

قال : ومن نفذ فهمه وخاطرته في الصناعة وتدرّب فيها ، يكتفي بهذه اللّمة ولا يحتاج إلى زيادة عليها .

### في الإخبار بوقوع مطر وسيل

من ترسل أبي الحسين بن سعد :

فالماء منه يفيض على العمران ، بعد أن ضاقت به المعايص والنذران ؛ فأني على كثير من التلال والروابي ، فضلا عن الرساتيق والقرى ؛ وصار الوادي على اتساع

عَرَضَهُ ، وَامْتَدَادِ طُولِهِ ، وَسَعَةِ مَصَبِّهِ ، وَتُسْحَةِ مَيْفِضِهِ ، لَا يَبْقَى بِهِضَمُهُ ، وَلَا يَقُومُ بِجَمَلِهِ ؛ فَفَاضَ مِنْهُ مَا عَطَّلَ الثُّمُرَانُ وَتَسَفَّ الدُّورُ وَمَحَى الزُّرُوعُ ، فَعَظُمَ بِهِ الْبَلَاءُ ، وَكَثُرَ لَهُ الْجَلَاءُ ، وَشَمِلَ التَّسَادُ ، وَعَظُمَ الْخَرَابُ .

### صدر كتاب بإخبار عن الخليفة :

كَتَبْتُ ، وَمَوْلَانَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَطُّدٍ مِنْ خِلَافَتِهِ ، وَتَمَهُّدٍ مِنْ دَوْلَتِهِ ، وَعُلُوٍّ مِنْ رَأْيِهِ ، وَفَازٍ مِنْ كَلِمَتِهِ ؛ وَعِزٍّ مِنْ سُلْطَانِهِ ، وَارْتِفَاجٍ مِنْ شَانِهِ ؛ وَنِعَمٍ سَابِقَةٍ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ طَاعَتِهِ ؛ قَالِصَةٍ عَنْ أَعْدَائِهِ وَأَهْلِ مَخَالِفَتِهِ ، وَاسْتِقَامَةٍ مِنْ أَطْرَافِهِ وَثُقُورِهِ ، وَاسْتِثْبَابٍ مِنْ أَحْوَالِهِ وَأُمُورِهِ ؛ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ حَمْدًا لَا يَقِفُ دُونُ رِضَاهُ ، وَلَا يُحِيطُ بِمِقْدَارِهِ سِوَاهُ .

### صدر بإخبار عن الوزير :

كَتَبْتُ ، وَحَضْرَةَ الْوِزَارَةِ السَّامِيَةِ فِي نِعَمٍ مُخَصَّصَةٍ الْأَكْثَافَ ، بَعِيدَةِ الْأَطْرَافِ ، سَادِرَةِ الْوَيْلِ ، سَاحِبَةِ الدَّلِيلِ ؛ وَمَا أَنْظَرُ فِيهِ مِنْ أَمْرِ دَوْلَتِهِ مَنِظَّمٍ ، وَأَرَاغِيهِ مِنْ أَحْوَالِ رِعْيَتِهِ مُلْتَمِّمٍ ؛ وَقَدْ وَطَّأَ اللَّهُ لَهُ أَوْعَارَ السِّيَاسَةِ وَالتَّنْذِيرِ ، وَوَقَفَهُ عَلَى جَوَادِّ الْمَصْلَحَةِ فِي التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ ؛ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا يَسْتَقِلُّ بِحَقِّهِ فَيَقْضِيهِ ، وَبِوَاجِبِهِ فَيُؤَدِّيهِ ، وَيَنْتَهِي إِلَيْهِ عِزُّ سُلْطَانِهِ فَيَرْضِيهِ .

### صدر بإخبار عن أمير :

كَتَبْتُ ، وَالْأَمِيرَ فِي عُلُوٍّ مِنْ سُلْطَانِهِ ، وَارْتِفَاجٍ مِنْ شَانِهِ ، وَظَفَرٍ يُوَاكِبُ أَلْوِيَّتَهُ ، وَنَفِيرٍ يُصَاحِبُ دَوْلَتَهُ ؛ وَوَافٍ عَلَى مَنْ ظَلَّهُ ، وَشَمِلَى مَنْ فَضَلَهُ ، مَا سَبَغَ لِبَاسُهُ ، وَطَابَتْ أَغْرَاسُهُ ؛ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ اعْتِرَافًا بِنِعْمَتِهِ ، حَمْدًا يُوجِبُ شُكْرَ مَنْ مَنَّهُ ؛ وَبِاسْتِنْدَاعِي الشُّكْرَ طِبْهَا ؛ وَيَقْضِي بِمَزِيدٍ مِنْهَا .

صدر بالخبر عن عافية المكتوب عنه :

كتبْتُ، وأنا صاحبُ الحال ، وقد مَنَّ اللهُ تعالى بالعافية والإنعاش ، والإقالة  
والإش<sup>(١)</sup> ، وأعاد إلى الصَّحَّة بعد نبوْها ونَعَابِها ، والسَّلامَة بعد تَجْعِها وإغْرَابِها ؛  
وأسبَلَ النِّعْمَة بعد الإنذار ، والتَّعْذِير من الإغْتِرَار ؛ مُحْصَا بِمَا أَلَمَّ مِنَ الآلَام  
عَصَبَ الْإِيَّام ؛ والحمدُ لله أُولَى مَا تُثَلِّت به النَّفْس ، وطُرِّزَ به المَفْتَح والمَخْتَم ؛ حمداً  
يُؤْمِن من التَّغْيِير والتَّبْدِيل ، ويُعِيد من الِاتِّقَال والتَّحْوِيل .

أَبْن ابْنِي الْخِصَال ، فِي الْإِخْبَار عَنْ زَلْزَلَةِ عَظِيمَةٍ وَقَعَتْ بِمَدِينَةِ قُرْطُبَةَ مِنَ الْأَنْدَلُس .  
الشَّيْخُ الْأَجَلُّ ، الْوَلِيُّ الْأَكْرَمُ الْأَفْضَل ؛ أَبُو فُلَان ، الَّذِي أَطْرَفَهُ اللهُ تَعَالَى  
بِعَجَائِبِ الْإِخْبَار ، وَأَذْهَبَ بِهِ فِي مَسَلِّكَ الْإِتِّعَاضِ وَمَنْهَجِ الْإِدْكَار ؛ أَبْقَاهُ اللهُ أَخِيذاً  
فِي سَنَنِ الْإِزْدِجَاعِ وَمَنْهَجِ الْإِزْدِجَار . الْخُلُصُّ لَهُ الْمُخَصَّصُ النَّاصِحُ مِنَ الْوَلَاءِ ، وَمَعْرِفَةُ  
غَرِيبِ الْأَمَارِ وَتَجْيِيبِ الْأَنْبَاءِ ؛ فُلَان .

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ .

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللهِ الَّذِي جَعَلَ عِيَرَهُ أَنْوَاعَ مَتَلَوْنَةٍ وَصُنُوفَا ، وَأَرْسَلَ الْآيَاتِ  
( وَمَا تُرْسَلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ) . وَالصَّلَاةِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى صَلَاةً طَيِّبَةً  
تَعْبِقُ تَارِيحًا وَتَضَوْعُ تَعْرِيفًا ؛ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الطَّاهِرِينَ الَّذِينَ حَضَرُوا حُرُوبًا  
وَسَهَّلُوا زُرُوفًا ؛ وَالدَّعَاءِ لِسَيِّدِنَا الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي نَصْرِ عَزِيزِ يُؤْتَسِ مَدْعُورًا  
وَيُؤْمِنُ مَحْوُفًا ، فَإِنِّي كَتَبْتُهُ - كَتَبَ اللهُ لَكُمْ دَعَاةً سَافِلَةً وَأَمَانًا ، وَتَصَدِيقًا بِآيَاتِ اللهِ  
الْبَيِّنَةِ وَبُرْهَانًا - مِنْ مَوْضِعِ كَذَا ، عِنْدَ مَا طَرَأَ عَلَيْنَا مَا كَلَّ الْعُيُونُ بَقْدَاحًا ، وَمَنْعَهَا لَدَيْدَ  
كَرَاهَا ، وَأَخْفَقَ الضُّلُوعُ الْحَايِسَةَ وَأَفْلَقَ مَصَارِيْنُ حَسَاها : وَهُوَ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ

(١) يبيِّن في الأصول لهذا الحرف .

ذَكَرَ عِبَادَهُ إِنَّ نَفْعَ الذِّكْرِ، وَبِهِمْ إِنَّ تَنْبَهُوا وَلَمْ يَأْمَنُوا مِنْهُ كَيْدًا مُبِيرًا وَلَا مَكْرًا؛  
وَذَلِكَ بَزْزَالُ قَضَى بِهِ عَلَى قُرْبَةِ وَبَعْضِ أَعْمَالِهَا، وَمَلَأَ قُورَسَ مَا كَيْبِهَا مِنْ رَوَعَاتِهَا  
وَأَوْجَالِهَا؛ وَحَالَتْ لَذَلِكَ فِي الْخَوْفِ وَالْإِرْتِفَاعِ أَقْبَحَ حَالِهَا؛ حَتَّى نَحْوًا إِلَى الْإِسْتِكَانَةِ  
وَالضَّرَاعَةِ، وَأَطَاعَ اللَّهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلَ ذَلِكَ طَاعَةٌ؛ وَخَشُوا بَلْ كَانُوا يُوقِنُونَ  
أَنَّهَا زَلْزَلَةُ السَّاعَةِ. وَكَانَ مِنْ عَظِيمِ آثَارِهَا، وَكَرِهَ إِرَادِهَا وَإِصْدَارِهَا، أَنْهَادُ الْقُبَّةِ  
الْعَظْمَى فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ صَانَهُ اللَّهُ، وَكَانَتْ قُبَّةً أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى بِنَاؤُهَا، وَذَهَبَ  
فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ذِكْرُهَا الْعَاطِرُ وَتَسَاوُهَا؛ وَتَهَدَّمَتْ بِسَبَبِ ذَلِكَ الْمَسْدَمُ دِيَارُ  
كَثِيرَةٍ، وَحَدَّثَ بِهِ حَوَادِثُ مُبِيرَةٍ. وَأَمَّا تَلَوَكُهُ مِنْ أَعْمَالِهَا، وَكَانَ فِيهَا مَبْنَى مِنْ مَبَانِي  
الرُّومِ، فَإِنَّهُ غَادَرَهَا قَاعًا صَفْصَفًا، وَقَرَأَ نَفْتًا؛ وَأَضْطَرَّ ذَلِكَ الْخَطْبُ الْقَادِحُ، وَالرَّيْحُ  
الْقَادِحُ؛ إِلَى أَنْ نَجَرَ السَّيِّدُ أَبُو إِسْحَاقَ وَكَانَتْ أَهْلُ قُرْبَةٍ مِنْ دِيَارِهِمْ، وَقَرُّوا مِنْ  
الْمَوْتِ بِأَقْوَاتِهِمْ وَأَصْحَابِهِمْ؛ ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَدَارَكَ بِالرَّيْحَى، وَكَشَفَ تِلْكَ  
الْغَمَى، جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ صَقْلًا لِقُلُوبِنَا، وَتَوْبَةً عَمَّا سَبَقَ مِنْ دُثُوبِنَا، وَعَصَمْنَا  
مِنْ جُرْمِنَا الْمُوْبِقِ وَحُوبِنَا، وَأَوْلَانَا وَإِيَّاكُمْ أَمْنًا مِنَ الْغَيْرِ، وَأَزْدَجَارًا بِمَا ظَهَرَ مِنَ  
الْعَبْرِ؛ وَجَعَلَ كَلَامًا جَمِيلًا لِحَوَادِثِ طَلَبِ الْخَيْرِ، بِمَنْهَ؛ وَالسَّلَامُ الطَّيِّبُ الْمُبَارَكُ  
وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

من كلام المتأخرين في الإخبار بقدم نائب إلى نيابة.

من ذلك نسخة كتاب عن نائب الشام إلى كافل الممالك الإسلامية مُخَرَّرًا لَهُ بِوُصُولِهِ  
إِلَى دِمَشْقَ، مِنْ إِنْشَاءِ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ نُبَاتَةَ. وَهُوَ بَعْدَ الْأَقَابِ :

(١) لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْخَفْضِ .

(٢) جَرَى الْكَاتِبُ فِي كَلَامٍ عَلَى لَفْظٍ مِنْ يَمْرِيهَا أَصْرَابُ الْمَقْصُورِ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ :

نَمِ الْفَتَى عَمِدَتْ إِلَيْهِ طَلَبِي \* فِي حِينٍ جَدَّ بِنَا الْمَسِيرَ كَلَامًا      شرح الأشعري

لا زالت آفاق الممالك مضيئةً بأنوار شمسهِ ، هتيةً بأنس سعادتهِ وسعادةِ أنسهِ ؛ سيرةً المقاصد التي قام في كفالاتها بنقاسة نفسه ؛ ولا يرح يستشعر من خير الدنيا والآخرة ما قدم صنعه الجليل من غرسه . تقيلاً يُشافه به القلم القرطاس ، ويود المملوك لو شافه به الخدم ساعياً سعى القلم على الرأس . ويُنهي قيامه بوظائف دُعاء ينير الحلك ، وولاء يدور بكواكب الإخلاص لإدارة الفلك ؛ وخذ تذهب به صفحات الضعف حيث ذهب وتسلك عُقود الأفلاك حيث سلك ، وأنه خدم بهذه العبودية عند ورودهِ إلى دمشق المحروسة لنيابة كانت عناية مولانا سفيرةً أمرها ، وميزةً ربها ، يوم كذا ؛ وسعادة مولانا السلطان - خلد الله ملكه - تُعلمه وتعلمه ، والنيب بركات الدولة القاهرة يساره ويقدمه ؛ وتقر المطري سابق نقر المملوك إلى مشافهة الثرى ويلئمهُ ؛ والرعية منه آمنة في سربها ، وادعةً بظلال الأبواب الشريفة مع بُسدها دعة الصوامير في قُربها ، وباكر المملوك يوم الاثنين الذي بورك فيه : في التجميسين من يوم وجيش ، وانتصب لمهمات على مثلها في الخدمة يطيب أن يرفع لئن العيش ؛ مجتهداً فيما هو بصده ، مستمداً من ربه عز وجل وسعادة سلطانه برشده ، معتدلاً نعم مولانا فيما يأتي [في] ذلك من أوفى وأوفر عُدده ومده ، والله تعالى يعين المملوك على شكر من مولانا الباطنية والظاهره ، والغائبه والحاضره ، والمقيمة والمسافره ، ويصل نفع المملوك بولائه في الدنيا والآخرة ؛ ويقيم الرعايا بالأمن في كفالاته التي ما برحت بيئون الأعداء فإذا هم بالساهره .

### الأجوبة عن كتب الأخبار

قال في "مواد اليان" : الأخبار على أكثر الأحوال لأجوبة لها ، وإنما هي مطالعاتٌ بأمور يُنبها الخدام ، وأصحابُ البرد إلى السلاطين ، مما تخرج أوامرهم



إلى الولاية بما تضمنته : مما يقتضيه كل خبر ينهى من سياسة عامة ، أو مصلحة تامة . قال : فاما ما يستعمله الإخوان في المكتبة بالأخبار التي يكلل بعضهم إلى بعض الإخبار بها ، فمنها ما يقتضى الجواب ، ومنها ما لا يقتضيه . قال : وأجوبة ما يقتضى الجواب منها تُفَتَّن بحسب آفتان الأخبار والأغراض التي يجيب المحيَّب بها ، وهو أيضا مما لا يعبر عنه بقوى جامع ولا برسم رسم كلى ، وإنما يرجع فيه إلى الأمور التي يتبدأ بها ويُحاب عنها .

## النوع السابع عشر

### (المُدَاعِبَةُ)

قال في "مواد البيان" : وَمَعَانِي الْمُدَاعِبَاتِ الَّتِي يَسْتَعْمِلُهَا الْإِخْوَانُ غَيْرُ مُتَنَاهِيَةٍ ، وَالْأَغْرَاضُ الَّتِي يَنْظُمُهَا الْمِرَاحُ وَتُعَدُّ مِنْ طَلَاقَةِ النَّفْسِ لَا تَقِفُ عِنْدَ قَاصِيهِ : لِأَنَّهَا مُسْتَمْلَأَةٌ مِنْ أَحْوَالٍ مُتَبَايِنَةٍ ، وَمَأْخُوذَةٌ مِنْ أُمُورٍ غَيْرِ مَعِيْنَةٍ ، وَحَضْرُهَا فِي رُسُومٍ جَامِعَةٍ يَسْتَحِيلُ ، وَتُمَثِّلُهَا غَيْرُ مُفِيدٍ : لِأَنَّهُ لَا تَعَلُّقَ لِبَعْضِهَا بِبَعْضٍ ، وَلَا نِسْبَةَ بَيْنَ الْوَاحِدِ وَالْآخَرِ ، ثُمَّ قَالَ : وَالْأَحْسَنُ بِأَهْلِ الْوِدَادِ وَالصَّفَاءِ ، وَالْأَلْيَقُ بِنَوَى الْمُخَالَصَةِ وَالْوَفَاءِ ، أَنْ يَتَرَهَّوْا فِي الْمُدَاعِبَةِ الدَّائِرَةِ بَيْنَهُمْ عَنِ بَدْيِ اللَّفْظِ وَمُفَحِّشِهِ ، وَمَوْلِمِ الْخِطَابِ وَمُقَدِّمِهِ ، وَيَكُفُّوا اللِّسَانَ وَالْيَدَ عَنِ الْإِنْفِلَاقِ بِمَا يَدُلُّ عَلَى خَفَةِ الْأَحْلَامِ ، وَالرِّضَا بِالرَّذْلِ مِنَ الْكَلَامِ اللَّائِقِ بِسُفْهَاءِ الْعَوَامِ ، وَيَخْرُجُوا مِنْ إِرْسَالِ قَوْلٍ يَبْقَى وَصْمَةً عَلَى [مَدَى الْأَيَّامِ] إِذْ لَا فَرْقَ بَيْنَ جَرَحِ اللِّسَانِ وَجَرَحِ الْيَدِ ، وَقَدْ نَفَقَ بِهَذَا الْمَثَلِ : لَمَّا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّرَفُّعِ عَنْ دَنَائَا الْأُمُورِ الَّتِي لَا يَتَنَازَلُ إِلَيْهَا الْكُرَمَاءُ ، وَالتَّرْتُّبِ عَنْ الْمَسَاقِطِ الَّتِي لَا يَسْتَعْمِلُهَا الْأَدَبَاءُ ، وَصِيَانَةِ الْمُرُوءَةِ عَمَّا يَسِينُهَا وَيَخْدُسُهَا ، وَتَوْقِيرِهَا

عما يتقصها ، والأمن من الجواب الذي رُبما قدح في النفس وأثر ، وأحمى الصدر وأوغر ، وقيل عن التوارد إلى التضاد ، وعن التداين إلى التباعد ، وقد أشار إلى ذلك أمير المؤمنين على كرم الله وجهه بقوله من آياته المنسوبة إليه :

قَرُبَ كَلَامُ مُحِبِّ الْحَشَا \* وَفِيهِ مِنَ الضَّحْكِ مَا يُسْتَطَابُ

مع مراعاة السلامة من المداخلات المنطوية على القيل ، والمرآة المبنية على المكرب ، إذا لم يكن القابل على الابتداء المحض بالجواب المريض ، وغير ذلك مما لا تؤمن عاقبته ، ولا تحسن عائدته . قال : ويكون المستعمل في هذا الفن ما خفف موقعه ، ولطف موضعه ، وهش له سامعه ، وتلقاه الوارد عليه مستجيبا لثماره ، مستجيبا لأنظاره ، ولا يُبدل به عن سمت الصدق ، وطريق الحق ، ومذهب التحرز من المذيق ، ويُقتصر فيه على النادرة المستطرفة ، والنكتة المستظرفة ، والألمة المستحسنة ، والفكرة المستغربة ، دون الإطالة الميلة ، ولا يجعل المنزع غالبا على الكلام ، مداخلات جميع الأقسام : فإن ذلك يفسد معاني المكاتبه ، ويحيل نظام مخاطبه ، ويضع من معناها وإن كان شريفا ، ويوخم لفظها وإن كان لطيفا ، ويذهب بجودها في مذهب الهزل ويحيله عن التقصد ، وإلى ذلك يسير بعضهم بقوله :

أَفَدَّ طَبَعَكَ الْمَكْدُودَ بِالْجَدِّ رَاحَةً \* بَلَّهْ وَعَلَّهِ إِنِّي مِنْ الْمَنْزَحِ !

ولكن إذا أعطيت المنزع فليكن \* بمقدار ما يعطى الطعام من الملح !

وأن يقصد مع ذلك . ثم قال : وينبغي أن يقصد إلى استعمال الدعاية في المواضع اللاتمة بها ، والأحوال المشابهة لها ، ولا يودع بابا من الأبواب ، مالا يحتمله من الخطاب : فإن القصد في هذا النوع من المكاتبات إنما هو الإغراب عن الظرف والبراعة ، والإبانة عن طلاقة النفس ، والإسلاخ من تعيس الفسامة

والجَهَامَة ؛ ثم عَقَبَ ذلك بأن قال : وَمَنْ وَقَفَ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَ الْحَذِّ الْكَافِي ، وَلَزِمَ فِيهِ الْأَدَبَ الْإِلَاقَ بِأَهْلِ التَّصَافِي ، دَلَّ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، وَشَهِدَ لِمُسْتَعْمَلِهِ بِإِحْرَازٍ مَا وَصَفْنَاهُ ؛ وَمَنْ تَعَدَّى ذَلِكَ عُدَّ مِنَ الْمُجُونِ وَالْمُلَاعِبَةِ ، وَحُسِبَ مِنْ رَذَالَةِ الطَّبَعِ وَنَذَالَةِ الْخَلِيمِ وَسَفَهَةِ اللِّسَانِ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَا تَلِيْقُ بِالْكَاتِبِينَ الْكَرَامِ ، الَّذِينَ هُمْ خِيَارُ الْأَنَامِ ، وَوَلَاةُ النِّقِصِ وَالْإِبْرَامِ . وَخَتَمَ ذَلِكَ بِأَن قَالَ : وَالْكَاتِبُ إِذَا كَانَ مَهِيًّا لِلطَّبَعِ لِلْإِنِّطْبَاعِ بِرُسُومِ الصَّنَاعَةِ وَمُنَاسِبَةِ أَوْضَاعِهَا ، أَغْنَاهُ الْوُقُوفُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ الْمُجْمَلِ فِي آسْتِمَالِ مَا يَقَعُ فِي هَذَا الْبَابِ عَنْ تَمْثِيلِ مَفْصَلٍ . وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ مِثَالًا .

ابن أبي الخصال :

سَيِّدِي وَوَاوَحِدِي الَّذِي أَجْمَلَ ذِكْرَهُ ، وَأَوَالِي شُكْرِهِ ؛ لَا زَالَ مَفْنَاكَ رَحِيْبًا ، وَزَمَانُكَ خَصِيْبًا ؛ وَلَا زِلْتَ تَأْخُذُ لِأَثْرَاكَ نَصِيْبًا ؛ عَبْدُكَ فَلَانٌ مُؤَدِّيَهَا يَتَجَمَّعُ الْكِرَامُ ، وَيُبَارِي فِي جَرِيهَا الْأَيَّامُ : فَتَارَةً يَجْمَعُ ، وَأُخْرَى يَفَرِّقُ ؛ وَطَوْرًا يُغَرِّبُ ، وَطَوْرًا يُشْرِقُ ؛ وَأُمُّ الْخَضِرَةِ - وَصَلَّ اللَّهُ حِرَاسَتَهَا ، وَأَدَامَ بَهْجَتَهَا وَتَقَاسَمَتَهَا - وَالْمَلِكُ بِهَا غَضُّ الشَّبَابِ ، أَخْضَرُ الْجُلُوبِ ؛ وَإِحْسَانُكَ إِحْسَانُكَ ، وَمَكَانُكَ مِنَ الْمُرُوءَةِ مَكَانُكَ ؛ فَأَوْسَعُهُ قِرَى ، وَأَمْلَأَ عَيْنِيهِ عَلَى الشَّجَعِ كَرَى ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، بَلْ أَعْجَبُهُ تَبِنَا وَعَلَقَا ، وَأَرْجُوهُ حَزَنًا مِنَ الْأَرْضِ ظَلَقَا ؛ وَدُونَكَ لَمْ يَقْلَبْ أَرْضَهُ بَيْطَارٌ ، وَلَا لِحْنَانِيَّةٌ بِهِ جَبَّارٌ ، وَجُرْحُهُ جَبَّارٌ ؛ وَعِنْدَهُ كَمَا عَلِمْتَ دَعَاءُ مُبَاحٍ ، وَتَشَاءُ فِي الشُّكْرِ مَسَاءٌ وَصَبَاحٌ ، وَالسَّلَامُ .

(١) الظلف بالحر يك ما غلظ من الأرض فلم يرد [ أى لم يظهر ] أنرا . انظر اللسان ج ١١

من كلام المتأخرين :

كتب بعضهم إلى كمال الدين بن الأثير ، وقد جاء إليه في بستانه فلم يجد  
ولا وجد من أنصفه .

حضر المملوك البستان ، مستدياً قطوف الإنعام والإحسان ؛ واستمطر سحاب  
فضله ، وهز إليه بجدع تحله ؛ فلم تساقط عليه رطباً جنيًا ، فعلم أنه قد جاء شيئاً  
فرياً ؛ فثبت نفسه مع تصاعد الأفاس ، والطمع ينشده :

\* مافي وقوفك ساعة من بآس \*

فانطلق حتى أتى القرية مستطياً أهلها فأبوا أن يضيفوه ، مستعطفا حاشيته الرقيقة  
فأبوا<sup>(١)</sup> حاشيته أن يستعطفوه ؛ وقال كل منهم : تطالب بالقرى كما تطالب بدنياك !  
أرجع حيث شئت هذا فراقى بني وبينك ! وعلم أنه لو أقام بها جداراً لم أعطى  
عليه أجراً ؛ ولو حاول قرى لسمع من التوبيخ ما لم يستطع عليه صبراً ؛ فرجع بخفى  
حين ؛ بعد مشاق جرعت كاسات الحين ؛ فإين هذه المعاملة مما تشيعه عنه من  
كريم الخلال ، وكيف تشكو نقص حظ وله كمال الإحسان وإحسان الكمال .

### الأجوبة عن رِقَاع المداعبة

قال في "مواد البيان" : ينبغي للجب عن المداعبة أن يشتق من نفس الابتداء  
جواباً مناسباً لها ، وأن يتبين متى أحب الأخذ بالفضل على المساعدة ، وأطراح  
المنافسة ، والإغضاء عما يُمض إبقاء على المودة ، وتحسيناً لقبح الصديق ، وتعوداً  
لعادة الحلم والاحتمال ؛ وأن يحب في الجواب مذهب الاختصار ؛ وإيراد الثكت  
الرائعة كما في الابتداء ، على ما تقدم .

(١) كذا في النسخ وهو على لغة يعاقبون فيكم ملائكة .

## الفصل الثامن<sup>(١)</sup>

( في إخفاء ما في المكتوب من السر )

وهو مما تمس الحاجة إليه عند اعتراض معترض من عدو ونحوه يحول بين المكتوب عنه والمكتوب إليه : من يكتبن أو غيرهما حيث لم تُقد الملقطات لضرر الرصد وزيادة الفحص عن الكتب الواردة من الجانبين، وهو على نوعين :

### النوع الأول

( ما يتعلق بالكتابة، وهو على ضربين )

#### الضرب الأول

( ما يتعلق بالمكتوب به )

وذلك بأن يكتب بشيء لا يظهر في الحال، فإذا وصل إلى المكتوب إليه فعل فيه فعلا يكون مقررا بين المتكاتبين من إلقاء شيء على الكتابة، أو مسح بشيء، أو عرّضه على النار ونحو ذلك .  
وقد ذكروا لذلك طرقا :

منها - أن يكتب في الورق بلبّين حليّين قد خلط به نوسادر فإنه لا ترى فيه صورة الكتابة، فإذا قرّب من النار ظهرت الكتابة .  
ومنها - أن يكتب في الورق أيضا بماء البصل المعتصر منه فلا ترى الكتابة فإذا قرّب من النار أيضا ظهرت الكتابة .

(١) أي من الباب الثاني من المقالة الرابعة وهو آخر فصولها فهي ثمانية لاسته وتقدم في ج ٦ ص ٢٦٥

أنها ستة موافقة للأصول فتنه .

ومنها — انه يَكْتُبُ فيما أراد من وَرَقٍ او غيره بماءٍ قد خُلِطَ فيه زاجٌ، فلا تَظْهَرُ الكتابةُ، فإذا مُسِحَ بماءٍ قد خُلِطَ فيه العَقَصُ المدقوقُ، ظهرتِ الكتابةُ .

ومنها — أن يَكْتُبَ في الورق غيرَ المُنْشَى بالسَّيِّءِ المحلولِ بماءِ المطرِ؛ ثم يُلْقِيهِ في الماءِ أو يَمْسَحُهُ به، فإنه إذا جَفَّ ظهرت فيه الكتابةُ .

ومنها — أن يَكْتُبَ بمرارةِ السَّلْحَفَةِ فإنَّ الكتابةَ يهائُرُ في الليل ولا تُرى في النهار .

ومنها — أن تأخُذَ الليمونَ الأسودَ وعُروَقَ الحَنَظَلِ المَقْلُوءَةَ بزيتِ الزيتونِ جزأينِ مُساوِيَيْنِ وتَسْحَقَهُما ناعِماً، ثم تُضَيِّفُ إليهما دُهْنَ صَفَارِ البَيْضِ وتَكْتُبُ به على جسد من شئتَ، فإنه يَنْتَبِثُ الشَّعْرُ مكانَ الكتابةِ، وهو من الأسرارِ العَجِيبَةِ؛ فإذا أُريدَ إرسالُ شخصٍ بكَلْبٍ إلى مكانٍ بعيدٍ، فُعلَ به ذلك، فإنه إذا بَنَتِ الشَّعْرُ قُرِئَتِ الكتابةُ .

## الضرب الثاني

( ما يتعلق بالخط المكتوب )

بأن تكون الكتابةُ بَقَلٍ أَصْطَلَحَ عليه المُرْسِلُ والمُرْسَلُ إليه لا يعرفُهُ غيرُهما من لَعَلِّه يَقِفُ عليه، ويسمى التعمية، وأهلُ زماننا يعبرون عنه بحلِّ المترجم، وفيه نظر: فإنَّ الترجمةَ عبارةٌ عن كشفِ المعنى، ومنه سُمِّيَ المعبرُ لغيره عن لغةٍ لا يعرفُها بلُغَةٍ يَعْرِفُهَا بالترجمان؛ وإليه يَحُلُّ لفظُ الحَلِّ أيضاً؛ إذ المرادُ من الحَلِّ إزالةُ العقْدِ فيصيرُ المرادُ بحلِّ المترجمِ ترجمةَ المترجمِ أو حَلَّ الحَلِّ، ولو عبَّرَ عنه بكشفِ المعنى لكان أَوْفَقَ للفرض المطلوب .

ثم معنى ذلك على قاعدتين :

القاعدة الأولى — كيفية التعمية .

اعلم أن التعمية بالنسبة إلى كل واحد من الناس باعتبار ما يجهله من الخطوط ، فيعنى على العربى في اللغة العربية بالخطوط غير العربية ، كالرومية والبرانية ونحوهما ، إذا كانت حروف تلك اللغة توافق لغة العرب ، أو يقبل مصطلح عليه على وفق حروف العربية ؛ وكذلك يعنى على غير العربى من الروم ونحوه من يجهل الخط العربى بالقلم العربى ، وعلى ذلك .

ثم للناس في التعمية مذهبان :

المذهب الأول — أن يكتب بالأقلام القديمة التي ليست بتداولية بين الناس مما لا يعرفه إلا الآحاد ، إذا وافق ذلك القلم اللغة التي تريد الكتابة [بها] .

وقد ذكر ابن الدريهم أن أقل اللغات المخل وهو سبعة عشر حرفاً ، وأطولها الأرمني ، وهو ستة وثلاثون<sup>(١)</sup> حرفاً . ثم قال : والترك عشرون حرفاً ، وكذلك الفارسي إلا أن في الفارسي ثلاثة أحرف ليست في التركي ، وهي الهاء والفاء والدال . وفي التركي ثلاثة ليست في الفارسي : وهي الصاد والطاء المهملتان والفاء ، والعبراني والشرياني اثنا عشر حرفاً [من أول أبيجد إلى آخر قرشت . واليوناني والرومي القديم أربعة وعشرون حرفاً] ولم يلم قلم آخر ثلاثون حرفاً ، والقيبطي اثنا عشر حرفاً ، وذكر أن جميع الأقلام مقطعة الحروف على اصطلاح أبيجد ، خلا العربى والمغلي

(١) في هذا المحرر مخالفة لما تقدم في ج ٣ ص ١٩ من هذا المؤلف فراجعه وحرر .

(٢) قد تقدم أنه من أربعة وعشرين إلى ستة وعشرين حرفاً منه .

(٣) زائد في بعض النسخ .

والسرياني فإنَّ حروفها تُوصَل وتُقطَع، وقطع السرياني كالعربي، وأقلام المتقدمين  
المقنَّرة : كالرومي والفرنجي وغيرهما معلومةٌ لاجابة إلى التمثيل بشيء منها .

المذهب الثاني - أنَّهُ يَصْطَلَح الإنسان مع نفسه على قلم يتكره وحروف  
يُصَوِّرها ؛ وقد ذكر ابن الدريهم أنَّ الناس اختلفت مقاصدُهم في ذلك :

فمنهم - من يَصْطَلَح على إبدال حرفٍ معينٍ بحرفٍ آخرٍ معينٍ حيث وقع في القلم  
المعروف بالقَمِّي ، وهو أنهم جعلوا مكان كلِّ حرف من حروف العربية حرفاً آخر من  
حروفها ؛ فجعلوا الكاف ميماً وبالعكس ، والألف واواً وبالعكس ، والدال المهملة  
راءً مهملةً وبالعكس ، والسين المهملة عينا مهملةً وبالعكس ؛ والقاء ياءً مشاةً تحتيةً  
وبالعكس ؛ فيكتب محمد « كطكر » وعلى « سهف » ومسعود « كعمار » وعلى ذلك ،  
وقد نظم بعضهم ذلك في بيت واحد ذكر فيه كلَّ حرف تلو ما يُبدلُ به ، وهو :

كَمْ أَوْ حِطَّ صِلَا لَهُ دَرَّ سَحْ \* فِي بَزَّ خَيْشَ غَضَّ مَجَّ تَدَقَّقْ

قال : ومنهم - مَنْ يَمَكِّسُ حُرُوفَ الكلمة فيكتب محمد « دمح » وعلى « يلح » .

ومنهم - مَنْ يُبَدِّلُ الحُرُوفَ الأوَّلَ من الكلمة بثنائيه مُطلقاً في سائر الكلام  
فيكتب محمد أخوعلى « حدم خا عويل » إلى غير ذلك من التميزات .

ومنهم - مَنْ يُبَدِّلُ الحُرُوفَ بأعدادها في الجُمْل ؛ فيكتب محمد أربعون ،  
وثمانية ، وأربعون ، وأربعة ، وتعمل التعميةُ صفةً محاسبيةً .

ومنهم - مَنْ يَكْتُبُ عِوَضَ عدد الحرف حُرُوفاً وهو يبلغ في التعمية ؛ فيكتب  
محمد « لى بو لى اج » لأنَّ اللام بأربعين والياء بأربعين وهى عدد مائتين الأولى ، والباء



ومنهم - من يجعل لكل حرف اسم رجل أو غيره .

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص  
ظ لا ن م ه طه ع حو  
ض طا ظ ع غ ف ق ک ل م ن ه و لای  
م = ۲ ۴ ۵ سجده می لا ک ده ۷ له ۸ خم

القاعدة الثانية — حلّ المعنى، وهو مقصودُ الباب ونتيجته .

ويحتاج المتصدى لذلك مع جودة الحدس ودكاء الفطرة أن يعرف اللغة التي يروم حلّ مترجمها مما وقع به التعمية فيها، ومقدار عدد حروفها؛ ولا خفاء في أن حروف العربية ثمانية وعشرون حرفاً، ويجب أن يعرف الحروف التي تدخل كل لغة والحروف المنتمة الوقوع فيها كما تقدم .

ثم المعول عليه، والمنصب القول إليه، فيما هو متعارف في هذه المملكة لغة العرب التي [هي] أشرف اللغات وأبذلها .

والناظر في حلّ مترجمها يحتاج إلى أصليين :

الأصل الأول — معرفة الأس الذي يرتب عليه الحلّ ؛ والذي تمس إليه الحاجة من ذلك سبعة أمور :

أحدها — أن يعرف مقادير الحروف التي تتركب منها الكلمة .

وَأَعْلَمَ أَنَّ كلام العرب منه ما يُبنى على حرف واحد مثل «ق» من الامر بالوقاية، و«ع» من الأمر بالوعي؛ ومنه ما يُبنى على حرفين من الأفعال مثل «قُم» في الأمر بالقيام، و«كُل» في الأمر بالأكل؛ ومن الحروف نحو : مِنْ فِي رَبِّ هَلْ بَلِّ وما أشبه ذلك ؛ ومن الأسماء المبنية نحو : ذِي ذَا مَنْ كَمْ ؛ ومن الضمير مع حروف الجر نحو : بِكَ لَهُ ؛ ومنه ما يُبنى على ثلاثة أحرف وأربعة وخمسة في الحروف والأفعال والأسماء، ثم تدخل فيه أحرف الزيادة العشرة، وهي « هَوَيْتَ السَّهْمَانَ » وثلاثة أحرف أُتْرَ، وهي الفاء وباء الجر وكاف التشبيه

وكأف الخطاب لى أن تبلغ الكلمة على اصطلاح الكتاب [أربعة] عشر حرفاً ،  
كقولك مخاطباً لرجلين [أنشأ] جنينة : أفليستزهايكاً أعددتماها .

قال ابن الدريهم : وليس فى كلام العرب كلمة رباعية الأصل أو خماسية الأصل  
ليس فيها حرف من الحروف الدلّية كاللام والنون والواو، والشقوية كالفاء والميم  
والياء إلا ما شذ مثل «عسجد» من أسماء الذهب .

قال : ونهاية الأسماء العربية قبل الزيادة خمسة، وشذ (?) مثل عندليب ؛ والأفعال  
قبل الزيادة أربعة ؛ وليس فى القرآن كلمة خماسية الأصل سوى الأسماء الأعجمية  
مثل إبراهيم ، ولا يمكن أن يتكرر حرف [فى] كلمة واحدة أكثر من خمسة كقول القائل  
مارأينا [كككككككك<sup>(١)</sup>] جمع ككة وهو المركب الكبير مثل عكة وعكك ،  
وأربع كافات فى قولك<sup>(٢)</sup> وككككك .

الثانى — أن يعرف الحروف التى لا يقارب بعضها بعضا بمعنى أنها لا تجتمع  
فى كلمة واحدة .

وأعلم أن فى الأحرف ما لا يقارب بعضها مطلقا بتقديم ولا تأخير كالشاء  
المتثنة ، فإنها لا تقارب الذال المعجمة والزاي المعجمة والسين والصاد المهملتين  
والضاد المعجمة ، وكذلك الجيم لا تقارب الطاء المهملة ولا الظاء المعجمة ولا الغين

(١) يبيّن له فى الأصول وقد صحته من المقام ، ولكن لم نمر على هذا البناء فى كتب اللغة ولعله  
ماى تأمل .

(٢) يباض فى الأصل .

المعجمة ولا القاف ولا الكاف، وما وقع من ذلك في الكلام نحو : نُفَجَّةٌ وَبَرَجَقٌ وَجُرْمُوقٌ وَجَوَلَقٌ وَجُلَاهِقٌ وَنَجْنِيقٌ وَجَوَقَةٌ وَجَوَسَقٌ وَنَجْنَقٌ وَبَرَجَقٌ وَجُرْمُوقٌ ونحو ذلك فليست عريضة : لأنه لا يجتمع في كلام العرب جيم وقاف في كلمة واحدة ؛ وكذلك الدال المهملة لا تقارن الظاء المعجمة والذال المعجمة لا تقارن الزاي المعجمة والصاد والضاد والطاء والظاء ، وما وقع في الكلام من ذلك فليس بعربي ، مثل طبرزد فارسي والزط نبطي ، ولا تقارن السين المهملة الصاد المهملة والضاد المعجمة والظاء المعجمة ؛ ولا تقارن الصاد المهملة الضاد المعجمة ولا الظاء المعجمة ؛ ولا تقارن الضاد المعجمة الشين والظاء المعجمتين ؛ ولا تقارن الطاء المهملة الظاء المعجمة ؛ ولا تقارن القاف الفين المعجمة ولا الكاف في كلمة أصلية ، وشد نقي الثراب وناقة نقيق ؛ ولا تقارن الكاف الخاء المعجمة في كلمة أصلية ، ولا تقارن الميم الباء الموحدة والفاء في كلمة أصلية إلا في قم وأصله قوه ، وأما لم لأحد أوتار العود فليس بعربي ؛ والحروف الحلقية لا يقارن بعضها بعضاً خلا الهاء فإنها تعقبها زائدة ، كهاء الضمير وهاء التانيث ، وتعقب العين أصلية كالعهد والعهر وغيره ؛ وليس في كلمة أصلية حرفان حقيقيان سوى ما تقدم من الهاء ، وقد تعقب بواسطة كغيب وصبر ؛ أما حبل فرغة ، ولا يجتمع حرفان من هذه الخمسة : وهي الهاء والطاء المهملة (١) والعين والنيان والحاء المعجمة في أقل كلمة سوى ما ذكره ، ولا في أشاء الكلمة إلا الهاء مع العين كهلع والهاء مع العين كأهيق ، والحاء مع الفين كأخيق ، والهاء مع الخاء المعجمة في كلمة واحدة وهي هيخة ؛ ولا تجتمع الهاء

(١) في الأصول العين المهملة وهوير مستقيم . وفي كتب اللغة ناقة نقيق «أى بإعجام الفين» إذا كانت

تتبع مرة بعد مرة .

(٢) لم توجد في كتب اللغة التي بأيدينا .

الأصلية مع الخاء المعجمة ، ولا الخاء المهملة والعين المهملة إلا أن تكون مرّبة مثل هرقصع (٩) والحيمة .

الثالث - أن يعرف الحروف التي لا تقارن ببعض الحروف في الكلمات إلا قليلاً ، كقارنة السين المهملة للشين المعجمة في شسع والسين مع الزاي كشرز والراء مع اللام كورك .

[وأعلم] أن الحرف الواحد يتكرر في الكلمة الواحدة كثيراً مثل دعهده وتهته ونهته وحصحص وحججج وخمخم وجلجل وخلخل وشعشة وزعزع ودغذغ وبغبع وننع وعسعس وزعازع وقوواء ومفضاح وخوخ وما أشبه ذلك .

الرابع - أن يعرف ما يجوز تقديمه على غيره من الحروف وما يتمنع ، فالثاء لا تتقدم الشين المعجمة ، والدال المهملة لا تتقدم على زاي ولا صاد مهملة ولا طاء مهملة بدليل أنهم لما عربوا مهنّيز ، أبدلوا الزاي سينا فقالوا مهنّيس وهنّسة ، والدال المعجمة لا تتقدم الجيم ولا السين المهملة ولا الشين المعجمة ولا العين المهملة ، ومن هنا لما عربوا الفالودج من الفارسي قالوا فالودجق ؛ والسين المعجمة لا تتقدم الزاي المعجمة ولا السين المهملة ولا الصاد المهملة ؛ والطاء المهملة لا تتقدم الكاف في كلمة أصلية ؛ والسين المهملة لا تتقدم على الدال المهملة إلا قليلاً كسذاب ، والدال المعجمة لا تتقدم على الدال المهملة إلا قليلاً كقواك في الأمر دد الغنم .

(١) في الأصل "على فون" وهو غير مستقيم كما لا يخفى .

(٢) أوردته القاموس بالدال المعجمة وتكلم عليه شارحه ثم قال ويوجد في بعض كتب النبات بالدال المهملة .

الخامس — أن يعرف ما لا يقع في أول الكلمات من الحروف كالجيم لا تقع بعدها التاء المثناة فوق ولا الصاد المهملة ولا الضاد المعجمة ولا الفين المعجمة؛ أما الحِص فمعرّب .

السادس — أن يعرف أنه لا يتكرر حرف في أول كلمة إلا من هذه العشرة الأحرif وهي: الكاف واللام والميم والنون والتاء المثناة فوق والألف والباء الموحدة والواو والقاف والياء المثناة تحت ويجمعها قولك « كل من تاب وقي » وأقلها وقوما كذلك الياء .

السابع — أن يعرف أكثر الحروف دورانا في اللغة، ثم الذي يليه من الحروف في الكثرة إلى أقلها دورانا .

وأعلم أن كلام العرب أكثر ما يقع فيه على ما دل عليه استقراء القرآن الكريم الألف ثم اللام ثم الميم ثم الياء المثناة تحت ثم الواو ثم النون ثم الهاء ثم الراء المهملة ثم الفاء ثم القاف ثم الدال المهملة ثم الذال المعجمة ثم اللام ألف ثم الحاء المهملة ثم الجيم ثم الصاد المهملة ثم الخاء المعجمة ثم الشين المعجمة ثم الضاد المعجمة ثم الزاي المعجمة ثم التاء المثناة ثم الطاء المهملة ثم الفين المعجمة ثم الظاء المعجمة؛ وقد جمع بعضهم أحرف الكثرة في قوله (اليون) وبعضهم يجمعها في قوله (اليوم هن) وجمع الحروف المتوسطة في قوله (رعت بكس نجح<sup>(١)</sup>) وجمع أحرف القلة في قوله (طظع مخذز قش) .

(١) تأمل هذا المثال وما بعده وجرهما .

قال ابن الدريهم : وقد يقع في لفظ غير القرآن على خلاف ذلك كما يتعمدون النظم والثرغير ألف أو غير نقط أو غير عاطل الحروف أو ألفاظ قليلة، وقد يكون الكلام ألفاظا قلائل لا تستوعب الحروف .

### الأصل الثاني - كيفية التوصل بالحدس إلى حل المترجم :

قال ابن الدريهم : إذا أردت حل مترجم لك، فأبدأ أولاً بعهد الحروف، ولم تذكر كل شكل منها مرة فأنبته أولاً فأولاً . قال : وأول ما تستخرج الفاصلة إن كان الذى عنى قد بالغ فى التعمية، يعنى بإخفاء الفاصلة فى ضمن الحروف؛ وذلك أنك تأخذ حرفاً فتظن أن الفاصلة تكون الشئى فتجربه على ما تقرر من الكلمات من المقادير على ما تقدم؛ فإن وافق وإلا أخذت الثالث، فإن وافق وإلا الرابع وهكذا حتى يصح لك انفصال الكلمات، ثم تنظر أكثر الحروف دورانا فى الكلام فتقاربه من الترتيب المتقدم فى أكثر الحروف دورانا على ما تقدم، فإذا رأيت حرفاً قد وقع فى الكلام أكثر من سائر الحروف فتظن أنه الألف؛ ثم الأكثر وقوعاً بعده فتظن أنه اللام؛ ويؤيد صحة ظنك أن اللام يُدار فى أكثر استعماله تابعاً للألف؛ ثم تنظر إن كان فى الكلام حرف مفرد فتظن أنه اللام ألف؛ ثم أول ما تلقى من الكلام الثنائية بتقريب حروفها حتى يصح معك شئ منها فتظن أشكالمها وترقيم عليها، وتجربى الكلام فى الثلاثيات حتى يصح معك شئ منها فترقم نظائره؛ ثم تجربى الكلام فى الرباعيات والخماسيات على الوزن المتقدم؛ وكل ما أشبهه فأحتمل احتمالين أو ثلاثة أو أكثر تثبته إلى حين يتعين من كلمة أخرى؛ فإنتظم لك من ذلك





فيجد قد تكرر معه هذا الشكل ٥. أكثر من كل الأشكال بكثير، فيعلم أنه الألف  
 فيرقم عليه في موضعه، ثم المكرر بعده أكثر من باقي الأشكال هذا الشكل 3  
 فيظن أنه اللام ويحقق ظنه كونه تابعا للألف في سبعة مواضع من الكلام؛ ثم ينظر  
 فيجد فيه حرفا واحدا كلمة فيظن أنها اللام ألف؛ ثم يجد الكلمة الثالثة ثنائية  
 ثانيا اللام ألف فيمكن أن تكون إحدى هذه : بلا تلا جلا حلا خلا سلا علا  
 غلا فلا كلا هلا ولا؛ ثم يجد هذا الشكل ٥ الذي مع اللام ألف قد ورد  
 مكررا في أول كلمة أمتنع أن يكون جيا أو حاء أو واء أو سينا أو عينا أو غينا  
 أو هاء فلم يبق معنا سوى بلا تلا فلا كلا ولا؛ ثم يجد الكلمة الخامسة ثنائية  
 ثانيا ألف فيمكن أن تكون إحدى هذه با جا دا سا شا ضا فا ما نا يا،  
 ثم يترجح أنها ما أو يا لأن هذا الشكل I قد تكرر أكثر من باقي الحروف  
 فيكون إما الميم أو الياء وإن قاربهما النون لكن ما ويا أكثر وقعا في الكلام  
 من نا فإنها غريبة الوقوع، ثم رأينا هذا الشكل المتقدم قد تلاه الشكل الذي مع  
 اللام ألف الذي ظننا أنه أحد هذه ٥ ب ت ف ك وفي الكلمة الثلاثية  
 المكرر أولا I ٥ ٥ ٥ فخرنا الحروف مع الميم فظهر منها لفظة  
 «ففى» لاغير؛ ثم نظرنا هذا الحرف ٥ فوجدناه وقع في أربعة مواضع في الكلام  
 لاغير، قلنا إنه الفاء : لأن الياء بنسبة هذا الكلام تقع أكثر من ذلك غالبا، فصح  
 معنا أن الكلمة الثالثة «فلا» والكلمة الخامسة «يا» والحرف المفرد «لا»  
 والكلمة الخامسة منه هي رايد ذلك أننا وجدنا الكلمة الحادية عشرة قد تكرر  
 [فيها] بعد الألف واللام حرفان تلاهما ألف بعده حرف آخر، ولا يمكن أن يتكرر  
 حرف في مثل هذا المكان سوى الميم إذا جربته على جميع الحروف، قلنا : التمام

التمّاح التّمار التّماس التّماع؛ ورأينا هذا الشكل **ت** الذى هو آخر الكلمة قد تكرر أكثر من باقى الحروف بعد الألف واللام والباء، فبقى أن تكون هذه ر س ت ع لأن الميم قد صح معنا ولم يكن التّون فعلّما على الميم فى مواضعه؛ ونظرنا رأينا هذا الشكل **ث** أوّل الكلمة الرابعة التّلاثيّة وقد صح ثانيا اللام وثالثها الميم فجربناها على هذه الحروف فسقطت الرّاء وبقى أحد هذه: سلم تلم علم؛ ثم نظرنا الكلمة المجارية للمات التّماع التّماس، فرأينا قبل الألف واللام حرفا يكون أحد هذه ب ل و: لأنّ التّفاء علّمتها؛ ونظرنا هذا الحرف **م** قد تبع الألف واللام قبل الباء، ووجدناه بين البين فى كلمة ثلاثية تكون إحدى هذه أبا إذا أسا أنا، فجربنا الكلمة على الباء والدال والسين والتّون على أن يكون الحرف الآخر السين فلم يتفق منه لفظ فسقط «سلم» ثم جربناها على أن تكون العين فحصل منه بعد الحرف الأوّل البياع؛ ثم على أن تكون تاء فحصل منه الثّبات السيّات فسقط وبقى أبا أسا أنا؛ ثم نظرنا الكلمة السابعة وهى ثلاثية أوّلها اللام وثالثها هذا الحرف **ن** الذى قبل الباء وثالثها هذا **ت** الدائرين العين والتّاء فلما يقوم منها «لست» وسقط الباء والتّون، وإنّما لم يبق منه «كسع» لأنّه لما سقطت الباء سقطت العين من البياع، فصح أن تلك «السيّات» ونظيرها «المات» والتّلاثية «تلم» وسقط علم، فرقنا على التّاء فى مواضعها وعلى السين فى مواضعها، فصارت التّلاثية «أسا» فقد صح معنا من الكلمات: «فلا تلمّ يا لستُ المات لا أسا قى» وبقى الحرف الذى قبل السيّات؛ ثم نظرنا الكلمة العاشرة التّلاثية فيها ت ي فجربناها على الحروف فظهر منها «حتى» لا يشارِكها شىء فعلّما على الحاء فى مواضعها؛ ثم نظرنا كلمة نحاسيّة قد بقى منها الحرف

الوسط، فخرّبناها على الحروف فقام من ذلك : « حَمَرَات حَسَكَات حَسَنَات »  
 فعلنا أنه حسَنَات : لأن هذا الشكل ٥ تكرر أكثر من باقي الحروف بعد  
 الألف واللام والياء والتاء، وقد صحّ الميم فأثبتنا النون في موضعها؛ ثم نظرنا هذا  
 الشكل ١٨ في أول كلمتين ثلاثيتين وقد صحّ من إحداهما ن ي ومن الأخرى  
 ل ي، فخرّبنا الحرف فوجدناه إمّا عينا أو واوا، فيقوم منهما عني على وبي ولى  
 فعين أن يكون عينا لقلة الحرف عن مرتبة الواو؛ ثم نظرنا كلمة سباعية قد بقي  
 منها حرف مجهول، فخرّبناها على الحروف فصحت «الْيَآنُ» لا يشاركها لفظة أخرى،  
 ولحرف هذا الشكل ٨ الذى قبل السيئات فتعينت الباء في مواضعها؛ ثم نظرنا  
 كلمة سداسية نالها حرف مجهول، فخرّبناها فظهر منها «الكتاب»؛ ثم نظرنا كلمة  
 خماسية قبل التي قبل «هذه» قد بقي حرف الوسط [منها] مجهولا، فخرّبناها على الحروف  
 فقام لحيف لمندف لمصنف فتعينت «لمصنف» بسبب سياق الكلام بلفظ  
 «الكتاب» ورقنا على الصاد؛ ثم نظرنا الكلمة الأخيرة قد بقي منها رابعها مجهولا،  
 فخرّبناها على الحروف فصحت «الموصل» وصحّت الكلمة التي بعد لست أنها «أسلو»  
 فرقنا على الواو؛ ثم نظرنا الكلمة الأولى وهى ثنائية أولها ص فخرّبناها فصحت  
 صد، وإنما كالأخرى لقلة وقع حروفها، ثم علمنا على الدال فوجدنا كلمة ثنائية آخرها  
 «د» فخرّبناها على باقي الحروف التي لم تظهر، فقام منها جد حد قد هـ؛ ثم نظرنا  
 كلمة ثلاثية فصحت أولات وآخرها ل وسطها هذا الحرف ٢ الذى قبل الدال  
 فى الثنائية، فخرّبناها على الجيم والهاء والقاف والهاء، فسقطت الهاء وبقي تجل  
 تمل تحمل، ونظرنا فرأينا سياق الكلام يدل على أن الكلمة قبل أسا «قد» والثلاثية  
 «تقل» فانتظم الكلام «لا تقل قد أسا» ثم نظرنا الكلمة السادسة قد بقي منها

ثانيها مجهولاً ، فخرّبناها على باقى الحروف فصحت « عَثُولِي » ، فرقنا على الذال في مواضعه ؛ ثم نظرنا الكلمة الثلاثية التي بين « لمصنف » وبين « الكاتب » أولها هذا الشكل ٥٥ وقد صح منها « ذا » فعلمنا أنها « هذا » ووقنا على الهاء ؛ ثم نظرنا الكلمة الخماسية التي بين « فني » وبين « منه » قد بقي رابعها ، فخرّبناها على باقى الحروف فصحت « الوجه » ؛ ثم نظرنا الكلمة السباعية التي قبل الأخيرة وقد بقي منها رابعها مجهولاً ، فخرّبناها فظهر منها الدّرهم ، فتكمل الحلّ وظهر الكلام :

صُدَّ عَنِّي فَلَا تَلُمَّ يَا عَثُولِي \* لَسْتُ أَسْلُو هَوَاهُ حَتَّى الْمَمَاتِ


لَا تَقُلْ قَدْ أَسَا فِي الْوَجْهِ مِنْهُ \* حَسَنَاتٌ يَذْهَبَنَّ بِالسَّيِّئَاتِ

هذا البيان لمصنّف هذا الكاتب ، عليّ بن الدّرهم الموصلي .

وعلى مثل هذا المنوال يتجرى الحلّ ؛ ثم أنظر إلى حروف هذا الكلام كيف جاءت أحداً وعشرين حرفاً ، ونقص منه ثمانية لم توجد فيه ، فإذا نظرت إلى ماقررت لك من ترتيب وقع الحروف كما جاءت في الكتاب العزيز ، رأيت الثمانية الناقصة هي آخر الترتيب سواء لم يختلط منها شيء بتقديم أو تأخير ، وهذا اتفاق : لأنه قد يقع الحروف قريباً من رتبته كما تقدم ؛ وكما تقدمت الياء على الميم في هذا الكلام ، والفاء على الميم والنون ، وتقدمت الهاء على الميم أيضاً ؛ لكن الأصل معرفة وقع الحروف بالتقريب وتجربة الكلمات ، ومقاربتها ما دلّ عليه سياق الكلام .

ولنضرب مثالا آخر : لتبيح أنواع الحلّ .

[illegible]

  
 4 5 6 7 8 9 10 11 12 13 14 15 16 17

فتنظر فإذا أكثرها وقعا ✕ ثم تجزئ ثم تكتب مدينين ☒ وال  
ثم مدينين راء ثم هذا ك ثم هذه رراء فتظن أن  
هذا الشكل ✕ الألف ، وهذا في اللام : لكونهما أكثر وقعا

من الجميع فلم يوافق : لأنه قد تقرر أن اللام تكون تابعة للألف في أكثر المواضع ولم نجد تبعه البتة ، بل وجدنا العكس فعلمنا أن هذا في هو الألف وهذا **ك** هو اللام ، ورقننا عليهما في مواضعهما فإذا الكلمة الثانية الثلاثية فيها لامان ، بقي حرف آخرها مجهول ، فجربناها على الحروف فظهرت الهاء لا يمكن غيرها ، فعلمنا أنها « لله » ورقننا على الهاء في مواضعها ، ثم وجدنا الكلمة الخماسية قد بقي رابعها مجهولا ، فجربناها فظهر الهاء ألها ألها الهاء ، ووجدنا الحرف قد تكرر أكثر من كل الحروف بعد الألف واللام ؛ فقلنا أنه الميم ، لكنه يحتمل أن يكون النون ، وسقط الباء والجيم فوجدناه في الثنائيات في كلمتين قبل الألف ؛ فعلمنا أنها « ما » فرقنا على الميم في مواضعها ، ثم رأينا الميم قد تبعه في الثنائيات حرف يحتمل أن يكون مد مر مس مص مط مع من ، ورأينا الحرف كثير الوقوع ، وقد تكررت ثلاث لفظات ؛ فعلمنا أنها « من » ورقننا على النون في مواضعه ، ثم رأينا هذا الشكل **ك** أكثر من غيره وهو قبل الألف واللام وفي أوائل الكلمات فقلنا إنه الواو ، ثم رأينا آخر كلمة قد بقي منها رابعها مجهولا ، فجربناها فظهر والبهم والتمم والجهم والدمم والسهم والشهم والفهم واليهيم ؛ ثم وجدنا هذا الحرف **ك** الذي فيها قد جاء قبل حرف في الثنائيات وذلك أكثر ما وقع بعد الألف واللام والميم ، فيحتمل أن يكون الياء ، ووجدنا قد بقي من كلمة هذا الحرف فصَحَّح أن يكون التهي وأُتْرِئُ أولي ، فعلمنا أنها الياء ، فجربنا الحرف معها ؛ فظهر بي في ، ووجدنا كلمة ثُماسية هذا الحرف **ك** رابعها وبعد حرف آخر ، جربناها على الياء والفاء فظهر اللبث اللبد اللبس اللبط اللبك اللقت اللصق اللفح اللفظ اللفق ؛ ثم وجدنا هذا الحرف الآخر **ك** أول كلمة بعده لامان وهاء ؛ فجربناها فظهر منها الحرف الثالث مجهولا ، جربناها فظهر

الْحَمَامِ الْحَمَامِ الدَّمَامِ الدَّمَامِ الْكَمَامِ؛ فرأينا سياق الكلام يدلُّ على أنه «ظَلَّلَ  
 الدَّمَامِ» وتعينت تلك اللفظة والأخرى الفهم والثنائية، فرقنا على الفاء؛ ثم رأينا  
 الكلمة الثالثة الثلاثية ثانيا لأم وآخرها ياءٌ وبعدها «ما ألهمًا» فدل سياق الكلام على  
 أنها «على» فرقنا على العين، فرأينا الرباعية التي بعد «وآله» قد بقي ثابته مجهولا؛  
 بقرئناها فظهرت مَعِجَن مَعِدِن مَعِدِن والثنائية التي بعدها؛ وقبل «علم كل»  
 فرقنا على الدال في موضعه ورأينا الكلمة الأولى قد بقي وسطها مجهولا؛ بقرئناها  
 وظهرت التمدد الحمد الصمد، فدل سياق الكلام أنها الحمد : لأن بعدها «فه على»  
 ما ألهمًا «فرقنا على الحاء في موضعها، ورأينا الثالث من الرباعية التي بين على  
 وظلَّلَه، بقرئناها فظهرت «الذي» ورأينا الكلمة الخماسية التي بعد «محمد» قد  
 بقي رابعا [مجهولا]، بقرئناها فظهرت «الني» فرقنا على الياء في موضعها ورأينا  
 قد بقي ثالث السداسية التي بعد «من» هذا الشكل ٥ وهو ثالث رباعية  
 أولها الألف وثانيتها فاء وآخرها حاء، وثاني خماسية أولها واو وثالثها حاء ورابعها باء  
 وخامسها هاء؛ فتعينت الصاد، فالأولى «الصواب» والأخرى «أفصح» والأخرى  
 «وصحبه» وتعينت الثنائية التي هي أول البيت الثاني بعد السطر الأول «ثم»  
 والتي تليها «صلاة» وتعين السين في السلام؛ فصار، «تُمُّ صلاةُ الله والسلام»  
 وكما تميز الإنسان في ذلك ظهر له أسرع بكثرة المباشرة، ثم تعين رابع السداسية  
 التي بعد أفصح من أنه الضاد؛ وتعين بسياق الكلام أن بعد بالضاد «في اللفظ  
 نطق» فرقنا على القاف فرأينا مجاريها الثلاثية من رأس المضارع «خلق» فرقنا  
 على الخاء، وتعينت الكلمة التي قبل «من خلق» أنها «خير» فتكلت الأبيات  
 وظهر أنها :

اَتَمَدُّ لِّلَّهِ عَلَى مَا أَلَمَّا \* مِنْ الصَّوَابِ وَعَلَى مَا عَلِمَا  
 ثُمَّ صَلَاةُ اللَّهِ وَالسَّلَامُ \* عَلَى الَّذِي ظَلَّلَهُ النَّهَامُ  
 عَمْدِ النَّبِيِّ خَيْرٌ مِنْ خَلْقٍ \* أَفْصَحَ مِنَ الضَّادِ فِي اللَّفْظِ نَطَقُ  
 وَآلِهِ مَعْدِنٌ كُلِّ عِلْمٍ \* وَصَحِيحِهِ أَوَّلِي النَّهْيِ وَالْفَهْمِ

قلت : ومما يلحق بتعمية الخطِّ المتقدمة الذكر ما حكاه ابنُ شيثٍ في معالم  
 الكتابة : أنَّ بعضَ الملوك أمرَ كاتبه أن يكتبَ عنه كتاباً إلى بعضِ أتباعه يُطمِّنه  
 فيه ليقبضَ عليه عندَ انتهازِ فرصةٍ له في ذلك ؛ وكان بينَ الكاتبِ والمكتوبِ إليه  
 صداقةٌ فكتبَ الكاتبُ على ما أمرَ به من غيرِ خروجٍ عن شيءٍ من رسمه ، إلا أنه  
 حين كتب في آخره « إن شاء الله تعالى » جعل على التَّون صورةَ شدة ، فلما قرأه  
 المكتوبُ إليه ، عَرَفَ أنَّ ذلك لم يكن سُدىً من الكاتبِ فأخذ في التأويل والحَدَسِ  
 فوقع في ذهنه أنه يُشيرُ بذلك إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَتَمَرُّونَ بِكَ لَيَقْتُلُونَكَ ﴾ .  
 فأخذ حذرَه ، وأحترز على نفسه ، وبلغ الملكَ احترازَه على نفسه فأنهم الكاتبَ في أنه  
 ألحق في الكتابِ شيئاً نبه به على قصدِ الملكِ ، فأحضره وماله عن ذلك ، وأمره  
 بأن يكتبَ الكاتبُ على صورة ما كتبَ به من غيرِ خروجٍ عن شيءٍ منه ،  
 فكتبه ولم يغيِّر شيئاً من رسمه حتى إنه أثبتَ صورةَ الشدة على التَّون ؛ فلما قرأه  
 الملكُ ونظر إلى صورة الشدة أنكرها عليه ، وقال : ما الذي أردتَ بذلك ؟ قال :  
 أردتَ قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَتَمَرُّونَ بِكَ لَيَقْتُلُونَكَ ﴾ . فأعجب بذلك وعفا عنه  
 لصدقه إيَّاه .



## النوع الثاني

(الرموز والإشارات التي لاتعلق لها بالخط والكاتبه)

وهي التي يعبر عنها أهل المعاني والبيان بالإستعارة بالكناية « بالنون بعد الكاف » وقد يعبر عنها بالوحي والإشارة .

ومن غريب ما وقع في ذلك ما حكاه السكري في «الصناعتين»: أن رجلا من بني العنبر أسرف في حنظلة، وفيهم عنهم أنهم يفضلون الغارة على قومه بني العنبر، فقال لبني حنظلة: إن لي حاجة عند أهل وأريد رسولا من قومكم أُرسله فيها، فأجابوه إلى ذلك بشرط أن يخاطبه في حاجته بمحضورهم، فاحضروا له رجلا في الليل وقد أوقدت العرب نيرانها، فأقبل على الذي أتوه به وقال له: أتقبل؟ قال: إني لعاقل. فقال: أنظر إلى السماء ونجومها، فنظر؛ ثم قال: أنظر إلى نيران العرب، فنظر؛ فقال له: ما أكثر؟ نجوم السماء أو نيران العرب؟ فقال: إن كلاً منها لكثير؛ قال: إنك إذا لعاقل، ثم دفع إليه حنظلة وصرة فيها رمل وصرة فيها شوك، وقال أذهب إلى قومي فادفع إليهم هذه الحنظلة وهاتين الصرتين، وقُلْ لهم يُعروا ناتي الحراء، ويُرْجِلُوا جمل الأورق، وسَلُوا أنى الأعور يُخبركم الخبر. فقال الحاضرون: ليس في هذا ما يُنكر، أذهب في حاجته؛ فذهب إلى بني العنبر ودفع إليهم ذلك وقص عليهم القصة ورجع، فبعث القوم إلى أخيه الأعور فحضر، فأخبروه الخبر. فقال إنه يقول: أتاكم بنو حنظلة في عد الشوك والرمل، وإن نيران العرب تُنادي نجوم السماء، ويأمركم أن ترحلوا عن النعناء وانزلوا مكان كذا؛ ففعلوا ورحلوا لوقتهم فصَبَّحهم بنو حنظلة فلم يذكروا منهم أحدا.

وفي معنى ذلك ما حكاه المَقَرَّرُ الشَّهَابِيُّ بْنُ فَضْلِ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ «التَّعْرِيفُ» :  
فِي الْكَلَامِ عَلَى الْمَكَاتِبَةِ إِلَى الْأَدْفُونِشِ مَلِكِ الْفَرَجِ بَطْلَيْطَلَةَ مِنْ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ ؛ كَانَ  
خَبِيثَ النَّيَّةِ ، سَيِّئَ الْمَقَاصِدِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ ؛ وَأَنَّهُ أَرْسَلَ مَرَّةً إِلَى الْمَلِكِ النَّاصِرِ  
مُحَمَّدِ بْنِ قِلَاوُونَ : صَاحِبِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ هَدِيَّةً فِيهَا سَيْفٌ وَثَوْبٌ بَنْدُقٌ وَطَارِقَةٌ  
مَسْطِيلَةٌ تُشَبِّهُ النَّعْشَ كَأَنَّهُ يَقُولُ : أَقْتُلْكَ بِهَذَا السَّيْفِ ، وَأَكْفِكْكَ فِي هَذَا الثَّوْبِ ،  
وَأَحْلِكْكَ عَلَى هَذَا النَّعْشِ . قَالَ : وَكَانَ الْجَوَابُ أَنَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِ حَبْلًا أَسْوَدَ وَحَجَرًا ،  
أَيُّ إِنَّهُ كَلَبٌ يُرَى بِهَذَا الْحَجَرِ أَوْ يُرَبَطُ فِي هَذَا الْحَبْلِ .

قلت : ومما وقع من ذلك في زماننا أَنَّهُ فِي الدَّوْلَةِ الظَّاهِرِيَّةِ «بَرْقُوقُ» وَتَمَرُنْكَ  
يَوْمَئِذٍ بِلَادِ الْعِرَاقِ يُغَاوِرُ الْمَمَالِكَ الشَّامِيَّةَ لِقَصْدِ الْإِسْتِيلَاءِ عَلَيْهَا وَرَدَّ عَلَيْهِ كِتَابٌ مِنْ  
الْمَمْلُوكَةِ الْحَلِيبِيَّةِ فِيهِ : أَنَّهُ وَقَعَ بِتِلْكَ الْبِلَادِ سَيْلٌ عَظِيمٌ سَاقَى جَمَلَةً مِنَ الْأُسْدِ وَالْتِمُورَةِ  
وَالْحَيَّاتِ ، وَأَنَّهُ دَفَعَ حَيَّةً عَظِيمَةً سَعَةً رَأْسُهَا بِقَدْرِ قَوْسٍ ، وَفَرَّقَى الْكُتَّابَ بِحُمْزَةِ  
السُّلْطَانِ ، وَحَمَلُوا ذَلِكَ عَلَى ظَاهِرِهِ : مِنْ أَنَّ الْمُرَادَ حَقِيقَةَ السَّيْلِ ، وَأَنَّهُ لِقَوْتِهِ سَاقَى  
تِلْكَ الْحَيَّةِ وَالسَّبَاعِ وَغَيْرَهَا ، وَشَاعَ ذَلِكَ بَيْنَ الْكَافَّةِ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَأَهْلِ الدَّوْلَةِ وَسَائِرِ  
الرَّعِيَّةِ ، وَمَضَى الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ ؛ ثُمَّ ظَهَرَ أَنَّ الْمَقْصُودَ بِذَلِكَ السَّيْلِ وَمَا فِيهِ  
هُوَ تَمَرُنْكَ وَعَسَاكِرُهُ ؛ وَأَنَّهُ كُنِيَ بِالْحَيَّةِ الْعَظِيمَةِ عَنْهُ نَفْسِهِ ، وَبِالسَّبَاعِ وَالْحَيَّاتِ  
عَنْ عَسَاكِرِهِ .

ومن لطيف ما وقع في ذلك أَنَّهُ وَرَدَ عَلَى السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ «فَرَجِ بْنِ بَرْقُوقُ»  
فِي أَوَّلِ دَوْلَتِهِ كِتَابٌ عَنْ صَاحِبِ تُونِسَ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ فِي آخِرِهِ خُطَابًا لِلْسُّلْطَانِ  
( وَعَلَى إِحْسَانِكُمُ الْمَعُولُ ، وَبَيْتُ الطُّغْرَانِيِّ فِي لَامِيَّةِ الْعِجَمِ لَا يُتَأَوَّلُ ) فَسَأَلَنِي بَعْضُ  
أَعْيَانِ دِيَوَانِ الْإِنْشَاءِ عَنِ الْمُرَادِ مِنْ ذَلِكَ وَلَمْ يَكُنِ الْكُتَّابُ مُتَضَمِّنًا لِغَيْرِ الْوَصِيَّةِ

على مُجَّاجِ الْمَفَارِبَةِ ، وكان رَكِبَ الْمَغَارِبَةَ قَبْلَ تِلْكَ الْحِجَّةِ قَدْ عَرَضَ لِمَنْ عَارَضَ  
مَنْ عَرَبَ دَرَبَ الْإِجْازِ أَجْنَأُحُومَ فِيهِ ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَنَهَبُوا مِنْهُمْ أَمْوَالًا  
بِحِجَّةٍ ، فَعَرَضْتُ ذَلِكَ عَلَى أَيْبَاتِ الْإِلَامِيَةِ ، فَلَا حِلَّ لِي أَنَّهُ يُشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ فِيهَا :

فَقُلْتُ أَرْجُوكَ الْجَلِيلُ لَتَنْصُرَنِي \* وَأَنْتَ تَحْدُثُنِي فِي الْحَادِثِ الْجَلِيلِ

وَالْجَلِيلُ بِضَمِّ الْجِيمِ هِيَ الْأُمْرُ الْجَلِيلُ الْعَظِيمُ ، وَالْجَلِيلُ بَفَتْحِ الْجِيمِ فِي اللَّفْظِ مِنْ أَسْمَاءِ  
الْأَضْدَادِ ، يَقَعُ عَلَى الشَّيْءِ الْجَلِيلِ وَعَلَى الشَّيْءِ الْخَفِيرِ ، كَأَنَّهُ يَقُولُ : أَنَا كُنْتُ  
أَرْجُوكَ لِلْأُمُورِ الْعِظَامِ لَتَنْصُرَنِي فِيهَا نَفَذْتُ فِي هَذَا الْأَمْرِ الْخَسِيسِ ، وَهُوَ الْأَخْذُ  
بِثَارِ مُجَّاجِ بِلَادِي مِمَّنْ أَعْتَدَى عَلَيْهِمْ مِنْ عَرَبِ بِلَادِكَ : نَغَابَ ظَنِّي فِيمَا كُنْتُ  
أَرْجُوهُ فَيْسِكَ ، وَأَوْفَلَمَ مِنْكَ ، وَأَشَارَ بِقَوْلِهِ لَا يُتَأَوَّلُ إِلَيَّ أَنَّهُ لَا يَجْعَلُ الْجَلِيلُ فِي قَوْلِ  
الطُّغْرَانِيِّ عَلَى الشَّيْءِ الْجَلِيلِ كَمَا قَالَ الصَّلَاحُ الصَّفِيدِيُّ فِي شَرْحِ الْإِلَامِيَةِ ، بَلْ عَلَى  
الْأَمْرِ الْخَسِيسِ : لِأَنَّهُ هُوَ اللَّائِقُ بِالْمَقَامِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ مِثْلَ هَذِهِ الْأُمُورِ تَحْتَاجُ إِلَى قُوَّةِ ذِكَاةٍ وَأَحْتِدَامِ قَرِيبَةٍ مِنَ الَّذِي يَقَعُ  
مِنْهُ الرَّمْزُ ، وَإِلَى قُوَّةِ حَدْسٍ مِنَ الَّذِي يَحَاوِلُ إِدْرَاكَ الْمَقْصِدِ مِنْ تِلْكَ [ الْمَعَامِي ]  
كَمَا يَقَعُ فِي الْأَنْغَازِ وَالْأَحَاجِي لِلْفَزِّ ، وَالْمُتَصَدِّى لِحُلِّ الْأَغَاذِ وَالْجَوَابِ عَنْهُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى  
هُوَ الْهَادِي إِلَى سَبِيلِ الصَّوَابِ .

## المقالة الخامسة

(١)  
في الولايات ، وفيها [أربعة] أبواب

## الباب الأول

في بيان طبقاتها وما يقع به التفاوت ، وفيه ثلاثة فصول

## الفصل الأول

في بيان طبقات الولايات ، وهي على ثلاث طبقات

الطبقة الأولى — الخلافة ؛ وليا يكتب في ولايتها طريقان : إما عهد من الخليفة الأول ، وإما بيعه من أهل الحل والعقد إن لم يوجد عهد من الخليفة قبله على ماساى بيانه إن شاء الله تعالى .

الطبقة الثانية — السلطنة ؛ وليا يكتب في ولايتها طريقان : أحدهما العهد من الخليفة ، والثاني العهد من السلطان قبله . قال في " التعريف " : أما من قام من الملوك بغير عهد ، فلم تجر العادة أن يكتب له مبايعة .

الطبقة الثالثة — الولايات عن الخلفاء والملوك وما يكتب عن السلطان بالديار المصرية في أقطار المملكة بمصر والشام والحجاز : مما يكتب من ديوان الإنشاء الشريف بالأبواب السلطانية .

وهي على خمسة أنواع :

(١) بياض في الأصل والتصحيح مما تقدم في ج ١ ص ٢٤ من هذا المؤلف .

## النوع الأول

( ولايات أرباب السيف ؛ وهم على ثلاثة أصناف )

الصنف الأول — الثواب من الأمراء وغيرهم من أرباب الوظائف ، وغالب من يكتب له منهم بالبلاد الشامية ومضافاتها ؛ كثواب السلطنة بدمشق وحلب وطرابلس وحماة وصفد والكرک ، ومقدمى المسكر بغزة وسيس ، وثواب القلاع بالمدن العظام ذوات القلاع الرفيعة القدر : كالنائب بقلعة دمشق ، والنائب بقلعة حلب ، والنائب بقلعة صفد . أما طرابلس وحماة ، فليس بهما قلعة ؛ وكذلك الثيابات الصغار المضافة إلى القواعد الكبار : كالقُدس الشريف وحمص ومضيف من مضافات دمشق ، وقلعة المسلمين والرجة والسيرة والرها وشيزر وعيتاب وبهسن ومطبة وآياس والأبلستين وأذنة وطرسوس من مضافات حلب ، والأذقية وحسن عكار من مضافات طرابلس وما يمرى بحرئ ذلك ، على ما سيأتى بيانه مفصلا في مواضعه ؛ إن شاء الله تعالى .

أما مادونتها من الثيابات فإن ثواب السلطنة بالملكة يستقلون بالتولية فيها .

قلت : والضابط في ذلك أن كل نيابة كان نائبها مقدمة ألف فوليتها عن السلطان بمرسوم شريف من ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية ؛ وكل ولاية كان نائبها جندياً أو مقدم حقة فوليتها عن نائب السلطنة بالملكة التي هي مضافة إليها بتوقيع كريم من ديوان الإنشاء بها ؛ وكل نيابة كان نائبها أمير طبغناه أو عشرة ربما وثى فيها السلطان وربما وثى فيها نائب السلطنة ، إلا أن تولية السلطان لثواب الطبغناه أغلب ، وتولية ثواب السلطنة لثواب العشرة أغلب .

أما الديار المصرية فإنه كان يُكْتَبُ فيها أولاً لولاية الوجهين : القبلى والبحرى  
بحراً على ما كان الأمر عليه في زمن الخلفاء الفاطميين ، وكذلك والى الإسكندرية  
قبل أن تستقر نيابة ، ووالياً الولاية بالوجهين قبل أن يستقر نيابتيه ، في جماعة  
أخرى من أرباب الوظائف : كالثائب الكافل وأتابك الجيوش كاستادار وأميرأخو  
ومقدم الماليك والي مصر والقاهرة ، ثم صارت الكتابة لذوى الوظائف من أرباب  
السيف فاصرة على النائب الكافل إذا كان موجوداً والثواب المستجدين  
بالإسكندرية والوجهين : القبلى والبحرى ، وبطل ماعدا ذلك مما كان يُكْتَبُ ،  
وكان المعنى فيه القرب من مقررة السلطان ، والكتابة إنما تقع في الغالب مع البعد :  
لتكون حجة لتولى على بُعد المدى ، ولا ينتقص ذلك بما يُكْتَبُ للخلفاء والملوك  
في الحضرة ، فإن ذلك من الأمور العامة التي يُخَافُ انتقاضها أو بُحودها ، إذ مثل  
ذلك لا يجوز في الولايات عن السلطان : لأنه متى شاء عزّل من ولّاه .

الصف الثاني — ولاية أمراء العربان ، وهؤلاء لاحظ لهم في الكتابة بالولاية  
بالديار المصرية الآن ، وربما يُكْتَبُ لأمرائهم بالملكة الشامية : كأمر آل فضل ،  
وأمر آل مرا ، وأمر آل علي ، ومقدم بحر ، وكذلك أمير مكة المشرفة ،  
وأمر المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، والتحية والإكرام ،  
والنائب باليمن من البلاد المجازية . والمعنى في اختصاص من بُعد منهم ما تقدم  
في الكلام على أرباب السيف مع ضعف شأن عرب الديار المصرية وعدم  
الإهتمام بأمرهم .

الصف الثالث — ولاية المقدمين على الطوائف : كقدمى التركمان ، والأشهاد ،  
والجبلية بالبلاد الشامية ، وأتابك طائفة الإسماعيلية بقلاع الدعوة ، وحاكم البندق

ونحوهم ؛ وهذه الطوائف ممن يكتب له إلى الآن ؛ أما حاكم البندق ، فإنه لم يُعهد له كتابه من ديوان الإنشاء بمصر والشام . على أن المقر الشهابي بن فضل الله قد ذكر وصيته في " التعريف " ولسله ممن كان يكتب [ له ] في زمانه أو قبله ثم ترك ، وإنما يكون ذلك بحسب اعتناء السلطان بشأن البندق وعديمه كما في لباس الفتوة ، وأنه ربما أعفى به بعض الملوك فكتب له ثم ترك .

## النوع الثاني

( ولاية أرباب الأقلام ، وهم صفات )

### الصنف الأول

( أرباب الوظائف الدينية ، وهم على ثمانية أضرب )

الضرب الأول — أكار القضاة بأقطار المملكة : كقضاة القضاة بالحضرة السلطانية بالديار المصرية ونظر الإسكندرية ، وكذلك قضاة القضاة بدمشق وحلب وطرابلس وحمّة وصقّ والكرّك ، وقضاة العسكر بالديار المصرية ؛ أما القضاة بالنيابات الصغار المضافات إلى دمشق وحلب ونحوهما فولايّتهم إلى قضاة القضاة بها ، وقضاة العسكر بدمشق وحلب وما في معناهما إلى النواب بتلك الممالك .

الضرب الثاني — المفتون بدار العدل بالديار المصرية ؛ أما المفتون بدار العدل بالممالك الشامية فولايّتهم إلى نائبيها .

الضرب الثالث - أكابر المحتسبين : كمتحسبي مصر والقاهرة ؛ أما الممالك الشامية فلا يؤتى فيها إلا ثوابها .

الضرب الرابع - أكابر المدرسين في طائفة العلوم بأكبر مكن مخصوصة : كالزاوية الخشائية بالجامع العتيق بمصر ، والمدرسة الصلاحية بقرية الإمام الشافعي بالقرافة ، ونحو ذلك بأقطار المملكة من مدرسي الفقه والحديث والتفسير وغير ذلك من العلوم الدينية .

الضرب الخامس - أكابر الخطباء بمجامع مخصوصة بأقطار المملكة : بجامع الناصري بقلعة الجبل ، والجامع الأموي بالشام ونحوهما .

الضرب السادس - وكلاء بيت المال بالديار المصرية وغيرها .

الضرب السابع - المتحدثون على الوظائف المعتبرة : ككتابة الأشراف ، ومشيخة الشيوخ ، فما كان بالديار المصرية فولايته من السلطان ، وتوقيعه من ديوان الإنشاء ؛ وما كان منها بالممالك الشامية فولايته إلى ثواب السلطنة بها .

الضرب الثامن - المتحدثون على جهات البر العامة المصلحة : كنظر الأقباس وأنظار البيارستانات ونحوها : فما كان منها بالديار المصرية : كنظر الأقباس والبيارستان المنصوري وما أشبه ذلك فتوليته إلى ثوابها<sup>(١)</sup> ، مالم يكن لها ناظر خاص فيكون ذلك مختصا به .

(١) لعله فتوليته من السلطان ، وتوقيعه من ديوان الإنشاء ، وما كان منها بالممالك الشامية فتوليته الخ



## الصنف الثانى

( أرباب الوظائف الديوانية )

ودواوينها على ثلاثة أضرب :

الضرب الأول — دواوين المال؛ وأرباب الخدم بها ممن تكتب ولايتهم من ديوان الإنشاء : إما ناظر، أو وزير، أو صاحب ديوان، أو شهادة، أو استيفاء؛ فأما الوزارة فلا يصرح بها إلا للوزير بالأبواب السلطانية، وربما صرح بها لوزير دمشق إذا وليها من ارتفعت مرتبته، وإلا عبر عنه بناظر المملكة .

وأما النظار، فننظر الدواوين المعبر عنه بنظر الدولة، ونظر الخاص، ونظر الخزانة الكبرى، ونظر البيوت « الحاشية » ونظر بيت المال، ونظر الإصطبلات السلطانية، ونظر دار الضيافة والأسواق ، ونظر خزائن السلاح ، ونظر البهار والكاري، ونظر الأهرام، ونظر الموارث الحشرية، ونظر فقر الإسكندرية المحروس ، وغير ذلك من وظائف الأنظار بالديار المصرية . وكذلك نظر المملكة بدمشق إذا لم يصرح لتوليها بالوزارة، ونظر المملكة بحلب، ونظر المملكة بطرابلس، ونظر المملكة بجماة ، ونظر المملكة بصدد ، ونظر المملكة بسيس ، ونظر المملكة بقرنة ، ونظر المملكة بالكرك .

وأما صحابة الديوان، فكصحابة ديوان الجيش وصحابة ديوان الخاص ، ونحو ذلك .

وأما الشهادة ، فكشهادة الخزانة الكبرى، وشهادة خزانة الخاص ونحوهما .

وأما الإِسْتِيفاءُ ، فكَاتِبُفَاءُ الصُّحْبَةِ ، وَاسْتِيفَاءُ الدَّوْلَةِ ، وَاسْتِيفَاءُ الْخَاصِّ ، وَنَحْوُ ذَلِكَ . وَلاَحَظْ لَغِيرِ النَّظَارِ مِنْ دَوَاوِينَ الْأَمْوَالِ بِالْمَالِكِ الشَّامِيَّةِ : مِنْ صَاحِبِ دِيْوَانٍ وَلَا شَاهِدٍ وَلَا مُسْتَوِفٍّ ، فِي الْكِتَابَةِ بِالْوِلَايَةِ مِنْ دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ بِالْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ ؛ بَلْ وَلَايَتُهَا مِنْ تَوَابِ الْمَالِكِ الشَّامِيَّةِ بِتَوَاقِعِ مِنْ دَوَاوِينَ الْإِنْشَاءِ بِهَا .

الضرب الثاني — دَوَاوِينَ الْجُيُوشِ بِالْدِيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْمَالِكِ الشَّامِيَّةِ . وَأَرْبَابُ الْخِدْمِ بِهَا لَا يَخْرُجُونَ عَنْ نَظَرِ ، وَصَاحِبِ دِيْوَانٍ ، وَشَاهِدٍ ، وَمُسْتَوِفٍّ .

وَالَّذِينَ يُؤَلِّقُونَ عَنِ السُّلْطَانِ مِنْهُمْ [ وَ ] تُكْتَبُ تَوَاقِعُهُمْ مِنْ دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ الشَّرِيفِ نَظَرُ الْجَيْشِ بِالْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ ، وَنَظَرُ الْجَيْشِ بِدِمَشْقَ ، وَنَظَرُ الْجَيْشِ بِحَلَبَ ، وَنَظَرُ الْجَيْشِ بِطَرَابُلُسَ ، وَنَظَرُ الْجَيْشِ بِحَمَّاءَ ، وَنَظَرُ الْجَيْشِ بِصَفَدَ ، وَنَظَرُ الْجَيْشِ بِغَزَّةَ ، وَنَظَرُ الْجَيْشِ بِسَيْسَ ، وَنَظَرُ الْجَيْشِ بِالْكَرْكَ ، وَصَاحِبُ دِيْوَانِ الْجَيْشِ بِالْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ ، وَالشُّهُودُ ، وَالْمُسْتَوِفُّونَ بِهَا ؛ أَمَّا مَنْ عَدَا هَؤُلَاءِ : مِنْ نَظَارِ الْجَيْشِ وَأَصْحَابِ الدَّوَاوِينَ وَالشُّهُودِ بِالْمَالِكِ الشَّامِيَّةِ ، فَوَلَايَتُهُمْ إِلَى تَوَابِ السُّلْطَانَةِ بِهَا .

الضرب الثالث — دَوَاوِينَ الْإِنْشَاءِ ؛ وَأَرْبَابُ الْخِدْمِ بِهَا لَا يَخْرُجُونَ عَنْ كَاتِبِ سِرٍّ ، وَكَاتِبِ دَسِيتٍ ، وَكَاتِبِ دَرَجٍ .

وَالَّذِينَ يُؤَلِّقُونَ عَنِ السُّلْطَانِ مِنْ كُتَّابِ هَذِهِ الدَّوَاوِينَ وَتُكْتَبُ تَوَاقِعُهُمْ مِنْ دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ السُّلْطَانِيِّ صَاحِبُ دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ بِالْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ ، وَصَاحِبُ دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ بِدِمَشْقَ ، وَصَاحِبُ دِيْوَانِ الْمَكْتَابَاتِ بِحَلَبَ ، وَصَاحِبُ دِيْوَانِ الْمَكْتَابَاتِ

بطرأئس ، وصاحب ديوان المكتبات بجماعة ، وصاحب ديوان المكتبات بصقذ ، وكاتب الدرج بسيس ، وكاتب الدرج بغزة ، وكاتب الدرج بالكرك ، وكاتب الدرج بالإسكندرية ، وكاتب الدست وكاتب الدرج بالأبواب السلطانية ؛ أما مكاتب الدست وكاتب الدرج بالممالك الشامية فإلى نوابها بتواقيع من دواوين الإنشاء بها .

### النوع الثالث

(ولايات أرباب الوظائف الصناعية)

كالأطباء ، والكحّالين ، والجراحين ، ومن جرى مجراهم من سائر أرباب الوظائف التي هي من سمة نظام الملك ؛ فما كان منها بالأبواب السلطانية فولايته عن السلطان بتوقيع من ديوان الإنشاء السلطاني ؛ وما كان منها بالممالك الشامية فولايته إلى نواب السلطنة بها .

### النوع الرابع

(ولايات زعماء أهل الذمة . وهي ضربان)

الضرب الأول — ولاية بطاركة النصارى من اليعاقبة والملكيّة<sup>(١)</sup> .

الضرب الثاني — ولاية رئيس اليهود الحاكم على طوائفهم .

(١) لم ينص على من له توليتهما .

## النوع الخامس

( ما لا يختص بطائفة ولا يندرج تحت نوع )

كصغار الأمور التي يكتب فيها لكل فرد فرد : إما ابتداءً ، وإما بالمثل  
على ما بيده من ولاية سابقة : من نائب أو قاض أو ناظر وقف أو غير ذلك ،  
مما لا يخصص كثرة .

قلت : وربما ولي السلطان في بعض الوظائف بالممالك الشامية مما تختص  
توليته بتوابع السلطنة إذا كانت الوظيفة وضعية المنزلة وأدركت المولى عنانيته ،  
وربما ولي بعض توابع السلطنة ما تختص توليته بالسلطان إذا عظمت رتبة النائب  
وارتفعت منزلته ، خصوصاً إذا كان نظام المملكة محلولا وأمرها مضطربا .

## الفصل الثانى

### من الباب الأول من المقالة الخامسة

(فى بيان ماتجِبُ على الكاتب مراعاتُهُ فى كتابة الولايات على سبيل الإجمال)  
قال الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله فى "حسن التوسل": يجبُ على  
الكاتب أن يراعى فى ذلك أموراً .

منها — براعة الاستهلال بذكر الرتبة ، أو الحال ، أو قدر النعمة ، أو لقب  
صاحب الولاية ، أو أسمه ؛ بحيث لا يكون المطلع أجنباً من هذه الأحوال ،  
ولا بعيداً منها ، ولا مبايناً لها ؛ ثم يستصحب ما يناسب الغرض ويوافق القصد  
من أول الخطبة إلى آخرها .

ومنها — أن يراعى المناسبة وما تقتضيه الحال : فلا يعطى أحداً فوق حقه ،  
ولا يصفه بأكثر مما يُراد من مثله ؛ ويراعى أيضاً مقدار النعمة والرتبة فيكون وصف  
المنة بها على مقدار ذلك .

ومنها — أن لا يصف المتولى بما <sup>(١)</sup> [ يكون ] فيه تعريض بدم المعزول  
[ وتنقيص له ] <sup>(١)</sup> ؛ فإن ذلك مما يؤغر الصدور ، ويورث الضغائن فى القلوب ،  
ويدل على ضعف الآراء فى اختيار الأول ، مع إمكان وصف الثانى بما يحصل به  
المقصود من غير تعريض بالأول .

ومنها — أن يتخير الكلام والمعاني فإنه مما يشيع ويذيع ، ولا يُعذر المقصر  
فى ذلك بسبلة ولا ضيق وقت ، فإن مجال الكلام متسع ، والبلاغة تظهر  
فى القليل والكثير .

(١) الزيادة من "حسن التوسل" ص ١١٠ .

قلت : ومنها أن يَحْرِصَ الكاتبُ على أن تكون نهايَةُ السجعة الأولى في السَّطْرِ  
الأوَّل أو الثاني ولا يُؤَخَّرُها عن ذلك . وبما كان يراعى في ذلك أن تكون الخطبةُ  
من أولها إلى آخرها على رَوى واحد في السَّجْع ، وكذلك الدعاءُ في أوَّل صِفَارِ التواقيع  
والمراسيمِ المبتدأة بلفظ « رُسم » بخلاف ما بعد ذلك إلى آخر ما يكتب ، فإنه يتفق  
فيه رَوى السجعتين والثلاثِ فما حوَّلها ، ثم يخالف رَويها إلى غيره ؛ ولا يكلف  
الكاتبُ الإتيانَ بجميعها على رَوى واحد ؛ وعلى ذلك كانت طريقةُ تحوُّلِ الكُتَّابِ  
بالدولة التركية ، كالفاضي محي الدين بن عبد الظاهر ، والشيخ شهاب الدين محمود  
الحلبي ، والمقرَّ الشهابي بن فضل الله ، ومن عاصرهم إلَّا في القليل النادر ؛ فإنه ربَّما  
وقع بعضهم مخالفةً رَوى الخطبة ؛ وإلى هذا قد جَنَعَ غالب كُتَّاب ديوان الإنشاء  
في زماننا ومألوإ إليه : لما في التزام الرَوى الواحد في جميع الخطبة من التكلف  
وعسر التلقيق على من يتعاناها .

ثمَّ الكلامُ فيما يكتبُ في الولاية قد يكون جميعه بلفظ الغيبة ؛ مثل أن يقال :  
عهد إليه بكذا ، أو قلَّده كذا ، أو فَوَّضَ إليه كذا ، أو أن يستقرَّ في كذا ، ونحو  
ذلك ، ثم يقال : وأمره بكذا ، أو ونحن نُوصيه بكذا ، أو فعله بكذا ، وما أشبه  
ذلك ؛ وقد يكون جميعه بلفظ الخطاب ، مثل أن يقال : وقد عهدَ إليك بكذا ،  
أو قلَّدك كذا ، أو فَوَّضَ إليك كذا ثم يقال : ونحن نُوصيك بكذا ، أو فعليك بكذا ،  
ونحوه ؛ وقد يُصدَّر بلفظ الغيبة ثم يُلْتَمَسُ منها إلى الخطاب ؛ وقد يُصدَّر بلفظ  
الخطاب ثم يُلْتَمَسُ منه إلى الغيبة بحسب ما يؤثِّره الكاتب وتؤدِّي إليه بلاغته مما  
سَقِفُ على تنويعه في خلال كلامهم في أصناف الِوَلَايات الآتية في هذا الكتاب ،  
إن شاء الله تعالى .

## الفصل الثالث

من الباب الأول من المقالة الخامسة

( في بيان ما يقع به التفاوت في رتب الولايات، وذلك من سبعة أوجه )

الوجه الأول

( الألقاب، وهي على ثلاثة أنواع )

النوع الأول

( ألقاب الخلقاء )

وسبيلها الاختصار دون البسط، اكتفاء بما هو ظاهر من أبهة الخلافة، وعلو مقام الإمامة، إذ هي الزعامة العظمى، والرتبة التي هي أعلى الرتب وأشهى .

وهي صفتان :

الصفة الأولى — ألقاب الخلقاء أنفسهم، وغاية ما يُنعت به الإمام وأُمير المؤمنين .

الصفة الثانية — ألقاب أولياء العهد بالخلافة، وألقابهم نحو السيد الجليل وذخيرة الدين، ونحو ذلك على ما سيأتي بيانه في عهود الخلقاء عن الخلقاء .

النوع الثاني

( ألقاب الملوك، وهي صفتان أيضا )

الصفة الأولى — ألقاب السلطان نفسه، والكتاب تارة يتدثونها بالسلطان، وتارة يتدثونها بالمقام، ولكل منهما نوعٌ تخصه، وسيأتي الكلام على ذلك مستوفى في الكلام على عهود الملوك عن الخلقاء، إن شاء الله تعالى .

الصف الثاني — ألقاب أولياء العهد بالملك ، والملوك المنفردين بولاية صغار  
البلدان عن السلطان الأعظم ، وهي لا تُفتح إلا بالمقام ليس إلا ، ولها نعوت تخصها  
يأتي الكلام عليها في الكلام على عهودهم أيضا .

### النوع الثالث

(ألقاب قوى الولايات الصادات عن السلطان : من أرباب  
الوظائف الواقعة في هذه المملكة)

وقد تقدّم في الكلام على الألقاب في مقدّمة الكتاب أنّ أصول الألقاب  
المستعملة في ذلك خمسة ألقاب على الترتيب : وهي المقرّ، ثم الجنّاب، ثم المجلس،  
ثم مجلس مضافا : كمجلس الأمير، ومجلس القاضي، ومجلس الشيخ، ومجلس  
الصّدر، ثم الاقتصار على المضاف إليه وحذف المضاف : كالأمير والقاضي والشيخ  
والصّدر ؛ ويتحق بذلك لأهل الدّمة الحاضرة، وحاضرة الشيخ، والشيخ مجرّداً  
عن حاضرة، وتقدّم في الفصل الأوّل من هذا الباب أنّ أرباب الولايات خمسة  
أنواع : أرباب السيوف، وأرباب الأعلام، وأرباب الوظائف الصّناعية، وزعماء  
أهل الدّمة، ومن لا يختص بطائفة لصغرهم . وجميع هذه الأنواع على اختلاف  
أصنافهم لا يجرّجون عن الألقاب المتقدّمة ؛ وقد تقدّم الكلام على هذه الألقاب  
ونعوتها لمن يكتب عن الأبواب الشريفة السلطانية من أرباب الوظائف مستوفى  
في المكتبات ، إلا أنه قد يؤلّ عن السلطان من لم يؤهل للكتابة عنه ، كأكثر  
أرباب الوظائف من حملة الأعلام وغيرهم ، فاحتجج إلى تعريف مراتب الألقاب  
لكلّ نوع من أرباب الولايات .



فأما أرباب السيوف، فاعلى ألقابهم المقرّ، وأدناها مجلس الأمير، ثم الأمير مجزداً عن مجلس .

وأما أرباب الوظائف الصناعيّة، فاعلى ألقابهم المجلس وأدناها مجلس الصدر، ثم الصدر مجزداً عن مجلس .

وأما من لا يختص بطائفة لصغره، فينتصر فيه على لقب التعريف وهو فلان الدين إن عظم وإلا أنتصر على اسمه خاصّة .

وأما زعماء أهل الدّمة، فاعلى ألقابهم الحضرة، ثم حضرة الشيخ، ثم الشيخ مجزداً عن حضرة .

وأعلم أن كلّ مَنْ كانت له مكاتبَةٌ عن الأبواب السلطانية من أرباب السيوف والأقلام وغيرهم، فلَقَبٌ ولايتُه ونُعوته كما في مكاتبته، غير أنه يزاد في آخر الثعوت المركّبة ذكر أسميه العلم، ونُسبته إلى السلطان: كالناصرى، والظاهرى، ونحوها إن كان ممن يتنسب إليه بزيادة ونحوها، ثم إن كانت مكاتبته تُفتّح بالدعاء نُقل ذلك الدعاء من أوّل المكاتبَة إلى ما بعد اسمه والنسبة إلى السلطان في الولاية، كما إذا كانت مكاتبته : أعزّ الله تعالى أنصار المقرّ الكريم، فإنه يُدعى له عقيب اسمه والنسبة إلى السلطان - إن كانت - بأعزّ الله تعالى أنصاره، وكذلك في البواق .

وإن كانت مكاتبته تُفتّح بعير الدعاء : كصدرت هذه المكاتبَة ونحو ذلك ، فإنه يدعى له في الولاية عقيب الاسم والنسبة إلى السلطان - إن كانت - بما يُدعى له في مكاتبته في آخر الألقاب، كما إذا كان من أرباب السيوف ومكاتبته صدرت هذه المكاتبَة إلى المجلس العالى أو المجلس السامى بآلاء فإنه يُدعى له بمثل : أدام الله سعادته، وأدام الله رفعتَه، ونحو ذلك، وإن لم تكن له مكاتبَة عن الأبواب السلطانية

كُتِبَ له في الولاية ما يناسبه من اللقب والنعت، ثم يذكر اسمه والدعاء له إن كان مستحقاً للدعاء؛ وسيأتي لقب كل ذي ولاية من الأنواع الخمسة المتقدمة الذكر ونعوتُه عند ذكر ولايته فيما بعد، إن شاء الله تعالى .

ثم للألقاب في الولايات محلان :

أحدهما — الطَّرة . ويُقتصر فيها على اللقب : من المقر أو الجَناب أو المجلس أو مجلس مضافا وما بعده من النعت إلى اللقب المميز للوظيفة كالأميرى والقضائى ونحوهما ، ثم يذكر لقبه الخاص به وهو الفلانى أو فلان الدين ، ثم يذكر اسمه وانتسابه إلى السلطان إن كان، على ماسياتى بيانه مفصلاً، إن شاء الله تعالى .

الثانى — فى أثناء الولاية . وهناك تستوفى النعت ويؤتى بما فى الطَّرة فى ضمنه إلا أنه يحل لقب التعريف — وهو الفلانى أو فلان الدين — بين النعت المفردة والمرتبة فاصلاً بينهما .

## الوجه الثانى

( ألقاظ إسناد الولاية إلى صاحب الوظيفة ؛ ولها ست مراتب )

الأولى — لفظ العهد، مثل أن يقال : أن يُعهد إليه، وهى خاصة بالخلفاء والمُلوك .

الثانية — لفظ التقليد، مثل أن يقال : أن يُقلد كذا، ويكون مع المقر الكريم والجَناب الكريم .

الثالثة — لفظ التفويض، مثل أن يقال : أن يفوض إليه كذا، ويختص بالجَناب لأرباب السيوف، وكذلك الجَناب والمجلس العالى لأرباب الأقلام .

قلت : وَكُنَّا زَمَانًا يَسْتَعْمِلُونَهَا مَعَ الْمُقَرَّ أَيْضًا ، وَلَا يَسْتَعْمِلُونَ لَفْظَ يُقَدِّمُ  
فِي التَّقَالِيدِ لِثَوْمِهِمُ الْإِكْفَاءَ بِلَفْظِ تَقْلِيدٍ عَنْهَا ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ يُقَدِّمُ فَوْقَ يُقَوِّضُ كَمَا  
تَقَدَّمَ . عَلَى أَنَّ الْمُقَرَّ الشَّهَابِيَّ بْنُ فَضْلِ اللَّهِ قَدْ صَرَّحَ بِذَلِكَ فِي "التعريف" كَمَا سَيَأْتِي  
فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الرابعة — لَفْظُ الْإِسْتِقْرَارِ وَالِاسْتِمْرَارِ ، مِثْلُ أَنْ يُقَالَ أُنْتُ يَسْتَقِرُّ فِي كَذَا ،  
أَوْ يَسْتَمِرُّ فِي كَذَا . وَلَفْظُ يَسْتَقِرُّ مَخْصُصٌ بِالْمُسْتَجِدِّ ، وَلَفْظُ يَسْتَمِرُّ مَخْصُصٌ بِالْمُسْتَقَرِّ ؛  
وَيَكُونَانِ مَعَ الْمَجْلِسِ السَّامِيِّ بِالْيَاءِ ، وَالْمَجْلِسِ السَّامِيِّ بِغَيْرِ يَاءٍ لِأَرْبَابِ السِّيُوفِ  
وَالْأَقْلَامِ وَغَيْرِهِمْ ؛ أَمَّا الْمَجْلِسُ الْعَالِي فَإِنْ كَانَتْ مَكَاتِبُهُ تُفْتَحُ بِالْدَعَاءِ ، مِثْلُ : أَدَامَ  
اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَةَ الْمَجْلِسِ الْعَالِي كِتَابِ السُّلْطَانَةِ بِالْكَرَّكَ ، فَإِنَّهُ يُقَالُ فِيهِ أَنْ يُقَوِّضَ إِلَيْهِ ،  
وَإِنْ كَانَتْ مَكَاتِبُهُ تُفْتَحُ بِصِدْرَتِ هَذِهِ الْمَكَاتِبَةِ كِتَابِ الْقُدُسِ وَنَحْوِهِ ، فَإِنَّهُ يُقَالُ  
فِيهِ أَنْ يَسْتَقِرَّ .

الخامسة — لَفْظُ التَّرْتِيبِ ، مِثْلُ أَنْ يُقَالَ : أَنْ يُرْتَّبَ فِي كَذَا ، وَيَكُونُ مَعَ مَجْلِسِ  
مُضَافًا ، مِثْلُ مَجْلِسِ الْأَمِيرِ وَمَجْلِسِ الْقَاضِي وَنَحْوَهُمَا ، وَرَبَّمَا اسْتُعْمِلَتْ مَعَ السَّامِيِّ  
بِفَسْرِ يَاءٍ .

السادسة — لَفْظُ التَّقَدُّمِ ، مِثْلُ أَنْ يُقَالَ أَنْ يُقَدِّمَ فَلَانٌ عَلَى الطَّائِفَةِ الْفُلَانِيَّةِ  
وَنَحْوِ ذَلِكَ .

قلت : وَهَاتَانِ الْمُرْتَبَتَانِ أَعْنِي السَّادِمَةَ وَالْخَامِسَةَ قَدْ ذَكَرَهُمَا الْمُقَرُّ الشَّهَابِيُّ بْنُ  
فَضْلِ اللَّهِ فِي "التعريف" فَقَالَ : وَقَدْ يُقَالُ أَنْ يُرْتَّبَ وَأَنْ يُقَدَّمَ . وَهُمَا مَوْجُودَانِ  
فِي كِتَابَةِ مُعَاَصِرِيهِ بِمَصْرٍ وَالشَّامِ ؛ أَمَّا كُنَّا زَمَانًا قَدْ رَفُضُوهُمَا جَمَلَةً وَأَضْرَبُوا  
عَنْ اسْتِعْمَالِهَا بِكُلِّ حَالٍ ، وَأَكْتَفَوْا عَنْهُمَا بِالْمُرْتَبَةِ الرَّابِعَةِ وَهِيَ لَفْظُ الْإِسْتِقْرَارِ ،

والواجب إثباتهما لتفاوت ما بين المراتب . على أن استعمال لفظ يرتب موجود في كلامهم بكثرة ، ولفظ يقدم لم يستعملوه إلا في الترتيب ، والله أعلم . وهذه الألفاظ تقع في الطرة وفي أثناء الكلام على حد واحد .

### الوجه الثالث

( الإفتاحات ، وهي راجعة إلى أربع مراتب )

المرتبة الأولى — الإفتاح بلفظ : هذه بيعة ، أو هذا ما عهد ، ونحو ذلك في البيعات والمهود على المذهب القديم ، أو بالحمد لله . ويقع الإبتداء به في المهود والبيعات إذا ابتدئ العهد أو البيعة بخطبة على ما عليه استعمال أهل زماننا ؛ وكذلك في التقاليد لأرباب السيوف والأقلام ، والمراسم المكبرة لأرباب السيوف ، والتواقيع الجكار لأرباب الأقلام .

المرتبة الثانية — الإفتاح بأمّا بعد حمد الله . ويقع الإبتداء به في المرتبة الثانية من أرباب المراسم المكبرة من أصحاب السيوف ، والمرتبة الثانية من أرباب التواقيع من أصحاب الأقلام .

المرتبة الثالثة — الإفتاح برسم بالأمر الشريف ، ويقع الإفتاح به في المرتبة الثالثة لأرباب التواقيع والمراسم من سائر أرباب الولايات .

المرتبة الرابعة — ما كان يستعمل من الإفتاح بأمّا بعد فإن كذا . أو من حسنت طرائقه ، وحملت خلايقه ، فإنه أحق ، وما أشبه ذلك ؛ كما أشار إليه في " التعريف " إذ كان الآن قد رُفض وترك على ما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى ؛ وقد كان ذلك يستعمل فيما تقدم لأرباب السيوف والأقلام جميعاً .

### الوجه الرابع

(تمتدُّ التَّحْمِيدُ فِي الْخُطْبَةِ أَوْ فِي أَثْنَاءِ الْكَلَامِ وَاتِّحَادُهُ)

فَقَدْ قَالَ فِي "التَّعْرِيفِ" فِي الْكَلَامِ عَلَى عُهُودِ الْمُلُوكِ لِلْمُلُوكِ : وَكُلَّمَا كَثُرَتْ التَّحْمِيدَاتُ فِي الْخُطْبِ ، كَانَتْ أَكْبَرَ : لِأَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى عِظَمِ قَدْرِ النِّعْمَةِ ؛ وَذَكَرَ فِي الْكَلَامِ عَلَى عُهُودِ الْخُلَفَاءِ عَنْ الْخُلَفَاءِ أَنَّهُ يَنْتَهِي فِي التَّحْمِيدِ إِلَى سَبْعَةٍ .

### الوجه الخامس

(الدَّعَاءُ . وَلَهُ ثَلَاثَةُ مَوَاضِعَ)

الموضع الأول — فِي طَرَةِ الْوَلَايَةِ بَعْدَ ذِكْرِ مَا يُكْتَبُ فِي الطَّرَةِ مِنَ الْقِسَابِ ، وَلَا يَزَادُ فِيهِ عَلَى دَعْوَةٍ وَاحِدَةٍ تَنَاسِبُهُ .

الموضع الثاني — فِي أَثْنَاءِ الْوَلَايَةِ بَعْدَ اسْتِيفَاءِ الْأَلْقَابِ وَذِكْرِ الْأَسْمِ ؛ وَهُوَ مَا فِي الطَّرَةِ مِنَ الدَّعْوَةِ الْمُنَاسِبَةِ لَهُ بِغَيْرِ زَائِدٍ عَلَى ذَلِكَ .

الموضع الثالث — [فِي] آخِرِ الْوَلَايَةِ بِالْإِعَانَةِ وَنَحْوِهَا . قَالَ فِي "التَّحْقِيفِ" : وَأَقْلَبُهَا دَعْوَتَانِ ، وَأَكْثَرُهَا أَرْبَعٌ . قَالَ فِي "التَّعْرِيفِ" : وَمَنْ اسْتَصْفَرَ مِنَ الْمُؤَلِّينَ لَا يُدْعَى لَهُ فِي آخِرِ وَلَايَتِهِ .

ثُمَّ قَدْ هَتَمَ فِي الْمَكْتَبَاتِ أَنَّ الدَّعَاءَ مَعَ تَزْيِيدِ اللَّهِ تَعَالَى : كَاعَزَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنْصَارَ الْمُقْتَرِ ، وَضَاعَفَ اللَّهُ [تَعَالَى] نِعْمَةَ الْجَنَابِ وَنَحْوَ ذَلِكَ أَعْلَى مِنْ حَذْفِهِ <sup>(١)</sup> ؛ كَأَدَامَ اللَّهُ سَعْدَهُ ، وَأَعَزَّهُ اللَّهُ وَنَحْوَ ذَلِكَ ؛ وَلَا شَكَّ أَنَّهُ فِي الْوَلَايَاتِ كَذَلِكَ .

(١) أَيْ حَذَفَ التَّزْيِيدَ فِي الْأَصْلِ حَذْفَهَا أَيْ جَعَلَ التَّزْيِيدَ .

## الوجه السادس

( طُولُ الكلام وقصره ، فكُلًّا عظمت الوظيفة وأرتفع قدرُ صاحبها  
كان الكلام فيها أبسط )

قال في "حُسن التوسل" : ويحسن أن يكون الكلام في التقاليد متقياً أربعة  
أقسام متقاربة المقادير؛ فالرُّبُّ الأوَّل في الخطبة؛ والرُّبُّ الثاني في ذكر مَوْقع الإنعام  
في حق المقلَّد ، وذكر الرتبة وتَفخيم أمرها ؛ والرُّبُّ الثالث في أوصاف المولى<sup>(١)</sup> ،  
وذكر ما يناسب تلك الرتبة ويناسب حاله من عدل وسياسة ومهابة وبعْد صيت  
وشمعة وشجاعة إن كان نائباً ، ووصف الرأي والعدل وحسن التدبير والمعرفة بوجوه  
الأموال ، وعِجارة البلاد ، وصَلاح الأحوال ، وما يناسب ذلك إن كان وزيراً ؛  
وكذلك في كلِّ رتبة بحسبها ؛ والرُّبُّ الرابع في الوصايا .

قال في " التعريف " : والذي اختاره اختصاراً مقدار التحميدة [ التي<sup>(٢)</sup> ]  
في الخطبة والخطب مطلقاً وإطالة ما بعد ذلك ؛ والإطناب في الوصايا [ اللهم<sup>(٢)</sup> ]  
إلا لمن جَلَّ قدره [ وعظم أمره<sup>(٢)</sup> ] فإن الأولى الاختصار في الوصايا على أهمِّ الجمليات ،  
ويعتذر في الإقتصار بما يُعرف من فضله ، ويُعلم من علمه ، ويوثق به من تجربته  
ومن هذا ومثله . قال : والكاثِب في هذا [ كَلَه<sup>(٢)</sup> ] بحسب ما يراه ، ولكلِّ واقعة  
مقال يليق بها ، ولمَّا ليس كلُّ رجلٍ قدرٌ معروف لا يليق به غيره ؛ وفي هذا غنى لمن  
عرَف ، وكفاية لمن عِلِمَ ؛ على أن المقتر الشهابي تابع في ذلك القاضي « محي الدين  
أبن عبد الظاهر » رحمه الله ، فإنك إذا تأملت تقاليدَه وتواقيعه ، وجدتها كلها

(١) في حسن التوسل ص ١١٠ « المقلَّد » وهي بمنها .

(٢) الزيادة من التعريف ص ٨٨ .

كذلك ، ولكل وجه ظاهر ؛ فإن المطول لخطبة لا يُثليها من براعة الاستهلال ،  
المناسبة للحال ؛ والمقصر لها مُراجع لزيادة الإطناب في الوصف .

قلت : ولا يخفى أن ما ذكرناه في التقاليد يحىء مثله في اليهود بلحرها على موجبها  
من مؤل ومؤل .

أما إذا كانت الولاية بيعة فإنه يعمل موضع الوصايا ذكر الآتزام بالخليفة البر  
والإحسان للخلق ، ووعد النظر في أمور الرعية ، وصلاح أحوالهم ؛ وذكر التحليف  
للخليفة ، أوله وللسلطان إن كان معه سلطان قام بمقد البيعة له على الوفاء بالعهد  
والدخول تحت الطاعة . قال في "حسن التوسل" : والأمر الجارى في ذلك على  
العادة معروف لكنه قد تقع أشياء خارجة عن العادة فيحتاج الكاتب فيها إلى حسن  
التصرف على ما يقتضيه الحال ؛ وذكر من ذلك تقليدا أنشاء لملك سيسى ، وتقليدا  
كتبه بالفتوة ؛ وسيأتى ذكر ذلك مع ما شاكله في مواضعه إن شاء الله تعالى .

## الوجه السابع

( قطع الورق )

وأعلم أن الولايات من ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية بجهتها يحصر قطع  
الورق فيها في خمسة مقادير لا يتعداها :

أحدها — قطع البندادى الكامل ؛ وهو مختص بالبيعات واليهود مطلقا على  
أى الافتتاحات كان .

الثاني — قَطَعَ الثَّلاثِينَ مِنَ الْمَنْصُورِيِّ، وَهُوَ لِأَجْلِ الْوَلَايَاتِ السُّلْطَانِيَّاتِ لِأَرْبَابِ السُّيُوفِ وَبَعْضِ أَرْبَابِ الْأَقْلَامِ، وَلَا يَفْتَحُ فِيهَا إِلَّا بِالْحَمْدِ .

الثالث — قَطَعَ النِّصْفَ مِنْهُ، وَهُوَ لَمَّا دُونَ ذَلِكَ، وَلَا يَفْتَحُ فِيهِ إِلَّا بِالْحَمْدِ أَيْضًا :

الرابع — قَطَعَ الثُّلُثَ مِنْهُ ، وَهُوَ لَمَّا دُونَ ذَلِكَ .

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا وُلِّيَ صَاحِبُ وَظِيفَةٍ تَسْتَحِقُّ قَطَعَ النِّصْفَ وَظِيفَةٌ أُخْرَى تَسْتَحِقُّ قَطَعَ الْعَادَةِ ، فَإِنَّهُ يُرَاعَى مِقْدَارُ صَاحِبِهَا وَيُزَادُ عَلَى مِقْدَارِ الْعَادَةِ ؛ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَبْلُغُ مَبْلَغَ رَتْبَةِ وَظِيفَتِهِ الْعُلْيَا ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَتَوَسَّطَ بَيْنَهُمَا ؛ فَيَكْتَبُ لَهُ فِي قَطَعَ الثَّلَاثِ لَتَكُونَ رَتْبَةُ بَيْنِ رُتْبَتَيْنِ فَتَحْصُلُ مَرَاعَاةُ تَعْظِيمِهِ مِنْ حَيْثُ الزِّيَادَةُ عَلَى قَطَعَ الْعَادَةِ ، وَمَرَاعَاةُ قَدْرِ الْوِظِيفَةِ مِنْ حَيْثُ إِنَّمَا لَمْ تَبْلُغْ شَأْوَ وَظِيفَتِهِ الْعُلْيَا ؛ أَمَّا إِذَا وُلِّيَ مَنْحَطٌ الْقَدْرِ وَظِيفَةٌ تَسْتَحِقُّ الْقَطَعَ الْكَبِيرَ ، فَإِنَّهُ يَكْتَبُ لَهُ فِيهِ ، وَتَكُونُ تَوَلِيَّتُهُ لَهَا رَفْعًا إِلَى دَرَجَتِهَا .

الخامس — قَطَعَ الْعَادَةِ، وَهُوَ أَصْفَرُهَا، وَالْأَصْلُ أَنْ يَفْتَحَ فِيهِ بِلَفْظِ «رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ» وَرَبَّمَا عُلْتُ رَتْبَةً صَاحِبِ الْوَلَايَةِ وَلَمْ يُؤْهَلْ لِلْكَتَابَةِ فِي قَطَعَ الثَّلَاثِ فَيُكْتَبُ لَهُ فِيهِ : أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ، وَهُوَ قَلِيلُ الْإِسْتِعَالِ، فَإِنْ أَسْتَعْمِلَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ كَذَا ، أَوْ إِنَّ أَوْلَى ، أَوْ إِنَّ أَحَقَّ وَنَحْوَ ذَلِكَ كُتِبَ فِي قَطَعَ الْعَادَةِ أَيْضًا .



## الباب الثاني

من المقالة الخامسة في البيعات، وفيه فصلان

### الفصل الأول

(في معناها)

البيعات جمع بَيْعَة، وهي مصدرُ بَاعَ فلانٌ الخليفةَ يُبَايعُهُ مُبَايعَةً؛ ومعناها المعاقدَةُ والمُعَاهَدَةُ، وهي مُشَبَّهَةٌ بالبَيْعِ الْحَقِيقِيِّ . قال أبو السَّعَادَاتِ بنُ الأَثِيرِ في نَهَائِهِ في غَرِيبِ الْحَدِيثِ : كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بَاعَ مَا عِنْدَهُ مِنْ صَاحِبِهِ وَأَعْطَاهُ خَالِصَةً نَفْسِهِ وَطَاعَتَهُ وَدَخِيلَةَ أَمْرِهِ . وَيُقَالُ : بَايَعَهُ، وَأَعْطَاهُ صَفْقَةً يَدِهِ؛ وَالْأَصْلُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ مِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ أَنَّهُ إِذَا تَبَايَعَ اثْنَانِ صَفَّقَ أَحَدُهُمَا بِيَدِهِ عَلَى يَدِ صَاحِبِهِ .

وقد عَظَّمَ اللهُ تَعَالَى شَأْنَ الْبَيْعَةِ وَحَدَّثَ مِنْ نَكْثِهَا بِقَوْلِهِ خُطَابًا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسْئُوتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ . وَأَمْرٌ بِمُبَايَعَةِ الْمُؤْمِنَاتِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبَنَاتٍ يَفْتَرِيهِنَّ يَنْ أَيْدِيَهُنَّ وَأَرْجُلُهُنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لهنَّ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ . وَبَايَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّحَابَةَ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ بَيْعَتَيْنِ .

(١) ليس مراده المصدر الصناعتى كما لا يخفى والأوضح "وهى أسم مصدر لباع" الخ تأمل .

## الفصل الثاني

( في ذكر تنوع البيعات ، وهي نوعان )

## النوع الأول

( بيعتُ الخلقاء ، وفيها سبعة مقاصد )

## المقصد الأول

( في أصل مشروعيتها )

فالأصل في ذلك بعد الإجماع ما ثبت في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها " أنه لما توفّي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة ، فقالوا : منّا أميرٌ ومنكم أميرٌ ، فذهب إليهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح ، فذهب عمر يتكلم فأنكته أبو بكر ، وكان عمر يقول : ما أردتُ بذلك إلا أنّي قد هيأتُ كلاماً أعجبتني خَشِيتُ أن لا يبلغه أبو بكر ، ثم تكلم أبو بكر فتكلم بلغ الناس . فقال في كلامه : نَحْنُ الأُمَرَاءُ وأنتم الوُزَرَاءُ . فقال الحباب بن المُنْذِر : لا والله لا تفعل ! منّا أميرٌ ومنكم أميرٌ . فقال أبو بكر : لا وليّنا الأُمَرَاءُ وأنتم الوُزَرَاءُ . فبايعوا عمر أَوْ أبا عبيدة . فقال عمر : بَلْ بُيِعْتَ فَأَنْتَ سَيِّدُنَا وخَيْرُنَا وأحبُّنا إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ عمر بيده فبايعه وبايع الناس " .

وهذه أوّلُبيعةٍ بالخِلافةِ كانت في الإسلام ، ولكن لم يتقلَّ أنه رضي الله عنه كَتَبَ له مبايعةً بذلك ، ولعلَّ ذلك لأنَّ الصحابة رضوان الله عليهم كانوا إذا بايعوا لا يَحْمِلُونَ البيعةَ بعد صُبُورها ، بخلاف ما بعد ذلك .

## المقصود الثانى

( فى بيان أسباب البيعة الموجبة لأخذها على الرعية )

وهى خمسة أسباب :

السبب الأول — موت الخليفة المنتصب من غير عهد بالخلافة لأحد بعده ، كما فى قصة الصديق المتقدمة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ؛ أو تركها شورى فى جماعة معينة ، كما فعل عمر رضى الله عنه عند وفاته حيث تركها شورى فى ستة : على بن أبى طالب ، والزبير بن العوام ، وعثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة ، وسعيد بن أبى وقاص ، رضى الله عنهم .

السبب الثانى — خلع الخليفة المنتصب لموجب يقتضى الخلع ، فتحاج الأمة [ إلى ] مبايعته إمام يقوم بأمورها ، ويتحمل بأعبائها .

السبب الثالث — أن يتوهم الخليفة خروج ناحية من النواحي عن الطاعة فوجه إليهم من يأخذ البيعة له عليهم : لينقادوا لأمره ، ويدخلوا تحت طاعته .

السبب الرابع — أن تؤخذ البيعة للخليفة المهود إليه بعد وفاة العاهد ، كما كانت الخلفاء الفاطميون تفعل فى خلافتهم بمصر ، وكانوا يُسمون البيعة بـ **يَحْلًا** كما كانوا يُسمون غيرها بذلك .

السبب الخامس — أن يأخذ الخليفة المنتصب البيعة على الناس لولى عهده بالخلافة بأن يكون خليفة بعده إمضاء لعهد ، كما فعل معاوية رضى الله عنه فى أخذه البيعة لولده يزيد .

## المقصود الثالث

( في بيان ما يجب على الكاتب مراعاته في كتابة البيعة )

وأعلم أنه يجب على الكاتب أن يراعى في كتابة البيعة أموراً :

منها — أن يأتي في براعة الاستهلال بما يتبها له من أسم الخليفة أو لقبه :  
كفلان الدين ، ألقب الخلافة : كالتوكل أو المستكفي ، أو مقتضى الحال الموجب  
للبعثة من موت أو خلع ونحوهما ، أو غير ذلك مما يجرى هذا المجرى .

ومنها — أن يثبت على شرف رتبة الخلافة وعلو قدرها ورثة شأنها ، وأنها الغاية  
التي لا فوقها ، والدرجة التي لا يقدحها ، وأن كل رتبة دون ربتها ، وكل منصب فرع  
عن منصبها .

ومنها — أن يثبت على ميسر الحاجة إلى الإمام ، ودعائية الضرورة إليه ، وأنه  
لا يستقيم أمر الوجود وحال الرعية إلا به ، ضرورة وجوب نصب الإمام بالإجماع ،  
وإن شد عنه الأصم تخالف ذلك .

ومنها — أن يشير إلى أن صاحب البيعة أستوعب شروط الإمامة واجتمعت  
فيه ، ويصفه منها بما يعز وجوده ، ويُتخذ بمحصله : كالعلم والشجاعة والرأى  
والكفاية ، بخلاف مالا يعز وجوده ولا يُتخذ به وإن كان من الشروط : كالحرية  
والذكورة والسمع والبصر ونحو ذلك ، فإن الوصف بذلك لا وجه له .

ومنها — أن يثبت على أفضلية صاحب البيعة وتقدمه في الفضل واستيفاء الشروط  
على غيره : ليخرج من الخلاف في جواز تولية المفضول مع وجود الفاضل .

ومنها - أن ينبّه على أن المختارين لصاحب البيعة ممن يُعتبر اختيارُهُ من أهل الحلّ والعقد : من العلماء والرؤساء ووجوه الناس الذين يتيسر حضورُهُم على الوجه المعتبر .

ومنها - أن ينبّه على تعيين المختارين للبيعة ، إن كان الإمام الأول نصّ عليهم ، إذ لا يصحُّ الاختيار [من] غير من نصّ عليه ، كما لا يصحُّ إلا تقليدُ من عهد إليه .

ومنها - أن ينبّه على جريان عقد البيعة من المختارين ، ضرورة أنه إن أقرد شخصٌ بشروط الإمامة في وقته لم يصّر إماما بمجرد ذلك .

ومنها - أن ينبّه على سبب خلع الخليفة الأول إن كانت البيعة مترتبة على خلع ، إذ لا يصحُّ خلع الإمام القائم بلا سبب .

ومنها - أن ينبّه على قبول صاحب البيعة العقد وإجابته إليه إذ لا بد من قبوله .  
ومنها - أن ينبّه على أن القبول وقع منه بالإختيار : لأنه لا يصحُّ الإيجابُ على قبولها ، اللهم إلا إن كان بحيث لا يصلح للإمامة غيره فإنه يجبر عليها بلا خلاف .  
ومنها - أن ينبّه على وقوع الشهادة على البيعة ، خروجًا من الخلاف في أنه هل يُستترط الإشهاد على البيعة أم لا ؟ .

ومنها - أن ينبّه على أنها لم تقتن بيعة في الحال ولا مسبوقه بأخرى ، إذ لا يجوز نصب إمامين في وقت واحد وإن تباعد إقليهما ، خلافا للأستاذ أبي إسحاق الأسفراييني حيث جوز نصب إمامين في إقليمين .

ومنها - أن ينبّه على أنه يجوز البيعة تجب الطاعة والافتاد إليه ، ويجب على كافة الأمة تفويض الأمور العامة إليه ، وطاعته فيها وافتق حاكم الشرع وإن كان جائرا .

ومنها — أن يعزى في الخليفة الميت <sup>وسمى</sup> بالمستقر إن كانت البيعة مبدئية على موت خليفة؛ وأن يبين <sup>(١)</sup> سبب خلع الخليفة الأول إن كانت مرتبة على خلع .  
أما التعزية والتهنئة بموت الأول، فطيه جرى عامة الكتاب؛ إلا أنه يختص في عرفهم بما إذا كان الخليفة الأول شديد القرب من الثاني؛ كأبيه وأخيه وأبن عمه .

وكان الأولون يتعاونون ذلك في خطاب الخلفاء بالتهنئة بالخلافة بعد أفارهم ، وقد روى أن عطاء بن أبي سفيان دخل على يزيد بن معاوية فهناه بالخلافة وعزاه في أبيه فقال :

رُزيت بأمر المؤمنين خليفة الله ، وأُعطيَت خلافة الله ؛ قضى معاوية تحببه ، ففقر الله ذنبه ؛ ووليت الرئاسة ، وكنت أحق بالسياسة ؛ فاحتسب عند الله جليل الرزية ، وأشكره على جزيل العطيء ؛ وعظم الله في معاوية أجرك ، وأحسن على الخلافة عونك .

وتعرضت أعرابية للنصور في طريق مكة بعد وفاة أبي العباس السفاح ، فقالت : يا أمير المؤمنين احتسب الصبر ، وقدم الشكر ؛ فقد أجرل الله لك الثواب في الحالين ، وأعظم عليك المنة في الحادثين ؛ سلك خليفة الله ، وأفادك خلافة الله ؛ فسلم فيما سلك ، وأشكر فيما متحك ؛ وتجاوز الله عن أمير المؤمنين ، وخارك فيما ملكك من أمر الدنيا والدين .

وأما التعريف بسبب الخلع <sup>(١)</sup> ، فلا أنه لا يصح خلع الإمام بغير موجب للخلع .

ومنها — أن يشير إلى ذكر السلطان القائم بالبيعة إن كان القائم بها سلطاناً على ما استقرت عليه قاعدة الكتاب في ذلك .

(١) سبق التنبيه على هذا في الصفحة قبل .

ومنها — أن يَبَّه على أن من اسْتَحْلِفَ في الْبَيْعَةِ من وُجُوهِ الدَّوْلَةِ وأعيانِ الْمَمْلُوكَةِ  
إن جرى حَلْفٌ، ويذكر صِفَةَ حَلْفِهِمْ وما أَلْتَزَمُوهُ من الأَيْمَانِ الْمُؤَكَّدَةِ، والمَوَاقِيقِ  
الْمُعْظَمَةِ .

### المقصود الرابع

( في بيان مواضع الْخِلَافَةِ الَّتِي يَسْتَدْعِي الْحَالُ كِتَابَةَ الْمَبَايِعَاتِ فِيهَا )

وهي أربعة أمور :

أحدها — مَوْتُ الْخَلِيفَةِ الْمُتَقَدِّمِ عَنْ غَيْرِ عَهْدٍ خَلِيفَةٍ بَعْدَهُ ، وهو موضوعها  
الْأَصْلِيّ الَّذِي عَلَيْهِ بُنِيَ .

الثاني — أن يَعْهَدَ الْخَلِيفَةُ إِلَى خَلِيفَةٍ بَعْدَهُ ، ثم يَمُوتَ الْعَاهِدُ وَيَسْتَقَرُّ الْمَعْهُودُ  
إِلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ بِالْعَهْدِ بَعْدَهُ ؛ فَتُؤَخَّذُ الْبَيْعَةُ الْعَامَّةُ عَلَى الرَّعِيَّةِ ، إظهاراً لَوْقُوعِ الْإِجْمَاعِ  
عَلَى خِلَافَتِهِ ، وَالْإِتِّفَاقِ عَلَى إِمَامَتِهِ .

الثالث — أن تُؤَخَّذَ الْبَيْعَةُ لِلْخَلِيفَةِ بِمَحْضَرَةِ وَلَايَتِهِ ، ثم تُنْفَذَ الْكُتُبُ إِلَى الْأَعْمَالِ  
لَاخْذِ الْبَيْعَةِ عَلَى أَهْلِهَا ، فَيَأْخُذُ كُلُّ صَاحِبِ عَمَلٍ لَهُ الْبَيْعَةُ عَلَى أَهْلِ عَمَلِهِ .

الرابع — أن يَعْزِضَ لِلْخَلِيفَةِ خَلْلٌ فِي حَالِ خِلَافَتِهِ : من ظُهُورِ خِلَافٍ أَوْ نُجُوجٍ  
خَارِجِيٍّ ، فيحتاج إلى تَجْدِيدِ الْبَيْعَةِ لَهُ حَيْثُ وَقَعَ الْخِلَافُ .

ولكلٍّ من هذه الْأَحْوَالِ ضَرْبٌ مِنَ الْكِتَابَةِ يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى بَيَانِ السَّبَبِ الْمَوْجِبِ  
لَاخْذِ ذَلِكَ الْبَيْعَةِ .

## المقصد الخامس

( في بيان صورة ما يُكْتَب في بيعات الخلفاء، وفيها أربعة مذاهب )

### المذهب الأول

( أن تُقْتَحَ المبايعة بلفظ « تُبَايِع فلانا أمير المؤمنين » )

خطاباً لمن تُؤْخَذ عليه البيعة )

ويذكر ما يقع عليه عقد المبايعة، ويأتي بما سَحَّ من أمر البيعة، ثم يذكر الخليفة عليها؛ وعلى ذلك جرى مصطلح كُتِبَ خلفاء بني أمية، ثم خلفاء بني العباس بعدهم ببغداد.

وأعلم أنه قد تقدم في المقصد الأول من هذا الفصل أنه لم يُنْقَل أنه كُتِبَ للصديق رضي الله عنه ولا أن وَلِيَ الخلافة بعده من الصحابة من غير عهد بيعة. ولما كانت خلافة بني أمية، وآل الأُمُر إلى عبد الملك بن مروان، وأقام الحجاج ابن يوسف على إمارة العراق، وأخذ في أخذ البيعة لعبد الملك بالعراق، رتب أيماناً مغلظة تستعمل على الخليفة بالله تعالى والطلاق والعناق والأيمان المحرجات يُخَفُّ بها على البيعة، واشتهرت بين الفقهاء بأيمان البيعة، وأُطرد أمرها في الدولة العباسية بعد ذلك. وجرى مصطلحهم في ذلك على هذا الأسلوب.

وهذه نسخة مبايعة، ذكرها أبو الحسين بن إسحاق الصائفي في كتابه «غُرر البلاغة» وهي :

تُبَايِع عبد الله أمير المؤمنين فلانا بيعة طَوْعٍ وَآخِيَارٍ، وَتَبَرُّعٍ وَإِيثَارٍ، وَإِعْلَانٍ وَإِسْرَارٍ، وَإِظْهَارٍ وَإِخْفَارٍ، وَصِحَّةٍ مِنْ نَفْلٍ، وَسَلَامَةٍ مِنْ غَيْرِ دَغَلٍ، وَثَبَاتٍ مِنْ غَيْرِ



تبدیل، ووقار من غیر تأویل؛ واعتراف بما فيها من اجتماع الشمل، واتصال  
الجلل، وانتظام الأمور، وصلاح الجمهور، وحسن الدماء، وسكون الدماء؛  
وسعادة الخاصة والعامة، وحسن المائدة على أهل الملة واللثة - على أن عبد الله فلانا  
أمير المؤمنين عبد الله، الذي أصطفاه؛ وخليفته الذي جعل طاعته جارية بالحق،  
وموجبة على الخلق؛ وموردة لهم موارد الأمن، وعاقدة لهم معاهد النين؛ وولايته  
مؤدنة لهم بحيل الصنع، ومؤدبة بهم إلى جزيل النفع؛ وإمامته الإمامة التي أقرن بها  
الخير والبركة، والمصلحة العامة المشتركة؛ وأمل فيها قمع الملحد الجاحد، ورد الجائر  
الحائد؛ ووقم العاصي الخاليع، وعطف الغايزي المنازع - وعلى أنك ولي أوليائه،  
وعدو أعدائه : من كل داخل في الجنه، وخارج عن المسله، وحائذ عن الدعوه.  
وممسك بما يديه، عن اخلاص من رأيك، وحقيقه من وقائك؛ لا تنقص  
ولا تنكث ولا تخلف ولا توارى ولا تخادع، ولا تدأجى ولا تخال، ولا تنكث مثل  
نيتك، وقولك مثل طويتك - وعلى أن لا ترجع عن شيء من حقوق هذه البيعة  
وشراطها على مر الأيام وتطاولها، وتغير الأحوال وتقلها، واختلاف الأزمان  
وتقلبها - على أنك في كل ذلك من أهل الملة الإسلامية ودعاتها، وأعوان الدولة  
العباسية ورعاتها؛ لا يداخل قولك موارد ولا مداهنه، ولا تعترضه مغالطة  
ولا تتبعه مخالفة، ولا تحبس به أمانه، ولا تغله خيانه، حتى تلقى الله تعالى مقياً  
على أمرك، وفياً بعهدك؛ إذ كان مباهيو ولاة الأمور وخلفاء الله تعالى في الأرض  
(إِنَّمَا يَأْمُرُ اللَّهُ بِدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى  
بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) .

عليك هذه البيعة - التي أعطيت بها صفة يدك، وأضيفت فيها سريرة قلبك؛  
والتزمت القيام بها مطلقاً عمرك، وأمنت أجلك - عهد الله إن عهد الله كان

سُئِلُوا ، وما أخذه على أنبيائه ورُسُلِهِ وملائكته وحَمَلَةِ عَرْشِهِ من إيمانٍ مَقْلُوبَةٍ  
وعُهودٍ مُؤَكَّده ، ومَوَاقِفٍ مُشَدَّده ، على أنك تَسْمَعُ وتُصْنِي ، وتُطِيعُ ولا تُعْصِي ،  
وتَعْتَدِلُ ولا تَمِيلُ ، وتُسْتَقِيمُ ولا تَحِيدُ ، وتَقِي ولا تَقْدِرُ ، وتُثَبِّتُ ولا تُتَغَيِّرُ ، فَنُفِيَ  
زَلْتُ عن هذه المحجبة حَاقِرًا لَأَمَانِكَ ، ورَافِعًا لِدِيانتِكَ ، فُجِصِدَتْ اللهُ تَعَالَى رُبُوبِيَّتَهُ ،  
وَأُنْكِرْتَهُ وَحِدَانِيَّتَهُ ، وقَطَعْتَ عِصْمَةَ عَهْدِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَدْنَتَهَا ، وَرَمَيْتَ  
طَاعَتَهُ وَرَاءَ ظَهْرِكَ وَنَبَذْتَهَا ، وَلَقِيتَ اللهُ يَوْمَ الْحِشْرِ إِلَيْهِ ، والعَرَضُ عَلَيْهِ ، مُحَالِفًا  
لَأَمْرِهِ ، وَخَائِفًا لِعَهْدِهِ ، وَمُقِيًّا عَلَى الْإِنْكَارِ لَهُ ، وَمُصِرًّا عَلَى الْإِشْرَاقِ بِهِ ، وَكُلُّ مَا حَلَّلَهُ  
اللهُ لَكَ حَرَّمَ عَيْلِكَ ، وَكُلُّ مَا تَمْلِكُهُ يَوْمَ رُجُوعِكَ عَنْ ذَلِكَ ، وَأَرْتَجِعُكَ مَا أَعْطَيْتَهُ  
فِي قَوْلِكَ : من مَالٍ مَوْجُودٍ وَمَذْخُورٍ ، وَمَصْصُوغٍ وَمَضْرُوبٍ ، وَسَارِجٍ وَمَرْبُوطٍ ،  
وَسَائِمٍ وَمَعْقُولٍ ، وَأَرْضٍ وَمَضْنَعٍ ، وَعَقَّارٍ وَعُقْدَةٍ ، وَعَمَلٍ وَأَمَةٍ ، صَدَقْتُ عَلَى  
الْمَسَاكِينِ ، مُحَرِّمَةً عَلَى مَرِّ السَّيْنِ ، وَكُلَّ أَمْرٍ أَرَادْتُ لَكَ تَمْلِكُ شَعْرَهَا وَبَشَرَهَا ، وَأُشْرَعِي  
تَرْوِجُهَا بَعْدَهَا ، طَالِقٌ ثَلَاثًا بَتَاتًا ، طَلَّاقُ الْحَرَجِ وَالسَّنَةِ لَارْجَعَةٍ فِيهِ وَلَا مَثْنَوِيَّةٍ ،  
وعَلَيْكَ الْحُجُّ إِلَى بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ الَّذِي بِمَكَّةَ ثَلَاثِينَ دَفْعَةً حَاسِرًا حَافِيًا ، رَاجِلًا  
مَاشِيًا ، تَذَرًا لَازِمًا ، وَوَعْدًا صَادِقًا ، لَا يَرْتُكُّ مِنْهَا إِلَّا الْقَضَاءُ لَهَا ، وَالْوَفَاءُ بِهَا ،  
وَلَا قِيلَ اللهُ مِنْكَ تَوْبَةٌ وَلَا رَجْعَةٌ ، وَخَذَلَكُ يَوْمَ الْإِسْتِنْصَارِ بِحَوْلِهِ ، وَأَسْلَمَكَ عِنْدَ  
الْإِعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ ، وَهَذِهِ الْيَمِينُ قَوْلُكَ قَلْبَهَا قَوْلًا قَاصِيًا ، وَسَرَدَتْهَا سَرْدًا صَحِيحًا ،  
وَأَخْلَصَتْ فِيهَا سِرِّكَ إِخْلَاصًا مُبِينًا ، وَصَدَقَتْ فِيهَا عَزْمُكَ صِدْقًا يَقِينًا ، وَالنَّبِيُّ فِيهَا  
نِيَّةُ فَلَانٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ دُونَ نَيْتِكَ ، وَالطَّوِيُّ [فِيهَا طَوِيَّتُهُ] دُونَ طَوِيْنِكَ ، وَأَشْهَدُ  
اللهُ عَلَى نَفْسِكَ بِذَلِكَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ، يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ عَلَيْهَا حَافِظًا وَرَقِيًّا .



وهذه نسخة بيعة أخرى من هذا الأسلوب ، أوردها ابن حنبل في تذكرته ، وربما وافق فيها بعض ألفاظ البيعة السابقة ، وهي :

تُبَايِعُ الْإِمَامَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَانَا بَيْعَةَ طَوْعٍ وَإِثَارٍ ، وَاعْتِقَادٍ وَإِضَارٍ ، وَإِعْلَانٍ وَإِسْرَارٍ ، وَإِخْلَاصٍ مِنْ طَوِيلَتِكَ ، وَصِدْقٍ مِنْ نَيْتِكَ ، وَأَنْشِرَاجَ صَدْرِكَ وَحِجَّةَ عِزِّمَتِكَ ، طَائِعًا غَيْرَ مُكْرَهٍ ، وَمُتَقَادًا غَيْرَ مُجْبَرٍ ، مُقَرًّا بِفَضْلِهَا ، مُذْعِبًا بِحَقِّهَا ، مُعْتَرِفًا بِبِرْكَتِهَا ، وَمَعْتَدًّا بِحُسْنِ عَائِدَتِهَا ، وَعَالِمًا بِمَا فِيهَا وَفِي تَوْكِيدِهَا مِنْ صَالِحِ الْكَافَّةِ ، وَاجْتِنَاعِ الْكَلِمَةِ [ مِنْ ] الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ ، وَلَمْ الشَّعْثِ ، وَأَمِنْ الْمَوَاقِبِ ، وَسُكُونِ الدِّمَاءِ ، وَعِزِّ الْأَوْلِيَاءِ ، وَقَمْعِ الْأَعْدَاءِ - عَلَى أَنَّ فَلَانًا عَبْدُ اللَّهِ وَخَلِيفَتُهُ ، الْمَفْتَرَضُ طَاعَتُهُ ، وَالوَاجِبُ عَلَى الْأُمَّةِ إِقَامَتُهُ وَوِلَايَتُهُ ، بِالْإِذْنِ لِمَنْ تَقَامُ بِحَقِّهِ ، وَالْوَفَاءُ بِعَهْدِهِ ، لَا تَشْكُ فِيهِ ، وَلَا تَرْتَابُ بِهِ ، وَلَا تُدَاهِنُ فِي أَمْرِهِ وَلَا تَمِيلُ . وَأَنْكَ وَلِيٌّ وَلِيَّهِ ، وَعَدُوٌّ عَدُوُّهُ : مِنْ خَاصٍّ وَعَامٍّ ، وَقَرِيبٍ وَبَعِيدٍ ، وَحَاضِرٍ وَغَائِبٍ ، مَتَمَسِّكٌ فِي بَيْعَتِهِ بِوَفَاءِ الْعَهْدِ ، وَذِمَّةِ الْعَقْدِ ، سِرِّتُكَ مِثْلُ عَلَانِيَتِكَ ، وَظَاهِرُكَ فِيهِ وَفْقُ بَاطِنِكَ - عَلَى أَنْ أُعْطِيَ اللَّهُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ مِنْ نَفْسِكَ ، وَتَوْكِيدَكَ لِأَهْلِهَا فِي عُنُقِكَ ، لِفُلَانِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ سَلَامَةٍ مِنْ قَلْبِكَ ، وَاسْتِثْقَاةٍ مِنْ عَزْمِكَ ، وَاسْتِمْرَارٍ مِنْ هَوَاكَ وَرَأْيِكَ - عَلَى أَنْ لَا تَأْثُلَ عَلَيْهِ فِيهَا ، وَلَا تَسْعَى فِي قَبْضِ شَيْءٍ مِنْهَا ، وَلَا تَقْعَدَ عَنْ نَصْرِهِ فِي الرِّخَاءِ وَالشَّدَةِ ، وَلَا تَدْعَ النَّصْرَ لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ رَاهِنَةً وَحَادِثَةً ، حَتَّى تَلْقَى اللَّهَ مُؤِذِنًا بِهَا ، مُؤَدِّيًا لِلْأَمَانَةِ فِيهَا ، إِذْ كَانَتِ الْيَاكُونَ وَلَاةَ الْأَمْرِ ، وَخُلَفَاءَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ﴿ إِمَّا يَأِيضُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَلِئِمَّا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ .

عليك بهذه البيعة - التي طَوَّقَتْهَا عُنُقُكَ ، وَبَسَطْتَ لَهَا يَدَكَ ، وَأَعْطَيْتَ فِيهَا صَفَقَتَكَ ؛ وَمَا شَرِطَ عَلَيْكَ فِيهَا : مِنْ وِفَاءٍ وَمُؤَالَاةٍ ، وَنُصْحٍ وَمَشَايِعَةٍ ، وَطَاعَةٍ وَمَوَاقِفَةٍ وَأَجْتِهَادٍ وَمَتَابَعَةٍ - عَهْدُ اللَّهِ إِنَّ عَهْدَ اللَّهِ كَانَ مَسْئُولًا . وَمَا أَخَذَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَعَلَى مَنْ أَخَذَ مِنْ عِبَادِهِ ، وَصِيَدَاتِ مَوَائِقِهِ وَعُجْكَاتِ عُهُودِهِ ؛ وَعَلَى أَنْ تُمْسِكَ بِهَا وَلَا تُبَدِّلَ ، وَتُسَقِّمَ وَلَا تَمِيلَ ؛ وَإِنْ نَكَثَتْ هَذِهِ الْبَيْعَةُ أَوْ بَدَلَتْ شَرْطًا مِنْ شُرُوطِهَا ، أَوْ عَقَبَتْ رَشْمًا مِنْ رُسُومِهَا ، أَوْ غَيَّرَتْ حُكْمًا مِنْ أَحْكَامِهَا ، مَعْلَنًا أَوْ مُسِرًّا أَوْ مُخْتَلًا أَوْ مُتَأَوَّلًا ؛ أَوْ زِغَتْ عَنِ السَّبِيلِ الَّتِي يُسَلِّكُهَا مِنْ لَا يُخْفَرُ الْأَمَانَةُ ، وَلَا يُسْتَحَلُّ الْفَدْرُ وَالْخِلْيَانَةُ ؛ وَلَا يُسْتَجِيرُ حَلُّ الْعُقُودِ ، فَكُلُّ مَا تَمْلِكُكَ مِنْ عَيْنٍ أَوْ وَرْقٍ أَوْ آتِيَةٍ ، أَوْ عَقَارٍ أَوْ سَائِمَةٍ ، أَوْ زَرْعٍ ، أَوْ ضَرْعٍ ؛ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صُنُوفِ الْأَمْلاكِ الْمَعْتَدَةِ ، وَالْأَمْوَالِ الْمُدْنَرَةِ ، صَدَقَةٌ عَلَى الْمَسَاكِينِ ، مُحَرَّمٌ عَلَيْكَ أَنْ تَرْجِعَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ مَالِكَ بِجِلْدَةٍ مِنَ الْحَيْلِ ، عَلَى وَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ ، وَسَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ ، أَوْ تَخْرُجَ مِنْ تَخَارِجِ الْإِيمَانِ ؛ وَكُلُّ مَا تَمْتَنِدُهُ فِي بَقِيَّةِ عَمْرِكَ مِنْ مَالٍ يَقِلُّ خَطَرُهُ أَوْ يَجِلُّ فَتُك سَبِيلُهُ إِلَى أَنْ تَتَوَفَّاكَ مَيِّتُكَ أَوْ يَأْتِيكَ أَجْلُكَ ؛ وَكُلُّ أَمْرٍ أَرَادَ لَكَ الْيَوْمَ (١) : وَأُخْرَى تَتَرَفَّعُهَا بَعْدَهَا مَدَّةَ بَسَائِكَ طَالِقٌ ثَلَاثًا بَتَانًا ، طَلَّاقُ الْحَرَجِ وَالسَّنَةِ لَأَمْتِيَّةٍ فِيهِ وَلَا رَجْعَةَ ؛ وَعَلَيْكَ الْمَشْيُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ثَلَاثِينَ حَجَّةً حَافِيًا ، حَاسِرًا رَاجِلًا ؛ لَا يَرْضَى اللَّهُ مِنْكَ إِلَّا بِالْوَفَاءِ بِهَا ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْكَ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا ؛ وَخَذْلَكَ يَوْمَ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ ؛ وَبَرَكَ مِنْ حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ ، وَأَجْلَاكَ إِلَى حَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِذَلِكَ شَهِيدٌ ، وَكَفَى بِهِ شَهِيدًا .

(١) فِي الْأَمْوَالِ "وَكُلُّ مَمْلُوكٍ لَكَ الْيَوْمَ مِنْ ذِكْرٍ وَأَنْتَ مَدَّةٌ" الْخ وَهُوَ غَيْرُ مُنَاسِبٍ كَمَا لَا يَنْبَغِي .



وهذه نسخة أخرى من هذا الأسلوب ، أوردها أبو الحسين الصبابة  
في "غرر البلاغة" وهي :

تُبَايِعُ أمير المؤمنين بِقُوَّةٍ من بَصِيرَتِكَ ، وَصِحَّةٍ من سِرِّتِكَ ، وَصَفَاءٍ من عَقِيدَتِكَ ،  
وَصِدْقٍ من عَزِيزَتِكَ ؛ عَلَى الرِّضَا [به] وَالْوَفَاءَ لَهُ ، وَالْإِخْلَاصَ فِي طَاعَتِهِ ، وَالْإِجْتِهَادَ  
فِي مُنَاصَحَتِهِ ، وَعَقْدَ النِّيَّةِ عَلَى مَوَالَاتِهِ ، وَبَذْلَ الْقُدْرَةِ فِي مَمَالَاتِهِ ، وَأَنْ تَكُونَ لِأَنْصَارِهِ  
عَوْنًا ، وَلِأَوْلِيَائِهِ حَرْبًا ، وَلِأَعْدَائِهِ حَرْبًا ؛ عَارِفِينَ بِمَا فِي ذَلِكَ من الْحِفْظِ ، وَمَعْتَرِفِينَ  
بِمَا يَلْزَمُ فِيهِ من الْحَقِّ ، وَمَحَافِظِينَ عَلَى مَا حَرَسَ الْمِلَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ ، وَالِدَوْلَةَ الْعَبَّاسِيَّةَ ؛  
ثَبَّتَ اللَّهُ قَوَاعِدَهَا ، وَأَحْكَمَ مَعَايِدَهَا ، وَزَادَهَا أَسْمَارًا عَلَى مَرِّ السُّهُورِ ، وَأَسْتَقْرَارًا  
عَلَى كَرِّ الْعُصُورِ ؛ وَعِزًّا عَلَى تَقَلُّبِ الْأُمُورِ ، وَأَشْتِدَادًا عَلَى تَغَلُّبِ الْمُقْدُورِ ؛ فَإِنْ خَالَفَتْ  
ذَلِكَ سِرًّا أَوْ مُعَلَّنًا ، وَحُلَّتْ عَنْهُ مُظْهِرًا أَوْ مُبْطِنًا ، وَحَلَّتْ عَنْقُودَهُ نَاكُثًا أَوْ نَاقِضًا ؛  
وَنَاقَلَتْ فِيهِ مُحَاوِلًا لِمُخْرُوجٍ مِنْهُ ، وَأَسْتَنْثَيْتْ عَلَيْهِ طَالِبًا لِلزُّجُوعِ عَنْهُ ؛ فَبَرَأَنِي اللَّهُ من  
حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ ، وَسَلَبَنِي مَا وَهَبَ مِنْ فَضْلِهِ وَنِعْمَتِهِ ؛ وَمَنْعَنِي مَا وَعَدَ مِنْ رَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ ؛  
وَحَلَّانِي مِنْ يَدَيْهِ ، يَوْمَ الْفَرَجِ الْأَكْبَرِ لَدَيْهِ ؛ وَحَنَثَ كُلَّ يَمِينٍ حَلَفَهَا الْمُسْلِمُونَ عَلَى  
قَدِيمِ الْأَيَّامِ وَحَدِيثِهَا ، وَالتَّانَهِى فِي تَأْكِيدِهَا وَتَشْدِيدِهَا ؛ وَأَعْرَوْهَا مِنْ لِبَاسِ الشُّبْهِ ؛  
وَأَخْلَوْهَا مِنْ دَوَاعِي الْخَنَاطَةِ ؛ وَهَذِهِ الْيَمِينُ يَمِينِي : أوردتها عَلَى صِدْقٍ من نَيْقٍ ،  
وَصِحَّةٍ من عَزِيزَتِي ، وَأَتَّفَاقٍ من سَرَى وَعَلَانِيَتِي ؛ وَسَرَدْتُهَا سَرْدًا مُتَنَبِّهًا مِنْ غَيْرِ  
فَصْلٍ ، وَتَلَفُظْتُ بِهَا تَلَفُظًا مِنْ غَيْرِ قَطْعٍ ؛ وَالنِّيَّةُ فِيهَا نِيَّةُ فُلَانٍ : عَلَى حُضُورٍ مِنْهُ  
وَعِثْبٍ ، وَبُعْدٍ وَقُرْبٍ ؛ وَأَشْهَدُ اللَّهَ تَعَالَى بِمَا عَقَدْتُهُ عَلَى نَفْسِي مِنْهَا ، وَكُنْتُ بِاللَّهِ  
شَهِيدًا عَلَى مَنْ أَشْهَدُهُ ، وَحَسِيْبًا عَلَى مَنْ أَجْتَرَأُ عَلَى إِخْفَارِ عَهْدِهِ ، وَتَقْضِ عَقْدِهِ .

قلت : فإن كان من تؤخذ عليه المبايعه اثنين ، أتى في المبايعه بصيغة التثنية ؛ أو ثلاثة فأكثر ، أتى بصيغة الجمع . ولم أقف على كيفية وضعهم لذلك في الكتابة ، والذي يظهر أن المبايعه كانت تكتب على الصورة المتقدمه ، ثم يكتب المبايعون خطوطهم بصدورها عنهم ؛ كما يفعل الآن في تحليف من يحلف من الأمراء وغيرهم من أرباب الوظائف بالملكه المصريه والممالك الشاميه ، أو يشهد عليهم في آخر البيعه بمعاقدتهم عليها ورضاهم بها ونحو ذلك .

### المذهب الثاني

( مما يكتب في بيعات الخلقاء )

أن تفتتح المبايعه بلفظ « من عبد الله ووليه فلان أبي فلان الإمام القلاني » إلى أهل دولته ، ونحو ذلك بالسلام عليهم ، ويؤتى بما سنع من الكلام ؛ ثم يقال : أما بعد ، فالحمد لله ؛ ويؤتى على وصفه بشريف المنصب ، واستحقاقه للخلافه ، واستيجاعه لشروطها ، وما يحرى هذا المحررى ؛ ثم يتحرط في سلك البيعه ، ويذكر القائم بأخذها على الناس من سلطان أو وزير عظيم أو نحو ذلك ؛ ويذكر من أمر ولاية الخليفه ما فيه استجلاب قلوب الرعيه والأخذ بنواطيرهم وما يتحرط في هذا السلك .

وهذه نسخه بيعة من هذا الأسلوب ، لولى عهد بعد موت العاهد ، كتبت بها لبعض خلفاء الفاطميين ، ليس فيها تعرض لذكر الوزير القائم بها ، وهى :

(١) لعله ونحو ذلك ويتبع ذلك الخ تأمل .

من عبد الله ووليه «أبي فلان فلان بن فلان» الإمام الفلاني، بأمر الله تعالى أمير المؤمنين، إلى من يضمه نطاق الدولة العلوية : من أمراءها وأعيانها، وكبرائها وأوليائها، على أنساع شعوبهم، وعساكرها على اختلاف ضروبهم، وقبائل عرَبها القيسية واليمينية، وكافة من تشمله أقطارها من أجناس الرعية : الأمير منهم والمأمور، والمشهور منهم والمغمور، والأسود والأحمر، والأصغر والأكبر، وقههم الله وبارك فيهم .

سلام عليكم، فإن أمير المؤمنين محمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، ويسأله أن يصلي على محمد خاتم النبيين، وسيد المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله الطاهيرين، الأئمة المهديين، وسلم تسليما .

أما بعد، فالحمد لله مولى المنّ الحسيم، ومبدي الطول العيم، وما منجز جزيل الأجر بالصبر العظيم، مفيد النعم المتشعبة الفنون، ومُذِنِ المهج المتعالية لتناوب المتون، ومُبيد الأعمار ومُفنيها، وناشر الأموات ومُحييها، والفتاح إذا استغلفت الأبواب، والقاتل : ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ الذي لا يغير ملكه مرور الغير، ولا يصرف سلطانه تصرف القدر، ولا يترك قدمه وأزيلته، ولا ينفد بقاؤه وسرمديته، مُسلم الأنام للحمام، ومُضَيِّمِ الأنفس بسهام الإخترام، ومُورِدِ البشر من المنية منهل ما يرحوا في رقيقه يكرعون، ولئله المشرق يَجْرَعُونَ، ومعز ذلك بقوله : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ .

والحمد لله الذي نصب الأنبياء لمرآشده أعلاما، وحفظ بيعتهم من الحق والهدى نظاما، وجعل نبوة جدنا محمد صلى الله عليه وسلم لنبواتهم ختامًا، وعَصْدُ بَوْصِهِ أَيْدِينَا

امير المؤمنين علي بن أبي طالب كَمَلاً للدين وإتماماً ، واستخلص من قُدرتهما أئمة هادين إنقاذاً لصنعتيه وإحكاماً ، وأقام الحجة على الأمم بأن أقام لكل زمان منهم إماماً ، وعاقب بين أنوار الإمامة فإذا أقبض نور أنبسط نور ، وتابع ظهور بدوره ليشرق طالع إثر غروب ينور ، رحمة شاملة للعالمين ، وحكمة تامة حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ، ولم يُخل نبيّاً مع ما شرفه [به] من تناول وحيه وتلقيه ، ولا عصم إماماً مع اختصاصه بفروع منصب الإمامة وترقيته ، من لقاء المنية ، ووداع الأمانة ؛ بل أجل لكل منهم أجلاً مكتوباً ، وقسح له أمداً محصوراً محسوباً ؛ لا يصرفه عن وُصوله قضيئه ، ولا يصل إلى تجاوزه بقوة ولا حيلة ؛ قدرة محكمة الأسباب ، ومبرة واضحة لأولي الألباب ؛ وقضية أوصحها فُرقانه الذي أقر بإعجازه الجاحدون ، إذ يقول مخاطباً لنيه : ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون ﴾ .

والحمد لله الذي منح أمير المؤمنين من خصائص الإمامة وأنوارها ، وحازله من ذخايرها وأودعه من أسرارها ، ماخوله فأنير تراثها ، وأصار له شرف ميراثها ؛ وجعله قائم بحقه ، والمرشد خلقه ؛ والمأخوذ بهداه ليقا من الضلال بهما ، والحاوي بخلافه مجدداً لا يزال شاؤه عظيماً : ﴿ ذلك الفضل من الله وكفى بالله علماً ﴾ .

يمده أمير المؤمنين على أنف أوصح بابانه الأئمة سبل الحقائق ، فاصبحوا خلفاء الخالي وأئمة الخلائق ؛ وخوله ما اختصم به من الإمامة ، ورقعه بها إلى أشنع منازل العلل وأرقع مواطن الكرامه ، ويستمدّه شكراً يؤازري النعم التي أثبتت [له] على سرير الخلافة وسرّها قدماً ، وصبرا يؤازر العجبة التي قل لها فيض المدامع دماً .



ويسأله أن يصلي على جده عهد الذي قضى بجهاده جموع الإلحاد، وحصد  
باجتهاده من مال عن الهدى وحاد، وصدع بما أمر به حتى عم التوحيد، ودانت  
لمعجزاته الأمم وقد دعاها وهو المفرد الوحيد؛ ولم يزل مبالغا في مرضاة ربه،  
حريصا على إظهار دينه بيده ولسانه وقلبه؛ حتى استأثر به وقبضه، وبدله من الدنيا  
شرف جواره وعوضه، وأصاره إليه أفضل نبي بصر وبشر، وأحيا دين الله وأشره  
وعلى أبيه أمير المؤمنين على بن أبي طالب إمام الأمم، وأبي الأئمة؛ وقُدوة  
السعداء، وسيد الشهداء، وعاضد الدين بذى الفقار، ومن لم يزل الحق إلى  
ذبه شديد الإقتدار؛ صلى الله عليه وعلى آبائه والأئمة من ذريتهما الذين  
أيقظوا القلوب بإرشادهم من السنن، وأفاضوا من العمل والإحسان ما ألهمهم  
بتمجيدهم الأئمة.

وإن الإمام الفلاني لدين الله أمير المؤمنين كان وليا لله شرفه الله وأستخلصه،  
وأفرد به إمامة عصره وخصصه؛ وفوض إليه أمر خلافته، وأحل له عللا تقع مطارح  
الهم دون علوه وإنافته؛ فقام بحق الله ونهض، وعمل بأمره فيما سن وفرض؛ وقهر  
الأعداء بسطواته وعزائمه، وصرف الأمور بأزمة التدبير ونزائمه؛ وبالغ في الذب  
عن أشياع الله، وأجتهد في جهاد أعداء القبلة؛ ووقف على مصلحة العباد والبلاد  
أمله، ووفر على ما يحظى عند الله قوله وعمله؛ ولم يترك في مرضاة خالقه مشقة  
إلا احتملها، ولا روية إلا صرفها في إرشاد خلقه وأعمالها؛ حتى بلغ الغاية المخلوذة،  
وأستكمل الأنفاس الممدودة؛ وأحسن الله له الاختيار، وآثر له الثقل من هذه الدار  
والزلفى بسكنى دار القرار، والنور بمصاحبة الأنبياء الأبرار، والحلول في حظائر  
قُدس مع آباء الأئمة الأطهار؛ فسار إليه طاهر السريه، جميل المذهب والصورة؛  
مستوجبا بسعفه أفضل رضوانه، ممهدا بالقوى لتدبيره أكثاف جنانه.

وأمر المؤمنين [بحسب] عند الله هذه الرزية التي عظم بها المصائب، وعظم عند تجزئها المصائب؛ وأضرمت القلوب نارا، وأجريت الآفاق دما<sup>(١)</sup> مآرا؛ وأطاشت بهولها الأبدان بالحرق، وكَلَّتِ الأجناف بالآرق؛ وكادت لهجومها الصدور تقذف أفئدتها، والدنيا تترع نصرتها وبهجتها؛ وقواعد الملة تضعف وتبني، والخطوب الكارثة<sup>(٢)</sup> تصير ولا تنتهي، فإنا لله وإنا إليه راجعون!! تسلياً لأمره الذي لا يدفع، وإذعائاً لقضائه الذي لا يصد ولا يمنع.

وكان الإمام الفلاني لدين الله أمير المؤمنين عند ثقته جعل لي عقد الخلافة، ونص على بارتقاء منصبها المخصوص بالإتانة؛ وأفضى إلى يسرها المكتوب، وأودعني غامض علمها المصون؛ وعهد إلى أن أشملكم بالعدل والإحسان، والعطف والحنان؛ والرحمة والفقران، والمن الرائي الذي لا يكدره أمتان؛ وأن أكون لأعلام الهدى نائرا، وبما أرضى الله مجاهرا، ولأحزاب القبلة مظافرا مظاهرا، ولأعداء الملة مرغما قاهرا؛ ولتأثر التوحيد رافعا، وعن حوزة الإسلام بفاية الإمكان دافعا؛ مع علمه بما خصصت به من كرم الشيم، وقطرت عليه من الخلال القاضية مصالح الأمم؛ وأوتيته من استحقاق الإمامة واستيجابها، ومنحته من الخصائص المبرمة لأسبابها.

فعرّوا جميع الأولياء، وكافة الأمراء؛ وجميع الأجناد، والحاضرين من الرعايا والبادع عن إمامكم المشغول إلى دار الكرامة، بإمامكم الحاضر الموجود الذي أورثه الله مقامه؛ وأدخلوا في بيعته بصدور مشروحة بقلوب، وقلوب على محض الطاعة مطوية؛ ونيات

(١) مار الدم سال وأمازه أساله - اظفر القاموس -

(٢) أي تدم من قولهم أصرع على الأمر داوم عليه -

في الولاء والمشايمة مريضه ، وبصائر لا تزال بنور الهدى والإستبصار مضيه ،  
وأمر المؤمنين يسأل الله أن يجعل إمامته محظوظة بالإقبال ، دائمة الكمال ؛ صافية  
من الأثكار ، معصودة بمؤاتاة الأقدار ؛ ويوالي حمده على ما منحه من الإصطفاء  
الذي جعله لأمر الدين والدنيا قواما ، وأقامه للبرية سيّدا وإماما ؛ فاعلموا هذا  
وأعملوا به ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وكتب في يوم كذا من شهر كذا سنة كذا .



وهذه نسخة بيعة : كتب بها عن الحافظ لدين الله الفاطمي بعد وفاة  
أبن عمه الأمير بأحكام الله ، قام بعقدها الوزير أبو الفتح يانس الحافظي ؛  
أقتصّر فيها على تحميدة واحدة ، وعزى بالخليفة الميت ؛ ثم أنتقل إلى مقصود  
البيعة ، وهي :

من عيد الله ووليّه عيد المجيد أبي الميمون ، الحافظ لدين الله أمير المؤمنين ،  
إلى كافة أهل الدولة شريفهم ومشروفهم ، وأميرهم ومأمورهم ، وكبيرهم  
وصغيرهم ؛ وأحرهم وأسودهم ، وفقهم الله وبارك فيهم .

سلام عليكم ، فإن أمير المؤمنين يمد إلكم الله الذي لا إله إلا هو ؛ ويسأله أن  
يصل على جدّه محمد خاتم النبيين ومبيد المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين ،  
الأئمة المهديين ؛ وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد ، فالحمد لله اللطيف بعباده وبريّه ، الرّؤوف في أقداره وأقضيّته ، المهيمن  
فلا يخرج شيء عن إرادته ومشيئته ؛ ذى النعم الفائضة الغامرة ، والمِنَّن المتتالية

المتظاهرة؛ والآلاء المتواليّة المتناصرة، القائل في محكم كتابه : ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ . مدبّر أرضه مخلقاته، الذين هم زينةٌ للعالم وبهجه، وهادى خلقه بأوليائه، لئلا يكون للناس على الله حجة ؛ مُسَبِّحَانِ الذي هو للنعم مُسَبِّغٌ وبالكرم جدير، و﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

يحمده أمير المؤمنين أن جعله خليفة دُون أهل زمانه، وأوجب ثواب المستجيبين له بكفائته وحنانه، وجعلهم يومَ الفَرَجِ الأكبرِ مَكْنُوفِينَ يحفظه مسمولين بأمانته ؛ وأوزعه الشكر على ما استعراه إياه من أمر هذه الأمة ، ونقله إليه من ثرات آباءه الهداة الأئمة ، وكشفه بإمامته من البغ نائية وأفظع مُلْه .

وصلّى الله على جدنا محمد رسوله الذي أخبر الأنبياء المرسلون بصفته ونعته، وتدأولوا البشرى بما يستقبل من زمانه وبعثه ؛ وذكروه فيما أتوا به من كل كتاب أوحاه الله وأنزله، وأترفوا بأنه أفضل من كل من نبأه الله وأرسله ؛ فيسر الله سبحانه ما كان مُرْتَقِبًا من ظهوره ، وأذن في إشراق الأرض بما انتشر في آفاقها من نوره ؛ وبعثه - جلت قدرته - إلى الأمة بأسرها قاطبة ، وجعل السنة الأعوام مجادلة لمن خالف شرعه غاطبه ؛ فكان لآية الكفر ماحيا ، وفي مصالح البرية ساعيا ، وإلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة داعيا ؛ إلى أن لعت آيات الحق وسلطت ، وانحسرت مادة الباطل وأقطعت ؛ وظهر من آياته ما كبره المختبون ، واشتهر من معجزاته ما حُصِمَ به المتعتوت ، وخاطبه الله فيما أنزل عليه بقوله : ﴿إِنَّكَ مِثُّ وَلَهُمْ مِثٌّ﴾ . فحينئذ نقله الله إلى ما عد له من جناته ، وخصه بشرف الشفاعة

في يوم مجازاته ، وصدقته وعده فيما بواه من النعيم المقيم : ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ .

وعلى أئمتنا أمير المؤمنين على بن أبي طالب أولى الناس بالنبي ، وأول من أتبعه من ذوى قرابة وأجنبي ، وأبن عمه الذى اختصه بمواخاته ، وجعله خليفة على كافة الناس بعد وفاته ، وتحمل بأمر الله ، فيما ولّاه وأولاه ، وخطب الناس فى حجة الوداع فقال : « من كنت مولاه فعلي مولاه » ، وعلى ألها الكرام الأبرار ، وعترتهما المصطفين الأخيار ، وهداة المسلمين وقُدوتهم ، وأمرأ المؤمنين وأئمتهم ، الذين حكموا فأقسطوا وما قسطوا ، وسلك الحاضرون منهم سنن أسلافهم الذين قرطوا ، وأقنقوا آثارهم فى السياسة فما قصروا ولا قرطوا ، ولم يزل كل منهم عاملاً من ذلك بما حسن أيامه ، فاعلاً فى أمر الدين مارع مناره ونشر أعلامه ، حتى اختار الله له ما عنده فنص على من أقامه الاستحقاق مقامه ، وسلم عليهم أجمعين سلاماً لا أنقضاء لأئمة ، ولا انقطاع لمدده ، فبيل المطالب بكرمه وملكوته كل شئ بيده .

وإن الحق إن خفي حيناً فلا بد لهلاله من الإنبار وأنيساط النور ، وإن الشمس إن توارت بالمحجب فما أوشك عودتها إلى البروز والظهور ، وإن حسن الصبر إلى أن يبلغ الكتاب أجله يؤمن من تدلية الشيطان بالغرور ، قال الله عز وجل فى كتابه ، الذى هدانا به : ﴿ وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ ﴾ .

وإن الله تعالى لأرفعه عن أئمة من خلقه وأنشاه ، ولسابق علمه فى عمارة هذه الدار على ما أرواده عز وجل وشاه ، لا ينجلى الأرض من نور يستضيء به السارى فى الليل البهيم ، ولا يدع الأمة بلا إمام يهتدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، فهو جلّ وعلا أعدل من أن يجعل جيد الإيمان من حلى الإمامة عاطلاً ، أو يترك

الخلق هملاً وقد قال : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بِإِلَآءِ ﴾ .  
 بل يقطع أعذار العباد فيما خلقهم له ووقفهم ، ويهديهم بالأئمة إلى التوفّر على عمل  
 ما ألزمهم وكلفهم ؛ فالأمور محروسة الترتيب محفوظة النظام ، والأرض إذا أظلمت  
 لفقد إمام ، أضاعت وأشرقت لقيام إمام . وقد علم الكافة أنّ حجة الله في أرضه ،  
 والمجتبى من الأعمال ما لم يرضه ، والمحسن إلى البرية يبعثه على المصالح وحضه ؛  
 الإمام الأمر بأحكام الله أمير المؤمنين الذي آتاه الله الحكم صيداً ، ورفعه من إرث  
 النبوة مكاناً علياً ، وأستخلفه على خلقه فكان للفضل باسطاً ولراية السند ناشرًا ،  
 وجعله لشمل المحاسن جامعاً ولأئمة الخلفاء الراشدين عاشرًا ؛ لم يزل ناظرًا في البعيد  
 والقريب ، عاملاً في سياسة الأمة عمل المجتهد المصيب ؛ مستغنياً حرصه  
 في المحافظة على إعراز الله ، مستفيداً جهته في الجهاد فيمن خالف أهل القبلة ،  
 باذلاً من جزيل العطاء وكثيره ما لا يعرف معه أحدٌ من خاصته بالفقر ولا ينسب  
 معه إلى القلة ؛ حتى استوفى مدته الموهوبه ، واستوعب غايته المكتوبه ؛ وناله  
 من القضاء ما أخرج من الدنيا سعيداً ، وأقدمه على الله شهيداً ، وأصاره إلى ما أعد  
 له من نعيم لا يريد به يدبلاً ولا يطلب عليه مزيداً ؛ وكان انتقاله إلى جوار ربّه تبارك  
 وتعالى ، كانتقال أبيه أمير المؤمنين على بن أبي طالب بغياً من الكافرين وأغتيالاً .  
 وقد كان يذكر ما علمه من حق أمير المؤمنين تارةً مجاهراً وتارةً مخافتاً ، إلى أن صار  
 على بسط القول في ذلك وتبيينه مثاراً مثافياً ؛ وأفصح بما كان مستنهماً مستعجلاً ،  
 وصريح بما لم يزل في كشفه ممرضاً وعن إفصاحه محججاً ؛ وذلك لما ألفاه أشرف  
 قرع من سنخ النبوة ، وراه أكرم في نخارة الأبوة ؛ وعلمه من أباه الأمير أبا القاسم<sup>(٢)</sup>

(١) المراد به المحاط لدين الله صاحب هذه البيعة .

(٢) جرى الكاتب على لغة القصر .

عَمَّهُ سَلامُ الله عليه الذى هو سَليْلُ الإمامَةِ القَليْلُ المِثْلُ ، ونَجَلُ الخِلافةِ المَخْصُوصُ  
 من الفَخْرِ بأَجْزَلِ حَظٍّ وأَوْقَرِ كَفَلٍ ؛ كانَ المَسْتَنْصِرُ باللهِ أميرُ المُؤمِنينِ سَماً ولىَّ عَهْدِ  
 المُسالمينِ ، وتَضَمَّنَ ذَلكَ ما نَرجَحُ بهِ تَوقِيعاتُهُ وتَسويفاتُهُ إلى الدَواوينِ ؛ وثُبَّتْ  
 فى طُرُزِ الأَنبِياءِ ، وكُتِبَ الأَبْياعاتُ والأَشْريَّةُ ، وعَلِمَتِ الكَافَّةُ علماً يَقينا ظَلَّتْ فيه  
 غَيرُ مُرتابَةٍ ولا مَمتَرِيَّةٍ ، وفى ضَمَنِ ذَلكَ باطِنٌ لا يَعلِقُهُ إلا العالِمُونَ ، ولا يَنكِزُهُ إلا من  
 قالَ فيهِم : ( وَمَا يَصحُّدُ بِآياتِنا إِلَّا الظَّالِمُونَ ) . وذَلكَ أَنَّ أميرَ المُؤمِنينِ الغُرضُ  
 والمَقْصَدُ ، والبُنيَّةُ والمَطْلَبُ ؛ ولَهُ عَهْدٌ بالتَلوِيجِ والإِشارَةِ ، وإِلَيْهِ أوحى بالنَّصِّ وإن  
 لَمْ يَفْصَحْ فيه بِالعِبارَةِ ؛ وكانَ واللَّهِ الأميرُ أبو القاسمِ - قَدَسَ اللهُ رُوحَهُ - بِمِزَلَةِ  
 الأَشبجارِ التى يُتَأَنَّى بِها إلى أن يَظْهَرَ زَهرُها ، والأَكامِ التى يُنْتَظَرُ بِها إلى أن يَخرجَ  
 ثَمَرُها ؛ والزَّرجونَةُ التى تَقَلَّتِ المِاءُ إلى العَنَقودِ ، والسَّحابةُ التى حَمَلَتِ الغِيثَ فَمِمَّ  
 نَفْعُهُ أَهلُ السَّهولِ والجُودِ ؛ ومما يَبيِّنُ ذَلكَ ويُبَيِّنُهُ ، ويَحَقِّقُهُ ويَصَحِّحُهُ ؛ وتَنالُجُ  
 بِهِ لِلْمُؤمِنينِ صُذورُ تَقَوُّى أَفْسَدِهِ ؛ وتَشهدُ البِصائرُ أَنَّ النِّعْمَةَ بِهِ على الإسلامِ مُتَمايِمَةٌ  
 مُتَجَدِّدَةٌ ، أَنَّ الأَمْرينِ إِذا تَشاَبَها مِنْ كُلِّ الجِهاَتِ ، وكانَتِ بَينَهما مُدَدُ مُتَطاولاتٍ  
 مُتَباعِداتٍ ؛ فالسَّابِقُ مِنهُما يُمَهِّدُ لِلتَّالِي ، والأَوَّلُ أَبدًا رَمرٌ على الثَّانِي ؛ ولا خِلاَفَ  
 بَينَ كَافَّةِ المُسالمينِ فى أَنَّ اللهَ تَعالى أَمَرَ جَدَّنًا عَهدًا صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ بِعَقْدِ ولايةِ  
 أميرِ المُؤمِنينِ على بَنِ أَبي طالِبٍ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ فَمَقَدَّها لهُ يَومَ غَديرِخُمٍّ ، وأميرِ المُؤمِنينِ  
 على أَبنِ عَمرِهِ وكانَ لهُ حينئِذٍ عَمرُ حاضِرٍ ، وأمضى ما أَمَرَ بِهِ والإِسلامُ يَومئِذٍ غَضٌّ  
 وَعُودُهُ ناضِرٌ ؛ وكذلِكَ أَنَّ أميرَ المُؤمِنينِ ، هو أَبنُ عَمرِ الإمامِ الأَميرِ بِأَحكامِ اللهِ  
 أميرُ المُؤمِنينِ ؛ وقد نَصَّ مَعَ حُضورِ عُمُومَتِهِ عَلَيهِ ، وفعلَ ما فَعَلَ جَدُّهُ رَسلُ اللهِ  
 أَقتداءً بِهِ وَأَتِهاً إِلَيْهِ ؛ وكانَ أبو على المَنصُورُ الإمامُ الحَاشِمِيُّ بِأَمْرِ اللهِ أميرُ المُؤمِنينِ  
 صِلواتُ اللهِ عَلَيهِ ، جَعَلَ أَبَنَهُ عبدَ الرَّحيمِ إِبِياسَ ولىَّ عَهْدِ المُسالمينِ ، وَمَيَّزَهُ بِذلِكَ

على كافة الناس أجمعين؛ ونَقَشَ اسْمُهُ في السَّكَّةِ، وأمر بالدعاء له على المنابر وبمكِّه؛  
والنَّسَبَ شِدَّةَ الوَقَارِ المَرْصُوعَةَ بالجوهر، وأسْتَنَابَهُ عنه إمام الأعياد في الصلاة وفي رُقَى  
الْمِنْبَرِ؛ وأقامه مَقَامَ نَفْسِهِ في الاستغفار لمن يُتَوَقَّى من خواصِّ أوليائه، وفي الشُّفَاعَةِ  
لهم بِمَقْبَلِ مُنَاجَاتِهِ وَمَسْمُوعِ دُعَائِهِ، مع عَلَيْهِ أَنَّهُ لَا يَنَالُ رُتْبَةَ الْخِلَافَةِ، ولا يَبْلُغُ  
دَرَجَةَ الْإِمَامَةِ؛ وأن الإمام الظاهر لإعزاز دين الله - صلى الله عليه - هو الذي  
خُلِقَ لها؛ وَحِينَ حُلَّ أَعْيَانُهَا أَقْلُهَا وما اسْتَقْبَلَهَا؛ وَإِنَّمَا تَحْتَ ذَلِكَ مَعْنَى لَطِيفٍ  
غَامِضٍ، وَسُرٌّ عَنْ جُمْهُورِ النَّاسِ مَسْتَرٌّ وَبَرْقُهُ لِأَوَّلَى الْبَصَائِرِ وَامِضٌ: وهو أَنَّ مَكُونَهُ  
الْحِكْمَةَ، ومَكْتُومٌ عِلْمُ الْأُمَمِ؛ يُدْلَلُ عَلَى أَنَّ الْإِمَامَ الْمَنْصُورَ أَبَا عَلِيٍّ، سَيَقْعَلُ فِيمَنْ  
يَسْتَخْلِفُهُ بعده مثلَ فِعْلِ النَّبِيِّ؛ وقد علم الإمام الحاكم - عليه السلام - أَنَّ الْمُرَادَ  
بِذَلِكَ مَنْ يَأْتِي بعده مِنْ أَوْلَدِهِ أو أُنْسَلِهِ، لِأَنَّ وَلَدَهُ حَاضِرٌ وَالْمَقْصُودُ مَنْ لَوْلَا لَهُ؛  
فَجَعَلَ وِلَايَةَ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْعَهْدِ تَأْسِيسًا لِمَا سَيَكُونُ، وَقَلْبًا لِلنُّفُوسِ مِنَ الْإِزْتِجَاجِ إِلَى  
أَن تَسْمَلَهَا الطَّمَأِينَةُ وَالسَّكُونُ؛ فَلَمَّا أَفْضَى اللَّهُ إِلَى الْإِمَامِ الْمَنْصُورِ أَبِي عَلِيٍّ الْإِمَامِ  
الْأَمِيرِ بِأَحْكَامِ اللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْخِلَافَةِ الَّتِي جَعَلَهَا وَاجِبًا لَهُ حَقًّا، وَوَافَقَ جَدَّهُ  
- عليه السلام - وَكَانَ لِقَبِهِ مِنْ لِقَائِهِ مُشْتَقًّا، ظَهَرَ الْمُنْكَتِمُ، وَوَضَعَ الْمُسْتَرَّ، وَعَادَ  
التَّعْرِضُ تَصْرِيحًا، وَالتَّمْرِيطُ تَصْجِيحًا؛ وَالرُّمُزُ إِبَانَةً، وَالنَّصُّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ  
أَمَانَةً؛ فَاقْتَدَى بِجِسَدِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي اسْتِخْلَافِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ  
مَعَ حُضُورِ عُمُومَتِهِ، وَقَعَلَ فِي ذَلِكَ قَلْبَتَهُ وَجَرَى عَلَى قَضِيَّتِهِ؛ وَكَشَفَ عَمَّا أَهْنَمُهُ  
الْإِمَامُ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ قَدَّسَ اللَّهُ لَطِيفَتَهُ فَتَسَاوَى الْخَاصُّ وَالْعَامُّ فِي مَعْرِفَتِهِ؛ ثُمَّ حَلَّ  
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ حُلَّ نَفْسِهِ فِي الْجُلُوسِ عَلَى الْأَسْمَطَةِ، وَعَمِلَ لِأَوْلِيَائِهِ وَرَعِيَّتِهِ فِي ذَلِكَ  
بِالْقَضَايَا الْمُحِيطَةِ؛ وَنَصَبَهُ مَنْصِبَهُ فِي الصَّلَاةِ عَلَى مَنْ جَرَتْ عَادَتُهُ بِالصَّلَاةِ عَلَى مِثْلِهِ؛  
وَجَمَعَ فِي اعْتِمَادِ ذَلِكَ بَيْنَ إِحْسَانِهِ وَقَضَلِهِ وَبَيْنَ امْتِنَانِهِ وَعَدْلِهِ؛ وَإِذَا قَدْ تَبَيَّنَ هَذَا



الأمر الواضح الحليّ، وتساوياً في علمه الشانئ والوليّ؛ وعلم هو ماخصّ الله به أمير المؤمنين من الإمامه، وأزاله عن العقول من ضباب متكيف وعمامة؛ وشمله به من فضله وراقته، ونصّب فيه من منصّب خلافته؛ التي أيدها بوليّه ووزيره، وعضدها بصفيّه وظهيره، السيد الأجل أبي الفتح يانس الحافظيّ الذي جعله الله على آعنتائه بدولة أمير المؤمنين من أوصح الشواهد والدلائل، وصرف به عن مملكته محدور الصروف والقوائل؛ وأقام منه لناصححة الخلافة مخلصا جمع فيه أسباب المناقب والفضائل، وأيده بالتوفيق في قوله وفعله فأرنب على الأوائير والأوائل؛ ودلّت سيرته الفاضلة على أنه قد عمر ماين الله ويته؛ وحكمت سنّته العادلة أن كل مدح لا يبلغ ثناءه وكل وصف لا يقع إلاّ دونه؛ والله بضاعف نعمه عنده ولديه، ويفتح لأمر المؤمنين مشارق الأرض ومغاريبها على يديه؛ وهذا يحقّق أن الإسلام قد أحدث له قوّة وتمكيناً، وأن قوى الإيمان قد ازدادوا إيماناً واستنصاراً وبقينا؛ فيجب عليكم لأمر المؤمنين أن تدخلوا في بيئته مئشحة صُدوركم، طيبة نفوسكم؛ مجتهدين له في خدمة تقابلون بها إحسانه، متقربين إليه بمناصححة تحيطكم عند الله سبحانه؛ عاملين بشرائط البيعة المأخوذة على أمثالكم الذين يتبعون في فعلهم، ويقع الإجماع بمثلهم؛ ولكم على أمير المؤمنين أن يكون بكم رحيماً، وعن الصغائر متجاوزاً كريماً، وبالكافة رعوفاً رقيقاً؛ وعلى الرعايا عطفواً شقيقاً، وأن يصفح عن المسىء مالم يأت كبيره، ويبلغ في الإحسان إلى من أحسن السيرة؛ ويؤيّل من الإفضال ما يستخلص الضمائر، ويُسيخ من الإتمام ما يقتضى تقاء السرائر؛ وأمير المؤمنين يسأل الله أن يعرفكم بركة إمامته، ويؤمن خلافته؛ وأن يجعلها ضامنة بلوغ المطالب، كافلة لكافئكم بسعادة المبادئ والعواقب؛ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

## المذهب الثالث

( أن تُفَتِّحَ البيعةُ بعدَ البسملةِ بِحُطْبَةٍ مُفَتَّحَةٍ بِالْحَمْدِ لله ،  
ثم يُؤْتَى بِالْبُعْدِيَّةِ وَيُخَلَّصُ إِلَى الْمَقْصُودِ ، وَقَدْ يُدَكَّرُ السُّلْطَانُ الْقَائِمُ بِهَا  
وَقَدْ لَا يُدَكَّرُ . وَعَلَى ذَلِكَ كَانَتْ تَكْتُبُ بَيْعَاتُ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ  
بِالْأَنْدَلُسِ ، وَمِنْ أَدْعَى الْخِلَافَةِ بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ )

وهذه نسخةُ بَيْعَةٍ كَتَبَ بِهَا طَاهِرُ الْأَنْدَلُسِيِّ ، فِي اخْتِزَارِ الْبَيْعَةِ عَلَى أَهْلِ دَائِيَّةِ  
مِنِ الْأَنْدَلُسِ ، لِلرَّشِيدِ بْنِ الْمَأْمُونِ الْأُمَوِيِّ ، وَهُوَ مُتَصِيبٌ فِي الْخِلَافَةِ : خُلْفُ  
تَوْفِيقِهِ مِنَ الرِّعَايَةِ . أَقْتَصَرَ فِيهَا عَلَى تَحْمِيدَةِ وَاحِدَةٍ ، وَلَيْسَ فِيهَا تَعَرُّضٌ لِسُلْطَانٍ قَائِمٍ  
بِعَقْدِهَا ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لله الَّذِي أَسْبَغَ إِسْمَاءَهُ بَاطِنًا وَظَاهِرًا ، وَسَوَّغَ إِفْضَالَهُ هَامِلًا وَهَامِرًا ، وَأَنْجَزَ  
عَنْ وَصْفِ إِحْسَانِهِ نَاطِلًا وَنَازِلًا ، وَقَهَرَ الْخَلْقَ نَاهِيًا وَآمِرًا ، وَتَعَالَى جَدُّهُ فَلَا تَرَى لَهُ  
مُضَاهِيًا وَلَا مُظَاهِرًا ، وَلَا مُوَازِيًا وَلَا مُوَازِرًا ، وَنَصَرَ الْحَقَّ وَكَفَى بِهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِهِ  
نَاصِرًا ، وَجَعَلَ جَمَدَ الْمَطِيحِ صَاعِدًا وَجَدَّ الْعِصَى طَائِرًا ، وَحَدَّرَ مِنَ الْخِلَافِ بَادِيًا  
وَحَاضِرًا ، وَمَاضِيًا وَغَائِبًا .

نَحْمَدُكَ سُبْحَانَهُ عَلَى نِعْمَةِ حَمْدٍ مِنْ أَصْبَحَ لَعَلَّكَ الْحَمْدُ ذَانِحًا ، وَنَشْكُرُكَ عَلَى مِنَّةٍ وَلَنْ  
يُعْذِمَ الْمَزِيدَ مِنْهُ شَاكِرًا ، وَتَضَرَّعَ إِلَيْهِ أَنْ يَجْعَلَ حَقْلَنَا مِنْ بَرَكَاتِ الْإِعْتِصَامِ وَإِفْرَا ،  
وَوَجْهَ نَيْتِنَا فِي الْإِنْتَظَامِ سَافِرًا ، وَأَنْ يَمْنَحَ أَوْلِيَاءَهُ النَّصَرَ ظَاهِرًا وَالْفَتْحَ بَاهِرًا ، وَأَعْدَاءَهُ  
الرَّغْبَ شَاجِرًا وَالرُّنْحَ شَاجِرًا ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً مِنْ أَقْوَلِهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ  
صَافِرًا ، وَأُضْفِي لِأَوَامِرِهِ مِمْتَلًا وَلِنَوَاهِيهِ مُحَازِرًا ، وَنَسْأَلُهُ أَنْ يَجْعَلَ حَرْبَ الْإِيمَانِ

ظافرا، ويُمِدُّه بَنَصْرَه طالبا للثار نائرا؛ وصلى الله على سيدنا محمد رسوله الذى انتخبه من صفوة الصفوة كائرا فكائرا، وجعله بالفضيلة أولا وبالرسالة آخر؛ فابقظ بالدعاية ساهيا وناسيا وسكن بعد الابانة منافيا ومنافرا، وأذهب بنوره ليللا من الجهالة سائرا؛ وقام بجهد الكفرة لينا خادرا، وبأشرب نفسه المكارة دارعا وحاسرا؛ وشهد بدرا مبادرا، وحنينا منذرا بالخبر ناذرا؛ وظهر عليهم فى كل المشاهد غالبا وما ظهروا نادرا؛ وعلى آله وأصحابه الذين منهم صاحبه وخليفته، الملوثة رافته، أبو بكر الذى أقتحم لهول الردة مصارا، وسل فى قتال الروم أهل الجلد والسدة سيفا بائرا؛ ومنهم القوي فى ذات الله عمر الذى أصبح به ربيع الإسلام عامرا، ولم يحش فى الله عاذلا ولم يرج غادرا؛ ومنهم الأصديق حياء عثمان ملاق البلوى صائرا، والحقير الذى لم ير للأذمة خافرا؛ ومنهم أقضاهم على الذى قاتل باغيا وكافرا، وبات لخوف الله ساهرا؛ ورضى الله عن الإمام المهدي الذى أطلعه نورا باهرا، وبحرا للعلم زائرا، وأتى به والضلال يميز رسته سادرا، والباطل يثبت وينفى وإردا وصادرا؛ بفقد رسم الحق وكان دائرا، وقام بأرائه علما هاديا وقرما هادرا؛ وعن الخلفاء الراشدين المرشدين من أصبح حائدا عن الحق جائرا، المجاهدين خائلا بالمهد خائرا.

أما بعد، فإن الله سبحانه جعل الإمامة للناس عيصمه، ومنجاة من ريب الألباس ونعمه، بها تمهد هماره الأرض، ويتجدد صلاح الكل والبعض، ولولاها ظهر الخلل، واختلط المري والمسل، وأرتبكت المآثم، واستبيحت المحارم، واستطعت المظالم، وانتقم من المظلوم الظالم؛ وفسد الائتلاف وأفرق النظام، وتسوى الحلال والحرام؛ فأختار لأمرهم رعاة أمرهم بالعدل فعدلوا، وبالتواصل

(١) أى لم يخف وفى بعض النسخ «ولا يرج غادرا» وهو غير مناسب.

في ذات الله والتَّطَاعُ قَطَعُوا في ذاتِ الله وَصَلُوا ؛ وَعَدَلُوا بين أَهْلِهِمْ وَأَقْرَبِهِمْ  
فِيمَا وُلُّوا ، وَنَهَضُوا بِأَعْيَاءِ الْكِفَايَةِ وَالْحَايَةِ وَأَسْتَقَلُّوا ؛ وَأَلْزَمَهُمُ الْإِتْقَانُ وَالِإِقْيَادُ ،  
وَحَظَرَ عَلَيْهِمُ الْإِسْتِشْقَاقَ وَالْعِنَادَ ؛ فَلَكُّوا بِأَزْمَةِ الْعَقْلِ قِيَادَ الْأُمُورِ ، وَأَشْرَقَتْ بِسِيرَتِهِمُ  
الْمُبَارَكَةِ أَقَاصِي الْمَعْمُورِ ؛ وَشَاهَدَ النَّاسُ فَوَاضِلَ إِمَامِهِمْ ، وَتَيَّنُوا مِنْ سِيرَتِهِمُ الْعَادِلَةَ  
عُلُوَّ مَحَلِّهِمْ فِي الْخِلَافِ وَمَقَامِهِمْ ؛ وَلَمْ يُطْرَقْ فِي مُدَّتِّهِمْ لِلْإِسْلَامِ جَنَابٌ ، وَلَا أَقْتَحِمَ  
لَهُ بَابٌ ؛ وَأَتَى وَسُوفُهُمْ تَقَطَّرَ مِنْ دِمَاءِ الْأَعْدَاءِ ، وَبَلَدُهُمْ سَاكِنَةُ الدَّهْمَاءِ ،  
وَالْكُفْرَةُ بِالرَّعْبِ الْمُخَاسِرِ وَالِدَاءِ الْعِيَاءِ ؛ وَأَهْلُ الْإِيمَانِ ، يَجْرُونَ ذُبُولَ الْعَزَائِمِ ، وَعَبْدَةُ  
الصُّلْبَانِ ، يَعْثُرُونَ فِي ذَيْلِ الْهَوَانِ الدَّائِمِ ؛ إِلَى أَنْ عَسِمَتِ الْأَرْضُ مِنْهُمْ بِحَارَهَا الزَّوَانِرُ ،  
وَأَنَوَارَهَا الْبَوَايِرُ ، وَرَأَتْ بِسَلَمِ الْعِيُونَ الْفَوَاقِ وَالْمُتَوَنِّ الْفَوَاقِرَ ؛ وَأَكْفَهَرَّ وَجْهُ  
الْأَلْوَاءِ ، وَتَفَرَّقَتِ الْفِرَقُ بِحَسَبِ الْأَهْوَاءِ ؛ وَسُفِكَتِ الدِّمَاءُ ، وَرُكِبَتِ الْمَضَلَّةُ الْعَمِيَاءُ ؛  
وَأَحْتَقَبَتِ الْجَوَارِ ، وَأَهْمِلَ الشَّرْعُ وَالشَّعَائِرُ ؛ ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَذِنَ فِي كَشْفِ  
الْكُرْبِ ، وَأَطْلَعَ بِالْقَرَبِ نُورًا مَلَأَ الدُّلُوكَ إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ ؛ وَهُوَ النُّورُ الَّذِي أَضَاءَ  
لِلْبَصَائِرِ وَالْأَبْصَارِ ، وَطَلَعَ عَلَى الْآفَاقِ طُلُوعَ النَّهَارِ ، وَذُنُوبَتْ أَيَّامُهُ السَّعِيدَةُ لِدَرْكِ  
النَّارِ ؛ وَكَفِفَتْ بِهِ الْخِلَافَةُ وَطَالَ بِهَا كَلْفُهُ ، وَقَامَ بِالْإِمَامَةِ مِثْلُ مَا قَامَ بِهَا الْخُلَفَاءُ  
الرَّاشِدُونَ سَلَفُهُ ؛ وَذَلِكَ هُوَ الْخَلِيفَةُ الْإِمَامُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الرَّشِيدُ بِاللَّهِ أَبْنُ الْخُلَفَاءِ  
الرَّاشِدِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ ، وَخَلَّدَ فِي عَقِبِهِمُ الْإِمَامَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ؛ وَهُوَ  
الْأَسَدُ الْمَحْصُورُ ، وَمَنْ أَبَوَهُ الْمَأْمُونُ وَجَدَهُ الْمَنْصُورَ ؛ الْعَرِيقُ فِي الْخِلَافَةِ ، وَالْحَقِيقُ  
بِالْإِمَامَةِ وَالْإِنْفَاقِ ؛ بَجَمْعِ مَا اقْتَرَقَ ، وَنَفْظِ الْأُمُورِ وَنَسَقِ ؛ وَمَنْعِ الْحَوَازَةِ أَنْ تُطْرَقَ  
وَالْمَلَّةُ أَنْ تَفْتَرَقَ أَوْ تُفَرَّقَ .



وهذه نسخة بيعه كتب بها أبو المطرف بن عُميرة الأندلسي بأخذ البيعة على أهل شاطبة من الأندلس لأبي جعفر المستنصر بالله العباسي ، قام بقتلها أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود صاحب الأندلس ، ثم أخذ البيعة بعد ذلك عليهم لنفسه ، وأن يكون أبنته ولي عهده بعده ، وهي :

الحمد لله الذي جعل الأرض قَرَارًا ، وأرسل السماء مِدْرَارًا ، وتَجَرَّ لَيْلًا ونَهَارًا ، وقَدَّرَ أَجَالًا وأَعْمَارًا ، وَخَلَقَ أَنْخَالًا وَأَطْوَارًا ، وجعل لهم إرادة واختيارًا ، وأوجد لهم نَفْكَرًا وأَعْتَبَارًا ، وتماهدم برحمته صغارا وِكَبَارًا .

نَحْمَدُكَ حَمْدَ مَنْ يَرْجُوهُ وَقَارًا ، وَنَبْرَأُ مِنْ عَائِدِهِ آمْسِيْجَارًا ، وَالْحَمْدُ فِي آيَاتِهِ سَفَاهَةٌ وَأَغْيَارًا ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الشَّرِيفِ نِيَّارًا ، السَّامِيِّ نَفَارًا ، فَرَفَعَ اللَّهُ مِنْ شَرِيعَتِهِ لِلأُمَّةِ مَنَارًا ، وَأَطْفَأَ بِرِسَالَتِهِ لِلشُّرْكَ نَارًا ، حَتَّى عَلَا الْإِسْلَامُ مِقْدَارًا ، وَعَزَّ جَارًا وَدَارًا ، وَأَذْمَعَ الْكُفْرَ أَضْطِرَارًا ، وَأَسْتَسْلِمُ ذِلَّةً وَصَغَارًا ، فَضَى وَقَدْ مَلَأَ الْبَسِيطَةَ أَنْوَارًا ، وَعَمَّهَا بِدَعْوَتِهِ أَنْجَادًا وَأَغْوَارًا ، وَأَوْجِبَ لَوْلَاةَ الْعَهْدِ بِعَدِهِ طَاعَةً وَأَيْمَارًا ، فَخَازَهُ اللَّهُ أَفْضَلَ مَا جَزَى نِيًّا غُنَارًا ، وَرَسُولًا أَجْتَبَاهُ اخْتِصَاصًا وَلِيثَارًا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ آثَارًا وَآخْتَارًا ، وَعَلَى أَصْحَابِهِ الْكِرَامِ مَهَاجِرِينَ وَأَنْصَارًا ، صَلَاةً تُؤَلِّهِهَا إِعْلَانًا وَإِسْرَارًا ، وَتَرْجُوها مَغْفِرَةً رَبَّنَا إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا .

أما بعدُ ، فَإِنَّ الْمُسْتَأَثِرَ بِالْدَّوَامِ ، اللَّطِيفَ بِالْأَنَامِ ، أَنْشَأَهُمْ عَلَى التَّغَايُرِ وَالتَّبَايُنِ ، وَأَضْطَرَّهُمْ إِلَى التَّجَاوُرِ وَالتَّعَاوُنِ ، وجعل لهم مصلحة الاشتراك ، ومنفعة الالتحام

والإشتباك ؛ طريقاً إلى الأنفصل في حياتهم ، والأسعد لغاياتهم ؛ وبعث النبيين  
مرغبين ومخدرين ، ومبشرين ومنذرين ؛ فادّوا عنه ماحل ، وبنوا ما حرم وحل ؛  
وكان أعظم دعوه ، وأوثقهم عُروه ؛ وأعلام في المنزلة عنده ذروه ، وأعظمهم  
للقلوب وهي كالبحارة أو أشد قسوه ؛ المخصوص بالمقام المحمود ، والخواص  
الموردو ؛ وشفاعه اليوم المشهود ، ولواء الحمد المعقود ؛ صلى الله عليه وعلى آله وسلم  
أفضل صلاة تُقضى إلى الظل الممدود ، وتبلغنا من شفاعته أفضل موعد ؛ بعثه الله  
للأحر والأسود ، والأدنى والأبعد ؛ فصَدَعَ بأمره وظلام الليل غير منجذب ،  
والداعي إلى الله غير محاب ؛ وأهل الجاهلية كثير عددهم ، شديد جلدتهم ، بعيد  
في الضلالة والنفوية أمدهم ؛ فسلك من هدايتهم سيلا ، وصبر لهم صبرا جميلا ،  
يُحب صلاحهم وهم العدو ، ويكين لهم إذا جد بهم العدو ، ويجهد في إظهار دينه  
ولدين الله الظهور والعلو ؛ حتى آتفادوا بين سابق سبقت له السعادة ، ولاحق  
تداركته المشيئة والإرادة ؛ ولما رُفِعَتْ رايه الإسلام ، وشفعت حجة الكتاب حجة  
الإسلام<sup>(١)</sup> ، ودُعِيَ الناس إلى التزام الأحكام ، ونهوا عن الاستقسام بالأزلام ، أختبوا  
إلى الرب المعبود ، وأشفقوا من تعدى الحدود ، وعظوا في الإيمان والعمود ، فأتمروا  
للشرع حين أمر ، وخافوا وخامه من إذا عاهد غدر ؛ فكان الرجل يدع الخوض  
فيا لا بعلمه ، ويترك حقه لأجل بين تزمه ، وشُرعت الإيمان في كل فن بحسب  
المحلول عليه ، وعلى قدر الحاجة إليه ؛ فواحدة في المال لحق الأداء ، وأربع محسنة  
عند مُلاعبة النساء ، ونحسوت انتهى إليها في أحكام الدماء ، فتوثق للحدود على  
مقاديرها ، وجرت أمور العبادات والمعاملات على أفضل تقديرها ؛ وقبض رسول  
الله صلى الله عليه وسلم والعدل قائم ، والشرع على القوى والضعيف حاكم ، والرب

(١) لعل المراد بالأول الدين والثاني الاتقياء إن لم يكن مصحفا من الاستسلام .

جلّ جلاله بما تُغنى الصدورُ عالم ، وقام بعده الخلفاء الأربعة أركان الدين ،  
وأعضاء الحقّ الميسين ؛ يحملون الناس على سنّهِ الواضع ، ويتقدّون أمور المصالح ،  
ويتفقّون في الأحكام وقوفاً مع الظاهر وترجيحاً للرّاجح ؛ وكانوا يتوقفون في بعض  
الأحيان ، ويطلبون للشبه وجه البيان ، ويستظهرون على تحقيق كثير من الوقائع  
بالإيمان ؛ حتى كان على كرم الله وجهه يستثبِت في الدّرايه ، ويستحلف الراوى  
على الروايه ؛ وما أنكر ذلك أحدٌ ، ولا أعوزه من الشرع مستند ؛ رضى الله عنهم أئمةً  
بالعدل قضاةً ، وعلى سبيله مَضوا ، والسيرة الجليّة تحيروا وأرتضوا ؛ وعن مسيد  
الأنام ، ومستترِل دَر النّام ، عم نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام ؛ الحامِي الحديب ،  
والمعقل الأشب ؛ والقيث الهامِل المنسكب ، أبى الفضل العبّاس بن عبدالمطلب ؛  
وعن الفاترين بالزّينة الكريمة ، والصّحبة القديمة ، والمناقب العظيمة ؛ بدور الظّلام  
وبُحور الحكم ، وصُدور أنديّة الفضيل والكرم ؛ وسائر صحابه عليهم السلام الذين  
أساموا على عُمره<sup>(١)</sup> ، وأسلفوا جدّاً في نصره ، وأدرّكوا من بركة عيانه وزمانيه مالا مُدرَك  
لحصره ؛ كرم الله ما بهم ، وأجزل ثوابهم ، وشكر لهم صبرهم وأحسابهم ؛ فلقد عقدوا  
نية الصّدق عند قيامهم لأداء فريضة الإطافه ، واستباحوا صلاة الشكر حين رفعوا  
حدّث الرّدة وأراقوا سُور الشّرك وقد استحقّ بخباسته الإرافه ، وأبترّوا كسرى زيّته  
فأبرّزوها على سُراقه ؛ فرأوا عيانا ما أخبر به سيّد المرسلين ، وملّكوا مأزوى له منها  
فاطلع عليه بحقه الميسين ؛ وذهبوا فاظلمت الأرض من بعدهم ، وتكرّرت المعارف  
لفقدهم ، وأخطط الحمل والمرعى ، وتشابه الصّريح والدّعى ؛ وثارت الفتن من كل  
جانِب ، وصارت الحقوق نُبهة [ كل ] ناهِب ؛ ولمّا برّحت<sup>(٢)</sup> اليهود ، وتعدّيت

(١) مراده على عهد النبي وفي زمنه .

(٢) لعله ولمّا تركت اليهود . تأمل .

المُحْدُودِ ؛ بَلَغَ الْوَقْتُ الْمُحْدُودَ ، وَطَلَعَتْ بَيَاضُ الْعَدْلِ الرَّايَاتُ السُّودُ ؛ تَحْتَهَا سَادَاتُ النَّاسِ ، وَذَادَةُ مَوْقِفِ الْبَاسِ ؛ وَثُبُّ الْيَوْمِ الْعَمَّاسُ ، وَثُبُّ الْبَيْتِ الْكَرِيمِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ ؛ فَأَعَادُوا إِلَى الْأَمْرِ رَوْقَهُ ، وَنَفَوْا عَنِ الصَّفُورِ رَنَّهُ ؛ وَحَمَوْا حَرَمَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَحْيَوْا سُنَّةَ آبِنِ عَمَّهِمْ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ؛ فَأَصْبَحَتِ الْأُمُورُ مُضْبُوطَةً ، وَالتَّنُورُ مَحْوُطَةً ؛ وَالسَّبِيلُ آمِنَةً ، وَالرَّعِيَّةُ فِي ظِلِّ الْعَدْلِ وَالْأَمْنِ سَاكِتَةً ؛ وَكَانَ النَّاسُ قَبْلَهُمْ قَدْ رَكِبُوا الصَّعْبَ وَالذَّلُولَ ، وَامْتَطَوْا الْحَزْنَ وَالسَّهُولَ ؛ فَوَقَّعُوا مِنْهُمْ بَطَاعَتَهُمْ ، وَاسْتَحْلَفُوهُمْ عَلَى بَيْعَاتِهِمْ ؛ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَرْمَوْهُمْ مِنْهَا وَاجِبًا عَلَى الْقَطْعِ ، لِأَنَّهُمْ بِالْإِزَامِ الشَّرْعِ ؛ وَوَجَدُوا لِمَصْلَحَةِ الْإِرْتِبَاطِ بِالْإِيمَانِ شَوَاهِدَ مِنَ الْآثَارِ الْمُنْقُولِ ، وَالْأَصُولِ الْمَقْبُولِ ؛ وَمَنْ أَعْطَى مِنْ نَفْسِهِ كُلَّ مَا عَلَيْهَا ، وَرَاعَى جَمْلَةَ الْمَصَالِحِ كُلِّ مَا تَطَرَّقَ إِلَيْهَا ، فَكَيْفَ لَا يَكُونُ فِي سَعَةِ مِنْ هَذَا التَّكْلِيفِ الْمُسْتَنَدَ إِلَى الْآثَارِ الشَّرْعِيَّةِ ، الدَّخَالِ فِي أَقْسَامِ الْمَصَالِحِ الْمُرْعِيَّةِ ؛ كَمَا سَلَفَ مِنَ الْأُتَمَّةِ الْمُتَهَدِّينَ ؛ أَبَاهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَخَلِيفَةُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، آبِنِ عَمِّ سَيِّدِنَا وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ .

لَمَّا دَعَا النَّاسَ بِالْمُلْكَةِ الْقَلَانِيَّةِ حَمَاهَا اللَّهُ إِلَى مُجْتَبَاهِمْ الْقَوِيَّةِ ، وَأَمْرِهِمْ الْهَاشِمِيَّةِ ؛ مَجَاهِدِ الدِّينِ ، بِسَيِّفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، جَمَالَ الْإِسْلَامِ ، مَجْدَ الْأَنَامِ ، تَأَجَّجَ خَوَاصُّ الْإِيمَانِ ؛ غَرُّ مَلُوكِهِ ، شَرَفُ أُمَرَائِهِ ؛ الْمُتَوَكِّلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ هُودَ ، أَسْعَدَ اللَّهُ أَيْامَهُ ، وَنَصَرَ أَعْلَامَهُ ؛ وَقَامَ لِذَلِكَ مُتَوَحِّدًا الْمَقَامَ الْكَرِيمِ ، مُشْتَرَا عَنْ سَائِدِ التَّضَمِيمِ ؛ مَاضِيًا عَلَى الْهَوْلِ مَضَاءَ الْحُسَامِ الْقَاضِبِ ، غَاضِبًا لِأَمْرِ اللَّهِ وَرِضَاهُ عَلَى غَايَةِ هَذَا الْغَاضِبِ ؛ مَا لَتْ إِلَيْهِ الْأَجَادِ ، وَأَتَالَتْ عَلَيْهِ الْبِلَادُ ؛ فَاتَّظَمَهَا مَعِينَةٌ مَدِينَةٍ ، وَجَعَلَ التَّوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ شَرِيعَةً مَنِعَةً وَذَرِيعَةً مُعِينَةً ؛ وَهَتَمَ - أَيْدَهُ اللَّهُ - بِأَخْذِ الْبَيْعَةِ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى أَهْلِ الْمِلَّةِ قَاطِبَةً لِلْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الْخَلِيفَةَ الْإِمَامَ الْمُسْتَضَرَّ بِاللَّهِ أَبِي جَعْفَرٍ



أمير المؤمنين، صلوات الله عليه وعلى آله الخلفاء الراشدين ؛ وكان له في ذلك المرام السعيد والمقام الحميد، والقدم الذي رضى إبداءه وإعادته المبدئ المعيد؛ وخاطب الديوان العزيز النبوي - خلد الله شرفه - متضرعا لوسائل خدمته، متضرعا لوعاظف رحمته ؛ وبعث رسوله على أصدق رجاء في القبول ، وأثبت أمل في الإسعاف بالمأمول ؛ وأثناء هذه الإرادة القويمة، والسعادة الكريمة ؛ ففاض أهل البلاد في توثيق عقدهم للسلطان فلان المشار إليه الذي هو حكم من أحكام الإجماع المنعقد ، وأصل أفضى إليه نظر الناظر وأجتهاد المجتهد ؛ إذ أجالوا الأمر فيما يزيد وثاقه، ويكسو وجهه على الأيام بشرا وطلاقة ؛ ويعمل القلوب مطمئنة برسوخه في الأعقاب، وثبوتيه على الأحقاب ؛ فلم يروا رأيا أسد، ولا عملا أحصف وأشد؛ من أن يطلبوه بعقد البيعة لابنه الوائى بالله المعصم به أبى بكر محمد بن مجاهد الدين، سيف أمير المؤمنين ، على أن يكون ولي عهدهم مدة والده مد الله في حياته، وأمرهم عند الأجل الذى لأبد من موافاته ؛ فامضى لهم ذلك من اتفاقهم ، وأثبتوا على ما شرطته بيعته في أعناقهم ؛ وبعد ذلك أتى صولة الإسلام ، وصلة دار السلام ؛ وورد رسول متابة الجلاله ، ونياية الرسالة ؛ وملمتم الملائك ، ومعتصم الممالك ؛ ومعه الكتاب الذى هو نص أغنى عن القياس ، بل هو نور يمشى به في الناس ؛ وأدّى إلى السلطان فلان المشار إليه من تشریف الديوان العزيز النبوي ما وسّمه من الفخار بأجل وسّمه ، وقلده السيف الصارم وسّمه باسمه ؛ فلاقى السيفان المضروب والضارب ، وأشبّه الوصفان الماضى والقاضب ؛ وبرزت تلك الخلق فايض وجه الإسلام من سوادها، ووضع الكتاب فكادت المناير تسعى إليه شوقا من أعوادها ؛ وقُرئت وصايا الإمام ، على الأنام ؛ فعلموا أنها من تراث الرسالة ،

(١) ذكر القدم لأنه بمعنى السبق تامل .

وقالوا : كَافِلُ الْإِسْلَامِ جَدَّدَ لَهُ بِهَذَا الصُّقْعِ الْغَرِيبِ حُكْمَ الْكَفَالَةِ ؛ وَتَمَعُوا مِنْ  
التَّقْدِيمِ بِإِنْصَافِهِمْ ، وَالتَّهْنِئَةِ بِمَوَاسِطِهِمْ وَأَطْرَافِهِمْ ؛ جُمْلًا عَفَرُوا لَهَا الْجِبَاهُ جُودًا  
بِالْجَهْدِ ، وَتَجَدَّدُوا لِلشُّكْرِ وَالْجَمْدِ ؛ فَادْرَكُوا مِنْ بَرَكَهَ الْمَشَاهِدِ أَمْتٌ شَرِيفٌ وَأَبْقَاهُ ،  
وَرَأَوْا حَقِيقَةَ مَا كَانَتْ الْأَوْهَامُ تُرَوِّلُ عَنْ مَرْفَاقِهِ ؛ وَأَزْدَادُوا يَقِينًا بِفَضْلِ مَا صَارُوا  
إِلَيْهِ ، وَرَأَوْا عَيْنًا يُحِبُّ مَا يَأْتِيهِ عَلَيْهِ ؛ فَتَوَافَتْ طَوَائِفُهُمُ الْمُتَبَوِّعَةُ ، وَجَاهِرُهُمُ  
الْمَجْمُوعَةُ ، يَدَارًا إِلَى الْمَرَاضِيِّ الشَّرِيفِ ، وَبِنَاءً عَلَى وَصَايَا عَهْدِ الْخَلِيفَةِ ، أَنْ يُجَدِّدُوا  
الْبَيْعَةَ لِلْمُجَاهِدِ الدِّينِ ، سَيْفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ تَوَلَّى اللَّهُ عَضْدَهُ ؛ وَلَاكِنَّ الْوَائِقَ بَالَهُ  
الْمُعْتَصِمُ بِهِ أَنْهَضَهُ اللَّهُ بِأَمْرِهِ بَعْدَهُ ؛ وَلَمْ تَعُدْ أَنْ تَكُونَ الزِّيَادَةُ الطَّارِئَةُ شَرْطًا فِي تَقْرِيرِ  
الْإِمْرَةِ الْمُؤَدَّةِ وَإِثْبَاتِهَا ، أَوْ جَارِيَةٍ بِمَجْرَى السَّنَنِ الَّتِي يُؤَمَّرُ الْمَصْلَى بِالْإِعَادَةِ عِنْدَ  
فَوَاتِهَا ، فَأَعَادُوا بَيْعَتَهُ آدَاءً لِلْفَرِيضَةِ وَرَجَاءً لِلْفَضِيلَةِ ؛ وَاسْتَنْدُوا إِلَى الْإِشَارَاتِ  
الْخَلِيلَةِ ، بَعْدَ الْإِسْتِخَارَاتِ الطَّوِيلَةِ ؛ وَرَأَوْا أَنَّ يَأْخُذُوا بِهَا عَادَةَ الْبَيْعَاتِ الْعَبَاسِيَّةِ ،  
وَاتِّخَاذَ حُكْمِ الْأَصْلِ طَرِيقَ الْإِلْحَاقَاتِ الْقِيَاسِيَّةِ ؛ فَبَايَعُوا عَلَى تَذَكُّرِ بَيْعَةِ أَكْذَوِهَا  
بِالْمُؤَدِّ الْمُسْتَحْفَظَةِ ، وَوَقَّفُوهَا بِالْإِيمَانِ الْمَقْلُظَةِ ؛ وَبَادَرُوا بِهَا نِدَاءً مُتَادِيهِمْ ، وَأَعْطَوْا  
عَلَى الْإِصْفَاقِ بِهَا صَفَقَةً أَيْدِيَهُمْ .

وَلَمَّا آتَيْنِي ذَلِكَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ أَهْلِ فَلَانَةَ وَجِهَاتِهَا ، رَأَوْا أَنَّ يَحْتَلِفَ مِنْ سَبْقِ ،  
وَيَصْدُقُوا النَّبِيَّ مِنْ مَنْ صَدَّقَ ، وَيَقْدُوا مَا عَقَدُوهُ عَلَى مَا صَرَّحَ بِهِ الْعَهْدُ الشَّرِيفُ  
وَنَطَقَ ؛ فَخَضَرُ مِنْهُمْ الْعِلْمَاءُ وَالصُّلَحَاءُ ، وَالْأَجْنَادُ وَالْوُزَرَاءُ وَالْقَهَّاءُ ، وَالْكَافَّةُ عَلَى  
تَبَايُنِهِمْ فِي الْمَرَاتِبِ ، وَتَقَاوُسِهِمْ فِي الْمَنَاصِبِ ، وَاخْتِلَافِهِمْ فِي الْمَوَاطِنِ وَالْمَكَاسِبِ ؛  
فَأَمَضَوْهَا بَيْعَةً كَرِيمَةً الْمَقَاصِدِ ، سَلِيمَةً الْمَقَافِدِ ؛ عَهْدًا مُحْكَمًا ، وَعَقْدًا مُبَرِّمًا ؛  
وَمُوجِبًا طَاعَةً وَتَمَعًا ، وَالتَّقِيدَ بِهَا سُنَّةً وَشَرْعًا ؛ وَيَعْمُرُونَ بِهَا أَسْرَارَهُمْ ، وَيُفْنُونَ  
عَلَيْهَا أَعْمَارَهُمْ ؛ وَيَبْنُونَ بِهَا فِي عُسْرٍ وَيُسْرٍ ، وَرَيْحٍ وَخُسْرٍ ؛ وَضَيْقٍ وَرَفَاهِيَةٍ . وَبِحَبَّةِ

وكرَاهِيَهْ ؛ تَبَرَّعُوا بِذَلِكَ كُلِّهِ طَوْعًا ، وَاسْتَوْفَوْهُ فَضْلًا فَضْلًا وَتَوَاعًا وَتَوَاعًا وَعَاهِدُوا عَلَيْهِ  
الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ؛ وَاصْبِرُوا مِنْهَا عَلَى مَا أَبْرَّ عَلَى الظَّاهِرِ وَأَوْفُوا ؛ وَتَقَبَّلُوا مِنْ  
الْوَفَاءِ بِهِ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ خَلِيلَهُ إِذْ قَالَ : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ ؛ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ الَّذِي  
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ، وَبِمَا أَخَذَهُ عَلَى أَنْبِيَائِهِ الْكَرَامِ مِنَ  
الْعَهْدِ الْمَوْثُوقَةِ ، وَالْمَوَاقِيقِ الْمَشْدَدَةِ ، عَلَى أَنَّهُمْ إِنْ حَادُوا عَنْ هَذِهِ السَّبِيلِ ، وَاتَّقَادُوا  
لِدَاعِيِ التَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ ؛ فَهُمْ بُرَاءٌ مِنْ حَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ إِلَى حَوْلِهِمْ وَقُوَّتِهِمْ ،  
تَارِكُونَ ذِمَّتَهُ الْوَاقِفَةَ لِذِمَّتِهِمْ ؛ وَالْإِيمَانَ كُلَّهُ لَا زِمَّةً لَهُمْ عَلَى مَذْهَبِ إِمَامٍ دَارِ الْهَجْرَةِ ،  
وَطَلَائِقِ كُلِّ أَمْرَاءَةٍ فِي مِلْكِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لَا زِمَّ لَهُمْ ثَلَاثًا ، وَأَيْمًا أَمْرَاءَةٍ تَزَوَّجَهَا  
فِي الْبِلَادِ الْفُلَانِيَةِ فَطَلَائِقُهَا لَا زِمَّ لَهُ ، كَمَا تَزَوَّجَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَاحِدَةً نَجَحَتْ طَالِقًا  
ثَلَاثًا ؛ وَعَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ الْمَشْيُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ عَلَى قَدَمَيْهِ ، مُخْرِجًا مِنْ مَنَازِلِهِ  
بِحُجَّةِ كِفَارَةٍ لَا تُجْزَى عَنْ حُجَّةِ الْإِسْلَامِ ؛ وَعِيْبَتُهُمْ وَأَرْقَاؤُهُمْ عُنُقَاءٌ لِحَقُونِ بِأَحْرَارِ  
الْمُسْلِمِينَ ، وَجَمِيعُ أَمْوَالِهِمْ عَيْنًا وَعَرْضًا ، حَيَوَانًا وَأَرْضًا ، وَسَائِرُ مَا يَحْيِيهِ الْمُسْتَمْلِكُ  
كُلًّا وَبَعْضًا ، صَدَقَةٌ لِبَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ ؛ حَاشِيَ عَشْرَةَ دِينَارٍ . كُلُّ ذَلِكَ عَلَى أَشَدِّ  
مَذَاهِبِ الْفَتَوَى ، وَأَزْمِهَا لِكَلِمَةِ التَّقْوَى ؛ وَأَبْعَدِهَا مِنْ مَخَالَفَةِ الْهَوَى وَالظَّاهِرِ  
وَالْفَعْوَى ؛ أَرَادُوا بِذَلِكَ رِضَا الْخِلَافَةِ الْفُلَانِيَةِ وَالْفُلَانِيَةِ ( بَلَقِي السُّلْطَنَةِ ) لِلسُّلْطَانِ  
وَوَلَدِهِ الْمَأْخُودِ لَهَا الْبَيْعَةُ بَعْدَ بَيْعَتِهِ ، وَاشْهَدُوا بِاللَّهِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَكَفَى بِذَلِكَ أَعْتَرَامًا  
وَأَتْرَامًا ، وَشَدَّ لَهَا أَمْرَهُ وَإِحْكَامًا : ﴿ مَنْ نَكَثَ فَاثِمًا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾  
﴿ وَمَنْ يَفْسَخْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ . وَهُمْ يَرْفَعُونَ دَعَاءَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَضَرُّعًا وَاسْتِسْلَامًا ،  
وَيَسْأَلُونَهُ عِصْمَةً وَكَفَايَةً أَتِيحًا وَأَخْتِيَامًا ؛ اللَّهُمَّ إِنَّا قَدْ أَنْقَضْنَا هَذَا الْعَقْدَ أَقْنَدَاءَ  
وَأَهْتِيَامًا ، وَقَضَيْنَا حَقَّهُ إِجْلَالًا وَإِعْتَامًا ، وَأَسْلَمْنَا وَجْهَنَا إِلَيْكَ إِسْلَامًا ، فَفَرِّقْ  
مِنْ خَيْرِهِ وَبَرَكَتِهِ نَمَاءً وَدَوَامًا ، وَأَكْلَانًا بَيْنَكَ حَرَكَةً وَسُكُونًا وَبِقِظَّةٍ وَمَنَامًا :

و﴿ هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلتَّقِيْنَ إِمَامًا ﴾ إِنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ  
مُنْتَهَى الرَّغْبَاتِ، وَجِبُّ السَّمَوَاتِ، وَإِلَهُ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ .



وهذه نسخة بيعة مرتبة على موت خليفة، أنشأها على هذه الطريقة لموافقتها  
رأى كُتَّاب الزمان في افتتاح عهد الملوك عن الخلفاء بالحمد لله كما سيأتي بيانه  
في موضعه إن شاء الله تعالى ؛ وتعرضت فيها إلى قيام سلطان بعقدها ؛ لمطابقة  
ذلك لحال الزمان، وهي :

الحمد لله الذي جعل الأمة المحمدية أبَدَخ الأئمة شرفاً ، وأكرمها نجاراً وأفضلها  
سلفاً ؛ وجعل رتبة الخلافة أعلى الرتب رتبة وأعزها كنفاً ، وخص الشجرة الطيبة  
من قريش بأن جعل منهم الأئمة الخلفاء ؛ وآثر الأئمة العباسية منها بذلك ، دعوة  
سبقت من آبن عمهم المصطفى ، وحفظ بهم نظامها على الدوام فجعل من سلف  
منهم خلفاً .

نحمده على أن هيا من مقدمات الرشد ما طاب الزمان به وصفاً ، وجدد من رسوم  
الإمامة بخير إمام مآدرس منها وعفا ؛ وأقام للسامين إماماً تأرجح الجو بنشره فأصبح  
الوجود بعرفه معترفاً .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة خالص تمسك بعهدا فوقاً ،  
وأعطاها صفة يده للبائية فلا يتغير عنها مضرراً ؛ وأن محمداً عبده ورسوله الذي  
تدارك الله به العالم بعد أن أشقى فشقى ؛ وتسخت آية دينه الأديان وجلأ بشرعته  
المثيرة من ظلمة الجهل ندفاً ؛ وجعل مبياعه مبياعاً لله يأخذه بالتكث ويوفيه أجره  
على الوفا ، صلى الله عليه وعلى آله الأطهار وعترته الشرفاء ؛ ورضى الله عن أصحابه

الذين ليس منهم مَنْ عاهدَ اللهَ فَعَدَّ ولا وادَّ في إلهه بَحْفًا، خصوصاً مَنْ جاء بالصدق  
وَصَدَّقَ بِهِ فَكَانَ لَهُ قَرَابَةٌ وَصَفْوَةٌ الصَّافِي، والمَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي الْيَتَمَةِ يَوْمَ السَّقِيَّةِ  
بعدما أَشْرَأَتْ نَحْوَهَا نَفْسٌ كَادَتْ تَذُوبُ عَلَيْهَا أَسْفًا، والقَائِمُ فِي قِصَالِ أَهْلِ الرِّدَّةِ  
مَنْ بَنَى حَنِيفَةً حَتَّى اسْتَقَامُوا عَلَى الْحَنِيفَةِ السَّمْعَةِ حَقًّا. وَمِنْ اسْتَحَالَ دَلُّوا الْخِلَافَةَ  
فِي يَدِهِ غَرِبًا فَكَانَ أَقِيدَ عِبْقَرِي قَامَ بِأَمْرِهَا فَكَفَى، وَعَمَّتْ فُجُوهُ الْأَمْصَارِ وَجِلَتْ  
إِلَيْهِ أَمْوَالُهَا فَلَمْ يُسْكِمَهَا إِفْتَارًا وَلَمْ يُبَدِّرْ فِيهَا سَرَفًا. وَمَنْ كَانَ فَضْلُهُ لِسَهْمِ الْإِخْتِيَارِ  
مَنْ بَيْنَ أَصْحَابِ الشُّورَى هَدَفًا، وَجَمَعَ النَّاسَ فِي الْقُرْآنِ عَلَى صِحْفَةٍ وَاحِدَةٍ وَكَانَتْ  
قَبْلَ ذَلِكَ صُحُفًا. وَمَنْ سَرَى إِلَيْهِ سِرٌّ: "أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِثْلَ بَمَزَلَةِ هَارُونَ  
مَنْ مُوسَى" فَتَدَا يَجُزُّ مِنْ ذَيْلِ الْفَخَّارِ سَحَابًا، وَاسْتَوَى عَلَى الْمَكَارِمِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ  
فَلَا زَاحِزَ أَطْرَافِهَا طَرَفًا طَرَفًا، وَعَلَى سَائِرِ الْخَلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ بَعْدَهُمْ مِمَّنْ سَلَكَ سَبِيلَ الْحَقِّ  
وَلَطَرِيقِ الْمُهْدَى أَقْنَى؛ صَلَاةً وَرِضْوَانًا يُثْبِتَانِ الدَّاءَ الْمُضَالَ مِنَ وَخَامَةِ الْفَسَادِ  
وَيُجَلِّبَانِ الشُّفَا، وَبِرَقْعَاتٍ قَدَّرَ صَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا وَيُؤَيِّنَانِ مَتَحَلَّهُمَا مِنْ جَنَاتِ  
النَّعِيمِ غُرَفًا.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ عَقْدَ الْإِمَامَةِ لَمْ يَقُمْ بِأَمْرِ الْأُمَّةِ وَاجِبٌ بِالْإِجْمَاعِ، مُسْتَنَدٌ لِأَقْوَى  
دَلِيلٍ تَقْطِعُ دُونَ قَضِيهِ الْأَطْرَاعِ، وَتَبْنُو عَنْ تَمَسُّعِ مَا يَخَالِفُهُ الْأُتْمَاعِ؛ إِذَ الْعِبَادُ  
يَجْبُولُونَ عَلَى التَّبَايُنِ وَالتَّفَايُرِ، مُطْبُوعُونَ عَلَى التَّحَالُفِ وَالتَّنَاصُرِ؛ [مَضْطَرُونَ  
إِلَى التَّعَاوُنِ وَالتَّجَاوُرِ، مُفْتَقِرُونَ إِلَى التَّعَاوُذِ وَالتَّوَاذُرِ] <sup>(١)</sup>، فَلَا بُدَّ مِنْ زَعِيمٍ يَنْعُمُهُمْ  
مِنَ التَّظَلُّمِ، وَيَجْلِبُهُمْ عَلَى التَّنَاصُفِ فِي التَّدَاعَى وَالتَّعَاكُمِ؛ وَيُقِيمُ الْحُدُودَ فَتُصَانُ  
الْحَارِمُ مِنَ الْإِثْمِ، وَتُحْفَظُ الْأَنْسَابُ عَنِ الْإِخْتِلَاطِ وَالْإِسْتِرَاكِ؛ وَيُنْجِي بَيْضَةَ

الإسلام فَيَمْنَعُ أَنْ تُطْرَقَ ، وَيَصُونُ الثَّغُورَ أَنْ يَتَوَصَّلَ إِلَيْهَا أَوْ يُطْرَقَ : لِيَعْرِزَ  
الإسلامُ داراً ، وَيَطْمَئِنَّ الْمُسْتَحْفِي لَيْلاً وَيَأْمَنَ السَّارِبُ نَهَاراً ؛ وَيُدْبُّ عَنِ الْحَرَمِ  
فُحْشَتَهُ ، وَيَتَوَدُّ عَنِ الْمُتَكَرِّاتِ فَلَا تُغْشَى بِلَ تَصْطَلِمَ ؛ وَيُجَهِّزُ الْجِيُوشَ فَتَنْكُ الْعُدُوْ ،  
وَيُغَيِّرُ عَلَى بِلَادِ الْكُفْرِ فَيَمْتَنِعُهُمُ الْقَرَارَ وَالْمَلْدُوْ ؛ وَيُزِيغُ أَنْفَ الْفِتْنَةِ الْبَاغِيَةِ وَيَقْمَعُهَا ،  
وَيُذِغُ الطَّائِفَةَ الْمُبْتَدِعَةَ وَيَرُدُّعُهَا ؛ وَيَأْخُذُ أَمْوَالَ بَيْتِ الْمَالِ بِحَقِّهَا فَيُطْلَاوِعَ ،  
وَيَصْرِفُهَا إِلَى مُسْتَحَقِّهَا فَلَا يَسْأَزَعُ - لِأَجَرَمَ أَعْتَبَرَ لِلْقِيَامِ بِهَا أَكْمَلَ الشُّرُوطِ وَأَتَمَّ  
الصَّفَاتِ ، وَأَكْرَمَ الشِّيمِ وَأَحْسَنَ السَّمَاتِ .

وكان السيد الأعظم الإمام النبوي ، سليلُ الخِلافه ، وَوَلِيُّ الإِمَامَةِ ؛ أَبُو فُلَانٍ  
فُلَانُ الْمُبَاسِيَّ التَّوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ « مثلاً » أميرُ الْمُؤْمِنِينَ ، سَلَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ جَدَدَ آبَائِهِ  
الرَّاشِدِينَ ؛ هُوَ الَّذِي جَمَعَ شُرُوطَهَا فَوْقَهَا ، وَأَحَاطَ مِنْهَا بِصِفَاتِ الْكَمَالِ وَأَسْتَوْفَاهَا ؛  
وَرَأَتْ بِهِ أَذْنَى مَرَاتِبِهَا فَبَلَّغَتْ إِلَى أَعْيَاهَا ، وَتَسَوَّرَ مَعَالِيَهَا فَرَقَ إِلَى أَعْلَاهَا ، وَأَحْبَدَ  
بِهَا فَكَانَ صُورَتَهَا وَمَعْنَاهَا - وَكَانَتِ الْإِمَامَةُ قَدْ تَأَيَّمَتْ مِنْ يَقُومُ بِأَعْبَائِهَا ، وَعَزَّتْ  
خُطْبَاهَا لِقِلَّةِ أَكْفَانِهَا ؛ فَلَمْ تَلَفْ لَهَا بَعْلًا يَكُونُ لَهَا قَرِينًا ، وَلَا كُفْنًا تَحْطُبُهُ يَكُونُ  
لَدَيْهَا مَكِينًا ، إِلَّا الْإِمَامُ الْفُلَانِيُّ الْمَشَارِإِلِي ، فَدَعَتْهُ لِيُطَبِّئَهَا وَهِيَ بَيْتُ عِرْسِهِ :  
( وَرَأَوْدَتُهُ أَلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنِ نَفْسِهِ ) فَأَجَابَ خُطْبَتَهَا ، وَلَبَّى دَعْوَتَهَا : لِتَحْقِيقِهِ  
رَغْبَتَهَا إِلَيْهِ ، وَعَلَيْهِ بِوَجُوبِ إِبْجَابَتِهَا عَلَيْهِ ؛ إِذْ هُوَ شَبْلُهَا النَّاسِئِيُّ بِغَايِهَا ، وَغَيْثُهَا  
الْمُسْتَمْطَرُّ مِنْ سَحَابِهَا ؛ بَلْ هُوَ أَسَدُهَا الْمَهْصُورُ ، وَقُطْبُ فَلَكِهَا الَّذِي عَلَيْهِ تَدُورُ ؛  
وَمَعْقِلُهَا الْأَمْنَعُ الْحَصِينُ ، وَعَقْدُهَا الْأَنْفُسُ الثَّمِينُ ، وَفَارِسُهَا الْأَرْوَعُ وَلَيْثُهَا الشَّهِيرُ ،  
وَأَبْنُ يَجْدَتِهَا السَّاقِطَةُ مِنْهُ عَلَى الْخَيْرِ ؛ وَتِلَادُهَا الْعَلِيمُ بِأَحْوَالِهَا ، وَالْجَدِيرُ بِمَعْرِفَةِ أَقْوَالِهَا  
وَأَفْعَالِهَا ؛ وَزَرْجَانُهَا التَّكَلُّمُ بِلِسَانِهَا ؛ وَعَالِمُهَا الْمُتَفَقِّنُ فِي أَفْئَانِهَا ؛ وَطَبِيبُهَا الْعَارِفُ بِطَبِّهَا ،  
وَمُنْجِدُهَا الْكَاشِفُ لَكُرْبِهَا .

وحيث يلفت من القصد سؤلها، وثالث بالإجابة منه مأموها، وحرم على غيره أن يسومها لذلك تأويلها، أو يرجع على خطبتها تمريراً وتصريحاً، احتاجت إلى ولي يوجب عهدها، وشهود تحفظ عهدها؛ فبينما قام السلطان الأعظم الملك الفلاني (بالألقاب السلطانية إلى آخرها) خلد الله سلطانه، ونصر جنوده وجيوشه وأعدائه؛ فانتصب لها ولياً، وأقام يفكر في أمرها ملياً؛ فلم يجد أحق بها منه فتجنب عضلها، فلم تكن تصلح إلا له ولم يكن يصلح إلا لها؛ فجمع أهل الحل والعقد، المعتزين للاعتبار والعارفين بالتقدس من القضاة والعلماء، وأهل الخير والصلحاء، وأرباب الرأي والنصحاء؛ فاستشارهم في ذلك فصوبوه، ولم يروا العُدول عنه إلى غيره بوجه من الوجوه؛ فاستخار الله تعالى وبأيمه، فتبعه أهل الاختيار فبايعوه، وأتقوا لحكمه وطاعوا؛ فقابل عهدها بالقبول بمحض من القضاة والشهود فزمت، ومعنى حُكِّمها على الصحة وأبترت. ولما تمَّ عهدها، وطلع بصبح الثين سدها، ألتبس المقام الشريف السلطاني الملكي الفلاني المشار إليه أعلى الله شرف سلطانه ورفع محله، وقرن بالتوفيق في كل أمر عهده وحله، أن يناله عهدها الوفي، ويرد منها مئودها الصفي؛ ليرفع بذلك عن أهل الدين حُجبا، ويزداد من البيت النبوي قرباً؛ فتعرض لفتحاتها من مقراتها، وتطلب بركاتها من مظناتها، ورغب إلى أمير المؤمنين، وابن عم سيد المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، أن يحدد له بعهد السلطنة الشريفة عهداً، يأخذ له على أهل البيعة بذلك عهداً؛ ويستحلفهم على الوفاء لها بما عاهدوا، والوقوف عند ما بايعوا عليه وعاهدوا؛ ليقترن السعدان فيعم نوءهما، ويجمع الثيران فيهر ضوءهما؛ قلبه تلبية راعب، وأجابه إجابة مطلوب وإن كان هو الطالب؛ وعهد إليه في كل ما تقتضيه أحكام إمامته في الأمة عموماً وشيوعاً، وفوض له حكم الممالك الإسلامية جميعاً؛ وجعل إليه أمر السلطنة المعظمة بكل

نُطَاقٍ ، وَأَلْقَى إِلَيْهِ مَقَالِيدَهَا وَصَرَّفَهُ فِيهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ ؛ وَأَقَامَهُ فِي الْأُمَّةِ لَعَهْدَ الْخِلَافَةِ وَصِيًّا ، وَجَعَلَهُ لِلْإِمَامَةِ بِتَقْوِيضِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ وَلِيًّا ؛ وَنَشَرَ عَلَيْهِ لَوَاءَ الْمُلْكِ وَقَلْبَهُ سَيْقَهُ الْعَضْبَ ، وَالْبَسَهُ الْخِلْعَةَ السَّودَاءَ فَابْيَضَ مِنْ سَوَادِهَا وَجْهُ الشَّرْقِ وَالْقَرْبَ ؛ وَكَتَبَ لَهُ بِذَلِكَ عَهْدًا كَبَتَ عَدُوَّهُ ، وَزَادَ شَرَفَهُ وَضَاعَفَ شُمُوهَ ؛ وَطَوَّلَ أَهْلُ الْبَيْعَةِ بِالْتَوَثُّيقِ عَلَى الْيَعْتِنِ بِالْإِيمَانِ فَادْعَوْهُ ، وَاسْتَحْلِفُوا عَلَى الْوَقَاءِ فَبَالَعُوا فِي الْإِيمَانِ وَأَمَعَتُوا ؛ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ، بَعْدَ أَنْ أَشْهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ فِي إِسْرَارِهِمْ وَإِعْلَانِهِمْ ؛ وَأَعْطَوْهُ الْمَوَاضِقَ الْمَغَاطَةَ الْمَشْدُدَةَ ، وَحَلَقُوا بِالْإِيمَانِ الْمُؤَكَّدَةِ الْمُعَقَّدَةِ ، عَلَى أَنَّهُمْ إِنْ أَعْرَضُوا عَنْ ذَلِكَ أَوْ أَذْبَرُوا ، وَبَدَّلُوا فِيهِ أَوْ غَيَّرُوا ؛ أَوْ عَرَّجُوا عَنْ سَبِيلِهِ أَوْ حَادَوْا ، أَوْ تَقَصَّصُوا مِنْهُ أَوْ زَادُوا ؛ فَكُلُّ مَنْهُمْ بَرَى مِنْ حَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ إِلَى حَوْلِ نَفْسِهِ وَقُوَّتِهِ ، وَخَارَجَ مِنْ ذِمَّتِهِ الْحَصِينَةَ إِلَى ذِمَّتِهِ ؛ وَكُلُّ أَمْرَةٍ فِي نِكَاحِهِ أَوْ يَتَرَوُجُهَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ فَهِيَ طَالِقٌ ثَلَاثًا بَتَاتًا ، وَكُلَّمَا رَاجَعَهَا فَهِيَ طَالِقٌ طَلَاقًا لَا يَقْتَضِي إِقَامَةَ وَلَا ثَبَاتًا ؛ وَكُلُّ مَمْلُوكٍ فِي مِلْكِهِ أَوْ يَمْلِكُهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ حُرٌّ لَا حَقَّ بِأَحْرَارِ الْمُسْلِمِينَ ، وَكُلُّ مَا يَمْلِكُهُ أَوْ يَمْلِكُهُ مِنْ جَمَادٍ وَحَيَوَانٍ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ؛ وَعَلِيهِ الْحُجُّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ، وَالْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ وَسَائِرِ الْمَشَاطِيرِ الْعِظَامِ ؛ مُحْرَمًا مِنْ ذُورَةِ أَهْلِهِ مَاشِيًا ، حَامِرًا عَنْ رَأْسِهِ وَإِنْ كَانَ بِهِ أَذَى حَافِيًا ؛ يَأْتِي بِذَلِكَ فِي ثَلَاثِينَ حُجَّةً مُتَابَعَةً عَلَى التَّامِ ، لَا تُجْزِئُهُ وَاحِدَةٌ مِنْهَا عَنْ حُجَّةِ الْإِسْلَامِ ؛ وَإِهْدَاءُ مَائَةِ بَدَنَةٍ لِلْبَيْتِ الْعَتِيقِ كُلِّ سَنَةٍ عَلَى النَّوَامِ ، وَعَلَيْهِ صَوْمُ جَمِيعِ النَّهْرِ إِلَّا الْمُنْتَهَى عَنْهُ مِنَ الْأَيَّامِ ، وَأَنْ يَقُتْلَ أَلْفَ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ مِنْ أَسْرِ الْكُفْرِ فِي كُلِّ عَامٍ ؛ يَمِينُ كُلِّ مَنْهُمْ فِي ذَلِكَ عَلَى نَبِيَّةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَسُلْطَانِ الْمُسْلِمِينَ ؛ فِي سِرِّهِ وَجَهْرِهِ وَأَوَّلِهِ وَآخِرِهِ ، لِأَنِّيَّةٍ لِلْحَالِفِ فِي ذَلِكَ فِي بَاطِنِ الْأَمْرِ وَلَا فِي ظَاهِرِهِ ؛ لَا يُوَرِّدُ فِي ذَلِكَ وَلَا يَسْتَنْتِي ، وَلَا يَتَأَوَّلُ وَلَا يَسْتَفْتِي ؛ وَلَا يَسْعَى فِي قَضَائِهَا ، وَلَا يَخَالِفُ فِيهَا



ولا في بعضها؛ متى جتح إلى شيء من ذلك كان آثماً، وما تقدم من تعقيد الأيمان له لازماً؛ لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً؛ ولا يُجزئه عن ذلك كفارة أصلاً؛ كل ذلك على أشد المذاهب بالتخصيص، وأبعدها عن التساهل والترخيص؛ وأمضوها بيعة ميمونة، باليمن مبتدأة بالشج مرقونه؛ وأشهدوا عليهم بذلك من حضر مجلس العقد من الأئمة الأعلام، والشهود والحكام؛ وجعلوا الله تعالى على ما يقولون وكلاً، فاستحق عليهم الوفاء بقوله عزت قدرته: ﴿ وَأَوْفُوا بعهدي الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً ﴾ . وهم يرغبون إلى الله تعالى أن يضاعف لهم بحسن نيتهم الأجور، ويلجئون إليه أن يجعل أمتهم ممن أشار تعالى إليه بقوله: ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَامُ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ . إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة بيعة مرتبة على خلع خليفة، أنشأتها على هذه الطريقة أيضاً، وتقرضت فيها لذكر السلطان القائم بها، على ما تقدم في البيعة المرتبة على موت خليفة، وهي :

الحمد لله الذي جعل بيت الخلافة مثابة للناس وأمتنا، وأقام سور الإمامة وقايةً للأئمة وحصناً؛ وشد لها بالعصاة القرشية أزراً وشاد منها بالعصية العباسية ركناً؛ وأغاث الخلق بإمام هدى حسن سيرة وصفاً سريرة فراق صورة ورق معنى؛ وجمع قلوبهم عليه فلم يستنكف عن الإتيان إليه أعلى ولا أدنى؛ ونزع جلبابها عن شغل بنيرها فلم يُعربها نظراً ولم يصنع لها أذناً، وصرف وجهها عن أساء فيها تصرفاً فلم يرفع بها رأساً ولم يعمر لها مقى .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِ حَلَّتْ لِلنُّفُوسِ حِينَ حَلَّتْ ، وَمِنَ الْجَلَّتِ الْخُطُوبَ حِينَ جَلَّتْ ؛  
وَمَسَارَّ سَرَّتْ إِلَى الْقُلُوبِ فَسَرَّتْ ، وَمَبَارَّ أَقْرَبَ الْعُيُونِ قَرَّرَتْ ؛ وَعَوَارِفَ أَمَّتِ  
الْخَلِيقَةَ فَوَالَتْ وَمَا وَلَّتْ ، وَقَدِمَ صَدَقِ ثَبَّتْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي الْخِلَافَةِ فَمَا تَزَلَّتْ  
وَلَا زَلَّتْ .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تكون لنا من درك الشكوك  
كالثبته ، ولهاوى الشبه دارته ، وللقاصد الجميلة حاويه ، ولشقة الزنج والإرتياب  
طاويه ؛ وأن محمدا عبده ورسوله الذى نصح الأمة إذ بلغ فشغى عليها ، وأوردنا  
من متاهل الرشد ما أطفا وجهها وبرد غليلها ؛ وأوضح لهم مناهج الحق ودعاهم إليها ،  
وإبان لهم سبل الهداية : ( قَنِ اهْتَدَى فَأَيُّهَا يَهْتَدَى لِنَفْسِهِ وَمَنْ صَلَّى فَأَيُّهَا  
يَصِلُ عَلَيْهَا ) صلى الله عليه وعلى آله أئمة الخير وخير الأئمة ، ورضى عن أصحابه أولياء  
العدل وعدول الأئمة ؛ صلاة ورضوانا يمان سائرهم ، ويشملان أولهم وآخرهم ؛ سيما  
الصدىق الفاضل باعلى الرتبتين صدقا وتصديقا ، والحائز قصب السبق فى الفضيلتين  
علما وتحقيقا ، ومن عدل الأنصار إليه عن سعد بن عبادة بعد ما أجمعوا على تقديمه ،  
وبادر المهاجرون إلى بيعته أعترافا بتفضيله وتكريمه . والفاروق الشديد فى الله بأسا  
واللبن فى الله جانبا ، والموفى للخلافة حقا والمؤدى للإمامية واجبا ؛ والقائم فى نصرة  
الدين حق القيام حتى عمّت فتوحه الأمصار مشارق ومغارب ، وأطاعته العناصر  
الأربعة : إذ كان لله طائعا ومن الله خائفا وإلى الله راغبا . وذى النورين المعول  
عليه من بين سائر أصحاب الشورى تنويعا بقدره ، والمخصوص بالاختيار تفخيلا  
لأمره ؛ من حصر فى بيته فلم يمنعه ذلك عن تلاوة كتاب الله وذكره ، وشاهد  
سيف قائليه عانا فقابل فتكاتهما بجمل صبره . وأبى الحسن الذى أعرّض عن  
الخلافة حين سئلها ، واستغنى منها بعد ما اضطّر إليها وقيلها ؛ وكشف له عن حقيقة

الدنيا فإم قَبَلَهَا بَقْلَهُ وَلَا وَثَى وَجْهَهُ قَبْلَهَا، وَصَرَّحَ بِمَقَاطِعِهَا بِقَوْلِهِ : « يَاصْفَرَاءُ غُرَّى غُرَّى يَا بَيْضَاءُ غُرَّى غُرَّى » لَمَّا وَصَلَهَا مِنْ وَصَلَهَا وَسَائِرِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ بِمَدَمِّهِ، النَّاهِجِينَ تَهْجَهُمُ وَالْوَارِدِينَ وَرَدَّهُمْ .

أما بعدُ، فإنَّ للإمامة شُروطًا يَجِبُ أَعْتَابُهَا فِي الْإِمَامِ، وَلَوْ أَرَمَ لَا يُفْتَقِرُ قَوَائِمُهَا فِي الْإِبْتِدَاءِ وَلَا فِي الدَّوَامِ، وَأَوْصَافًا يَتَعَيَّنُ بِإِعْمَالِهَا، وَأَدَابًا لَا يَسَعُ إِهْمَالُهَا ؛ مِنْ أَمْرِهَا الْعَدَالَةُ الَّتِي يَلَاكُمُهَا التَّقْوَى، وَأَسَاسُهَا مِرَاقِبَةُ اللَّهِ تَعَالَى فِي السِّرِّ وَالنَّجْوَى ؛ وَبِهَا تَقَعُ الْهَيْبَةُ لِصَاحِبِهَا فَيَجَلُّ، وَتَمِيلُ النَّفُوسُ إِلَيْهَا فَلَا تَمَلُّ ؛ فَهِيَ الْمَلَكَةُ الدَّاعِيَةُ إِلَى تَرْكِ الْكَبَائِرِ وَأَجْتِنَابِهَا، وَالزَّاحِرَةُ عَنِ الْإِضْرَارِ عَلَى الصَّغَائِرِ وَأَرْتِكَابِهَا، وَبِالْبَاعِثَةِ عَلَى مُخَالَفَةِ النَّفْسِ وَنَهْيِهَا عَنِ الشَّهَوَاتِ، وَالصَّارِفَةُ عَنِ آتِيهَاكَ حُرْمَاتِ اللَّهِ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ الْحُرْمَاتِ ؛ وَالْمُوجِبَةُ لِلتَّعَقُّفِ عَنِ الْحَرَامِ، وَالْحَامِلَةُ عَلَى تَجَنُّبِ الظُّلُمَاتِ وَرَدِّ الْمَظَالِمِ. وَالشَّجَاعَةُ الَّتِي بِهَا حِمَايَةُ الْبَيْضَةِ وَالذَّبُّ عَنْهَا، وَالْإِسْتِظْهَارُ بِالغَزْوِ عَلَى نِكَايَةِ الطَّائِفَةِ الْكَافِرَةِ وَالْقَضْ مِنْهَا، وَالْقُوَّةُ بِالشُّوْكَةِ عَلَى تَنْفِيزِ الْأَوَامِرِ وَإِمْضَائِهَا، وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ وَاسْتِيفَائِهَا، وَنَشْرِ كَلِمَةِ الْحَقِّ وَإِعْلَانِهَا، وَدَحْضِ كَلِمَةِ الْبَاطِلِ وَإِخْفَائِهَا، وَقَطْعِ مَادَّةِ الْفَسَادِ وَحُسْمِ أَدْوَانِهَا، وَالرَّأْيُ الْمُوَدِّيُّ إِلَى السِّيَاسَةِ وَحُسْنِ التَّسْدِيرِ، وَالْمُنْفِي فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمَاكِنِ عَنْ مَزِيدِ الْحِدِّ وَالْقَشْمِيرِ ؛ وَالْمَعِينُ فِي خُدْعِ الْحَرْبِ وَمَكَايِدِهِ، وَالْمُسْعِفُ فِي مَصَادِرِ كُلِّ أَمْرٍ وَمَوَارِدِهِ .

هَذَا وَقَدْ جَعَلَنَا اللَّهُ أُمَّةً وَسَطًا، وَوَعَّظَنَا بِمَنْ سَلَفَ مِنَ الْأُمَمِ مَنْ تَمَرَّدَ وَعَتَا أَوْ تَجَبَّرَ وَسَطًا؛ وَعَصَمَ أُمَّتَنَا أَنْ تَجْتَمَعَ عَلَى الضَّلَالِ، وَصَانَ جَمْعَنَا عَنِ الْخَطَلِ فِي الْفِعَالِ وَالْمَقَالِ ؛ وَتَدَبَّنَا إِلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَسَوَّغَ لَانْتِمَانِنَا إِلَى اجْتِهَادِ فِي التَّوَازُلِ وَالْأَحْكَامِ فَاجْتِهَادُهُمْ لَا يُنْكَرُ؛ خَصُوصًا فِي شَأْنِ الْإِمَامَةِ الَّتِي هِيَ

٢ كد أسباب المعالم الدينية وأقواها ، وأرفع المناصب الدنيوية وأعلاها ؛ وأعزَّ الرتب رتبة وأعلاها ، وأحقها بالنظر في أمرها وأولادها . وكان القائم بأمر المسلمين الآن فلان بن فلان الفلاني ممن حاد عن الصراط المستقيم ، وسلك غير النهج القويم ؛ ومال عن سنن الخلفاء الراشدين فأدركه الزلزل ، وقارف المآثم فعاد بالخلل ؛ فعات في الأرض فسادا ، وخالف الرشد عنادا ؛ ومال إلى النفي اعتيادا ، وأسلم إلى الهوى قيادا ؛ قد استقل عن طور الخلافه ، وعزَّز الإنافه ؛ إلى طور العامة فانصف بصقاتهم ، وأسم بيماتهم ؛ فُنكرَ يجب عليه إنكاره قد بشره ، وصديق سوء يتعين عليه إبعاده قد وازره وظاهره ؛ إن سلك فسيل التهمة والارتياب ، أوقصد أمرا تحا فيه غير الصواب ؛ منهمك على شهواته ، متعكف على لذاته ، متشاغل عن أمر الأمة بأمر بينه وبناته ؛ الجبن رأس ماله ، وعدم الرأي قريشه في أفعاله وأقواله ؛ قد قنع من الخلافه بأسمها ، ورضى من الإمامة بوسمها ؛ وظن أن السودة في لبس السواد قال إلى الخفيف ، وتوهم أن القاطع الغمد فقطع النظر عن السيف .

ولما أطلع الناس منه على هذه المنكرات ، وعرفوه بهذه السيئات ، وتحققوا فيه هذه الوصمات ؛ رغبوا في استبداله ، وأجمعوا على خلعهم وزواله ؛ فلجأوا إلى السلطان الأعظم الملك الفلاني ( باللقاب السلطانية إلى آخرها ) نصر الله جنوده ، وأسمى جُودَه ، وأزهف على عداة الله حُدوده ؛ ففوضوا أمرهم في ذلك إليه ، وألقوا كلهم عليه ؛ فجمع أهل الحل والعقد منهم ، ومن تصدُر إليهم الأمور وترد عنهم ؛ فاستغاثوا الله تعالى وخلعوه من ولايته ، وخرجوا عن بيعته ، وأسلموا عن طاعته ؛ وجرّدوه من خلافته ، تجرّد السيف من القِرَاب ، وطوّوا حكم إمامته ، كطوى السجل للكتاب . وعند ما تم هذا الخلع ، وأنطوى حكمه على البت والقطع ، أتمس الناس إماما يقوم بأمر الإمامة فيوفيا ، ويجمع شروطها ويستوفيا ؛ فلم يجدوا لها اهلا ،

ولا يها أحق وأولى ، وأوفى بها وأملئ ، من السيد الأعظم الإمام النبوى سليل  
الخلافة ، وولى الإمامة أبى فلان فلان العباسى الطائع لله « مثلا » أمير المؤمنين •  
لازال شرفه باذخا ، وعزيبته الشريف شاعنا ؛ وعهد ولايته لعهد كل ولاية نامخا ،  
فساموه بيعتها فلى ، وشاموا برقه لولايتها فأجاب وما تأبى ؛ علمنا منه بأنها تعينت  
عليه ، وأنحصرت فيه فلم يحد أعلى منه فتعدل إليه ؛ إذ هو ابن يجدها ، وفارس  
يحدتها ، ومزيل غمها ، وكاشف كربها ؛ ويحلى غياها ، ويحد عواقيها ، وموضح  
مذاهبها ؛ وحاكمها المكين ، بل رشيدها الأمين ؛ فنهض المقام الشريف السلطان  
الملكى الفلانى المشار إليه : قرن الله مقاصده الشريفة بالنجاح ، وأعماله الصالحة  
بالفلاح ؛ وبدر إلى بيعته فبايع ، وأتم به من حضر من أهل الحل والمقد فابيع ،  
وقابل عقدها بالقبول فعضى ، ولزم حكمها وأقضى ؛ وأتصل ذلك بسائر الرعية  
فانقادوا ، وعلموا صوابه فمشوا على سنته وما حادوا ؛ وشاع خبر ذلك فى الأمصار ،  
وطارت به غلغات البشائر إلى سائر الأقطار ؛ فتعرفوا منه اليمن فاسارعوا إلى أمثاله ،  
وتحققوا صحته وشأنه بعد اضطرابه وأعتلله ؛ واستعادوا من نقص يصيبه بعد تمامه  
لهذا الخليفة وكاله ؛ فعندها أبانت الخلافة العباسية عن طيب عنصرها ، وبجميل  
وقائها وكريم مظهرها ؛ وجادت بجزيل الأمتنان ، وتلا لسان كرمها الوفى على وليها  
الصادق : ( هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ) فحدد له بالسطنة الشريفة عهدا ،  
وطوق جيبه بتفويضها إليه عقدا ؛ وجعله وصيه فى الدين ، ووليه فى أمر  
المسلمين ؛ وقلده أمر الممالك الإسلامية وألقى إليه مقاليدها ، وملكه أزمتهما وحقق  
له مواعيدها ؛ وعقد له لواءها ونشر عليه أعلامها ، وصرفه فيها على الإطلاق  
وقوض إليه أحكامها ؛ وألبسه الخلعة السوداء فكانت لسودده شعارا ، وأسبغ عليه  
رداءها فكان له دثارا ؛ وكتب له العهد فسقى المعاهد صبوب العهد ، ولهج الأنام

بذكره فاطمات العباد والبلاد ؛ وعند ماتم هذا الفصل ، وتقرر هذا الأصل ، وأمنت الرعايا بما آتاهم الله من فضله فرحين ، وبنعمته مستبشرين ، طولب أهل البيعة بما يحلهم على الوفاء ، ومنع بيعتهم من التكذب بعد الصفاء ؛ من توثيق عقدها بمؤكد أيمانها ، والإقامة على الطاعة لخليفتها وسطانها ؛ فبادروا إلى ذلك مسرعين ، وإلى داعيه مهطعين ؛ وبالقوا في الموائيق وأكدوها ، وشددوا في الأيمان وعقدوها ، وأقسموا بالله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ، عالم خائصة الأئمة وما تخفى الصدور في البتة والإعادة ، على الوفاء لها والموالاة ، والنصح والمصافاة ؛ والمواظقة والمتابعة ، والطاعة والمتابعة ؛ يوالون من والاهما ، ويعادون من عاداهما ؛ لا يقعدون عن مناصرتيها عند المسام مائه ، ولا يرقبون في عدوها إلا ولا ذمة ؛ جارين في ذلك على سنن التوام والاستمرار ، والثبوت والأزوم والإستقرار ؛ على أن من بدل منهم من ذلك شرطاً أو عفاً له رسماً ، أو حاد عن طريقه أو غير له حكاماً ؛ أو سلك في ذلك غير سبيل الأمانة ، أو استحل الفسدر وأظهر الخيانة ، معلنًا أو مسراً في كله أو بعضه ، متاولاً أو محتالاً لإبطاله أو نقضه ؛ فقد برى من حول الله المتين وقوته الواقية ، وركنه الشديد وذمته الوافية ، إلى حول نفسه وقوته ، وركنه وذمته ؛ وكل أمراء في عصمته الآن أو يروجها مدة حياته طالق ثلاثاً بصريح لفظ لا يتوقف على نيه ، ولا يفرق فيه بين سنة ولا بدعة ولا رجمة فيه ولا منوية ؛ وكل مملوك في ملكه أو يملكه في بقية عمره من ذكر أو أنثى حر من أحرار المسلمين ؛ وكل ما هو على ملكه أو يملكه في بقية عمره إلى آخر أيامه من عين أو عرض صدقة للفقراء والمساكين ؛ وعليه الحج إلى بيت الله الحرام ثلاثين حجة ثلاثين عمرة واجلاً حافياً حاسراً ، لا يقبل الله منه غير الوفاء بها باطناً ولا ظاهراً ؛ وإهداء مائة بدنة في كل حجة منها في عمرته وبسوته ، لا تجزئه

واحدة منها عن حجة الإسلام وعمرته ؛ وصوم الدهر خلا المنهى عنه من أيام  
السنة ، وصلاة ألف ركعة في كل ليلة لا يباح له دُونَ أداها غمض ولا سِنَّه ؛  
لا يقبل الله منه صَرَفًا ولا عَدَلًا ، ولا يُؤَجَّر على شيء من ذلك قولًا ولا فعلًا ؛ متى  
ورى في ذلك أو استغنى ، أو تأوَّل أو استغنى ، كان الحنث عليه عائدًا ، وله إلى دار  
البوار قائدًا ؛ معتمدًا في ذلك أشد المذاهب في سره وعلايته ، على نية المستحلف  
له دُونَ نيته ، وأمضوها بيعة محكمة المباني ثابتة القواعد ، كريمة المساعي جميلة  
المقاصد ؛ طيبة الحثى جليلة العوائد ، قاطعة البراهين ظاهرة الشواهد ؛ وأشهدوا  
على أنفسهم بذلك من حضر مجلس هذا العقد من قضاة الإسلام وعلمائه ، وأئمة  
الدين وقضاة ؛ بعد أن أشهدوا الله عليهم وكفى بالله شهيدًا ، وكفى به لخاتمين  
خَصِيصًا : ﴿ قَدْ نَكَتَ فِيمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِصْرُوتِهِ  
أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ . والله تعالى يعمل أتعالم من أدنى إلى أعلى ، ومن يسرى إلى يميني ؛  
ويحقق لهم بمن استخلفه عليهم وعده الصادق بقوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ  
آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ  
قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ .  
إن شاء الله تعالى .

## المذهب الرابع

(مما يكتتب في بيعات الخلفاء أن يفتح البيعة بلفظ : هذه بيعة ،  
ويصفها ويذكر ما يناسب ، ثم يعزى بالخليفة الميت ، ويبنى بالخليفة المستقر ،  
ويذكر في حق كل منها ما يليق به من الوصف على نحو مما تقدم )

وهذه نسخة بيعة أنشأها المقر الشهابي بن فضل الله ، على ما رأيت في " الجواهر  
الملتقطة " المجموعة من كلامه ، للإمام الحاكم بأمر الله « أبي العباس » « أحمد بن  
أبي الربيع سليمان » [المستكنى بالله] ابن الإمام الحاكم بأمر الله ، بعد موت أبيه .  
وذكر القاضي تقي الدين بن ناظر الجحش في " دُستوره " أنه إنما عملها تجربة<sup>(١)</sup>  
لخاطره ، وهي مُرتبة على موت خليفة .  
ونصها بعد البسملة الشريفة :

(إِنَّ الَّذِينَ يَأْمُرُونَكَ إِمَّا يَأْمُرُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَمَأْثَمُهُ بَيْنُكَ  
عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْهُم مَّنْ جُنَّاحُ عَظِيمٍ ) .

هذه بيعة رضوان وبيعة إحسان ، وبيعة رضا تشهد بها الجماعة ويشهد عليها  
الرحمن ؛ بيعة يلزم طائرها المتق ، وتحوم بشرائها على الأتق ، وتجعل أنبأها البرارى  
والبحار مشحونة الطرق ؛ بيعة تصلح لئسبها الآمة ، وتُمنح بسببها النعمة ، وتؤلف  
بها الأسباب وتجعل بينهم مودة ورحمة ؛ بيعة تجرى بها الرفاق ، وتزاحم زمر

(١) كذا في تاريخ أبي القدا ، وابن إياس والبرأض ووقع في ج ٣ ص ٢٦٥ من هذا المؤلف أن لقبه

المستصم والصواب ما هنا .

(٢) أى امتحانا ففكره .



الكواكب على حوض المجرة للوقاق ؛ بيعة سعيدة ميمونة ، بيعة شريفة بها السلامة  
في الدين والدنيا مضمونه ؛ بيعة صحبة شرعية ، بيعة ملحوظة مرجية ؛ بيعة تسابق  
إليها كل نية وتطاول كل طويته ، وتجتمع عليها أشات البرية ؛ بيعة يستهل بها الغمام ،  
ويتهل البدر التمام ؛ بيعة متفق على الإجماع عليها ، والإجتاج لیسط الأیدی إليها ؛  
أنعقد عليها الإجماع ، وأنعقدت صحبتها بمن سمع الله وأطاع ، وبذلك في تمامها كل  
أمرئ ما استطاع ، وحصل عليها اتفاق الأبصار والأسماع ، ووصل بها الحق إلى  
مستحقه وأقر الخضم وأقطع النزاع ؛ وتضمنها كتاب كريم يشهد المقربون ،  
ويستقاه الأئمة الأقرّبون .

( الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ) : ( ذلك من  
فضل الله علينا وعلى الناس ) . وإلينا والله الحمد وإلى بني العباس . أجمع على هذه  
اليعة أرباب العقد والحل ، وأصحاب الكلام فيما قل وجل ؛ وولاء الأمور  
والأحكام ، وأرباب المناصب والحكام ؛ وحملة العلم والأعلام ، وحماة السيوف  
والأفلام ، وأكابر بني عبد مناف ، ومن آنحض قدّره وأناف ؛ وسروات قريش  
ووجوه بني هاشم والبقية الطاهرة من بني العباس ، وخاصة الأئمة وعامة الناس ؛  
بيعة <sup>(١)</sup> رمي بالحرمين خيامها ، وتحقق على المازمين أعلامها ، وتعرف عرقات  
بركاتها وتعرف بنى أيامها ؛ ويوم عليها يوم الحج الأكبر ، وتؤم ماين الركن والمقام  
والمتبر ؛ ولا يثنى بها إلا وجه الله الكريم ، وفضله العيم ؛ لم يبق صاحب سنجي <sup>(٢)</sup>  
ولا علم ، ولا ضارب بسيف ولا كاتب بقلم ؛ ولا رب حكم ولا قضاء ، ولا من  
يرجع إليه في اتفاق ولا إمضاء ؛ ولا إمام مسجد ولا خطيب ، ولا ذو قبا يسأل

(١) لله ترى بالمرمين تأمل .

(٢) في الأصل سيف وهي تصحيف .

فِيحِبُّ، وَلَا مَنْ يَنْ جَنَّتِي الْمَسَاجِدَ وَلَا مَنْ تَضَمُّهُمْ اجْنَعَةُ الْحَارِيبِ، وَلَا مَنْ  
يُتَحَدُّ فِي رَأْيِي فَيُخْطِئُ أَوْ يُصِيبُ، وَلَا مَتَحَدُّتٌ بِحَدِيثٍ، وَلَا مَتَكَلِّمٌ بِقَدِيمٍ وَحَدِيثٍ؛  
وَلَا مَعْرُوفٌ يَدِينُ وَصَلَّاحٌ، وَلَا قُرْسَانٌ حَرْبٌ وَكِفَّاحٌ؛ وَلَا رَاشِقٌ بِسَهَامٍ وَلَا طَاعَنٌ  
بِرِمَاحٍ، وَلَا ضَارِبٌ بِصَفَّاحٍ، وَلَا سَاجِعٌ عَلَى قَدَمٍ وَلَا طَائِرٌ بِغَيْرِ جَنَاحٍ؛ وَلَا مُخَالِطٌ  
لِلنَّاسِ وَلَا قَاعِدٌ فِي عُزْلِهِ، وَلَا جَمْعٌ كَثْرَةً وَلَا قِلَّةً؛ وَلَا مَنْ يَسْتَقِيلُ بِالْحَوْزَاءِ لَوَاؤُهُ،  
وَلَا يَقِلُّ فَوْقَ الْفَرْقَدِ ثَوَاؤُهُ؛ وَلَا بَادٍ وَلَا حَاضِرٌ، وَلَا مُقِيمٌ وَلَا سَافِرٌ، وَلَا أَوَّلٌ وَلَا آخِرٌ،  
وَلَا مُبِيرٌ فِي بَاطِنٍ وَلَا مُعَلِّنٌ فِي ظَاهِرٍ؛ وَلَا عَرَبٌ وَلَا نَجْمٌ، وَلَا رَايِعٌ إِبِلَ وَلَا غَنَمٌ؛  
وَلَا صَاحِبُ أُنَاةٍ وَلَا إِبْدَارٍ، وَلَا سَاكِنٌ فِي حَضَرٍ وَبَادِيَةٍ بِدَارٍ؛ وَلَا صَاحِبُ عَمْدٍ  
وَلَا جِدَارٍ، وَلَا مُلْجَجٌ فِي الْبَحَارِ الزَّاهِرَةِ وَالْبَرَارِيِّ الْقِفَارِ؛ وَلَا مَنْ يَتَوَقَّلُ صَهَوَاتِ  
الْخَلِيلِ، وَلَا مَنْ يُسِيلُ عَلَى الْعَبَاجَةِ الذَّلِيلِ، وَلَا مَنْ تَطْلُعُ عَلَيْهِ شَمْسُ النَّهَارِ وَتُجُومُ  
الَّيْلِ؛ وَلَا مَنْ تُظْلَهُ السَّمَاءُ وَتُحْلِلُهُ الْأَرْضُ، وَلَا مَنْ تُدَلُّ عَلَيْهِ الْأَسْمَاءُ عَلَى اخْتِلَافِهَا  
وَتَرْفَعُ دَرَجَاتُ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ؛ حَتَّى آمَنَ بِهَذِهِ الْيَبَّةِ وَأَمَّنَ عَلَيْهَا، وَمَنْ اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَهَدَاهُ إِلَيْهَا؛ وَأَقْرَبَهَا وَصَلَّقَ، وَغَضَّ لَهَا بَصَرَهُ خَاشِعًا وَأَطْرَقَ؛ وَمَدَّ إِلَيْهَا يَدَهُ  
بِالْمُبَاقِيَةِ، وَمُتَعَدِّهِ الْمَتَابَعَةِ؛ رَضِيَ بِهَا وَأَرْضَاهَا، وَأَجَازَ حُكْمَهَا عَلَى نَفْسِهِ وَأَمْضَاهَا؛  
وَدَخَلَ تَحْتَ طَاعَتِهَا وَعَمِلَ بِمُقْنَضَاهَا: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمُ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ  
رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

والحمد لله الذي نصب الحاكم ليحكم بين عبادِهِ وهو أحكم الحاكمين، والحمد لله  
الذي أخذَ حَقَّ آلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ مِنْ أَيْدِي الظَّالِمِينَ؛ والحمد لله ربِّ العالمين، ثم الحمد لله  
ربِّ العالمين، ثم الحمد لله ربِّ العالمين، والحمد لله رب العالمين .

وإنه لما آسأثر الله بعبدِهِ سُئِلَ أَيْ رَبِّهِ الإمامُ المُسْتَكْفَى باللهِ أَمِ الْمُؤْمِنِينَ  
- كَرَّمَ اللهُ مُتَوَاهٍ - وَعَوَّضَهُ عَنْ دَارِ السَّلَامِ بِدَارِ السَّلَامِ، وَقَلَّه فَرَكْتِي بِدَنَّهُ عَنْ

شهادة السَّلام بِشهادة الإسلام؛ حيثُ آثَرَهُ رَبُّهُ بِجُرْيِهِ، وَمَهَّدَ لِحَبْنِهِ وَأَقْدَمَهُ عَلَى مَا أَقْدَمَهُ مَنْ يَرْجُوهُ لَعَلَّهُ وَكَسَبَهُ، وَخَارَلَهُ فِي جِوَارِهِ رَفِيقًا، وَجَعَلَ لَهُ عَلَى صَالِحِ سَلَفِهِ طَرِيقًا؛ وَأَنْزَلَهُ ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾. اللَّهُ أَكْبَرُ لِيَوْمِهِ لَوْلَا عَظْفُهُ كَادَتْ تَضْبِقُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ، وَتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ؛ وَتُنْفَى كُلُّ سِرِّيَّةٍ بِمَا أَذْهَبَتْ وَمَا خَبَتْ؛ لَقَدْ أَضْطَرَبَ سَمِيرٌ، إِلَّا أَنَّهُ فِي الْجَوَانِحِ، لَقَدْ أَضْطَرَبَ مِثْرَ وَسِيرٍ، لَوْلَا خَلْفُهُ الصَّالِحُ، لَقَدْ أَضْطَرَبَ مَأْمُورٌ وَأَمِيرٌ، لَوْلَا الْفِكَرُ بَعْدَهُ فِي عَاقِبَةِ الْمَصَالِحِ؛ لَقَدْ غَاضَتِ الْبَحَارُ، لَقَدْ غَابَتِ الْأَنْوَارُ، لَقَدْ غَالَبَ الْبُدُورُ مَا يَلْحَقُ الْأَهْلَةَ مِنَ الْمِحَاقِ وَيُذْرِكُ الْبَدْرَ مِنَ السَّرَارِ؛ تُسِفَتِ الْجِبَالُ تَسْفًا، وَخَبَتْ مَصَابِيحُ الثُّجُومِ وَكَادَتْ تُغْلَى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾. لَقَدْ جَمَعَتِ الدُّنْيَا أَطْرَافَهَا وَأَزَمَعَتْ عَلَى الْمَسِيرِ، وَجُمِعَتِ الْأُمَّةُ لَهْوِ الْمَصِيرِ، وَزَاغَتْ يَوْمَ مَوْتِهِ الْأَبْصَارُ: ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾. وَبَقِيَتِ الْأَلْبَابُ حَيَارَى، وَوَقَفَتْ تَارَةً تُصَدِّقُ وَتَارَةً تُنْكَارَى؛ لَا تَعْرِفُ قَرَارًا، وَلَا عَلَى الْأَرْضِ اسْتِقْرَارًا: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُنْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾.

وَلَمْ يَكُنْ فِي النَّسَبِ الْعِبَاسِيُّ وَلَا فِي جَمِيعِ مَنْ فِي الْوُجُودِ، لَا فِي الْبَيْتِ الْمُسْتَقَرِّشِدِيِّ وَلَا فِي غَيْرِهِ مِنْ بَيْتِ الْخُلَفَاءِ مِنْ بَقَايَا آيَاتِهِ لَمْ يُجْلُودْ، وَلَا مَنْ تَلِدُهُ أُخْرَى الْبَالِي وَهِيَ عَاقِرٌ غَيْرُ وَلُودٍ؛ مَنْ تَسَلَّمَ إِلَيْهِ أُمَّةٌ عُدَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَقْدَ نِيَّاتِهَا، وَسَرَّ طَوِيلَاتِهَا؛ إِلَّا وَاحِدًا وَأَيْنَ ذَلِكَ الْوَاحِدُ؟ هُوَ وَاللَّهُ مَنْ أَنْحَصَرَ فِيهِ اسْتِحْقَاقُ مِيرَاثِ آبَائِهِ الْأَطْهَارِ، وَتَرَاثِ أَجْدَادِهِ وَلَا شَيْءَ هُوَ إِلَّا مَا أَشْتَمَلَ عَلَيْهِ رِدَاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَهُوَ أَبْنُ الْمُنْتَقَلِ إِلَى رَبِّهِ، وَوُلَدُ الْإِمَامِ الذَّاهِبِ لَصُلْبِهِ؛ الْمَجْمَعُ عَلَى أَنَّهُ فِي الْأَنَامِ،

فردُ الأَئِمَّةِ ، وواحدٌ وهكذا في الوجود الإمام ، وأنه الحائِزُ لِما زُرَّتْ عليه جُوبُ المُشَارِقِ والمُغَارِبِ ، والفائِزُ بِمِلْكِ ما بينَ الشارِقِ والغاربِ ؛ الرَاقِى في صَفِيحِ السَّماةِ هذه الذُرَّةَ المُنِيغَةَ ، الباقى بعدَ الأئِمَّةِ المَاضِيَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم ونِعْمَ الخَلِيفَةُ ؛ المَجْمَعُ فيه شروطُ الإمامةِ ، المُتَضَعُ لله وهو من بيتٍ لا يزالُ المُلْكُ فيهِم إلى يومِ القِيامَةِ ؛ الذى تَصَفَّحَ السَّحابُ نائِلُهُ ، والذى لا يُغَرُّ عاذِرُهُ ولا يُغَيِّرُهُ طائِلُهُ ؛ والذى :

تَمُودُ بَسَطَ الكَفَّ حَتَّى لو أَنَّهُ \* شَاسَا لَقَبِضَ لَمْ تُطِعْهُ أَنامِلُهُ

والذى :

لا هُوَ في الدُّنْيَا مُضِيعٌ نَصِيحَةٍ \* ولا وَرَقٌ الدُّنْيَا عن الدِّينِ شاغِلُهُ

والذى ما أَرْتَقَى صَهْوَةُ المُنْتَبِزِ بِمَحْضَرَةِ سُلْطَانِ زَمَانِهِ إِلَّا قالَ ناصِرُهُ وقام قائمُهُ ؛ ولا قَصَدَ على سِرِّهِ الخِلافةَ إِلَّا وعُرفَ بأنَّهُ ما خابَ مُستَكفِيهِ ولا غابَ حاكِمُهُ ؛ نائِبُ اللهِ في أرضِهِ ، والقائمُ بِمَقامِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخَلِيفَتُهُ وآيِنُ عَمِّهِ ، وتابِعُ عَمَلِهِ الصَّالحِ ووارِثُ عِلْمِهِ ، سَيِّدُنا ومولانا عَبْدُ اللهِ وولِيُّهُ «أحمدُ أبو العَبَّاسِ» الحاكمُ بأمرِ اللهِ أميرُ المؤمنين ، أَيْدُ اللهِ تَعَالَى بِبِقائِهِ الدِّينَ ، وطُوقُ بَسْفِهِ [ رِقاب ] المُلْحِدِينَ ، وكَبَتَ تحتَ لَوائِهِ المَعْتَدِينَ ؛ وكتبَ لَهُ النَصْرَ إلى يومِ الدِّينِ ؛ وكَفَّ بِجِهَادِهِ طوائِفَ المُفْسِدِينَ ، وأَعَاذَ بِهِ الأَرْضَ مِمَّنْ لا يَدِينُ يَدِينِ ؛ وأعادَ بَعْدَهُ أيامَ آباءِهِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدِينَ والأئِمَّةِ المَهْدِيِّينَ ؛ الذينَ قَضَوْا بِالْحَقِّ وبِهِ كانوا يَسْـَـدُّونَ ، وعليهِ كانوا يَـَـمْلُونَ ؛ ونَصَرَ أنصارَهُ ، وقَدَّرَ أَقْدارَهُ ؛ وأَسَكَنَ في قُلُوبِ الرِّعيَةِ سَكِينَتَهُ ووَفاقَهُ ، ومَكَّنَ لَهُ في الوجودِ وَجَعَ لَهُ أَقطارَهُ .

ولما استَقَلَّ إلى اللهِ ذَلِكَ السَّيِّدُ وَلَحِقَ بِدارِ الحَقِّ أَسلَفَهُ ، وَنُقِلَ إلى سَريرِ الجَنَّةِ عن سَريرِ الخِلافةِ ؛ وَخَلَا العَصْرُ من إمامٍ يُـمَسَّكُ ما بَقِيَ من نَهَارِهِ ، وخَلِيفَةُ يُغالبُ

مُرَبَّدَ اللَّيْلِ بِأَنْوَارِهِ ، وَوَارِثِ بَنِي بَيْتِهِ وَمِثْلِ أَبِيهِ اسْتَغْنَى الْوُجُودَ بَعْدَ ابْنِ عَمِّهِ خَاتَمِ  
الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَبِيِّ مَقْتَفٍ عَلَى آثَارِهِ ؛ وَلَيْتَى وَلَمْ يَعْتَدِ فَلَمْ يَبْقَ إِذْ لَمْ  
يُوجِدِ النَّصَّ إِلَّا الْإِجْمَاعَ ، وَعَلَيْهِ كَانَتْ الْخِلَافَةُ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
بِلَا زَوَاعٍ ، أَقْضَتِ الْمَصْلَحَةُ الْجَامِعَةُ عَقْدَ مَجْلِسِ كُلِّ طَرْفٍ بِهِ مَعْقُودٌ ، وَعَقْدَ بَيْعَةٍ  
عَلَيْهَا اللَّهُ وَالْمَلَائِكَةُ شُهُودٌ ، وَجُمِعَ النَّاسُ لَهُ ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ تَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ  
يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴾ . فَخَصَّرَ مِنْ لُغَبَاءِ بَيْتِهِ بَنِي تَحَلُّفٍ ، وَلَمْ يَرِبْ<sup>(١)</sup> مَعَهُ وَقَدْ مَدَّ يَدَهُ طَائِفًا  
بَيْنَ مَدَّهَا وَقَدْ تَكَلَّفَ ؛ وَاجْتَمَعُوا عَلَى رَأْيٍ وَاحِدٍ وَاسْتَخَارُوا اللَّهَ تَعَالَى فِيهِ تَخَارًا ،  
وَنَاهَيْكَ بِذَلِكَ مِنْ غُخَارٍ ؛ وَأَخَذَتْ يَمِينُ مُحَمَّدٍ<sup>(٢)</sup> إِلَيْهَا الْإِيمَانَ ، وَيُسَدَّ بِهَا الْإِيمَانَ ؛  
وَتَعَطَّى عَلَيْهَا الْمَوَاتِيقَ ، وَتُعْرَضُ أَمَانَتُهَا عَلَى كُلِّ فَرِيقٍ ؛ حَتَّى تَقْلُدَ كُلُّ مَنْ حَضَرَ  
فِي عَقْدِهِ هَذِهِ الْأَمَانَةَ ، وَحِطَّ يَدُهُ عَلَى الْمَصْحُوفِ الْكَرِيمِ وَحَلَفَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَأَتَمَّ  
أَيْمَانَهُ ؛ وَلَمْ يَقْطَعْ وَلَمْ يَسْتَنْ وَلَمْ يَتَرَدَّدْ ، وَمَنْ قَطَعَ مِنْ غَيْرِ قَصِيدٍ أَعَادَ وَجَدَّ ؛ وَقَدْ  
نَوَى كُلُّ مَنْ حَلَفَ أَنْ النِّيَّةَ فِي يَمِينِهِ نِيَّةٌ مِنْ عَقْدَتِ هَذِهِ الْبَيْعَةِ لَهُ وَنِيَّةٌ مِنْ حَلْفٍ لَهُ ،  
وَتَذَمُّ بِالْوَفَاءِ فِي ذِمَّتِهِ وَتَكْفُلُهُ ؛ عَلَى عَادَةِ إِيْمَانِ الْبَيْعَةِ بِشُرُوطِهَا وَأَحْكَامِهَا الْمُرَدَّدَةِ ،  
وَأَقْسَامِهَا الْمُؤَكَّدَةِ ؛ بَانَ يَبْدُلُ لِهَذَا الْإِمَامِ الْمَقْتَرَضَةِ طَاعَتَهُ الطَّاعَةَ ، وَلَا يُخَارِقُ الْجُمْهُورَ  
وَلَا يُظْهِرَ عَنِ الْجَمَاعَةِ انْتِجَاعَهُ ؛ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا تَضَمَّتْهُ نُسُخُ الْإِيمَانِ الْمَكْتُوبِ  
فِيهَا أَسْمَاءُ مَنْ حَلَفَ عَلَيْهَا مِمَّا هُوَ مَكْتُوبٌ بِمُخْطُوطٍ مِنْ يَكْتُبُ مِنْهُمْ ، وَخُطُوطِ  
الْعُدُولِ الثَّقَاتِ عَمَّنْ لَمْ يَكْتُبْ وَأَذَنُوا لِمَنْ يَكْتُبُ عَنْهُمْ ؛ حَسَبَ مَا يَشْهَدُ بِهِ بَعْضُهُمْ  
عَلَى بَعْضٍ ، وَيَتَصَادَقُ عَلَيْهِ أَهْلُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ؛ بَيْعَةٌ تَمَّ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَمَامُهَا ،  
وَعَمَّ بِأَصُوبِ الْفَتْقِ عَمَّا مَهَا ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴾ . وَوَهَبَ  
لَنَا الْحَسَنَ ؛ ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَافِي عَبْدَهُ ، الْوَاقِي وَعْدَهُ ، الْمُوَافِي لِمَنْ يُضَاعِفُ عَلَى كُلِّ

(١) أَيْ لَمْ يَالَ بِه وَلَمْ يَكْتَرِث - انظر اللسان والقاموس -

مَوْهِيَةً سَمَدَهُ ؛ ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نَعِيمِ رِغْبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي آزْدَادِهَا ، وَرِهْبُ إِلَّا أَنْ  
يَقَاتِلَ أَعْدَاءَ اللَّهِ بِأَمْدَادِهَا ؛ وَرِثَابُهَا مَا أَثَرِيَا أَوْ مَالِيكَ (٩) مَابَانٌ مِنْ مُبَانِيَةِ  
أَضْدَادِهَا .

نَحْمَدُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ كَلِمَةً لَا تَمَلُّ مِنْ تَزَادِهَا ، وَلَا تَجَلُّ بِمَا يُقَوِّقُ السَّهَامَ  
مِنْ سَدَادِهَا ؛ وَلَا نَظْلُ إِلَّا عَلَى مَا يوجب كثرة أَعْدَادِهَا ، وَيَسِيرُ إِقْرَارُهَا عَلَى أَوْرَادِهَا ؛  
وَنَشْهَدُ أَنَّ لِلَّهِ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً يَتَقَايَسُ دَمُ الشَّهَدَاءِ وَمِدَادُهَا ،  
وَتَتَنَافَسُ طُرُرُ الشَّبَابِ وَغُرُرُ السَّعَابِ عَلَى أَسْتِمْدَادِهَا ؛ وَتُجَانِسُ رُقُومُهَا الْمَدِيحَةَ  
وَمَا تَلْبَسُهُ الدُّوْلَةُ الْعَبَاسِيَّةُ مِنْ شِعَارِهَا ، وَاللَّيَالَى مِنْ دِتَارِهَا ، وَالْأَعْدَاءُ مِنْ حِدَادِهَا ؛  
وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَمَاعَةِ آلِهِ مِنْ سَقَلِ  
مِنْ أَهْلِهَا وَمِنْ سَلَفِ مِنْ أَجْدَادِهَا ؛ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ ، وَالتَّابِعِينَ  
لَهُمْ بِأَحْسَنِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِيَا أَكْسَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ مِيرَاثِ النُّبُوَّةِ مَا كَانَ لِحَدِّهِ ،  
وَوَهَبَهُ مِنَ الْمُلْكِ السُّلَيْمَانِي عَنْ أَبِيهِ مَا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ؛ وَعَلِمَهُ مَنْطِقُ الطَّيْرِ  
بِمَا تَحْمَلُهُ حَامِيَةُ الْبَطَائِي مِنْ بَنَاتِ الْيَمَانِ ، وَتَحْفَرُ لَهُ مِنَ الْبَرِيدِ عَلَى مُتُونِ الْخَيْلِ  
مَا تَحْفَرُ مِنَ الرِّيحِ لِسُلَيْمَانَ ؛ وَأَتَاهُ مِنْ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ مَا أَمَدَهُ بِهِ أَبُوهُ سُلَيْمَانُ وَتَصَرَّفَ ،  
وَأَعْطَاهُ مِنَ الْفَخَارِ مَا طَاعَهُ بِهِ كُلُّ مَخْلُوقٍ وَلَمْ يَتَخَلَّفْ ؛ وَجَعَلَ لَهُ مِنْ لِيَاسِ بَنِي الْعَبَّاسِ  
مَا يَقْبِضُ لَهُ سَوَادُهُ بِسُودَدِ الْأَحْدَادِ ، وَيَنْقُصُ عَلَى حَكْلِ الْهَنْدِ مَا فَضَّلَ عَنْ سُودِيَاءِ  
الْقَلْبِ وَسَوَادِ الْبَصَرِ مِنَ السَّوَادِ ؛ وَيَمُدُّ ظِلَّهُ عَلَى الْأَرْضِ فَكُلُّ مَكَانٍ حَلَهُ دَارُ مُلْكِهِ  
وَكُلُّ مَدِينَةٍ بَقْدَادِ ؛ وَهُوَ فِي لَيْلِهِ السَّجَادِ ، وَفِي نَهَارِهِ السَّكْرِيُّ وَفِي كَرَمِهِ جَمْعُهُ  
الْخَوَادِ يُدِيمُ الْإِكْتِهَالَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي تَوْفِيقِهِ ، وَالْإِكْتِهَاجِ بِمَا يُغْنِي كُلَّ عُلُوٍّ بِرِيقِهِ ؛  
وَيَسَدُّ يَوْمَ هَذِهِ الْمُبَاحَةِ بِمَا هُوَ الْأَهَمُّ مِنْ مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ ، وَصَالِحِ الْأَعْمَالِ مِمَّا يَحْتَغِي

به الإمام ؛ ويَهْدُمُ التقوى أمامه ، ويَقْرُنُ عليها أحكامه ؛ وَيُنَجِّعُ الشرع الشريف  
ويَقِفُ عنده ويُوَقِّفُ الناس ، وَمَنْ لَا يَجْعَلُ أمره طامعاً على العین حمله بالسيف  
غضباً على الرأس ؛ ويجعلُ أمير المؤمنين بما يَشْفِي به النفوس ، وَيُزِيلُ به كَيْدَ  
الشيطان إنه يَشُوسُ ، ويأخذُ بقلوب الرعايا وهو غنى عن هذا وَلَكِنْ يَسُوسُ ؛  
وأمير المؤمنين يُشْهِدُ الله وخليقته عليه أنه أَقْرَبُ كُلِّ أَمْرٍ من ولاة الأمور الإسلامية  
على خاله ، وأَسْمَرُ به في مَقِيلِهِ تَحْتَ كَنْفِ ظِلَالِهِ ؛ على أَخْتِلَافِ طبقات ولاة  
الأمر ، وتفرقهم في الممالك والنُغُور ؛ بَرًّا وَبَحْرًا ، سَهْلًا وَوَعْرًا ، وَشَرْقًا وَغَرْبًا ،  
وَبُعْدًا وَقُرْبًا ؛ وَكُلِّ جَلِيلٍ وَحَقِيرٍ ، وَقَلِيلٍ وَكَثِيرٍ ؛ وَصَغِيرٍ وَكَبِيرٍ ، وَمَلِكٍ وَعَمَلُوكِ  
وَأَمِيرٍ ، وَجُنْدِيٍّ يَمُرُّ لَهُ سَيْفٌ شَهِيرٌ ، وَرُوحٌ طَرِيرٌ ؛ وَمَنْ مَعَ هَؤُلَاءِ مِنْ وَزَرَاءِ وَقَضَاةِ  
وَكُتَّابٍ ، وَمَنْ لَهُ يَدٌ تَتَقَى فِي إِنْشَاءِ وَتَحْقِيقِ حِسَابٍ ؛ وَمَنْ يَتَحَدَّثُ فِي بَرِيدٍ وَخَرَجٍ ،  
وَمَنْ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَمَنْ لَا يَحْتَاجُ ؛ وَمَنْ فِي الدُّرُوسِ وَالْمَدَارِسِ وَالرِّطِّ وَالزَّوَايَا  
وَالْخَوَاقِ ، وَمَنْ لَهُ أَعْظَمُ التَّعَلُّقَاتِ وَأَذْنَى الْعِلَاقِ ؛ وَسَائِرُ أَرْبَابِ الْمَرَاتِبِ ،  
وَأَصْحَابِ الرُّوَاتِبِ ؛ وَمَنْ لَهُ فِي مَالِ اللَّهِ رِزْقٌ مَقْسُومٌ ، وَحَقٌّ مَجْهُولٌ أَوْ مَعْلُومٌ ؛  
وَأَسْتِزَارُ كُلِّ أَمْرٍ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ ، حَتَّى يَسْتَخِيرَ اللَّهَ وَيَتَيْنَّ لَهُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ فَمَا زَادَ  
تَاهِيْلُهُ ، زَادَ تَفْضِيلُهُ ؛ وَإِلَّا فَاْمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَا يُرِيدُ سِوَى وَجْهِ اللَّهِ ، وَلَا يُجَاهِي أَحَدًا  
فِي دِينٍ ، وَلَا يُجَاهِي [عَنْ] أَحَدٍ فِي حَقٍّ ؛ فَإِنَّ الْمُحَامَاةَ فِي الْحَقِّ مَدَاجَاةٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ؛  
وَكُلُّ مَا هُوَ مُسْتَمِرٌّ إِلَى الْآلآنِ ، مُسْتَقِرٌّ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ مِمَّا فَهَمَهُ اللَّهُ لَهُ وَفَهَمَهُ سَلِيَانٌ ،  
لَا يَغْيِرُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ وَلَا فِي بَعْضِهِ ، مُعْتَبَرٌ مُسْتَمِرٌّ بِمَا شَكَرَ اللَّهُ عَلَى نِعْمِهِ  
وَهَكَذَا يُجَازَى مِنْ شُكْرٍ ، وَلَا يَكْدَرُ عَلَى أَحَدٍ مَوْرِدًا نَزَّ اللَّهُ بِهِ نِعْمَهُ الصَّافِيَةَ عَنْ  
الْكَدَرِ ، وَلَا يَتَاوَلُ فِي ذَلِكَ مَتَاوَلٌ وَلَا مِنْ بَحْرِ النِّعْمَةِ أَوْ كَفَرٍ ، وَلَا يَتَعَلَّلُ مُتَعَلِّلٌ فَإِنَّ  
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُؤَوِّدُ بِاللَّهِ وَيُعِيذُ أَيَّامَهُ مِنَ الْغَيْرِ ؛ وَأَمْرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - أَعْلَى اللَّهِ أَمْرُهُ -

أَنْ يُعْلَنَ الْخُطْبَاءُ بِذِكْرِهِ وَذِكْرِ سُلْطَانِ زَمَانِهِ عَلَى الْمَنَابِرِ فِي الْأَفَاقِ ، وَأَنْ تُقَرَّبَ  
بِاسْمِهِمَا التَّقْوَةُ الْمُتَعَامَلُ بِهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَيُتَبَّحَ بِالدَّاءِ لَهَا عَطْفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ،  
وَيُصَرَّحَ مِنْهُ بِمَا يُشْرِقُ بِهِ وَجْهُ الدَّرْهِمِ وَالذَّنِيرِ ؛ وَتُبَاهَى بِهِ الْمَنَابِرُ وَدَوْرُ الضَّرْبِ :  
هَاتِيكَ تَرْفَعُ أَسْمَهُمَا عَلَى أَسْرَةِ مُهَوِّدِهَا ، وَهَذِهِ عَلَى أَسَارِيرِ قُوْدِهَا ؛ وَهَذِهِ تَقَامُ بِسَبَبِهَا  
الصَّلَاةُ ، وَتِلْكَ تُدَامُ بِهَا الصَّلَاتُ ؛ وَكِلَاهُمَا تُسْتَمَلُّ بِهَ الْقُلُوبُ ، وَلَا يَلَامُ عَلَى مَا تَعِيهِ  
الْآذَانُ وَتُوعِيهِ الْجُيُوبُ ؛ وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا مَنْ تُحَدِّقُ بِجَوَارِهِ الْأَحْدَاقُ ، وَتَمِيلُ إِلَيْهِ  
الْأَعْنَاقُ ؛ وَتُبْلَغُ بِهِ الْمَقَاصِدُ ، وَيُقْوَى بِهِمَا الْمُعَاوِدُ ؛ وَكِلَاهُمَا أَمْرُهُ مَطَاعٌ ، مِنْ غَيْرِ  
نِزَاعٍ ، وَإِذَا لَمَعَتْ أَرْزِمَةُ الْخُطْبِ طَارَ لِلذَّهَبِ شُعَاعٌ ؛ وَلَوْلَاهُمَا مَا أَجْتَمَعَ جَمْعُ  
وَلَا انْفَضَّ ، وَلَا عُرِفَ الْأَنْثَاءُ بِنِ تَأْتَمُّ ؛ فَالْخُطْبُ وَالذَّهَبُ . مَتَاهُمَا وَاحِدٌ ، وَبِهِمَا  
يَذْكُرُ اللَّهُ قِيَمَاءَ الْمَسَاجِدِ ، وَلَوْلَا الْأَعْمَالُ ، مَا بَدَلَتْ الْأَمْوَالُ ، وَلَوْلَا الْأَمْوَالُ ، مَا وُلِّيتْ  
الْأَعْمَالُ ؛ وَلَأَجَلَ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ هَذِهِ النَّسْبَةِ ، قِيلَ إِنَّ الْمَلِكَ لَهُ السَّكَّةُ وَالْخُطْبَةُ ؛ وَقَدْ  
أَسْمَعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي هَذَا الْجَمْعِ الْمُشْهُودِ مَا يَتَنَاقَلُهُ كُلُّ خَطِيبٍ ، وَيَتَدَاوَلُهُ كُلُّ بَعِيدٍ  
وَقَرِيبٍ ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِأَوَامِرٍ وَنَهَى عَنْ نَوَاهٍ وَهُوَ رَقِيبٌ ؛ وَتَسْتَفْزِعُ الْأَوْلِيَاءُ لَهَا  
السَّجَايَا ، وَتَتَضَرَّعُ الْخُطْبَاءُ فِيهَا بِنُعُوتِ الْوَصَايَا ؛ وَتَكَلُّ بِهَا الْمَزَايَا ، وَيَتَكَلَّمُ بِهَا الْوَاعِظُ  
وَيُخْرِجُ مِنَ الْمَشَائِخِ الْخَبَايَا مِنَ الزُّوَايَا ؛ وَتُسَمَّرُ بِهَا السَّيَّارُ وَيَتَرَمُّ الْحَادِي وَالْمَلَّاحُ ،  
وَيُرْوَقُ تَحْجُوهَا فِي اللَّيْلِ الْمُقْمِرُ وَيُرْقَمُ عَلَى جَنْبِ الصَّبَاحِ ؛ وَتُعْطَرُ بِهَا مَكَّةُ بَطْلَمَحَاهَا  
وَتَحْمَا بِحَدِيثِهَا قُبَاهُ ، وَيُلْقَنُهَا كُلُّ أَبِي فَهْمٍ أَيْتُهُ وَيَسَالُ كُلُّ أَبْنٍ أَنْ يُجِيبَ أَبَاهُ ؛ وَهُوَ  
لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ رُشْدٌ وَعَلَيْكُمْ يَنْتَهُ ، وَإِلَيْكُمْ مَادَعَاتُكُمْ بِهِ إِلَى سَبِيلِ  
رَبِّهِ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ؛ وَلَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْكُمْ الطَّاعَةُ وَلَوْلَا قِيَامُ الرُّعَايَا بِهَا  
مَا قَبِلَ اللَّهُ أَعْمَالَهَا ، وَلَا أَمْسَكَ بِهَا الْبَحْرُ وَدَحَا الْأَرْضُ وَأَرْسَى جِبَالَهَا ؛ وَلَا انْتَفَقَتْ



الآراء على من يستحق وجاءت إليه الخلافة تجزأ ذيلها ، وأخذها دون بني أبيه ولم تكن تصلح إلا له ولم يكن يصلح إلا لها ؛ وقد كفأكم أمير المؤمنين السؤال بما فتح لكم من أبواب الأرزاق ، وأسباب الإرتفاق ؛ وأحسن لكم على وفائق وعلمكم مكارم الأخلاق ، وأجراكم على عوائدكم ولم يمسك خشية الإملاق ؛ ولم يبق على أمير المؤمنين إلا أن يسير فيكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويعمل بما يتفقه به من يحيى - أطال الله بقاء أمير المؤمنين - من بعده ، ويزيد على كل من تقدم ، ويقيم فروض الحج والجهاد ، ويقيم الرعايا بعذله الشامل في مهاد ، وأمير المؤمنين يقيم على عباده موعم الحج في كل عام ، ويشمل سكان الحرمين الشريفين وسدنة بيت الله الحرام ؛ ويجهز السبيل على عادته ويرجو أن يعود إلى حاله الأول في سالف الأيام ، ويتدفق في هذين المسجدين بحره الزاخر ويرسل إلى ثالثهما البيت المقدس ساكب الغمام ؛ ويقوم بقومة قبور الأنبياء - صلوات الله عليهم - أين كانوا وأكثرهم في الشام ؛ والجمع والجماعات هي فيكم على قديم سنتها ، وقويم سنتها ؛ وستري في أيام أمير المؤمنين بن أنضم إليه ، وبما يتسلمه من بلاد الكفار ويسلم على يديه .

وأما الجهاد ، فيكفي بأجتهاد القائم عن أمير المؤمنين بأمره ، المقلد عنه جميع ماوراء سريره ؛ وأمير المؤمنين قد وكل إليه - خلد الله سلطانه - عناء الأيام ، ووقته سيفه الراعب بوارقه ليسله واجده على الأعداء [وإلا] سل خياله عليهم في الأحلام ؛ ويؤكد أمير المؤمنين في أرتجاع ماغلب عليه العدا ، وأتزعج [مابا] يديهم من بلاد الإسلام فإنه حقه وإن طال عليه المدى ؛ وقد قدم الوصية بأن يوالى غزو المدو المخذول برا وبحرا ، ولا يكف عن يظفره منهم قتلا وأسرا ، ولا يفك أغلالا ولا إضرأ ؛ ولا يتفك يرسل عليهم في البحر غرابا ، وفي البر من الخيل عقبان ؛ يحمل

فيما كل فارس صقرا، ويحى الممالك من يحوز أطرافها بإقدام، ويتحول أنكافها  
الأقدام؛ وينظر في مصالح القلاع والحصون والثغور، وما يحتاج إليه من آلات  
القتال، وما يحتاج به الأعداء ويحجز عنه المحتال، وأمهات الممالك التي هي مرابط  
البؤد، ومرابض الأسود، والجناح الممدود؛ ويتفقد أحوالهم بالعرض، بما لهم  
من خيل تعقد [بالصباح] ما بين السماء والأرض؛ وما لهم من زرد مصون، وبيض  
مسها ذائب ذهب فكانت كأنها بيض مكنون؛ وسيف قواضب، ورماح لكثرة  
طعننا من الدماء خواضب، ومهام توأصل القسي وتفارقها فيحن حين مفارق  
وترجم القوس زجرة مغاضب.

وهذه جملة أراد أمير المؤمنين بها تطيب قلوبكم، وإطالة ذيل التطويل  
على مطلوبكم؛ وماؤكم وأموالكم وأعراضكم في حماية إلا ما أباح الشرع المظهر،  
ومزيد الإحسان إليكم على مقدار ما ينهي منكم ويظهر.

وأما جزئيات الأمور، فقد علمتم بأن فيمن تقلد عن أمير المؤمنين غنى عن مثل  
هذه الذكرى، وفي حق لا يشغل بطلب شيء فكرا؛ وفي ولادة الأمور، ورعاة  
الجمهور؛ ومن هو سيد عمله، ومداد عمله، ومراد من هو منكم معشر الرعايا  
من قبله؛ وأتم على تفاوت مقاديركم وديعة أمير المؤمنين ومن خولكم وأتم وهم  
فما منكم إلا من استعرف أمير المؤمنين وتمشى في مرضى الله على خلقه، وينظر  
ما هو عليه ويسير بسيرته المثلى في طاعة الله في خلقه؛ وكلكم سواء في الحق عند  
أمير المؤمنين وله عليكم أداء النصيحة، وإبداء الطاعة بصرية صحيحة؛ وقد دخل  
كل منكم في كنف أمير المؤمنين وتحت رأيته، ولزم حكم بيعته؛ وألزم طائره  
في عنقه، ويستعمل كل منكم في الوفاء ما أصبح به عليا: (ومن أوفى بما عاهد  
عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما).

هَذَا قَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَلَى هَذَا عَهْدُ إِلَهِهِ وَبِهِ يَتَّهَدُ، وَمَا سِوَى هَذَا فَهُوَ خُجُورٌ لَا يُتَّهَدُ بِهِ عَلَيْهِ وَلَا يُتَّهَدُ، وَهُوَ يَعْمَلُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ مَا تُتَّهَدُ عَاقِبَتُهُ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَيَجْعَلُ مِنْهُ مَا يَصْلُحُ بِهِ الْحَالُ وَالْمَالُ؛ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَيَسْتَعِيدُ بِاللَّهِ مِنَ الْإِهْمَالِ؛ وَيَتَّخِذُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَوْلَهُ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ، وَيُحَدِّثُ اللَّهَ وَهُوَ مِنَ الْخَلْقِ «أَحْمَدٌ» وَقَدْ آتَاهُ اللَّهُ مُلْكَ سَلِيمًا؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَمُنُّ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا وَهَبَهُ، وَيَمْلِكُهُ أَقْطَارَ الْأَرْضِ وَيُورِثُهُ بَعْدَ الْعُمُرِ الطَّوِيلِ عَقِبَهُ؛ وَلَا يَزَالُ عَلَى أَسْرَةِ الْعَلِيَاءِ قُودُهُ، وَلِبَاسُ الْخِلَافَةِ بِهِ أَهْبَةُ الْجَلَالَةِ كَأَنَّهُ مَامَاتُ مَنصُورُهُ وَلَا رَدَى مَهْدِيَّةٍ وَلَا ذَهَبَ رَشِيدِهِ<sup>(١)</sup>.

### المقصود السادس

(فَمَا يَكْتُبُ فِي آخِرِ الْبَيْعَةِ)

إِذَا انْتَهَى إِلَى آخِرِ الْبَيْعَةِ، شَرَعَ فِي كِتَابَةِ الْخَوَاتِمِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ، فَيَكْتُبُ : «إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى» ثُمَّ يَكْتُبُ التَّارِيخَ . ثُمَّ الَّذِي يَقْتَضِيهِ قِيَاسُ الْعُهُودِ أَنَّهُ يَكْتُبُ الْمُسْتَدْنَ عَنْ الْخَلِيفَةِ فَيَكْتُبُ «بِإِذْنِ الْعَالِي الْمَوْلُوِيِّ الْإِمَامِيِّ النَّبَوِيِّ الْمُتَوَكَّلِيِّ» - مِثْلًا - أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى «وَكَانَ الْخَلِيفَةُ الَّذِي عُقِدَتْ لَهُ الْبَيْعَةُ هُوَ الَّذِي أَذِنَ فِي كِتَابَتِهَا» .

قُلْتُ : وَلَوْ أَسْقَطَ الْمُسْتَدْنُ فِي الْبَيْعَاتِ فَلَا حَرَجَ بِخِلَافِ الْعُهُودِ : لِأَنَّهَا صَادِرَةٌ عَنْ مُوَلٍّ وَهُوَ الْعَاهِدُ، فَحُسْنُ إِضَافَةِ الْمُسْتَدْنِ إِلَيْهِ، بِخِلَافِ الْبَيْعَةِ فَإِنَّهَا إِنَّمَا تُصَدَّرُ عَنْ أَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ كَمَا تَقَدَّمَ . وَيُكْتَفَى فِي الْمُسْتَدْنِ عَنْهُمْ بِكَتَابَةِ خُطُوطِهِمْ فِي آخِرِ

(١) هذه المعاهدة من قلم القاضي الفاضل ليست لابة حل بلاغته ولا متبركة جلايب فصاحته فهي تجربة لم تقع ومسوقة لم تصح كما أشار إليه آبن طاهر الجيوش فليتبته .

اليعة كما ميّأتى ، ثم بعد كتابة المسند - إن كُتب - تُكتب الحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والحسيلة ، على ما تقدم في الكلام على القوائم والخواتم في مقدمة الكتاب .

ثم يُكتب مَنْ بايع من أهل الحلّ والمقد والشهود على البيعة .

فأما مَنْ تَوَلَّى عقد البيعة من أهل الحلّ والمقد فيكتب : « بايعته على ذلك ، وكتب فلانُ بنُ فلان » ويدعو في خلال ذلك قبل اسمه بما يناسب : مثل أن يقال « بايعته على ذلك قدس الله خلافته » أو « زاد الله في شرفه » أو « زاد الله في اعتلائه » وما أشبه ذلك .

وأما الشهود على البيعة فالواجب أن يكتب كل منهم : « حضرتُ جريانَ عقد البيعة المذكورة ، وكتب فلانُ بنُ فلان » كما يكتب الشاهد بجريان عقد النكاح ونحوه ؛ ولا بأس أن يدعو في رسم شهادته قبل كتابة اسمه بما يناسب : مثل « قرّنها الله تعالى باليمن أو بالسداد » أو « عرّف الله المسلمين برّكتها » وما أشبه ذلك .

### المقصود السابع

( في قطع الورق الذي يُكتب فيه البيعة ، والقلم الذي تُكتب به ، وكيفيّة كتابتها ، وصورة وضعها )

وأعلم أنّ البيعات لم تكن متداولة الإستعمال لقلة وقوعها ، فلم يكن لها قطع ورق ، ولا تصوير متعارف فيتبع ؛ ولكنه يؤخذ فيها بالقياس وعموم الألفاظ .

فأما قطع ورقها ، فقد تقدم في الكلام على مقادير قطع الورق قلنا عن محمد بن عمر المدائني في كتاب « القلم والدواة » أنّ قطع البغدادى الكامل للنفاء والملوك . ومقتضى

ذلك أن البيعات تُكتَب فيه ، وهو قياس ما ذكره المقر الشهابي بن فضل الله في " التعريف " من أن للعهود قطع البغدادى الكامل على ماسياتى ذكره .

قلت : لكن سياتى فى الكلام على عهود الخلفاء أنها الآن قد صارت تُكتَب فى قطع الشامى الكامل ، وبينهما فى العرض والطول بون كبير على ما تقدم بيانه فى الكلام على قطع الورق ؛ وحينئذ فينبغى أن تكون كتابة البيعات فى قطع الشامى مناسبة لما تُكتَب فيه عهود الخلفاء الآن .

وأما القلم الذى يُكتَب به فيحسب الورق الذى يُكتَب فيه : فإن كُتِبَت البيعة فى قطع البغدادى ، كانت الكتابة بقلم مختصر الطومار إذ هو المناسب له ؛ وإن كُتِبَت فى قطع الشامى ، كانت الكتابة بقلم الثلث الثقيل إذ هو المناسب له .

وأما كيفية الكتابة وصورة وضعها ، فقياس ما هو متداول فى كتابة العهود وغيرها ، أنه يتبدأ بكتابة الطرة فى أول الدرج بالقلم الذى تُكتَب به البيعة سطورا متلاصقة لا خلوا بينها ، ممتدة فى عرض الدرج من أوله إلى آخره من غير هامش . ثم إن كانت الكتابة فى قطع البغدادى الكامل ، جرى فيه على القاعدة المتداولة فى عهود الملوك عن الخلفاء على ماسياتى ذكره ؛ ويترك بعد الوصل الذى فيه الطرة ستة أوصال بياضا من غير كتابة : لتصير بوصل الطرة سبعة أوصال ؛ ثم يكتب البسملة فى أول الوصل الثامن بحيث تكون أعلى ألفاته تكاد تلتحق الوصل الذى فوقه بهامش عريض عن يمينه قدر أربعة أصابع أو خمسة مطبوعة ؛ ثم يكتب تحت البسملة سطورا من أول البيعة ملاصقا لها ؛ ثم يخلى مكان بيت العلامة قدر شبر جريا على قاعدة العهود وإن لم تكن علامة تُكتَب ، كما يخلى بيت العلامة فى بعض المكاتبات ولا يكتب فيه شيء ؛ ثم يكتب السطر الثانى تحت بيت العلامة على

سُمِّتَ السطر الذي تحْتِ البسلة في بقية الوصل الذي فيه البسلة؛ ويَحْرُصُ أن تكون نهاية السجدة الأولى في أثناء السطر الأول أو الثاني؛ ثم يسترسل في كتابة بقية البيعة ويحعل بين كل سطرين قدر رُبْع ذراع بذراع القماش كما سيأتي في المهود؛ ويستصحّب ذلك إلى آخر البيعة، فإذا آتته إلى آخرها كتب "إن شاء الله تعالى" ثم التاريخ، ثم المستند، ثم الحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، والحسبة، على ما تقدّم بيانه في الفوائح والخواتم في مقدّمة الكتاب؛ ثم يكتُب من بايع من أهل الحَلّ والعقد خطوطهم، ثم الشهود على البيعة بعدهم. وإن كانت الكتابة في القطع الشامي، فينبغي أن ينقص عدد أوصال البياض الذي بين الطرة والبسلة وصلين فتكون خمسة، وينقص الهامش فيكون قدر ثلاثة أصابع على ما يقتضيه قانون الكتابة.

وهذه صورة وضعه في الورق ممثلاً لها بالطرة التي أنشأها لذلك، والبيعة الثانية من البيعتين اللتين أنشأهما

بياض بأعلى الدرج بقدماصج

هذه بيعة ميمونة، باليمن مبتدأة بالسعد مقرونه؛ لمولانا السيد الجليل الإمام النبوي المتوكل على الله أبي عبد الله محمد أمير المؤمنين، آيين الإمام المعتمد بالله أبي الفتح أبي بكر الباسي: زاد الله تعالى شرفه علواً، وغفاره ميمونا. قام بعقدها السلطان السيد الأعظم، والشاهنشاه المعظم، الملك الظاهر أبو سعيد برقوق، خلد الله تعالى سلطانه، ونصر جيوشه وأعوانه؛ يجمع من أهل الحَلّ والعقد، والاعتبار والتقد: من القضاة والعلماء والأمرء، ووجوه الناس والوزراء والصلحاء والتضماء؛ وإمضائها على السداد، والتجريح والرشاد. على ما شرح فيه

بياض من أرمال

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل بيت الخلافة مكتابة للناس وأمناء وأقام

بيت السلامة

تقدير شعر

سُورَ الإمامة وقايةً للأئام وحضناً ؛ وشدة منها بالعصاة

تقدير دج ذراع

الفرشية أزرا وشاد منها بالعصبة العباسية رُكناً . وأغاث

تقدير دج ذراع

الخلق بإمام هُدى حسن ميرة وصفا سريرة فراق صورة ورق معنى .

ثم يأتي على الكلام إلى آخر البيعة على هذا النمط إلى أن ينتهي إلى

قوله : والله تعالى يجعل أنتقالهم من أدنى إلى أعلى ومن يُسرئ إلى يئس ،

ويحقق لهم بمن استخلفه عليهم وعده الصادق بقوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ ﴾

ہامش      الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلِيَعْلَمَ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ

خَوْفِهِمْ آمَنًا) .

إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

كتب في الثاني من جمادى الأولى مئلا

سنة إحدى وتسعين وسبعمائة

بِإِذْنِ الْعَالِي الْمَوْلَوِيّ الْإِمَامِيّ النَّبَوِيِّ الْمُتَوَكِّلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى

الحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه

حُبُّنا اللهُ ونعم الوكيل

بايعته على ذلك	بايعته على ذلك	بايعته على ذلك
زاد الله تعالى في شرفه	زاد الله تعالى في شرفه	قدس الله تعالى خلّقه
وكتب	وكتب	وكتب
فلان بن فلان	فلان بن فلان	فلان بن فلان



حضرت	حضرت	حضرت	
جرّان عقد	جرّان عقد	جرّان عقد	
اليعة المذكورة	اليعة المذكورة	اليعة المذكورة	
عرّف الله المسلمين	قرّنها الله تعالى	قرّنها الله تعالى	
بركتها	بالسداد	باليمن والبركة	
وكتب	وكتب	وكتب	
فلان بن فلان	فلان بن فلان	فلان بن فلان	

## النوع الثاني

(من البيعات ، بيعات الملوك)

وأعلم أنّ المقرّ الشّهابي بن فضل الله قد ذكر في "التعريف" : أنّ من قام من الملوك بغير عهد من قبله لم تجر العادة بأن تكتب لهم مبايعة ؛ وكأنّه يريد اصطلاح بلاد المشرق والديار المصرية ؛ أما بلاد المغرب فقد جرت عادة مصطلحهم بكتابة البيعات لملوكهم ، وذلك أنه ليس عندهم خليفة يدينون له ، يتقلّدون الملك بالعهد منه . بل جلّهم أو كلّهم يدعى الخلافة فهم يكتبون البيعات لهذا المعنى .

وهذه نسخة بيعة من هذا النوع ، كتبت بها للسلطان أبي عبد الله محمد بن السلطان أبي الحجاج بن نصر بن الأحمر الأنصاري ، صاحب حمراء غرناطة من الأندلس ، مفتحة بخطبة على قاعدتهم في بيعات الخلفاء على ما تقدّم ذكره ؛ وربما تكرّر الحمد فيها دلالة على عظم النعمة . من إنشاء الوزير أبي عبد الله محمد بن الخطيب صاحب ديوان إنشائه ، على ما رأيته في ديوان ترسله ، وهي :

الحمد لله الذى جلّ شأننا، وعزّ سلطاننا، وأقام على ربوبيته الواجبة في كلّ شيء خلقه برهاننا، الواجب الوجود ضرورة إذ كان وجود ماسواه إمكانا، الحى القيوم حياة أبدية سرمدية منزّهة عن الابتداء وال انتهاء [ فلا تعرف وقتا ولا تستدعى زمانا، العليم الذى يعلم السر وأخفى<sup>(١)</sup> ] فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء إلا أحاط بها علما وأدركها عيانا، التقدير الذى ألقت الموجودات كلّها إلى عظمته يد الخضوع استسلاما له وإذعانا . المرید الذى بمشيئته تصريف الأقدار، واختلاف الليل والنهار، فإن منع منع عدلا وإن منع منع إحسانا، شديد تداول الملوك بدوام ملكه ودلّ حدوث ماسواه على قدمه، وأثبت السنة الحى والجماد على مواهبه وقسمه، وفاض على عوالم السماء والأرض بحر جوده العميم النوال من قبل السؤال وكرمه، وإن من شيء إلا يسبح بحمده ويثني على نعمه سرا وإعلانا . فهو الله الذى لا إله إلا هو ليس في الوجود إلا فعله، إلا له الخلق والأمر وإليه يرجع الأمر كلّ، وسع الأكوان على تباينها فضله، وقدر المواهب والمقاسم عدله، منعا ومنعا وزيادة ونقصانا .

والحمد لله الذى بيده الاختراع والإنشاء، مالك الملك يؤتى الملك من يشاء ويتزع الملك ممن يشاء، سبق في مكنون غيبه القضاء، وخفيت عن خلقه الأسباب وعييت عليهم الأنباء، وعجزت عقولهم أن تدرك منها كنهها أو تكشف منها بيانا .

والحمد لله الذى رفع قبة السماء ما اتخذ لها عمادا، وجعل الأرض فراشا ومهادا، وخلق الجبال الراسية أوتادا، ورتب أوضاعها أجناسا متفاضلة، وأنواعا متباينة متقابلة : فحيواتا ونباتا وجمادا، وأقام فيها على حكمة الإبداع دلائل باهرة الشّاع

(١) الزيادة من روضة الطالب لابن الخطيب (ص ٤٨ ج ١) .

وأشهادا ، وجعل الليل والنهار خُفَّةً والشمس والقمر حُسباناً . وقدر السياسة  
سياجا لعالم الإنسان يضمُّ منه ما انتشر ، ويَطْوِي من تعديهِ ما نشر ، ويَجِلُّه على  
الآداب التي تُرشدُه إذا ضلَّ وتُقيمه إذا عثر ، وتُجبرُه على أن يلتزم السنن ويتبع  
الأثر ، تُطفا منه شَمَلِ البشر وحَنَاناً .

ولما عمَّر الأرض بهذا الجنس الذي فضَّله وشرَّفه ، وهبَ له العقل الذي تمكَّر  
به في حكمته حتى عرَّفه ، وبما يجبُ لرؤيته الواجبةِ وصفه ، جعلهم درجاتٍ  
بعضها فوقَ بعض فقرا وغنى وطاعة وعِصياناً . واختار منهم سَفَرَةَ الوحي وحملَةَ  
الآيات ، وأرسل فيهم الرُّسل بالمعجزات ، وعرَّفهم بما كَلَّفهم من الأعمال  
المفترَضات : ( لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ) .  
يومَ اعتبار الأعمالِ وأَختِيار الحَسَنات ، ونَصَبَ العَدلَ والمُجازاةَ في يومِ العَرْضِ عليه  
قِسْطاساً ومِيزاناً .

تَحْمَدُه وله الحمدُ في الأولى والآخِرِه ، وتُثني على مَوَاهِبِه الجَمَّةِ والآيَةِ الوافِرِه ،  
وتُتَمَدِّدُ الضَّرَاعَةَ ، في مَوْقِفِ الرَّجاءِ والطَّاعَةِ ، إلى المَزِيدِ مِن مِنتَه الهَامِيَةِ الهَامِرَةِ ،  
ونسألُه دَوَامَ الطَّافَةِ الخافِيَةِ وعِصَمِهِ الظَّاهِرَةِ ، وأنْصَبَ نِعمِهِ التي لا تَزَالُ تَتَعَرَّفُهَا  
مَتْنِيٌّ وَوَحْدَاناً . ونشهدُ أَنَّهُ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ . [ شهادة  
يُجِدُّها في المَعادِ عُدَّةً واثِقَةً ، ووسيلةً للأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ إِلَيْهِ راقِبَةً ، وذخيرةً صالِحَةً  
باقِيَه ، وَنُوراً يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيْنا وَيَكُونُ على الرِّضا والقَبولِ فينا عُنْواناً ] . ونشهدُ أَنَّ  
سَيِّدَنَا وَمَوْلانا عِمَّانَ النَّبِيِّ العَرَبِيِّ القُرْشِيِّ المِصْبَاحِيِّ عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الَّذِي آمَنَطَناهُ  
وَأَخْتارَهُ ، وَرَفَعَ بَيْنَ النَّبِيِّينَ والمُرْسَلِينَ مِقْدارَهُ ، وَطَهَّرَ قَلْبَهُ وَقَدَّسَ أَسْرارَهُ ، وَبَلَّغَهُ

من رِضاهُ أَخْيَارَه ، وأعطاه لَوَاءَ الشَّفَاعَةِ يَفْقُو آدَمَ وَمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْكَرَامِ  
 آتَاهُ ، وجعله أَقْرَبَ الرُّسُلِ مَكَانَةً وَأَرْفَعَهُمْ مَكَانًا . رَسُولُ الرَّحْمَةِ ، وَنُورُ الظُّلُمَةِ ،  
 وإمامُ الرُّسُلِ الْأَتَمِّه ، الَّذِي جَمَعَ لَهُ بَيْنَ مَرْيَةِ السَّبْقِ وَمَرْيَةِ التَّيَمِّه ، وجعل طَاعَتَهُ  
 مِنَ الْعَذَابِ الْمُقِيمِ أَمَانًا . صَاحِبُ الشَّفَاعَةِ الَّتِي تَوَمَّلُ ، وَالْوَسِيلَةِ الَّتِي إِلَى اللَّهِ بِهَا  
 يُتَوَسَّلُ ، وَالدرَجَةُ الَّتِي لَمْ يُؤْتَهَا الْمَلَكُ الْمُقَرَّبُ وَلَا النَّبِيُّ الْمُرْسَلُ ، وَالرَّبِّيَّةُ الَّتِي لَمْ يُعْطِهَا  
 اللَّهُ سِوَاهُ إِنْسَانًا . انْتَقَبَهُ مِنْ أَشْرَفِ الْعَرَبِ أُمًّا وَأَبَا ، وَأَزَكَّى الْبَرِيَّةِ طِينَةً وَأَرْفَعَهَا  
 نَسَبًا ، وَأَبْتَنَتْهُ إِلَى كَافَّةِ الْخَلْقِ عَجْمًا وَعَرَبًا ، وَمَلَأَ بُنُورَ دَعْوَتِهِ الْبَسِيطَةَ جَنُوبًا وَشَمَالًا  
 وَمَشْرِقًا وَمَغْرِبًا ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ الْخَلْقُ لَمَّا سَمِعَتْهُ وَقَالُوا ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا  
 قُرْآنًا عَجَبًا ﴾ . تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَفَصَّلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَتَبَيَّنًا . فَصَدَعَ صَلَى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَمْرٍ مِنْ اخْتَارَ ذَاتَهُ الطَّاهِرَةَ وَأَصْطَفَاهَا ، وَأَدَّى أَمَانَةَ اللَّهِ وَوَقَّاهَا ،  
 وَرَأَى الْخَلَائِقَ عَلَى شَيْءٍ الْمُتَأَلَّفِ فَتَلَّاهَا ، وَنَتَجَ أَدْوَاءَ الضَّلَالِ فَشَقَّاهَا ، وَعَمَّا مَعَالِمَ  
 الْجَهْلِ وَعَقَّاهَا ، وَشَادَ لِلْخَلْقِ فِي الْحَقِّ بُيُنَانًا . مُؤَيِّدًا بِالْمُعْجِزَاتِ الَّتِي حُجِّجُهَا تُقْبَلُ  
 وَتُسَلَّمُ : فَمَنْ جَدَعَ لِفِرَاقِهِ يَتَأَلَّمُ ، وَجَحَادٍ بِصِدْقِ نُبُوتِهِ يَتَكَلَّمُ ، وَجَيْشٍ شَكَا الظُّلْمَ  
 فَفَجَّرَ لَدَيْهِ الْمَعِينِ مِنْهُ بَنَانًا . وَأَيُّ مُعْجِزَةٍ كَكِتَابِ اللَّهِ الَّذِي لَا تَنْقِضِي عَجَابَتَهُ ،  
 فَهُوَ أَلِيمٌ وَالْعُلُومُ النَّافِعَةُ كُلُّهَا مَدَانِيَّتُهُ ، وَأَفْقُ الْحَقِّ الَّذِي تَهْدِي فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ  
 كَوَاكِبُهُ ، وَالْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ الَّتِي أَصْبَحَتْ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ قُرْفَانًا . فَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ  
 بِنُورِ رَبِّهَا وَأَيَّاتِهِ ، وَتَمَّتْ كَلِمَةُ اللَّهِ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا يُبَدَّلُ لِكَلِمَاتِهِ ، وَبَلَغَ مُلْكُ أُمَّتِهِ  
 مَا زُوِيَ لَهُ مِنْ أَقْطَارِ الْمَعْمُورِ وَجِهَاتِهِ ، حَتَّى عَمَرَ مِنْ أَكْثَافِ الْبَسِيطَةِ ، وَأَرِيفِ  
 الْبَحَارِ الْمَحِيطَةِ ، وَهَادَا وَكُثِّبَانًا . وَهَلَّتْ كُنُوزُ كَثْرَى بِمِرَّةِ دَعْوَتِهِ الْغَالِبَةِ ، وَظَهَرَتْ  
 بِفُلُجِ الْخِصَامِ أَيْدِي عَزَائِمِهَا الْمُطَالِبَةِ ، وَأَصْبَحَ لِإِبْرَاهِيمَ فَارِسُ بَحْرِ رِمَاحِ الْعَرَبِ  
 الْعَارِبَةِ ، وَقَدَّزَتْ جُنُودَ قَيْصَرَ مِنْ ذَوَابِلِهَا بِالشُّهْبِ النَّاقِبَةِ ، حَتَّى قَوَّزَ عَنْ مَدْرَةِ الطَّيِّبَةِ

أَتَبَّ بِالصَّفْقَةِ الْخَائِبَةِ، وَخَلَصَتْ إِلَى قُسْطَاطٍ مَصْرَبَكَايَهَا الْمُتَعَايِبَةِ، فَلَا تَسْمَعُ  
الْأَذَانُ فِي إِقَامَتِهِمْ إِلَّا إِقَامَةً وَأَذَانًا . وَلَا دَلِيلَ أَظْهَرَ مِنْ هَذَا الْقَطْرِ الْأَنْدَلُسِيِّ  
الْغَرِيبِ الَّذِي خَلَصَتْ إِلَيْهِ سُيُوفُهَا أَثْبَاجَ الْبَحَارِ، عَلَى بَعْدِ الْمَرَاحِلِ وَتَزُوجِ الدِّيَارِ،  
وَتَكَاثُفِ الْعَمَلَاتِ وَآخْتِلَافِ الْأَمْصَارِ، وَمُقْطَعِ الْعِبَارَةِ بِأَقْصَى الشَّامِ وَمَحْطِ السُّقَارِ،  
طَلَعَتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ اللَّهِ طُلُوعَ النَّهَارِ، وَأَسْتَوْطَنَتْهُ قِبَائِلُ الْعَرَبِ الْأَحْرَارِ، وَأَرْعَمَتْ فِيهِ  
أُنُوفَ الْكُفَّارِ، ضِرَابًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَطِعَانًا .

وَلَمَّا أَسْتَقَامَ الدِّينَ، وَتَمَّ مَعَالِمُ الْإِيمَانِ الرُّسُولُ الْأَمِينِ، وَظَهَرَ الْحَقُّ الْمُبِينِ،  
وَرَأَى مَنْ وَجَّهَ الْمِلَّةَ الْخَنَفِيَّةَ السُّنْمَةَ الْجَيِّنِ، وَأَخَذَ الْمَسَالِكَ وَالْمَاخِذَ الْإِفْصَاحُ  
وَالْتَبَيَّنَ، وَتَقَزَّزَتِ الْمُسْتَنْدَاتُ الْمُعْتَمِدَاتُ سُنَّةَ وَقَرَأْنَا، أَشْعَرَهُ الْوَحْيُ بِالرَّحْلَةِ  
عَنْ هَذِهِ الدَّارِ، وَالْإِتْقَالِ إِلَى مَحَلِّ الْكِرَامَةِ وَدَارِ الْقَرَارِ، وَخَيَّرَهُ الْمَلِكُ فَاخْتَارَ الرَّفِيقَ  
الْأَعْلَى مُوقِفًا إِلَى كَرَمِ الْإِخْتِيَارِ، [و] وَجَدَ مَحَبَّةَ رَضَى اللَّهُ عَنْهُمْ فِي الْإِسْتِخْلَافِ بَعْدَهُ  
وَالْإِشَارِ حُجْبًا مُشْرِقَةً الْأَنْوَارِ، أَطْلَقَتْ بِالْحَقِّ يَدًا وَأَنْطَلَقَتْ بِالصَّدَقِ لِسَانًا .  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَأُسْرَتِهِ الطَّاهِرَةِ وَعِصَابَتِهِ، وَأَنْصَارِهِ وَأَصْحَابِهِ  
وَقَرَاتِهِ، الَّذِينَ كَانُوا فِي مُعَاضَدَتِهِ إِخْوَانًا، وَعَلَى إِعْلَاءِ أَمْرِ الْحَقِّ أَعْوَانًا . نُجُومُ  
الْمِلَّةِ وَأَقَارِبُهَا، وَغُيُوثُهَا الْمَهَامِيَّةُ وَبِحَارُهَا، وَسُيُوفُ اللَّهِ الَّتِي لَا تَنْبُو شِقَارُهَا، وَأَعْلَامُ  
الْهُدَى الَّتِي لَا تَنْبُلُ آثَارُهَا، وَدَعَائِمُ الدِّينِ الَّتِي رَفَعَتْ مِنْهُ عَلَى الدِّرِّ وَالْتَقَوَى أَرْكَانًا .

وَجَاءَ اللَّهُ وَجُوهَ سَحَى الْأَنْصَارِ بِالنِّعَمِ وَالنِّضَرِ، أُولَى الْبَاسِ عِنْدَ الْحَفِظَةِ وَالْعَفْوِ  
عِنْدَ الْقُدْرَةِ، الرَّاضُونَ أَنْ يَنْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاءِ وَالْبَعِيرِ وَيَنْهَبُوا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنِعْمَتِ الْمَنْقِبَةِ وَالْأَثَرِ، الْحَاضِرُونَ بِبَيْعَةِ الرِّضْوَانِ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا .  
وَوَزَرَاؤُهُ وَظَهَرَاؤُهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ، وَخَالَصَتْهُ يَوْمَ أَحُدٍ وَبَدْرٍ، لَمْ يَزَالُوا صَدْرًا فِي كُلِّ

قَلْبَ قَلْبٍ فِي كُلِّ صَدْرٍ ، يَصَلُّونَ دُونَهُ كُلِّ جَمْرٍ ، وَيَضُدُّونَهُ بِقُوسِهِمْ فِي كُلِّ سِرٍّ  
وَجَهْرٍ ، وَيَعْمَلُونَ فِي إِعْلَاءِ دِينِهِ بِيَضَاءِ عِضَابٍ وَتُمْرًا لِدَانَا . صَلَاةٌ لَا تَزَالُ سَحَابُهَا  
تَرَاهُ ، وَنَحْيَةٌ دَائِمَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ ، مَا لَهَجْتَ الْأَلْسُنُ بِثَنَائِهِمْ ، وَوَقَفْتَ الْمَفَاخِرُ عَلَى عُلْيَاهُمْ ،  
وَتَعَلَّمْتَ الْمَوَاهِبُ مِنَ آلَائِهِمْ ، وَقَصُرَتْ الْحَمْدُ عَلَى مُسَمِّيَاتِهِمْ وَأَسْمَائِهِمْ ، وَكَانَ  
حُبُّهُمْ عَلَى الْفَوْزِ بِالْجَنَّةِ صَمَانًا .

وَنَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ لِهَذَا الْأَمْرِ التَّصَرُّيِّ الَّذِي سَبَّبَهُ بِسَيِّئِهِمْ مُؤْصُولٌ ، وَهَمُّ لِفُرُوعِهِ  
السَّامِيَةِ أَصُولٌ ، فَإِنَّمَا مِنْ نُصُولٍ خَلَقْتَهَا نُصُولٌ ، أُنْجِزَتْ وَعَدَ النُّصْرَ وَهُوَ مَطْمَئِنٌّ ،  
وَأُحْيَتْ رُبُوعَ الْإِيمَانِ وَهِيَ طُلُوعٌ ، نَصْرًا عَزِيزًا وَقَتْنَا مَبِينًا ، وَتَأْيِيدًا عَلَى أَعْدَائِكَ  
وَتَمْكِينًا ، وَمُلْكًا بَيْنَ فِي الْأَعْقَابِ وَأَعْقَابِ الْأَعْقَابِ وَسُلْطَانًا . وَإِنَّا اللَّهُمَّ عَلَى  
مَا أَوْجَبْتَ لَهُ مِنْ مَقْرُوضِ الطَّاعَةِ ، وَتَادِيَةِ الْحَقِّ بِجَهْدِ الْإِسْتِطَاعَةِ ، وَأَعِصْمْنَا  
بِلَايَاتِهِ الْعَادِلَةِ مِنَ الْإِضَاعَةِ ، وَاحْمِلْنَا مِنْ مَرْضَاتِهِ عَلَى سَنَنِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ ، وَاجْعَلْهَا  
كَلِمَةً بَاقِيَةً إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ ﴿ وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا ﴾ .

أَمَّا بَعْدُ مَا أُنْفِثَ بِهِ مِنْ تَحْمِيدِ اللَّهِ وَتَعْجِيدِهِ ، وَالدَّاءِ الَّذِي تَعَطَّرُ الْأَنْدِيَّةُ بِتَرْيْدِهِ ؛  
فَإِنَّ مِنَ الْمَشْهُورِ الَّذِي يَعْضُدُهُ الْوُجُودُ وَيُؤَيِّدُهُ ، وَالْمَعْلُومِ الَّذِي هُوَ كَالشَّمْسِ ضَلُّ  
مَنْ يُنْكِرُهُ أَوْ يَنْجَحِدُهُ ، وَالذَّائِعِ بِكُلِّ قُطْرٍ تَرْوِيهِ رُؤَاةُ الْأَنْبِيَاءِ وَتُسْنِدُهُ ؛ مَا عَلَيْهِ هَذَا  
الْمُلْكُ التَّصَرُّيُّ الْحَقُّ ، الْأَنْصَارِيُّ الْمُتَمَتِّعُ ؛ الَّذِي يُصِيبُ شَاكِلَةَ الْحَقِّ إِذَا رَمَى ،  
وَيُعِمُّ الْعِبَادَةَ وَالْبِلَادَ غَيْثُهُمَا هَمِيٌّ ؛ مِنْ أَصَالَةِ الْأَعْرَاقِ ، وَكَرَمِ الْأَخْلَاقِ ؛  
وَالْفَضْلِ الْبَاهِرِ الْإِشْرَاقِ ، وَالْجِهَادِ الَّذِي هُوَ سِمَرُ الرُّكْبِ وَحَدِيثُ الرَّفَاقِ ؛ وَأَنَّ قَوْمَهُ  
الْمُلُوكَ الْكَرَامَ إِنْ قُوْنِعُوا بِنَسَبِ ذِكْرُوا سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ وَمَجْدَهُ ، أَوْ كُوْنِرُوا بِعَدِيٍّ غَلَبُوا  
بِاللَّهِ وَحْدَهُ ، أَوْ اسْتَنْصَرُوا فَجَرُوا كُلَّ شَيْءٍ ، وَاسْتَظْهَرُوا مِنْ [عِزِّهِمْ] <sup>(١)</sup> الْمَوْهُوبِ ،

وصبرهم على الخطوب، بكلّ عَدَدٍ وعُدَةٍ؛ دارهم الثغرُ الأعشى، ونعمتِ الدار،  
 وشعارهم «لا غالبَ إلا الله» ونعم الشعار؛ زُجَّادٌ إذا ذُكِرَ الدينُ، أَسودُّ إذا حَمِيتِ  
 الميادينُ؛ جبالٌ إذا زَحَفَتِ الصُّفوفُ، بُدُورٌ إذا أَظْلَمَتِ الزُّخُوفُ؛ غِيُوثٌ إذا  
 مُنِعَ المعروفُ، أَفْرَادٌ إذا ذُكِرَتِ الأُلُوفُ؛ إِنْ بُوِيَموا فَاَلْمَلَأَكُمُ وفُودُ [وحملهُ العلمُ]<sup>(١)</sup>  
 وحملهُ السِّلَاحُ سُهُودُ؛ وَإِنْ وَلِدُوا فَالسُّيُوفُ تَمَاءٌ، والسُّرُوجُ مَهُودُ، وَإِنْ أَصْغَرُوا  
 للعدُوِّ فَالظُّلَالُ بُنُودُ، وَجُنُودُ السَّيْبِ الطَّبَاقُ جُنُودُ، وَإِنْ أَظْلَمَ اللَّيْلُ أَصْهَرُوا جُفُونَهُمْ  
 فِي حِيَاةِ الْمُسْلِمِينَ وَالْجُفُونُ رُقُودُ .

وإنَّ هذا القُطْرَ الذي آتَى سَبِيلَ الفَتْحِ الأوَّلِ إِلَى نَاحِيَتِهِ، وَأُجِلَّتْ قِدَاحُ  
 الْفُوزِ بِالْدَّعْوَةِ الْخَفِيفَةِ عَلَى الْأَقْطَارِ فَاخَذَ الْإِسْلَامُ بِنَاصِيَتِهِ؛ كَانَ مِنْ قَنَمِهِ الْأَوَّلِ  
 مَا قَدَّ عَلِمَ، حَسَبَ مَاسْطَرٍّ وَرُسْمٍ؛ وَإِنَّ مُوسَى بْنَ نَصِيرٍ وَقَتَاهُ، حَلَّ مِنْ قُرْضَةٍ بِجَازِهِ  
 حَلَّ مُوسَى وَقَتَاهُ؛ وَحَلَّ الْإِسْلَامُ مِنْهُ دَارَ قَرَارٍ، وَخِطَّةَ خَلِيقَةِ بَارِئِيَادٍ وَأَخْيَارٍ؛  
 وَبَلَدًا لَا يَحْصِي خَيْرُهُ، وَلَا يَفْضُلُهُ بَشِيءٌ مِنَ الْمَزِيَّةِ مَا عَدَا الْحَرَمَيْنِ فَبَرُّهُ؛ وَأَمْتَدَّتِ  
 الْأَيَّامُ حَتَّى تَأْتِيَ الْعُدُوُّ لِرَوْعَتِهِ، وَخَفَّ عَلَيْهِ مَا كَانَ مِنْ صَرَعَتِهِ؛ وَقَدَحَ فَأَوْرَى،  
 وَأَعْضَلَ دَاوُهُ وَأَسْتَشْرَى، وَصَارَتِ الصُّغُرَى الَّتِي كَانَتْ الْكُبْرَى؛ فَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ عَمَدَ  
 الدِّينِ مِنْهُمْ بِالْعَمْدَةِ الْوَشِيقَةِ، حُمَاةَ الْحَقِيقَةِ، وَأَئِمَّةَ الْخَلِيقَةِ، وَسُلَالَةَ مَفْتَحِي الْإِمَامَةِ  
 وَمِفْتَاحِي الْحَدِيقَةِ، لِأَجْهَازِ النُّصُلِ، وَأَجْنَتْ مِنَ الدِّينِ الْفِرْعُ وَالْأَصْلُ؛ لَكُنْهُمْ  
 أَتَدَبَّوْا إِلَى إِمْسَاكِ الدِّينِ بِهَا أَتَدَبَّابًا، وَوَصَلُوا لِلْإِسْلَامِ أَسْبَابًا؛ وَتَوَلَّوْا مِنْهُمْ صَقْرٌ  
 قَيْسِلَ الْخَزَرْجِ، ذُو الْحُسَامِ الْمُضَرَّجِ، وَالثَّنَاءُ الْمَوْزَجِ؛ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْغَالِبُ بِاللَّهِ مُحَمَّدُ  
 بْنُ يَوْسُفَ بْنِ نَصْرِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ، الْمُنْتَدَبُ لِإِقَامَةِ سَنَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، قُدْوَةُ الْمُلُوكِ  
 الْمَجَاهِدِينَ : نَصَّرَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَقَبَّلَ جِهَادَهُ، وَشَكَرَ دِفَاعَهُ عَنْ حُوزَةِ الْإِسْلَامِ

[وَجَلَّادَهٗ ، فَاقْشَعَتِ الظُّلُمَهٗ ، وَتَمَسَّكَتِ الْأُمَمَ ، وَكَفَّ الْعَدُوَّ وَأَقْصَرَ ، وَرَأَى  
 الْإِسْلَامَ بَيْنَ أَسْتَنْصَرَ ، وَأَسْتَبْصَرَ فِي الطَّاعَةِ <sup>(١)</sup> ] مَنْ أَسْتَبْصَرَ ، وَهَبَتْ بَنَصِرَ اللَّهِ  
 الْعَزَائِمَ ، وَكَثُرَتْ عَلَى الْعَدُوِّ الْهَزَائِمَ ، وَتَوَارَتْهَا مَذَكُّهَا وَلَدَا عَنْ أَبٍ ، مُسْتَنْدِينَ  
 إِلَى عَدْلٍ وَبَدَلٍ وَبَسَالَةٍ وَجَلَّالَةٍ وَحَسَبٍ ، تَضَعُ فِي أَفْقِ الْجَلَالِ نَجْمٌ سِيرِيمٌ هَادِيَةٌ  
 لِلسَّائِرِينَ ، وَتَفَرِّقُ مِنْ سَطَوَاتِهِمْ فِي اللَّهِ أَسْوَدَ الْعَرِينِ ؛ إِلَى أَنْ قَامَ بِالْأَمْرِ وَوَسَطَى  
 سِلْجُكِهِمْ ، وَبَرَكَتُهُ مُلْكُهُمْ ، الْخَلِيفَةُ الْوَاجِبُ الطَّاعَةِ بِالْحَقِّ عَلَى الْخَلْقِ ، الشَّهِيرُ  
 الْجَلَّالَةُ وَالْبَسَالَةُ فِي الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ ، أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ بِوَاجِبِ الْحَقِّ ، سَاحِبُ أَذْيَالِ  
 الْعَفَافِ وَالطَّاهِرَةِ ، السَّعِيدُ الْإِيَالَةَ وَالْإِمَارَةَ ، الْبَعِيدُ الْفَنَاءَ ؛ مَنْ دُعِيَ الْعَدُوُّ لِبَاسِ  
 حُسَامِهِ ، وَذُخِرَ الْفَتْحُ الْهَنِيءُ لِأَيَّامِهِ ؛ صَدْرُ الْمُلُوكِ الْمَجَاهِدِينَ ، وَكَبِيرُ الْخُلَفَاءِ الْعَادِلِينَ ،  
 الْبَعِيدُ الْمَدَى فِي حَيَاةِ الدِّينِ ؛ السَّعِيدُ الشَّهِيدُ ، أَبُو الْوَلِيدِ ، ابْنُ الْمُؤْتَى الْهَامِ الْأَوْحَدِ ،  
 الرَّفِيعُ الْمَجْدُ ؛ الطَّاهِرُ الظَّاهِرُ الْأَعْلَى ، الرَّئِيسُ الْكَبِيرُ الْجَلِيلُ الْمُقَدَّسُ الْأَرْضِي ؛  
 « أَبِي سَعِيدٍ » بَنُ أَبِي الْوَلِيدِ ، بَنُ نَصْرٍ . فَاحِيَا رَحِمَهُ اللَّهُ مُعَالِمُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ،  
 وَجَلَّ بَنُورُ عَدْلِهِ غِيَاظَ الدُّجْنَةِ ، وَأَعَزَّ الْإِسْلَامَ وَحَمَاهُ ، وَرَحَى ثَمَرَةَ الْكُفْرِ فَاصْصَاهُ ؛  
 قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ الطَّيِّبَ ، وَسَقَى لَحْدَهُ مِنَ الرَّحْمَةِ الْقَهَامِ الصَّيِّبِ ؛ وَأَوْرَثَ الْمُلُوكَ  
 الْجِهَادِيَّ مِنْ وَلَدِهِ خَيْرَ مَلِكٍ قُبِلَتْ مِنْهُ كَفٌّ ، وَأَسْتَدَارَ بِهِ مَوْكِبُ الْجِهَادِ مُلْتَفٍ ؛  
 وَتَمَخَّحَ بِخَيْمَتِهِ أَنْفَ ، وَتَمَّأَ إِلَى مَشَاهِدِهِ طَرَفَ ؛ وَتَارَّجَ مِنْ ذِكْرِهِ عَرَفَ ، وَجَرَى  
 إِلَى بَابِهِ حَرْفَ ؛ مَوْلَانَا الْمَلِكُ الْهَامُ ، الْخَلِيفَةُ الْإِمَامُ ؛ مَنْ أَشْرَقَ بَنُورُ إِيَابَتِهِ الْإِسْلَامَ ،  
 وَتَشَرَّفَتْ بِوُجُودِهِ الْيَسَالِي وَالْأَيَّامَ ؛ بِدُرِّ الْمُلُوكِ وَشَمْسُهُ ، وَسِرُّ الزَّمَانِ الَّذِي قَصَرَ عَنْ  
 يَوْمِهِ أَمْسُهُ ؛ الَّذِي أَشْهَرَ عَدْلُهُ ، وَهَرَفَ فَضْلُهُ ، وَظَهَرَتْ عَلَيْهِ عِنَايَةُ رَبِّهِ ، وَكَانَ  
 الْخَضُوعَ لَهُ فِي سَلْمِهِ وَحَرْبِهِ ؛ مَوْلَانَا أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ ، وَقُدُوةُ الْمُلُوكِ الْمَجَاهِدِينَ وَالْأُمَّةِ

(١) الزيادة عن ربحانة الكتاب لأبن الخطيب وهي لازمة لاستقامة الكلام .



العارفين ؛ السعيد ، الشهيد ، الطاهر ، الظاهر ، الأوحّد الهام ، الخليفة الإمام  
(أبو الحجاج) رفع الله درجته في أوليائه ، وحسره مع الذين أنعم عليهم من أنبيائه  
وشهدهائه ؛ فومّحت المسالك وبانت ، وأشرق المعاهد وأزدانت ؛ وشمل الصنع  
الإلهي واللفظ الخفي أقطار هذه الأمة حيث كانت . ولما اختار الله له  
ما عنده ، وبلغ الأمد الذي قدره سبحانه لحياته وحده ؛ وقبضه إليه مستغفرا لذنبه ،  
مطمئنا في الحالة التي أقرب ما يكون العبد فيها من ربه ؛ كانما تأهب للشهادة  
[فاختار] مكانها وزمانها ، وطهر بالصوم نفسه التي كرم الله شأنها ، وطيب روحها  
وريحانها ؛ فوقعت آراء أرباب الشورى التي تصح الإمامة باتفاقها ، وتتعدد بعقد  
ميثاقها ؛ من أعلام العلم بقاعدة [ملكه] غرناطة حرمها الله تعالى التي غيرها لها تبع ،  
وحماة الإسلام الذين في آرائهم للدين والدنيا متفتح ؛ وخلصان الثقاة ، ووجوه  
الطبقات ، على مبايعة وارث ملكه بحقه ، الحائز في ميدان الكمال وإحراز مالا لإمامة  
من الشروط واللال خصل سبقه ؛ كبير ولده ، وسابق أمده ؛ ووارث ملكه ،  
ووسل على سلوكه ؛ وعماد قسطنطين ، وبدر الهالة من بساطه ؛ مولانا قمر العلياء ، ودرة  
الخلفاء ، وفرع الشجرة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء ؛ الذي ظهرت عليه غاييل  
الملك ناشئا ووليدا ، واستشعرت الأقطار به وهو في المهد أمانا وتمهيدا ؛ واستشرف  
الدين الحنيف فالتع جيداً ، واستأنف شباباً جديداً ؛ ناصر الحق ، وغياث الخلق ؛  
الذي تميز بالسكينة والوقار ، والحياء المنسلل الأستار ، والبسالة المروية الشفاه ؛  
والجود المنسكب الأمطار ، والعدل المشرق الأتوار ؛ وجمع الله فيه شروط الملك  
والإختيار ، مولانا ، ومحمد ديننا ودُنْيَانَا ؛ السلطان الفاضل ، والإمام العادل ؛ والهام  
الباسل ، الكريم الشامل ؛ شمس الملك وبدره ، وعين الزمان وصدره ؛ أمير المسلمين ،  
وقرة أعين المؤمنين ، أبو عبد الله : وصل الله أسباب سَعْدِهِ ، كما حَلَّى أجياد

المنابر بالدعاء تجده ؛ وجعل جُنودَ السماء من جُنُده ، ونَصَرَه بَنَصْرَه العزيز فَا النَّصْرُ  
إِلَّا مِنْ عِنْدِهِ ؛ وَرَأَوْا أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَتْ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى أَيْدِيهِمْ ، وَأَمِنْ فِي ظِلِّ اللَّهِ  
رَأَيْتُهُمْ وَغَادِيهِمْ ، وَدَلَّتْ عَلَى حُسْنِ اخِلَاطِمْ مَبَادِيهِمْ ؛ قَتَبَادُرُوا وَأَتَاَلُوا ، وَتَجَسَّرُوا  
فِي مَلَابِيسِ الْأَمْنِ وَآخْتَالُوا ؛ وَهَبُوا إِلَى بَيْتِهِ تَطْيِيرُهُمْ أَجْنَعَةُ الشَّرُورِ ، وَبُهْلَنَ  
أَبْطِلَاقُ وُجُوهِهِمْ بِانْتِشَاحِ الصُّدُورِ ؛ وَاجْتَمَعَ مِنْهُمْ طَوَائِفُ الْخَاصَّةِ وَالْمُجْهُورِ :  
مَائِينَ الشَّرِيفِ وَالْمَشْرُوفِ ، وَالرُّؤَسَاءِ أُولَى الْمَنْصِبِ الْمَعْرُوفِ ؛ وَحَمَلَةَ الْعِلْمِ وَحَمَلَةَ  
السُّيُوفِ ، وَالْأُمَنَاءِ وَمَنْ لَتَيْتُهُمْ مِنَ الْأَثُوفِ ، وَسَائِرِ الْكَافَّةِ أُولَى الْإِسْدَارِ لِمِثْلِهَا  
وَالْخُفُوفِ ؛ فَعَقَدُوا لَهُ الْبَيْعَةَ الْوَثِيقَةَ الْأَسَاسَ ، السَّعِيدَةَ بِفَضْلِ اللَّهِ عَلَى النَّاسِ ،  
الْبَرِيَّةَ عَهْدُهَا مِنَ الْإِرْتِيَابِ وَالْإِتْيَاسِ ؛ الْحَازِنَةَ شُرُوطَ الْكَمَالِ ، الْمَاحِيَةَ بُتُورَ الْبَيَانِ  
ظَلَمَ الْإِشْكَالِ ؛ الضَّمِيمَةَ حُسْنِ الْعُقْبَى وَنَجَّحَ الْمَالِ ، عَلَى مَا بُوِيَِعَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ لَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالْأَلَاءِ ؛ وَعَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، وَمُلَازِمَةِ  
السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ؛ فَأَيْدِيهِمْ فِي السَّلَامِ وَالْحَرْبِ رَدُّهُ لِيَدِهِ ، وَطَاعَتُهُمْ إِلَيْهِ خَالِصَةٌ فِي يَوْمِهِ  
وَعَدِهِ ؛ وَأَهْوَاؤُهُمْ مُتَّفِقَةٌ فِي حَالِي الشَّدَّةِ وَالرَّخَاءِ ، وَعُقُودُهُمْ مَحْفُوظَةٌ عَلَى تَدَاوُبِ السَّرَّاءِ  
وَالضَّرَّاءِ ؛ أَشْهَدُوا عَلَيَا اللَّهُ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ، وَأَعْطَوْا صَفَقَاتِ أَيْمَانِهِمْ تَشْيِيتًا لِلْوَفَاءِ  
بِهَا وَتَأَكِيدًا ، وَجَعَلُوا مِنْهَا فِي أَعْنَاقِهِمْ مِيثَاقًا وَثِيقًا وَعَهْدًا شَدِيدًا ؛ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ  
يَقُولُ : ﴿ قَدْ نَكَّتَ فَاإِمَّا يَنْتَكُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْ يَتُوبُهُ  
أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ . وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ وَعْدًا أَوْ وَعِيدًا . وَهَمَّ قَدْ بَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ  
يَسْتَرْكُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ بِالْإِخْلَاصِ وَالْإِتَابَةِ ، وَصَرَّفُوا وُجُوهُهُمْ إِلَى مَنْ أَمَرَهُمُ بِالْعَدَاءِ  
وَوَعَدَهُمُ بِالْإِجَابَةِ ؛ يَسْأَلُونَهُ خَيْرَ مَا يَقْضِيهِ ، وَالسَّيْرَ عَلَى مَا يُرْضِيهِ .

اللَّهُمَّ يَا بَاكَ عِنْدَ تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ عَرَفْنَا ، وَمِنْ بَحْرِ نِعَمِكَ الْعَمِيمَةِ أَقْتَرَفْنَا ،  
وَعَفْوِكَ سَتَرْنَا مِنْ عُيُوبِنَا كُلِّ مَا أَجْتَرَحْنَا وَأَقْتَرَفْنَا ؛ وَمِنْ فَضْلِكَ أَغْنَيْتَنَا ، وَبِعَيْنِكَ الَّتِي

لَا تَأْتُمْ حَرْسَنَا وَحِمَّتَنَا [فَانْصُرْ حِينًا وَآرَحِمْ مِيتَنَا] <sup>(١)</sup> وَأَوْزِعْنَا شُكْرَ مَا أَوْلَيْتَنَا؛ وَاجْعَلْ لَنَا الْخَيْرَ وَالْخَيْرَةَ فِي آيَةِ هَدْيَتِنَا .

اللَّهُمَّ إِنَّ قَطْرَنَا مِنْ مَادَّةِ الْإِسْلَامِ بَعِيدٌ ، وَقَدْ أَحْدَقَ بِنَا بِحَرْزٍ زَانِحٍ وَعَدُوٌّ شَدِيدٌ ، وَفِينَا أَيْمٌ وَضَعِيفٌ وَهَرِمٌ وَوَلِيدٌ [وَأَنْتَ مَوْلَانَا وَنَحْنُ عِيدٌ .

اللَّهُمَّ مَنْ بَايَعَنَا فِي هَذَا الْعَقْدِ <sup>(١)</sup> فَأَسْعَدْنَا بِبَايَعَتِهِ وَطَاعَتِهِ ، وَكَانَ لَهُ حَيْثُ لَا يَكُونُ لِنَفْسِهِ بَعْدَ اسْتِغْنَادِ جُهِدِهِ فِي التَّحْفِظِ وَاسْتِطَاعَتِهِ ؛ وَكُفَّ عَنْهُ كَفٌّ عَدْوِكَ وَعَدُوُّهُ كُلَّمَا هَبَّتْ بِهِ رِيَاحُ طَاعَتِهِ ؛ يَا مَنْ يُفْرِدُهُ الْعَبْدُ بَضْرَاعَتِهِ ، وَيُعَوِّدُ بِحِفْظِهِ مِنْ إِضَاعَتِهِ .  
اللَّهُمَّ أَدْعِنَا حَقَّهُ فَإِنَّا لَا تَقْوَى عَلَى إِدَائِهِ ، وَتَوَلَّى عَنَّا شُكْرَ مَا حَمَدْنَاهُ مِنْ سِيرَتِهِ وَسِرَةِ آبَائِهِ ، وَآحِلِهِ مِنْ تَوْفِيقِكَ عَلَى سَوَاءِهِ .

اللَّهُمَّ إِنَّا إِلَيْهِ نَاطِرُونَ ، وَعَنْ أَمْرِهِ صَادِرُونَ ، وَلِإِجْزَازِ عَيْدِكَ فِي نَصْرٍ مِنْ يَنْصُرُكَ مَسْتَظَرُونَ ، فَأَعِنَهُ عَلَى مَاقَلَدَتِهِ ، وَأَنْجِزْ لَدِينَنَا عَلَى يَدَيْهِ مَا وَعَدْتَهُ ؛ فَاسْقَدْ شَيْئًا مِنْ وَجْدِكَ ، وَلَا خَافَ مِنْ قَصْدِكَ ، وَلَا ضَلَّ مِنْ اعْتِمَادِكَ ، آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .

وكتب الملاء المذكورون أسماءهم بخطوط أيديهم في هذا الكتاب ، شاهدة عليهم بما ألزموه دُنياً وديناً ، وسلَّكوا [منه] سبيلاً ميبناً ؛ وذلك في الثاني والعشرين لشوال من عام خمس وخمسين وسبعمائة .

قلت : وقد أخبر آخر هذه البيعة بأن المبايعين للسلطان تَوَخَّذَ خُطُوطَ أيديهم في كتاب البيعة شاهدة عليهم بما بايعوا عليه . والظاهر أن كتابة البيعة عندهم كما في مكاتباتهم في طومار واحد كبير متضايق السطور ، وأنه ليس له طرة بأعلاه كما في كتابة المصريين .

(١) الزيادة عن ربحانة الكتاب لأبن الخطيب .

## الباب الثالث

من المقالة الخامسة في العهود، وفيه فصلان

### الفصل الأول

(في معنى العهد)

العهد لفظ مشترك يقع في اللغة على ستة معانٍ :

- أحدها — الأمان . ومنه قوله تعالى : ﴿ فَأَيِّمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُتَيْمِهِمْ ﴾ .
- الثاني — اليمين . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ﴾ .
- الثالث — الحفظ . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : ” حُسْنُ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ “ .

الرابع — اللّمة . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ” لَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ “ .

الخامس — الزمان . ومنه قولهم : ” كَانَ ذَلِكَ عَلَى عَهْدِ فُلَانٍ “ .

السادس — الوصية . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسَى ﴾ وهو المراد هنا .

قال الجوهري : ومنه اشتق العهد الذي يُكْتَبُ لِلْوَلَاةِ <sup>(١)</sup> .

(١) يماشى الاصل هنا حاشية نصها «ولم سابع» وهو قولهم في الدماء اللك بعد موته : سقى الله عهده برحمة أى مكانه المدنون فيه يسقى بالرحمة . فصح أن يطلق على الزمان والمكان .

## الفصل الثاني

( في بيان أنواع المهود ، وهي ثلاثة أنواع )

### النوع الأول

( عهود الخلفاء عن الخلفاء ، ويتعلق النظر به من ثمانية أوجه )

### الوجه الأول

( في أصل مشروعيتهما )

والأصل في ذلك ما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، أنه قيل لعمرو عند موته "ألا تعهد؟" فقال: ألتحل أمركم حياً وميتاً؟ إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني ، [يعني أبا بكر<sup>(١)</sup>] : وإن أترك فقد ترك من هو خير مني رسول الله صلى الله عليه وسلم . فثبت استخلاف أبي بكر رضي الله عنه بذلك ، مشيراً إلى ما روي : "أنه لما أشتد بأبي بكر الصديق رضي الله عنه الوجع ، أرسل إلى علي وعثمان ورجال من المهاجرين والأنصار ، فقال : قد حضر ما تزرون ، ولا بد من قائم بأمركم ، فإن شئتم استخرفتم لأنفسكم ، وإن شئتم استخرفتكم . قالوا : بل اختر لنا ، فأمر عثمان فكتب عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه (على ما ساقى ذكره) فقال عمر : لا أطيق القيام بأمر الناس . فقال أبو بكر هاتوا سيفي ! وتهدده فاقفاد عمر ، ثم دخل عليه طلحة فعاتبه على استخلاف عمر . قال : إن عمر والله خير لكم وأنتم شر له ، والله لو وليتكم لجلت أذنك في فقاك ، ولرقت نفسك فوق قدرها حتى يكون الله هو الذي يضعها . أتيتني وقد وكفت عينك ، تريد أن تهتلي عن ديني

وَرَدَّيْنِي عَنْ رَأْيِي ، قُمْ لَأَقَامَ اللَّهُ رَجْلَكَ ، وَاللَّهُ لَئِنْ بَلَغَنِي أَنْكَ عَمَصَصَتَهُ وَذَكَرَتَهُ بِسُوءٍ  
لَأُلْحِقَنَّكَ بِمَحْضَاتٍ قُنَّةٍ حَيْثُ كُنْتُمْ تُسْقَوْنَ وَلَا تَرَوُونَ ، وَتَرَعُونَ وَلَا تَسْمَعُونَ ، وَأَنْتُمْ  
بِذَلِكَ يَجْحُونَ رَاضُونَ ، فَقَامَ طَلْعَةُ نَفْرَجٌ ” .

قال العسكري : المحضات جمع محضة ضرب من الثبت ، والقنة أعلى الجبل .

قال الماوردي : وكان استخلاف أبي بكر رضي الله عنه عمر باتفاق من الصحابة  
من غير نكير فكان إجماعاً .

وقد عهد عمر رضي الله عنه إلى سبعة ، وهم عثمان ، ودلي ، وطلحة ، والزبير ،  
وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وتركها شورى بينهم ، فدخلوا فيها  
وهم أعيان العصر وأشراف الصحابة رضوان الله عليهم .

## الوجه الثاني

( في معنى الاستخلاف )

قال النووي رحمه الله في كتابه ” التهذيب ” في الفقه : الاستخلاف أن يجعله  
خليفة في حياته ثم يخلفه بعده . قال : ولو أوصى بالإمامة فوجهان <sup>(١)</sup> : لأنه يخرج  
بالموت عن الولاية فلا يصح منه تولية الغير . وأستشكل الزايفي رحمه الله هذا  
التوجيه بكل وصية ؛ وبأن ما ذكره من جعله خليفة بعده : إن أريد به استنابته  
فلا يكون ذلك عهداً إليه بالإمامة . وإن أريد جعله إماماً في الحال ، فهو :  
إما خلعت نفس العاهد ، وإما أجتاع إمامين في وقت واحد . وإن أريد جعله خليفة  
أو إماماً بعد موته فهو الوصية من غير فرق .

(١) أي وأصحهما عنده عدم الجواز - بدليل التعليل .

قلت : وهذا جُنُوحٌ من الرافى رحمة الله إلى صحّة الخلافة بالوصية أيضا ،  
كما تصح بالإستخلاف .<sup>(١)</sup>

### الوجه الثالث

( فيما يجب على الكاتب مراعاته )

وأعلم أنه يجب على الكاتب أن يرعى في كتابة العهد بالخلافة أموراً :

منها - براءة الإستهلال بذكر ما يتفق له : من معنى الخلافة والإمامة  
وأشتقاقيهما ، وحال الولاية ، ولقب الماهد والمعهود إليه ، ولقب الخلافة ، إلى غير  
ذلك مما سبق بيانه في الكلام على البيعات .

ومنها - أن ينبّه على شرف رتبة الخلافة ، وعزّ قدرها ، ورفعة شأنها ، وميسر  
الحاجة إلى الإمام ، ودعاية الضرورة إليه ، ونحو ذلك مما سبق في البيعات أيضا .

ومنها - أن ينبّه على اجتماع شروط الإمامة في المعهود إليه من حين صدور  
العهد بها من الماهد ، فقد قال الماوردى : إنه تُعتبر شروط الإمامة في المعهود  
إليه من وقت العهد ، حتى لو كان المعهود إليه صغيراً أو فاسقاً وقت العهد وبالقفا  
[عدلاً] عند الموت ، لم تصحّ خلافتُه حتى يستأنف أهل الاختيار بيعته . قال  
الرافى رحمه الله : وقد يتوقف في هذا . قال النووى رحمه الله في "الروضة" :  
لا توقف . والصواب ما قاله الماوردى .

ومنها - أن ينبّه على اجتهد الماهد وتروى نظره في حقّة المعهود إليه : فقد  
قال الماوردى : وإذا أراد الإمام أن يعهد بالإمامة ، فعليه أن يُجهد رأيه في الأحقّ  
بها ، والأقنوع بشروطها ، فإذا تعيّن له الاجتهاد في أحد ، عهد إليه .

(١) في الأصول كما تصح الخ والظاهر أن « لا » زائدة من النسخ تأمل .

ومنها — أن يُشير إلى تقدم الاستشارة على العهد ، وأن استشارته أدته إلى المهود إليه ؛ فإن الاستشارة أمر مطلوب في كل أمر ، خصوصاً أمر المسلمين وعموم الولاية عليهم ، فإن اختيار الله للخلق خير من اختيارهم لأنفسهم ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

ومنها — أن ينبّه على أن عهده إليه بعد مشورة أهل الاختيار وصرّاجتهم في ذلك ، وتصويبهم له ، خروجاً من الخلاف . فقد حكى الرافى رحمه الله وجهين فيما إذا كان المهود إليه أجنبياً من العاهد ليس بولد ولا والد : هل يجوز أن يتفرد بعقد البيعة له وتفويض العهد إليه ولا يستشير فيه أحداً؟ أحصهما الجواز : لأن العهد إلى عمرضى الله عنه لم يُوقف على رضا الصحابة رضوان الله عليهم ، ولأن الإمام أحق بها ، فكان اختياره فيها أمضى ، وقوله فيها أنفذ .

وحكى الماوردى في جواز انفرد العاهد بالبيعة فيما إذا كان المهود إليه والدًا أو ولدا ثلاثة مذاهب :

أحدها — ما اقتصر الرافى رحمه الله على نسبته إلى الماوردى ، ومقتضى كلامه ترجيحه : أنه يجوز الانفرد بعقدها للولد والوالد جميعاً : لأنه أمير للأمة نافذ الأمر لهم وعليهم ؛ فغلب حكم المتصّب على حكم النسب ؛ ولم يجعل للثمة طريقاً على أمانته ، ولا سبيلاً إلى معارضته .

والثانى — أنه لا يجوز انفرداه بها لولد ولا والد حتى يساور فيه أهل الاختيار فيروّنه أهلاً لها ، فيصح منه حينئذ عقد البيعة : لأن ذلك [منه] تركية [له] تجرى بجرى الشهادة ، وتقليده على الأمة يجرى بجرى الحكم ؛ والشهادة والحكم متنعان من الولد والوالد للثمة ، لما أُجبل عليه من الميل إليهما .



والثالث — أنه يجوز أن يتفرد بعقد البيعة لوالده دون ولده : لأن الطبع إلى الولد أميل ؛ فأما عقدُها لأخيه وغيره من الأقارب والمتناسين فكعقدها للأجانب في جواز الأفراد بها .

ومنها — أن ينبّه على العلم بحياة الممّهود إليه ووجوده إن كان غائباً . فقد قال السارودي : إنه لو عهد إلى غائب مجهول الحياة لم يصحّ عهده ، وإن كان معلوم الحياة صح ، ويكون موقوفاً على قدومه .

ومنها — أن ينبّه على أن الممّهود إليه منصوبٌ عليه بمفرده ، أو وقع العهد شورى في جماعة وأفضيت الخلافة إلى واحدٍ منهم بإخراج الباقيين أنفسهم منها ، أو اختيار أهل الحلّ والعقد أحدهم : إذ يجوز للخليفة أن يتعهد إلى اثنين فأكثر من غير تقديم البعض على البعض ؛ ويختار أهل الاختيار بعد موته واحداً ممن عهد إليه : فإن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه جعلها شورى في ستة ، فقال : الأمر إلى عليّ وبزائه الزبير بن العوام ؛ وإلى عثمان وبزائه عبد الرحمن بن عوف ؛ وإلى طلحة وبزائه سعد بن أبي وقاص . فلما توفى عمر رضى الله عنه ، جعل الزبير أمره إلى عليّ ، وجعل طلحة أمره إلى عثمان ، وجعل سعد أمره إلى عبد الرحمن بن عوف ؛ فخرج منها ثلاثة ، وبقيت شورى<sup>(١)</sup> في عثمان وعليّ ؛ ثم بايع عليّ عثمان . والمعنى في الشورى أنه لا يجوز أن تجعل الإمامة بعد العاهد في غير الممّهود إليهم .

ومنها — أن ينبّه على صدّ الممّهود إليهم وترتيبهم إن كان قد رتب الخلافة في أكثر من واحد ، إذ يجوز أن يتعهد إلى اثنين فأكثر على الترتيب . فلو رتب

(١) أى بعد أن أخرج عبد الرحمن منها قسه . وفي كتاب الأحكام السلطانية للسارودي فصار الشورى بعد السنة في هؤلاء الثلاثة ونرج منها أولئك الثلاثة ... ثم بعد الثلاثة في اثنين عليّ وعثمان .

الخليفة في ثلاثة مثلاً - قال : الخليفة بعدى فلان ، فإذا مات ، فالخليفة بعده فلان ؛  
 [فإذا مات فالخليفة بعده فلان] <sup>(١)</sup> كانت الخلافة منتقلة إليهم على ما رتبها . ففى صحيح  
 البخارى من رواية ابن عمر رضى الله عنهما " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 استخلف على جيش مؤتة زيد بن حارثة - وقال : إن أصيب جعفر بن أبى طالب ،  
 فإن أصيب عبد الله بن رواحة ، فإن أصيب فليرض المسلمون رجلاً ، فتقدم زيد  
 فقتل ، فأخذ الراية جعفر وتقدم فقتل ، فأخذ الراية عبد الله بن رواحة وتقدم فقتل ،  
 فاختر المسلمون بعده خالد بن الوليد " . قال الماوردى : وإذا جاز ذلك  
 فى الإمارة جاز مثله فى الخلافة . قال : وقد عمل بذلك فى الدولتين من لم يترك عليه  
 أحد من علماء العصر :

فعهد سليمان بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز ، ثم بعده إلى يزيد بن  
 عبد الملك ، وأقره عليه من عاصره من الناس ، ومن لا تأخذه فى الله لومة لائم .  
 ورتبها الرشيد فى ثلاثة من بيته : الأمين ، ثم المأمون ، ثم المؤمن ، من غير  
 مشورة من عاصره من فضلاء العلماء . <sup>(٢)</sup>

ولو قال العاهد : عهدت إلى فلان ، فإن مات فلان بعد إفضاء الخلافة إليه ،  
 فالخليفة بعده فلان ، لم تصح خلافة الثانى ، ولم ينعقد عهده بها : لأنه لم يعهد إليه  
 فى الحال ، وإنما جعله ولى عهده بعد إفضاء الخلافة إلى الأول ، وقد يموت قبل  
 إفضائها إليه فلا يكون عهد الثانى بها متبرماً .

ومنها - أن ينبّه على أن صدور العهد فى حال نفوذ أمر العاهد وجواز تصرفه ،  
 فإنه لو أراد ولى العهد قبل موت العاهد أن يرد ما إليه من ولاية العهد إلى غيره

(١) الزيادة من الأحكام السلطانية ص ١٠ ويظهر أنها سقطت من قلم النسخ .

(٢) فى " الأحكام السلطانية " من مشورة الخ حرد .

لم يُجَزَّ: لأنَّ الخلافة لا تستقرُّ إلا بعد موت المستخلف . وكذا لو قال : جعلته ولى عهد إذا أفضيت الخلافة إلى لم يُجَزَّ: لأنه ليس في الحال بخليفة، فلم يصحَّ عهده بالخلافة .

ومنها — أن يُنبَّه على قبول المهود إليه العهد، فإنه إذا عهد الإمام بالخلافة إلى من يصحَّ العهد إليه على الشروط المعتبرة فيه، كان العهد موقوفاً على قبول المهود إليه : فإن قيل صحَّ العهد وإلا فلا، حتى لو امتنع من القبول بوسع ضيره . والعبرة في زمن القبول بما بين عهد العاهد وموته على الأصح، لتثقل عنه الإمامة إلى المهود إليه مستقرة بالقبول المتقدم . وقيل : إنما يكون القبول بعد موت العاهد : لأنه الوقت الذي يصحُّ فيه نظر المهود إليه .

ومنها — أن يُورد من وصايا العاهد للمهود إليه ما يليق به . وقد ذكر الماوردي أنَّ الذي يلزمه من أمور الأئمة عشرة أشياء :

أحدها — حفظ الدين على أصوله المستقرة، وما أجمع عليه سلف الأئمة، وأنه إن نجم مبتدع أو زاغ دوشبهه عنه، أوضح له الحق، وبين له الصواب، وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود : ليكون الدين محروساً من الخلل، والأئمة ممنوعة من الزلل .

الثاني — تنفيذ الأحكام، بين المتشاجرين، وقطع الخصام، بين المتنازعين، حتى تمَّ النصبة فلا يتعدى ظالم ولا يضعف مظلوم .

الثالث — حماية البيضة، والدب عن الحرم : ليتصرف الناس في المعاش، وينتشرُوا في الأسفار آمنين من تفرير بنفس أو مال .

الرابع — إقامة الحدود لثبات محارم الله تعالى عن الإتيانك ، وتحفظ حقوق عباده من الإعتلاف والاعتساف .

الخامس — تحصين الثغور بالمعنة المانعة ، والقوة الدافعة ، حتى لا يظفر الأعداء بفرصة يتسكنون بها محرماً ، أو يستفكون فيها لمسلم أو معاهد دماً .

السادس — جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة حتى يُسلم أو يدخل في الذمة : ليقام بحق الله تعالى في إظهاره على الدين كله .

السابع — جباية<sup>(١)</sup> التّقى والصدقات على ما أوجبه الشرع نصاً واجتهاداً من غير حيف ولا عسف .

الثامن — تقدير المعطاء وما يستحق في بيت المال من غير سرف ولا تقتير ، ودفعه في وقت لا تقديم فيه ولا تأخير .

التاسع — استيفاء الأمناء ، وتقليد النصحاء ، فيما يفوضه [ إليهم من الأعمال<sup>(٢)</sup> ] ويكله إليهم من الأموال : لتكون الأعمال بالكفاة مضبوطة ، والأموال بالأمناء محفوظة .

العاشر — أن يباشر بنفسه مشاركة الأمور وتصفّح الأحوال : لينهض بسياسة الأمة ، وحراسة الملّة ؛ ولا يُعَوّل على التفويض تشاغلاً ببلد أو عبادة ، فقد يخون الأميُّ ويفش الناصح . وقد قال تعالى : ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ . فلم يقتصر الله

(١) يطلق التّقى على الغنية والخراج والمراد هنا الثاني .

(٢) الزيادة من "الأحكام" .

تعالى على التفويض دون المباشرة ، بل أمره بمباشرة الحكم بين الخلق بنفسه .  
وقد قال صلى الله عليه وسلم : " كُلُّكُمْ رَايَ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ " والله در  
محمد بن يزيد وزير المأمون ، حيث قال مخاطباً له :

مَنْ كَانَ حَارِسَ دُنْيَا إِنَّهُ قَيْنٌ \* أَنْ لَا يَنَامَ وَكُلَّ النَّاسِ تَوَامٌ !

وَكَيْفَ تَرْقُدَ عَيْنَا مَنْ تَضَيِّفُهُ \* هَبَّانِ مِنْ أَمْرِهِ : حَلِّ وَإِبْرَامُ !

وحينئذ فيجب على الكاتب أن يضم هذه الأمور العشرة في وصايا المعهود  
إليه . وقد ذكر المقتز الشهابي بن فضل الله في " التمرif " في وصية ولي العهد  
بالخلافة ومن في معناه من الملوك وولاء عهدهم هذه الأمور ممتزجة بأمر أخرى  
من مهمات الملك وحسن تديره وسياسته .

قلت : إنما يحسن إيراد هذا كله في وصايا ولادة العهد إذا كان الأمر على ما كانت  
الخلافة عليه أولاً من عموم التصرف ؛ أما الآن فالواجب أن يقتصر في وصاياهم  
على حسن التأني في العهد بالسلطنة لمن يقوم بأعبائها ، وأن يكون ماتقدم مختصاً  
بوصايا الملوك في المعهود عن الخلفاء .

### الوجه الرابع

( فيما يكتب في الطرة ، وهو تلخيص ما يتضمنه العهد )

وهذه نسخة طرة أنشأها لئسج على منوالها ، وهي :

هذا عهد إمامي قد علت جدوده ، وزاد في الارتقاء في العلاء صعوده ، وفصلت  
بالجواهر قلائده وتظلمت بنفس الدرع عقوقه . من عبد الله ووليه الإمام المتوكل

على الله أبي عبد الله محمد بن الإمام المعتضد بالله أبي الفتح أبي بكر، بالخلافة المقدسة، لولده السيد الجليل ذخيرة الدين، وولي عهد المسلمين؛ أبي الفضل العباس: بلغه الله فيه غاية الأمل، وأقر به عين الأمة كما أقر به عين أمير المؤمنين وقد فعل على ما شريح فيه.

### الوجه الخامس

(فيا يكتب لأولياء العهد من الألقاب)

[وهو] كما سيأتي في الطريقة الثانية من المذهب الأول مما يكتب في متن العهد من كلام المقر الشهابي بن فضل الله في "التمريف" أنه يقال فيه: الأمير السيد الجليل، ذخيرة الدين، وولي عهد المسلمين؛ أ ب فلان فلان. وفي المذهب الثالث فيا كتب به المستوثق بن المستكني ما يوافقه؛ وقد تقدم أنه لا يقع في ألقابهم إطناب، ولا تمدد ألقاب، فليقتصر على ذلك أو ما يشابهه.

### الوجه السادس

(فيا يكتب في متن العهد، وفيه ثلاثة مذاهب)

#### المذهب الأول

(أن يفتح العهد بعد البسملة بلفظ « هذا »)

مثل: « هذا ماعهد به فلان لفلان » أو « هذا عهد من فلان لفلان » أو « هذا كتاب أكتبه فلان لفلان » ونحو ذلك.

والكتاب فيه طريقتان:

## الطريقة الأولى ( طريقة المتقدمين )

وهي أن لا يأتي بحُطبة في أثناء العهد ، ولا يتعرض إلى ذكر أوصاف المهود إليه والثناء عليه ، أو يتعرض لذلك باختصار ؛ ثم يأتي بالوصايا ؛ ثم يختمه بالسلام أو بالدعاء أو بغير ذلك مما يُناسب . وعلى ذلك كانت جهود السلف من الصحابة والتابعين فمن بعدهم ، أتباعاً للصدق رضي الله عنه فيما كتب به لعمر بن الخطاب ، كما تقدمت الإشارة إليه في الاستشهاد .

ونسخته فيما رواه البيهقي في " السنن " وأقتصر عليه الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي في " حسن التوسل " .

« هذا ماعهد أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر عهده بالدنيا وأوله عهده بالآخرة : إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فإن برّ وعدل فلذلك ظني به ، وإن بدل أو غير فلا علم لي بالغيّب ، والخير أردت بكم ، ولكلّ أمرئ ما آكسب من الإثم : ﴿ وَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ » .

وذكر أبو هلال العسكري في كتابه " الأوائل " عن المدائني أنه حين دعا عثمان ابن عفان رضي الله عنه لكتابة العهد بالخلافة بعده قال : آكُتِبَ « هذا ماعهد أبو بكر بن أبي حفافة في آخر عهده بالدنيا [نازحاً عنها] وأول عهده بالآخرة داخلًا فيها حيث يتوب الفاجر ، ويؤمن الكافر ، ويصدق الكاذب ؛ وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وقد استخلف » - ثم دهمته غشية فكتب عثمان : « عمر بن الخطاب » . فلما أفاق ، قال : أكتبته شيئاً ؟ قال نعم عمر

(١) الزيادة من كتاب الامامة والسياسة لابن هبيرة .

ابن الخطاب . قال : « رَحِمَكَ اللَّهُ ، أَمَا إِنَّكَ لَو كَتَبْتَ نَفْسَكَ لَكُنْتَ أَهْلًا لَهَا ، أَكْتُبُ قَدْ اسْتَخْلَفَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَرَضِيَ لَكُمْ ، فَإِنْ عَدَلَ فَذَلِكَ طَلَبِي بِهِ وَرَأْيِي فِيهِ ، وَإِنْ بَدَلَ فَلِكُلِّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَطَلَبَهَا مَا أَكْتَسَبَتْ ، وَالْخَيْرُ أَرَدْتُ ، وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ : ( وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ) » .

وعلى هذه الطريقة كُتِبَ عَهْدُ عَمْرٍو بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِالْخُلَافَةِ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ؛ ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ إِلَى أَخِيهِ يُزَيْدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ .  
وهذه نسختة فيما ذكره أَبُو نُتَيْبَةَ فِي تَارِيخِ الْخُلَفَاءِ :

هَذَا مَا عَهِدَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَخَلِيفَةُ الْمُسْلِمِينَ .  
عَهِدَ أَنَّهُ يَشْهَدُ لِلَّهِ عِزَّ وَجَلَّ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَالْوَحْدَانِيَّةِ ؛ وَأَنْ عَمَدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَبْعَثُهُ إِلَى مُحْسِنِي عِبَادِهِ بِشِيرَاءٍ ، وَإِلَى مُذْنِبِيهِمْ نَذِيرًا . وَأَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مَخْلُوقَتَانِ حَقًّا : خَلَقَ الْجَنَّةَ رَحْمَةً وَجَزَاءً لِمَنْ أَطَاعَهُ ، وَالنَّارَ نِقْمَةً وَجَزَاءً لِمَنْ عَصَاهُ ؛ وَأَوْجِبَ الْعَفْوَ جُودًا وَكَرَمًا لِمَنْ عَفَا عَنْهُ . وَأَنَّ سُلَيْمَانَ مُقَرَّرٌ عَلَى نَفْسِهِ بِمَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ دُنُوبِهِ ، وَبِمَا تَعَلَّمَهُ نَفْسُهُ مِنْ مَعْصِيَةِ رَبِّهِ ؛ مُوَجِّبًا عَلَى نَفْسِهِ اسْتِحْقَاقَ مَا خَلَقَ مِنَ النِّقْمَةِ ، رَاجِيًا لِنَفْسِهِ مَا خَلَقَ مِنَ الرَّحْمَةِ وَوَعَدَ مِنَ الْعَفْوَ وَالْمَغْفِرَةِ ، وَأَنَّ الْمَقَادِيرَ كُلَّهَا خَيْرُهَا وَشَرُّهَا مَقْدُورَةٌ بِإِرَادَتِهِ ، مَكُونَةٌ بِتَكْوِينِهِ ؛ وَأَنَّهُ الْهَادِي فَلَا مُغْوِيٍّ وَلَا مُضِلٍّ لِمَنْ هَدَاهُ وَخَلَقَهُ لِرَحْمَتِهِ ، وَأَنَّهُ يُفَتِّنُ الْمَيِّتَ فِي قَبْرِهِ بِالسُّؤَالِ عَنْ دِينِهِ وَنَبِيِّهِ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَى أُمَّتِهِ ، لَا يَمْتَنِعِي لِمَنْ خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ مِنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ إِلَّا لِمَنْ اسْتَثْنَاهُ عِزَّ وَجَلَّ فِي عِلْمِهِ . وَسُلَيْمَانُ يُسْأَلُ اللَّهُ الْكَرِيمَ بِوَسَائِعِ فَضْلِهِ ، وَعَظِيمِ مَنِّهِ ، الثَّبَاتِ عَلَى مَا أَسْرَ وَأَعْلَنَ مِنْ مَعْرِفَةِ حَقِّهِ وَحَقِّ نَبِيِّهِ عِنْدَ

(١) كذا في الأصول بالنصب وكذلك وقع في كتاب الإمامة والسياسة لأبْنِ نَتَيْبَةَ .

(٢) في كتاب الإمام والسياسة لأبْنِ نَتَيْبَةَ « خَيْرُهَا وَشَرُّهَا مِنْ اللَّهِ وَأَنَّهُ هُوَ الْهَادِي الْغَالِغُ » .



مَسْأَلَةُ رُسُلِهِ ؛ وَالنَّجَاةَ مِنْ هَوْلِ فِتْنَةٍ قَتَانِيَةٍ . وَيَشْهَدُ أَنَّ الْمِيزَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَقٌّ  
 يَهْتَمُّ ، يَزِنُ سِيَّئَاتِ الْمُسِيئِينَ ، وَحَسَنَاتِ الْمُحْسِنِينَ : لِيُرَى عِبَادَهُ مِنْ عَظَمِ قُدْرَتِهِ ،  
 مَا أَزَادَهُ مِنْ [الْخَيْرِ] لِعِبَادِهِ بِمَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ؛ وَأَنَّ مِنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ  
 فَأَوَّلَتْكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَئِذٍ فَأَوَّلَتْكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ . وَأَنَّ  
 حَوْضَ عِجْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْمُتَحَرَّرِ وَالْمَوْقِفِ لِلْعَرْضِ حَقٌّ ، وَأَنَّ  
 عَدَدَ آيَاتِهِ كَعِجْوَ السَّمَاءِ ، مِنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا ، وَسَلِيمَانَ يَسْأَلُ اللَّهُ بِوَاسِعِ  
 رَحْمَتِهِ أَنْ لَا يُرَدَّهُ عَنْ حَوْضِ نَبِيِّهِ عِطْشَانًا . وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعَمْرُؤُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ  
 نَبِيِّنَا ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ بَعْدَهُمَا حَيْثُ الْخَيْرُ وَفِيمَنْ الْخَيْرُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ . وَأَنَّ هَذِهِ الشَّهَادَةَ كُلَّهَا  
 الْمَذْكُورَةَ فِي عَهْدِهِ هَذَا يَعْلَمُهَا اللَّهُ مِنْ سِرِّهِ وَإِعْلَانِهِ وَعَقْدِ ضَمِيرِهِ ، وَأَنَّهُ بِهَا عَبْدٌ رَبِّهِ  
 فِي سَالِفِ أَيَّامِهِ وَمَاضِي عُمْرِهِ ، وَطَلِبًا أَنَا هَؤُلَاءِ بَقِيَّتُ رَبِّهِ ، وَتَوْفَاهُ أَجَلُهُ ، وَعَلَيْهَا يَتَّعَتُ بَعْدَ  
 مَوْتِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَأَنَّ سَلِيمَانَ كَانَتْ لَهُ بَيْنَ هَذِهِ الشَّهَادَةِ بَلَاءًا وَسَيِّئَاتٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ<sup>(١)</sup>  
 عَنْهَا تَحِيدٌ وَلَا بَدْءٌ ، جَرَى بِهَا الْمَقْصُورُ مِنَ الرَّبِّ النَّافِدُ إِلَى إِتِمَامِ مَحَادِّهِ ؛ فَإِنْ عُبِّ  
 وَيُصَفِّحُ فَذَلِكَ مَا عُرِفَ مِنْهُ قَدِيمًا وَنُسِبَ إِلَيْهِ حَدِيثًا ، وَتِلْكَ حَصْفَتُهُ الَّتِي وَصَفَ  
 بِهَا نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ الصَّادِقِ ، وَكَلَامِهِ النَّاطِقِ ؛ وَإِنْ يُعَاقَبُ وَيَنْتَقِمُ فِيهَا قَدَمَتْ يَدَاهُ ،  
 وَمَا اللَّهُ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ . وَأَنَّ سَلِيمَانَ يُخْرِجُ عَلَى مَنْ قَرَأَ عَهْدَهُ هَذَا وَسَمِعَ مَا فِيهِ مِنْ  
 حِكْمَةٍ أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَيْهِ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ، وَعِجْدِ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ ؛ وَأَنْ يَدْعَ  
 الْإِحْنَ الْمُضْغَنَةَ ، وَيَأْخُذَ بِالْمَكَارِمِ الْمُدْجَنَةِ ؛ وَيَرْفَعَ يَدَيْهِ إِلَى اللَّهِ بِالضَّمِيرِ النَّصُوحِ  
 وَالِدُّعَاءِ الصَّحِيحِ ، وَالصَّفِّحِ الصَّرِيحِ ؛ يَسْأَلُهُ الْعَفْوَ عَنِّي ، وَالْمَغْفِرَةَ لِي ، وَالنَّجَاةَ مِنْ  
 قَزَعِي وَالْمَسَالَةِ فِي قَبْرِي ، لَعَلَّ الْوُدُودَ ، أَنْ يَجْعَلَ مِنْكُمْ مُجَابَ الدَّعْوَةِ بِمَا مِنْ اللَّهِ عَلَى

(١) فِي تَخْلَافِ الْإِمَامَةِ وَالسِّيَاسَةِ « لَمْ يَكُنْ لَهُ عَنْهَا مَحْجُوسٌ وَلَا دُونَهَا مَقْصَرٌ بِالْقَدَرِ السَّابِقِ وَأَعْلَمُ النَّافِدُ  
 فِي مُحْكَمِ الرُّوحِ فَإِنْ يَفْ » الخ .

من صفحته يعود؛ إن شاء الله. وأنّ وليّ عهد سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين، وصاحب أمره بعد موته، في جُنده وريّته وخاصّته وعامته؛ وكلّ من استخلفني الله عليه، واستمرّ في النظر فيه؛ الرجل الصالح «عمر بن عبد العزيز» بن مروان ابن عمي، لما بلّوت من باطن أمره وظاهره، ورجوت الله بذلك [ وأردت ] رضاه ورحمته إن شاء الله. ثم من بعده تُسلم إلى يزيد بن عبد الملك بن مروان إن بقي بعده، فإنّي ماريتُ منه إلّا خيراً ولا أطلعتُ له على مكروه. وصغار ولدي وبنائهم إلى عمر، إذ رجوتُ أن لا يألوهم رشداً وصلاًحاً؛ والله خليفتي عليهم وعلى جماعة المؤمنين والمسلمين وهو أرحم الراحمين؛ وأقرؤوا عهدي عليكم السلام ورحمة الله. ومن أبي أمي هذا أو خالف عهدي هذا - وأرجو أن لا يخالفه أحدٌ من أمة عهد - فهو ضالٌّ مضلٌّ يُستعْتَب؛ فإنّ أعتَبَ وإلّا فإنّي لمن صاحب<sup>(١)</sup> (؟) عهدي فيهم بالسيف السيف والقتل القتل، فإنهم مستوجبون لهم، وهم لميته ملقحون، والله المستعان، ولا حول ولا قوّة إلا بالله القديم الإحسان.

تم ذلك والحمد لله وحده، وصلواته على سيدنا عهد وآله.



وعلى نحو من ذلك كتب المأمون العباسيُّ عهداً على بن موسى العلويّ ( المعروف بالرضي ) بالخلافة بعده .

وهذه نسخة فيما ذكر صاحب المقد :

هذا كتابُ كتبه عبد الله بن هارون الرشيد أمير المؤمنين بيده، لعلّ بن موسى بن جعفر وليّ عهده .

(١) في كتاب الإمامة والسياسة « والا فالسيف والله المستعان » وهي واضحة .

أما بعد، فإن الله عز وجل أصفى الإسلام ديناً، وأصفى له من عباده رُسلًا  
 دالّين عليه، وهادين إليه، ينشرون أولهم بأخبرهم، ويصدقن تاليمهم ماضيهم؛ حتى انتهت  
 نبوة الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم على قرة من الرسل، ودروس من العلم، وأقطاع  
 من الوحي، وأقتراب من الساعة؛ فغم الله به النبيين وجعله شاهداً لهم، ومهيئاً  
 عليهم؛ وأنزل عليه كتابه العزيز الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ  
 تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾. فأحلّ وحرم، ووعد وأوعد؛ وحذر وأنذر، وأمر به  
 ونهى عنه: لتكون له المحجة البالغة على خلقه: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَيَحْيَا  
 مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ أَسْمِعُ لِلِّمْ﴾. فبلغ عن الله رسالته، ودعا إلى سيده بما  
 أمره به من الحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، ثم بالجهد والغلظة  
 حتى قبضه الله إليه، واختار له ما عنده صلى الله عليه؛ فلما أقضيت النبوة وختم  
 الله بمحمد صلى الله عليه وسلم الوحي والرسالة، جمل قوام الدين، ونظام أمر  
 المسلمين، بالخلافة وإتمامها وعزّها، والقيام بحق الله فيها بالطاعة التي تقام بها  
 فرائض الله وحُدوده، وشرائع الإسلام وسُننه، ويُجَاهد بها عدوه. فعلى خلفاء الله  
 طاعته فيما استخفّظهم وأستراحهم من دينه وعباده، وعلى المسلمين طاعة خلفائهم  
 ومعاونتهم على إقامة حق الله وعقله، وأمين السبيل وحقق الدماء، وصلاح ذات  
 البين، وجمع الافة؛ وفي إخلال ذلك اضطراب جبل المسلمين واختلالهم،  
 واختلاف ملتهم، وقهر دينهم، واستعلاء عدوهم، وتفرق الكلمة، وخسران الدنيا  
 والآخرة. لحق على من استخفّظ الله في أرضه، وأئمنه على خلقه [أن] يؤثر ما فيه  
 رضا الله وطاعته وبعد [ل] فيما الله وأفقّه عليه وسائله عنه، ويحكم بالحق ويعمل  
 بالعدل فيما حمّله الله وقلّده؛ فإن الله عز وجل يقول لنبيه داود عليه السلام:

(يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) . وقال عز وجل : (فَوَرَبَّكَ لَنَسْتَنَّهُمْ بَاطِلًا كَانُوا يَعْمَلُونَ) . وبلغنا أنَّ عمر بن الخطاب قال : « لَوْ ضَاعَتْ سَخْلَةُ بِيضِ الْفُرَاتِ لَتَخَوَّفْتُ أَنْ يَسْأَلَنِي اللَّهُ عَنْهَا » . وَأَيْمَنَ اللَّهُ إِنَّ الْمَسْئُولَ عَنْ خَاصَّةٍ نَفْسِهِ ، الْمَوْقُوفَ عَلَى عَمَلِهِ ، فَيَا بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَهُ ، لَمُتَّعُضُّ لَأَمْرٍ كَبِيرٍ ، وَعَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ ، فَكَيْفَ بِالْمَسْئُولِ عَنْ رِعَايَةِ الْأُمَّةِ ؛ وَبِاللهِ التَّقَّةُ ، وَإِلَيْهِ الْمَفْرَعُ وَالرَّغْبَةُ فِي التَّوْفِيقِ مَعَ الْعِصْمَةِ ، وَالتَّسَدِيدِ وَالْمُهْدَايَةِ إِلَى مَا فِيهِ ثُبُوتُ الْحُجَّةِ ، وَالْفَوْزُ مِنَ اللَّهِ بِالرَّضْوَانِ وَالرَّحْمَةِ . وَأَنْظَرُ الْأُمَّةَ لِنَفْسِهِ ، وَأَنْصَحَهُمْ فِي دِينِهِ وَعِبَادِهِ وَخِلَافَتِهِ فِي أَرْضِهِ ، مَنْ عَمِلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَكُتِبَ لَهُ وَسَنَةٌ نَبِيهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَدَّةِ أَيَّامِهِ ؛ وَاجْتَهَدَ وَأَجْهَدَ رَأْيَهُ وَنَظَرَهُ فِيمَنْ يُؤَلِّيه عَهْدَهُ ، وَيَخْتَارُهُ لِإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ وَرِعَايَتِهِمْ بَعْدَهُ ؛ وَيَنْصِبُهُ عَالِمًا لَهُمْ ، وَمَقَرًّا فِي جَمْعِ أُمَّتِهِمْ ، وَلَمْ شَعْنِهِمْ ، وَحَقَّنْ دِمَائِهِمْ ، وَالْأَمْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ مِنْ فُرْقَتِهِمْ ، وَفَسَادِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ ، وَرَفَعَ نَزْعَ الشَّيْطَانِ وَكَيْدِهِ عَنْهُمْ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ الْعَهْدَ بِالْخِلَافَةِ مِنْ تَمَامِ أَمْرِ الْإِسْلَامِ وَكِبَالِهِ وَعِزِّهِ وَصَلَاحِ أَهْلِهِ ؛ وَأَلْهَمَ خُلَفَاءَهُ مِنْ تَوْسِيدِهِ لِمَنْ يَخْتَارُونَهُ لَهُ مِنْ بَعْدِهِمْ مَا عَظُمَتْ بِهِ النِّعْمَةُ ، وَتَمَلَّتْ مِنْهُ الْعَافِيَةُ ، وَتَقَضَّى اللَّهُ بِذَلِكَ مَرَّ أَهْلِ الشَّقَاقِ وَالْعَدَاوَةِ وَالسَّعْيِ فِي الْفُرْقَةِ وَالرَّفْضِ لِلْفِتْنَةِ ؛ وَلَمْ يَزَلْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْدَافِضَتُهُ إِلَيْهِ الْخِلَافَةَ فَاخْتَبَرَ بَسَاطَةَ مَذَاقِهَا ، وَثِقَلُ عَمَلِهَا وَشِدَّةَ مَثْوِيَّتِهَا ؛ وَمَا يَجِبُ عَلَى مَنْ تَقَلَّدَهَا مِنْ أَرْبَابِ طَاعَةِ اللَّهِ وَمِرَاقِبَتِهِ فَيَا حَمَلَهُ مِنْهَا ؛ فَأَنْصَبَ

(١) فِي اللِّسَانِ ج ٧ ص ١٥ « الْمُرْفُوحُ الْمِيمُ الْحِلِيلُ » .

(٢) أَيْ تَرْكَهَا تَسِيرًا فِي النَّاسِ ، فَضَى اللِّسَانُ الرِّفْضَ أَنْ يَطْرُدَ الرَّجُلَ عَنْهُ وَابِلَهُ إِلَى حَيْثُ يَبْغِي قَاذَا بَلَعَتْ لَهَا عَنْهَا وَرَكَعَهَا .

(٣) لَعَلَّهُ نَازِلًا فِيهَا بِمَا يَنْقَضِيهِ مِنْهَا وَمَا يَجِبُ الْخَلْعُ بِهِ يَسْتَقِيمُ الْكَلَامُ بَعْدَ تَأْمُلٍ .

بَدَنَهُ، وَأَسْهَرَ عَيْنَيْهِ؛ وَأَطَالَ فِكْرَهُ فَمَا فِيهِ عِزُّ الدِّينِ، وَقَعُ الْمَشْرِكِينَ؛ وَصَلَحَ الْأُمَّةَ، وَنَشَرَ الْعُدْلَ، وَأَقَامَتِ الْكُتُبَ وَالسُّنَّةَ؛ وَمَنَعَهُ ذَلِكَ مِنَ الْخَفْضِ وَالذُّمَّةِ بَنِي الْعَيْشِ: عَلِمَا بِمَا اللَّهُ سَأَلَهُ عَنْهُ، وَحُجَّةٌ أَنْ يُلْقَى اللَّهُ مُنَاصِحَةً فِي دِينِهِ وَعِبَادِهِ، وَغَنَارًا لَوْلَايَةِ عَهْدِهِ، وَرِعَايَةِ الْأُمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ، أَفْضَلَ مَنْ يَقْدِرُ عَلَيْهِ فِي دِينِهِ وَوَرَعَهُ وَعِلْمَهُ، وَأَرْجَاهُمْ لِلْقِيَامِ بِأَمْرِ اللَّهِ وَحَقِّهِ؛ مُنَاجِيًا لِلَّهِ بِالِاسْتِخَارَةِ فِي ذَلِكَ، وَيَسْأَلُهُ الْهَامَةُ مَا فِيهِ رِضَاهُ وَطَاعَتُهُ فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ، وَمُعْمِلًا فِي طَلَبِهِ وَاتِّمَامِهِ مِنْ أَدْلٍ بَيْنَهُ مِنْ رَدِّ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الْعَبَّاسِ وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِكْرَهُ وَنَظَرَهُ، وَمَقْتَصِرًا فِيمَنْ حَلِمَ حَالَهُ وَمُذْجِبَهُ مِنْهُمْ عَلَى عِلْمِهِ، وَبَالِغًا فِي الْمَسْأَلَةِ عَمَّنْ خَفِيَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ جُهْدَهُ وَطَاقَتَهُ، حَتَّى اسْتَقْصَى أُمُورَهُمْ بِمَعْرِفَتِهِ، وَابْتَدَأَ أَخْبَارَهُمْ بِمُشَاهَدَةٍ، وَكَشَفَ مَا عِنْدَهُمْ مُسَاعَلَةً؛ فَكَانَتْ خَيْرَتُهُ بَعْدَ اسْتِخَارَتِهِ لِلَّهِ وَإِجْهَادِهِ نَفْسَهُ فِي قَضَاءِ حَقِّهِ وَبِلَادِهِ، مِنْ الْبَيْتَيْنِ جَمِيعًا «عَلِيَّ بْنُ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ» بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: لِمَا رَأَى [مِنْ] فَضْلِهِ الْبَارِعِ، وَعِلْمِهِ النَّاصِحِ؛ وَوَرَعِهِ الظَّاهِرِ، وَزُهْدِهِ الْخَالِصِ، وَتَحْلِيهِ مِنَ الدُّنْيَا، وَتَسْلَمَتِهِ مِنَ النَّاسِ؛ وَقَدْ اسْتَبَانَ لَهُ مَا لَمْ تَرَبِ الْأَخْبَارُ عَلَيْهِ مَتَوَاطِئَهُ، وَالْأَلْسُنُ عَلَيْهِ مُتَّفَقَةً وَالْكَلِمَةُ فِيهِ جَامِعَةٌ؛ وَلَمَّا لَمْ يَزَلْ يَعْرِفُهُ بِهِ مِنَ الْفَضْلِ يَافِعًا وَنَاشِئًا، وَحَدَّثًا وَمُكْتَبَلًا؛ فَقَدَّ لَهُ بِالْعَقْدِ وَالْخِلَافَةِ إِيثَارًا لِلَّهِ وَالذِّينِ، وَنَظَرًا لِلْمُسْلِمِينَ، وَطَلِبًا لِلسَّلَامَةِ وَثَبَاتِ الْحُجَّةِ وَالنَّجَاةِ فِي الْيَوْمِ الَّذِي يَقُومُ النَّاسُ فِيهِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ .

وَدَعَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَدَهُ، وَأَهْلَ بَيْتِهِ، وَخَاصَّتَهُ، وَقَوَّادَهُ، وَخَدَمَتَهُ، فَبَايَعُوهُ مُسْرِعِينَ مُسْرُورِينَ، عَالِمِينَ بِإِيثَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ طَاعَةِ اللَّهِ عَلَى الْهَوَى فِي وَلَدِهِ وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ هُوَ أَشْبَهُكَ بِهِ رَحِمًا وَأَقْرَبُ قَرَابَةً، وَسَمَّاهُ «الرِّضَى» إِذْ كَانَ رِضْيًا عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

فبايُوهَا مَعَشَرَ بَيْتِ أمير المؤمنين وَمَنْ بالمدينة المحروسة من قُوَّاده وَجُنَّده ، وعامة المسلمين « الرِّضَى » من بعده ، على أَسْمِ الله وبركته وَحُسْنِ قضاياهِ لدينه وعباده ؛ ببيعة ميسوطة إليها أَيْدِيكُمْ ، منشِرحَةً لها صُدُورُكُمْ ، عالمين بما أراد أمير المؤمنين بها ، وآتِر طاعة الله والنظر لنفسه ولكم فيها ، شاكرينَ لله على ما ألهم أمير المؤمنين من نَصَاحَتِهِ في رِعايَتِكُمْ ، وخرصة على رُشْدِكُمْ وَصَلَاحِكُمْ ، راجينَ عائده في ذلك في جمع أَلْفَتِكُمْ ، وَحَقْنِ دِمَائِكُمْ ، وَلَمْ شَعْبِكُمْ ، وَسَدِّ ثُغُورِكُمْ ، وَقُوَّةِ دِينِكُمْ ، وَرَغْمِ عَدُوِّكُمْ ، وَأَسْتِقَامَةِ أُمُورِكُمْ . وسارعُوا إلى طاعة الله وطاعة أمير المؤمنين ، فإنه الأمرُ إن سارعْتُمُ إليه ، وحَدِّثْتُمُ الله عليه ؛ عَرَقْتُمُ الحَظَّ فيه . إن شاء الله تعالى .



وعلى هذه الطريقة كتب الوزير أبو حفص بن بُرْدَعَهْدَ الناصر لدين الله عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر العاصريّ ، عن المؤيد بالله هشام بن الحكم الأمويّ ، الخليفة بالأندلس . وهذه نسخته :

هذا ما عهد هشامُ المؤيد بالله أمير المؤمنين إلى الناس عامه ، وعاهد الله عليه من نفسه خاصّة وأعطى به صَفَقَةً يمينه ببيعة تامّة ؛ بعد أن أنتم النظر وأطال الاستخارة وأهمه ما جعل الله إليه من الإمامة ؛ وعَصَبَ به من أمر المؤمنين ، وأتقَى حُلُولَ القَدَرِ بما لا يؤمّن ، وخافَ نُزُولَ القضاء بما لا يُصَرَفُ ، وَخَشِيَ أن يَهْمَ محتومٌ ذلك عليه ، ونَزَلَ مقدوره به ، ولم يرفعْ لهذه الأُمّة علماً تأوى إليه ، وملجأ تنعطف عليه ، أن يكونَ يلقى ربه تبارك وتعالى مقرّطاً ساهياً عن أداء الحق إليها ؛ ويُفَمِّصَ عند ذلك من أحياء قُرَيْشٍ وغيرها من يستحقُّ أن يُسندَ هذا الأمرُ إليه ، ويُعوّل في القيام به عليه ؛ ويستوجبُه بدينه وأمانته ، وهديه وصيانته ؛

بعد أطراح الهوى والتحرى للحق ، والتلف إلى الله جلّ جلاله بما يرضيه .  
وبعد أن قطع الأواصر ، وانحط الأقارب ؛ فلم يجد أحداً أجدر أن يوليه عهده ،  
وفوض إليه الخلافة بعده : لفضل نفسه ، وكرم خيمه ، وشرف مرتبته ، وطو  
منصبه ؛ مع ثقه وعفافه ، ومعرفته وحزمه وقاوته ؛ من المأمون العيب ، الناصح  
الطيب «أبي المطرف عبد الرحمن بن المنصور» أبي عامر محمد بن أبي عامر وفقه  
الله ؛ إذ كان أمير المؤمنين - أيده الله - ابتلاه وأخبره ، ونظر في شأنه واعتبره ؛  
فراه مسارعا في الخيرات ، سابقا في الحلبات ؛ مستوليا على الغايات ، جامعاً للأثرات ؛  
ومن كان المنصور أباه ، والمظفر أخاه ؛ فلا غرو أن يبلغ من سبيل البر مداه ،  
ويجوى من خلال الخير ما حواه ؛ مع أن أمير المؤمنين - أيده الله - بما طالع من  
مكتون العلم ، ووعاه من مخزون الأثر ؛ يرى أن يكون ولي عهده القحطاني الذي  
حدث عنه عبد الله بن عمرو بن العاص وأبو هريرة : أن النبي صلى الله عليه وسلم  
قال : « لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بمصاه » فلما  
استوى له الاختيار ، وتقابلت عنده فيه الآثار ؛ [و] لم يجد عنه مذهباً ، ولا إلى غيره  
معدلاً ، صرح إليه في تدبير الأمور في حياته ، وفوض إليه الخلافة بعد وفاته ؛ طامعا  
راضياً مجتهداً ، وأمضى أمير المؤمنين هذا وأجازته وأنفذه ، ولم يشترط فيه متنوية  
ولا خياراً ؛ وأعطى على الوفاء به في سره وجهره وقوله وفعله عهد الله وميثاقه ،  
وزمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وذم الخلفاء الراشدين من آبائه ؛ وذمة نفسه :  
أن لا يسدل ، ولا يغير ، ولا يحول ، ولا يزول ؛ وأشهد الله على ذلك والملائكة  
( وكفى بالله شديداً ) . وأشهد من أوقع اسمه في هذا ، وهو جازر الأمر ، ماضى  
القول والفعل ، بمحض من ولي عهده المأمون أبي المطرف عبد الرحمن بن المنصور  
وفقّه الله ، وقبوله ما قلده ، وإلزامه نفسه ما ألزمه ؛ وذلك في شهر ربيع الأول

سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة . وكتب الوزراء والقضاة وسائر الناس شهاداتهم بخطوط أيديهم بذلك .

### الطريقة الثانية

(طريقة المتأخرين من الكُتاب)

أن يأتي بالتحديد في أثناء العهد، ويأتي من ألقاب ولي العهد بما يناسب على الاختصار، وعليها أقصر المقر الشَّهَابِي بن فضل الله في "التعريف" فقال : وأعلم أن عهود الخلفاء عن الخلفاء لم تجر عادة من سلف من الكُتاب أن يستفتحها إلا بما يذكر، وهو :

«هذا ما عهد [به] عبد الله ووليه فلان أبو فلان الإمام الفلاني أمير المؤمنين، عهد إلى ولده، أو [إلى] أخيه الأمير السيد الجليل، ذخيرة الدين، وولي عهد المسلمين أبي فلان فلان، أيده الله بالتمكين، وأمدّه بالنصر المبين، وأقرّبه عين أمير المؤمنين» . ثم يُنْفِق كل كاتب بعد هذا على قدر سمعته، ثم يقول :

«أما بعد، فإن أمير المؤمنين يحمّد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ويصلّي على نبيه محمّد صلى الله عليه وسلم» ويخطب في ذلك خطبة يُكثر فيها التّحميد وينتهي فيه إلى سبعة؛ ثم يأتي بعد ذلك بما يناسب من القول : يصف فكر الذي يعهد فيمن بعده، ويصف المعهود إليه بما يليق من الصفات الجليلة . ثم يقول : «عهد إليه وقلده بعده جميع ما هو مقلده، لما رآه من صلاح الأئمة، أو صلاح الخلق، بعد أن استخار الله تعالى في ذلك، ومكث مدة يتدبر ذلك ويروى فيه فكره وخاطرّه، ويستشير أهل الرأي والنظر، فلم يراقوم منه بأمور الأمة ومصالح



الدنيا والدين» ومن هذا ومثله ؛ ثم يقال : «إنَّ المهودَ إليه قَبِلَ ذلك منه» وإتى في ذلك بما يليق من تحاسن العبارة وأحاسين الكلام .

قلت : ولم أَظْفَرُ بنسخة عهدٍ على هذا الأسلوب الذى ذكره المقر الشهابى ؛ وقد أنشأت عهدًا على الطريقة التى أشار إليها ، امتحانًا للخطاط : لأنَّ يكونَ عن الإمام المتوكل على الله أبى عبد الله محمد بن المعتضد أبى الفتح أبى بكر ، خليفة العصر ، لولده العباس : ليكونَ أَمْوَدَجًا يُنْسَجَ على مِنواله .

ومن غريب الإفتاق أنى أنشأته فى شُهور سنة إحدى وثمانمائة امتحانًا للخطاط كما تقدم ، وضمته هذا الكتابَ وتعداى الحالُ على ذلك إلى أن قبَضَ الله تعالى الإمامَ المتوكلَ - قدس الله تعالى رُوحه - فى سنة ثمان وثمانمائة ؛ فاجمع أهلُ الحلِّ والعقد على مبايعته بالخلافة ؛ فبايعوه وحققَ الله تعالى ما أجزاه على اللسان من إنشاء العهد باسمه فى الزَّمن السابق ؛ ثم دَعَتْنِي داعيةٌ إلى التمثُلِ بين يديه الشريفتين فى مستَهَلِّ شهر ذى القعدة الحرام سنة تسع وثمانمائة ، فقرأته عليه من أوله إلى آخره ، وهو مُصَنِّعٌ له مظهرُ الأبتهاج به ؛ وأجاز عليه الجائزة السنية . ثم أنشأتُ له رسالةً وضممتُ إليها وأُورِعتْ بخزانته العالية عَمَرها الله بطُولِ بقائه .

وهذه نسخته :

هذا عهدٌ سعيدُ الطالع ميمونُ الطائر ، مباركُ الأول جميلُ الأوسط حميدُ الآخر ؛ تشهد به حضراتُ الأُملاك ، وترقُّه كَفُّ الثَّريَّا بأفلامِ القَبُولِ فى صحائفِ الأفلاك ؛ وتبَاهى به مُلُوكُ الأرض ملائكةَ السماء ، وتَسْرى بَنَشْرِهِ القَبُولُ إلى الأقطار فتَنشُرُله بكلِّ ناحيةٍ علما ، وتُطْلِعُ به سعادةُ الجَدِّ من مُلُوكِ العَدَلِ فى كُلِّ أَفُقٍ نَجما ، وترقُص من فرحها الأنهار فتَقَطُّها شمسُ النَّهار بذهَبِ الأصيلِ على صَفَحاتِ الماء ؛ عهدٌ به

عبد الله ووليه أبو عبد الله محمد المتوكل على الله أمير المؤمنين إلى ولده السيد  
الجليل عده الدين وذخيره ، وصني أمير المؤمنين من ولده وخيره ؛ المستعين بالله  
أبي الفضل العباس بلغ الله فيه أمير المؤمنين غاية الأمل ، وأقر به عين الخلافة  
العباسية كما أقر به عين أبيه وقد فعل .

أما بعد ، فالحمد لله حافظ نظام الإسلام وواصل سببه ، ورافع بيت الخلافة  
وماذ طنبه ، وناظم عقد الإمامة المعظمة في سلك نبي العباس وجاعلها كلمة باقية  
في عقبه .

والحمد لله الذي عدى أمر الأمة منهم بأعظمهم خطرا ، وأرفعهم قدرا ؛  
وأرجحهم عقلا وأوسعهم صدرا ، وأجزلهم رأيا وأسلمهم فكرا .

والحمد لله الذي أقر عين أمير المؤمنين بخير ولي وأفضل ولد ، وشذ أزره باكرم  
سيد وأعز سند ، وصرف اختياره إلى من إذا قام بالأمر بعده قيل هذا الشبل  
من ذاك الأسد .

والحمد لله الذي جمع الآراء على اختيار العاهد فما قلوه ولا رفضوه ، وجبل  
القلوب على حب المعهود إليه فلم يروا العُدول عنه إلى غيره بوجه من الوجوه .

والحمد لله الذي جند للرعية نعمة مع بقاء النعمة الأولى ، وأقام لأمر الأئمة من  
نبي عم نبيه المصطفى الأولى بذلك فالأولى ، وأختار لعهد المسلمين من سبقت إليه  
في الأزل إرادته فأصبح في النفوس معظما وفي القلوب مقبولا .

والحمد لله الذي أضحك الخلافة العباسية بوجود عباسها ، وأطاب بذكره رايها  
فتمطر الوجود بطيب أنفاسها ؛ ورفع قدره بالمهد إليه إلى أعلى رتبة مئيفه ،

وَحَصَّه بِمِشَارِكَةِ جَدِّهِ الْعَبَّاسِ فِي الْإِسْمِ وَالْكُنْيَةِ فَفَازَ بِمَا لَمْ يَفْزَ بِهِ قَبْلَهُ مِنْهُمْ سِتٌّ وَأَرْبَعُونَ خَلِيفَةً .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَوْجَبَ عَلَى الْكَافَّةِ طَاعَةَ أَوْلَى الْأَمْرِ مِنَ الْأَثَمَةِ ، وَأَلَزَمَهُمُ الدُّخُولَ فِي بَيْعَةِ الْإِمَامِ وَالْإِقْيَادَ إِلَيْهِ وَلَوْ كَانَتْ عَبْدًا أَسْوَدَ فَكَيْفَ بِنِ اجْتِمَاعِ عَلَى سُودِّهِ الْأَثَمَةِ ، وَأَوْصَحَ السَّبِيلَ فِي التَّعْرِيفِ بِمَقَامِ الْإِكْلِ وَالْعِتْرَةِ النَّبَوِيَّةِ (فَلَا يَكُنْ أَمْرًا عَلَيْكُمْ غَمًّا) .

يَحْتَدُّهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا مَنَعَهُ مِنْ طَيْبِ أُرُومَةٍ سَمَتْ أَصْلًا وَزَكَتْ فَرْعًا ، وَحَبَّاهُ مِنْ شَرَفٍ مَحْتَدٍ رَاقٍ نَظَرًا وَشَاقٍ سَمْعًا ، وَوَصَلَهُ بِهِ مِنْ نِعَمٍ آثَرَتْ نَفَاعًا وَآثَرَتْ نَفْعًا ، وَيَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً يَتَوَارَثُهَا كَالْخِلَافَةِ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ ، وَيُوصَى بِهَا أَبَدًا الْأَوَّلُ مِنْهُمْ الْآخِرُ ، وَيُؤَذَّنُ قِيَامُهُمْ بِنُصْرَتِهَا أَنَّهُمْ مَعْدَنُ جَوْهَرِهَا النَّفِيسِ وَنِظَامُ عَقِيدِهَا الْفَائِزِ ، وَيَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، الَّذِي خَصَّ عَمَّهُ الْعَبَّاسَ بِكَرِيمِ الْحَيَاءِ وَشَرِيفِ الْإِنْفَاقَةِ ، وَنَبَّهَ عَلَى بَقَاءِ الْأَمْرِ فِي بَيْنِهِ بِقَوِيٍّ ضَلَّ مَنْ أَظْهَرَ عِنَادَهُ أَوْ أَضْمَرَ خِلَافَهُ ؛ حَيْثُ أَسْرَأَ إِلَيْهِ : ” أَلَا أَبْشُرُكَ يَا عَمُّ بِخُتْمِ النَّبُوَّةِ وَبِوَلَدِكَ تُخْتَمُ الْخِلَافَةُ “ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَوَحَّجَهُ صَلَوةً تَعْمُ بَرَكَتُهَا الْوَلَدَ وَالْوَالِدَ ، وَيَشْمَلُ مَعْرُوفَهَا الْمَعْهُودَ إِلَيْهِ وَيَعْرِفُ شَرَفَهَا الْمَاهِدَ ، وَيَعْتَرِفُ بِفَضْلِهَا الْمُقَرَّرَ وَلَا يَسْعُ أَنْكَارُهَا الْجَاهِدَ ؛ مَانُوهُ بِذِكْرِ الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ عَلَى أَعْوَادِ الْمَنَازِرِ ، وَخَفَقَتِ الرِّايَاتُ السُّودُ عَلَى عِصَاكِ الْمَوَاكِبِ وَمَوَاكِبِ الْمَسَاكِرِ ؛ وَسَلِّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

(١) ذَكَرَ اسْمَ الْعَدَدِ عَلَى حَدِّ مَا أَنْشَدَهُ الْقُرَءَاءُ .

أَمْرًا عَلَيْكُمْ غَمًّا \* وَأَنْتَ خَلِيفَةُ ذَلِكَ الْكَمَالِ

هذا وكل راجع مشئول عن رعيته، وكل أمرئ محمول على نيته، غير بظواهره عن جميل ما أكتفه في صدره وما أمره في طويته؛ والإمام منصوب للقيام بأمر الله تعالى في عبادته، مأمور بالنصيحة لهم جند طاقته وطاقته أجرياده، مطلوب بالنظر في مصالحهم في حاضر وقتهم ومستقبله وبدء أمرهم ومعاذته؛ ومن ثم اختلفت آراء الخلفاء الراشدين في العهد بالخلافة وتباينت مقاصدهم، وتوعدت اختياراتهم بحسب الاجتهاد واختلفت مواردهم؛ فعهد الصديق إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه متبثاً، وتركها عمر شورى في ستة وقال: «أتحمل أمركم حياً وميتاً!» وأتى رضى الله عنه لكل من المنهين بما أذن له الخضم وسلم، فقال: «إن أعهد فقد عهد من هو خير مني أبو بكر، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني رسول الله صلى الله عليه وسلم» فاخذ الخلفاء في ذلك بستهما، ومشوا فيه على طريقتهما؛ فن راعى عن العهد وراعى فيه، وعاهد إلى بعيد منه وآخر إلى ابنه أو أخيه؛ كل منهم بحسب ماؤدى إليه أجهاده، وتقوى عليه عزيمته ويترجح لديه أعماده.

ولما كان أمير المؤمنين - أحسن الله مآبه - قد تور الله عين بصيرته، وخصه بظاهرة سره وصفاء سريره؛ وآتاه الله الملك والحكمة، وأقامه لمصالح الرعية وصلاح أمر الأمة؛ وعلمه مما يشاء فكان له من علم الفراسة أوفر قسم، وأصطفاه على أهل عصره وزاده بسطة في العلم والحسب؛ فلا يعزّم أمراً إلا كان رشاداً، ولا يعتمد فعلاً إلا ظهر سداداً، ولا يرتضى رأياً إلا أتى صواباً، ولا يشير بشيء إلا حُمدت آثاره بدايةً ونهايةً واستصحباً؛ ومع ذلك فقد بلا الناس وخبرهم، وعلم بالتجربة حالهم وخبرهم، وأطلع بحسن النظر على خفايا أمورهم، وما به مصلحة خاصتهم ومجهورهم؛ وترجّح عنده جانب العهد على جانب الإهمال، ورأى المبادرة إليه أولى من الإهمال؛ ولم يزل يروى فكرته، ويحمل رويته؛ فيمن يصلح لهذا الأمر

بعده ، ونهض بأعبائه النبيلة وحده ؛ ويتبع فيه سبله ويسلك طرائقه ، ويقضى في السيرة الحسنة أثره ويشيم في العدل بوارقه ؛ ويقبل على الأمر بكلية ويقطع النظر عما سواه ، ويتفرغ له من كل شاغل فلا يخلطه بما عداه .

وقد علم أن الأحق بأن يكون لها خليفا من كان بها خليفا ، والأولى بأن يكون لها قرينا من كان بوصلها حقيقا ، والأجدر أن يكون لديها مكيئا من اتخذ معها يدا ، وإلى مرضاتها طريقا ، والأليق بمنصبها الشريف من كان بطلوبها مليا ، والأحرى بمكانها الرفيع من كان بمقصودها ويفا ، والأوفق لمقامها العالي من كان خيرا مقاماً وأحسن ندبا ؛ وكان ولده السيد الأجل أبو الفضل المشار إليه هو الذي وجهت الخلافة وجهها إلى قبلته ، وبالقت في طلبه وألحت في خطبته ؛ على أنه قد أريض بلانها ورثي في حجرها ، وأنسب إليها بالبئوة فضمته إلى صدرها ، وكيف لانتسبت ببعاله ، وتعلق بأذياله ، وتطمع في قربه ، وتتعالى في حبه ، وتبذل إلى أنسه ، وتزوده عن نفسه ، وهو كنفوها المستجيع لشرائطها المتصيف بصفاتها ، وتسيبها السامى إلى أعاليها الراقى على شرفاتها ، إذ هو شبلها النائي في آجامها ، بل أسدنا الحامى لجمها ومجيرها الوافى بذماتها ، وفارسها المقدم في حلبة سباقها ووارثها الخائر لجميع سرامها ، وحاكمها الطائع لأمرها ، ورشيدها المأمون على سرها ، وناصرها القاتم بواجبها ، ومهديها الهادى إلى أفضل مذاهبها ؟ قد ألحف من الخلافة برذاتها ، وسكن من القلوب في سويداتها ، وتوسمت الآفاق تفويض الأمر إليه بعد أبيه فظهر الخلق في أرجائها ، وأتبع سيرة أبيه في المعروف وأقتفى أثره في الكرم ، وتشبه به في المقامر (ومن يسأه أبه قاتلم) وتقبل الله دعاء أبيه فوهب له من لدنه وليا ، وأجاب نداه فيه ففكن له في الأرض وآناه الحكيم صبيا ، فاستوجب أن يكون حفيظا للمسلمين ولى عنهم ، واليا على أمورهم وحلهم وعقدهم ، متكفلا بالأمر في قربه وبعده ،

مُعِينًا لِأَيِّهِ فِي حَيَاتِهِ خَلِيفَةً لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ؛ وَأَنْ يَصْرَحَ لَهُ بِالِاسْتِغْلَافِ وَيُوضَحَ ،  
وَيَتَوَلَّوْهُ بِلسَانِ التَّفْوِيزِ ( أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلَحْ ) .

وَأَقْنَضَتْ شَفَقَةً أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَأَقَتَهُ ، وَرَفَقَهُ بِالْأَمَّةِ وَرَحْمَتَهُ ؛ أَنْ يَنْصَبَ لَهُمْ  
وَلِيُّ عَهْدٍ يَكُونُ بِهِذِهِ الصِّفَاتِ مُتَّصِفًا ، وَمِنْ بَحْرِهِ الْكَرِيمِ مَقْتَرِفًا ، وَمِنْ ثِمَارِ مَعْرُوفِهِ  
الْمَعْرُوفِ مَقْتَلِفًا ؛ وَلَمَنْتَهُ الْعَذْبَ وَارِدًا ، وَعَلَى بَيْتِهِ الشَّرِيفَ وَسَائِرِ الْأَمَّةِ بِالْخَيْرِ  
عَائِدًا ؛ فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ هُوَ مُسْتَكْمِلٌ لْجَمِيعِهَا ، مُسْتَوْعِبٌ لِأَصُولِهَا وَفُرُوعِهَا ، وَهُوَ بِمَقْلُوبِهَا  
أَمَلِي ، وَعَلَى قُلُوبِ الرِّعْيَةِ أَهْلِي ؛ وَلِلْفَلِيلِ أَشْفَى ، وَبِالْعَهْدِ الْجَمِيلِ أَوْفَى ؛ مِنْ وَلَدِهِ  
الْمُشَارِ إِلَيْهِ . فَاسْتَشَارَ فِي ذَلِكَ أَهْلَ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ مِنْ قُضَايَةِ وَعِلْمَانِهِ ، وَأَمْرَانِهِ  
وَوُزَرَاءِهِ ، وَخَاصَّتِهِ وَذَوِيهِ ، وَأَقَارِبِهِ وَبَنِيهِ ، وَأَعْيَانِ أَهْلِ الْعَصْرِ وَطَائِفَتِهِ ، وَجُمْهُورِهِ  
وَكَلَّتِهِ ؛ فَرَأَاهُ صَوَابًا ، وَلَمْ يَرَهُمْ فِيهِ ظَنَّةٌ وَلَا مُسْتَرَابًا ، وَلَا وَجَدَ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَى بَابِ  
غَيْرِهِ طَرِيقًا وَلَا إِلَى طَرِيقِ غَيْرِهِ بَابًا ؛ فَاسْتَخَارَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ فَأَقْبَلَ خَاطِرُهُ الشَّرِيفُ  
عَلَيْهِ ، وَكَرَّرَ الاسْتِخَارَةَ فَلَمْ يَجِدْ عَنْهُ مَحِيدًا إِلَّا إِلَيْهِ .

فَلَمَّا رَأَى أَنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ قَدْ أُنْعَقِدَ عَلَيْهِ الْإِجْمَاعُ قَوْلًا وَفِعْلًا ، وَعُدِمَ فِيهِ الْمَخَالِفُ  
بَلْ لَمْ يَكُنْ أَصْلًا ؛ حَمْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَأَثْنِي عَلَيْهِ ، وَسَلَّاهُ التَّوْفِيقَ وَرَغِبَ إِلَيْهِ وَجَدَّدَ  
الِاسْتِخَارَةَ وَعَيَّدَ إِلَيْهِ بِأَمْرِ الْأَمَّةِ ، وَقَلَّدهُ مَا هُوَ مُتَقَلِّدُهُ مِنَ الْخِلَافَةِ الْمَقْدَّسَةِ بَعْدَهُ  
عَلَى عَادَةٍ مِّنْ تَقَدَّمَهِ مِنَ الْخُلَفَاءِ الْمَاضِينَ ، وَقَاعِدَةٍ مِّنْ سَلَفِ مِنَ الْأَمَّةِ الْمُهَيِّدِينَ ؛  
وَفَوْضَ إِلَيْهِ مَا هُوَ مِنْ أَحْكَامِهَا وَلَوَازِمِهَا ، وَأَصُولِهَا وَسَعَالِمِهَا : مِنْ عَهْدٍ وَوَصَايَةٍ ،  
وَعَزْلِ وَوَلَايَةٍ ؛ وَتَفْوِيزٍ وَتَقْلِيدٍ ، وَأَتْرَاجٍ وَتَخْلِيدٍ ؛ وَتَغْيِيرٍ وَجَمْعٍ ، وَإِعْطَايَةٍ  
وَمَنْعٍ ، وَوَصْلِ وَقَطْعٍ ؛ وَصِلَةٍ وَإِذْرَارٍ ، وَتَقْلِيلٍ وَإِثْكَارٍ ؛ جُزْئِيًّا وَكُلِّيًّا ، وَخَفِيًّا

وجلبها، ودانها وقاصيها، وطائعا وعاصيا، فتويعها شرعيا، تاما مرضيا، جامعا لأحكام الولاية جمعا يعم كل نطاق، ويسرى حكمه في جميع الآفاق، ويدخل تحته سائر الأقاليم والأمصار على الإطلاق؛ لا يغير حكمه، ولا يغيّر رسمه؛ ولا يطيش سهمه، ولا يافل نجمه .

قيل للمهود إليه - أعلى الله مقامه - ذلك بمحض من القضاة والحكام، والعلماء الأعلام؛ ولزم حكمه وأنبرم، وكتب في سجلات الأفلاك وأرسم، وحملت رسائله مع برد السحاب فطافت به على سائر الأمم؛ وهو - أباه الله - مع ما طمعت عليه طباؤه السليمة، وجلبت عليه سجاياه الشريفة وأخلاقه الكريمة؛ قد تلقى عن أمير المؤمنين من شريف الآداب ما عُدّ به في مهده، وتلقف منه من حسن الأدوات ما يرويه بالسند عن أبيه وجده؛ مما أطلع في صفاء ذهنه الصفيّل وأنشأ في فهمه، واختلط من حال طفولته بدمه ولحمه وعظمه؛ حتى صار طينا ثانيا، وخلفا على ممر الزمان باقيا؛ واجتمع لديه الغريز فكان أصلا ثابتا، وقرعا على ذلك الأصل القوى ثابتا؛ لكن أمير المؤمنين يوصيه تبركا، ويشرح له ما يكون به - إن شاء الله - متمسكا؛ والمرء إلى الأمر بالخير مندوب، ووصية الرجل لبيه مطلوبة فقد قال تعالى: ﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾ .

فعليك بمراقبة الله تعالى قرن راقب الله تجا، و [اجعل] التقوى رأس مالك : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ وألجأ إلى الحق فقد فاز من إلى الحق لجأ؛ وكتب الله هو الحبل المتين، والكتاب المبين؛ والمنهج القويم، والسبيل الواضح والصراط المستقيم؛ فتمسك منه بالعروة الوثقى، وأسلك طريقته المثلى وأهتد بهديه فلا تضل ولا تشقى؛ وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم عليك بالإقتداء بأفعالها الواضحة، والإصغاء لآثار أقوالها الشارحة؛ عالما بأن الكتاب والسنة أخوان لا يفترقان،

وَمُتَلَاذِمَانِ بِجَبَلِ التَّيَّانِ لَا يَتَذَمَّانِ ، وَالْإِلَادَ وَالرَّعَايَا خَطُوهَا بَنَفَرِكَ مَا اسْتَطَعْتَ ،  
وَتَثَبَّتْ فِي كُلِّ قَطْعٍ وَوَصَلَتْ فَانْتَ مَسْئُولٌ عَنْ كُلِّ مَا وَصَلَتْ وَقَطَعْتَ ، وَالْأَلَّ  
وَالْعِتْرَةَ النَّبَوِيَّةَ فَفِيهِمَا حَقُّ الْقَرَابَةِ مِنْكَ وَمَنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي  
أَشْرَقَتْ بِهِ ، وَأَعْلَمَ أَنَّكَ إِذَا أَكْرَمْتَ أَحَدًا مِنْهُمْ فَإِنَّمَا أَكْرَمْتَهُ بِسَبِيهِ ، وَأَتَّبِعْ فِي السَّيْرِ  
سِيْرَةَ آبَائِكَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ لَا تَتَرَفَّغْ عَنْهَا ، وَلَا تَعْمَلْ إِلَّا بِهَا وَبِمَا هُوَ - إِنْ  
اسْتَطَعْتَ - خَيْرٌ مِنْهَا ، وَأَقِفْ فِي الْمَعْرُوفِ آثَارَهُمُ الْمُقَدَّسَةَ لِتَحْوِي مِنَ الْمَأْثِرِ مَا حَوَوْا ،  
وَأَحْذِ حَذَرَهُمْ فِي طَرِيقِهِمُ الْمُبَارَكَةِ وَأَبْنِ الْمَجْدَ كَمَا بَنَوْا ، وَأَخِي مِنَ الْعَمَلِ سَنَةُ سَلَكِ  
الْمُصْطَفِيِّينَ الْأَخْيَارِ ، وَأَحْرِضْ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْأُتَمَّةِ الَّذِينَ يُظْلَمُ اللَّهُ تَحْتَ عَرْشِهِ :  
﴿ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ .  
وَأَسْلَفَ خَيْرًا تَذَكُّرُهُ عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي ، وَيَنْظِمُ ذِكْرَهُ فِي عُقُودِ الْأَيَّامِ كَمَا تَنْظِمُ فِي السَّلَكِ  
الْأَلْيَافِ ، وَلْيَكُنْ قَصْدُكَ وَجْهَ اللَّهِ لِيَكُونَ فِي نُصْرَتِكَ فَإِنَّ مَنْ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى فِي نُصْرَتِهِ  
لَا يَلِيْ ، وَلْتَعْلَمْ حَقُّ الْيَقِينِ أَنَّ حَسَنَةَ الْإِمَامِ تُضَاعَفُ بِحَسَبِ مَا يَتَرَبَّعُ عَلَيْهَا مِنْ  
الْمَصَالِحِ أَوْ يَتَجَنَّدُ بِسَبَبِهَا ، وَسَيِّئَتُهُ كَذَلِكَ فَمَنْ سَرَّ سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ إِثْمُهَا وَإِثْمُ مَنْ  
عَمِلَ بِهَا ، وَدُرٌّ مَعَ الْحَقِّ كَيْفَ دَارَ وَمِلَّ مَعَهُ حَيْثُ مَالٌ ، وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ  
مَا يَقُومُ حَتَّى يَغَيِّرُوا مَا بَأْتِيَهُمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ  
مِنْ وَالٍ ، وَلَا تُحْطَرُّ بِيَالِكَ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ آتَى إِلَيْكَ بِقُوَّةٍ ، أَوْ يَفْرُكَ مَا قَدَّمَ مِنْ  
النَّهْيِ عَلَيْكَ فَالْثَّأُثْرُ بِالْمُدْحِ يُحِلُّ بِالْمُرُوقِ ، وَلَا تَتَكَلَّ عَلَى نَسَبِكَ فَمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ أَذْخَلَهُ  
الْجَنَّةَ وَلَوْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا ، وَمَنْ عَصَاهُ أَذْخَلَهُ النَّارَ وَلَوْ كَانَ هَاشِمِيًّا قُرَشِيًّا ، وَاسْتَنْصِرْ  
اللَّهَ يَنْصُرْكَ وَاسْتَعِزْ بِهِ يَكُنْ لَكَ عَوْنًا وَظَهِيرًا ، وَاسْتَهْدِهِ يَهْدِكَ ﴿ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًّا  
وَنَصِيرًا ﴾ وَكُنْ [مِنْ] اللَّهِ خَائِمًا وَمِنْ مَكْرِهِ مِنَ الْمُشْفِقِينَ ، فَإِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مِنْ  
يَسَّاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقِينَ .



هذا عهد أمير المؤمنين إليك ، وصيته ثملى عليك ؛ ﴿ وَذَكَرْنَاكَ الَّذِي كُنَّا  
تَتَّقُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ والله تعالى يبلغه منك أملا ، ويحقق فيك علما ويزكي بك عملا ؛  
والاعتماد على الخط المقدس الإمامي المتوكل - أعلاه الله تعالى - أعلاه ، حجة فيه  
إن شاء الله تعالى .

### المذهب الثاني

( أن يقتح العهد بعد البسملة بلفظ « من فلان إلى فلان » كما يكتب في المكاتبات  
ثم يأتي بالعبدية ويأتي بما يناسبه مما يقتضيه الحال من ذكر الولاية ،  
وصف المتولي ، واختيار المولى له ونحو ذلك )  
ثم قاعدة تكليهم أنهم يأتون بعد ذلك بالتحديد في أثناء العهد .

وهذه نسخة عهد من ذلك ، كتبت بها عن الحافظ لدين الله الفاطمي ، لولده  
حيدرة بأن يكون ولي عهد الخلافة بعده ؛ وليس فيها تعرض لتحديد أصلا ، وهو .  
من عبد الله وليه عبد المجيد أبي الميمون الحافظ لدين الله أمير المؤمنين ،  
إلى ولده وتجليه ، وسلاطته الطاهرة وتسله ، والمجتمع على شرفه والعامل بمرضاة  
الله في قوله وفعله ، وعقده وحله ؛ الأمين أبي تراب حيدرة ، ولي عهد  
أمير المؤمنين ، عليه السلام .

سلام عليك : فإن أمير المؤمنين يحمّد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن  
يصلّي على جدّه محمد خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، صلّى الله عليه وعلى آله الطاهرين ،  
الأئمة المهديين ؛ وسلم تسليما .

أما بعد ، فإن الله تعالى ليديع حكيمه ، ووسيع رحمته ، استودع خلفاءه من خلقه  
وبرآءه ، وأستكنى أسمائه من صوره وذوّاه ؛ وربهم مرتبة النفوس من الأجساد ،

وَتَزَلُّمَ بِمَازَلَةِ الضَّيَّامِ مِنَ الْأَزْنَادِ ؛ وَجَعَلَهُمْ مُسْتَعْدِمِينَ لِأَفْكَارِهِمْ فِي مَصَالِحِ الْبَرِيَّةِ  
الَّتِي غَدَتْ فِي أَمَانِهِمْ ، وَحَصَلَتْ فِي صَمَانِهِمْ ؛ فَظَلَّتْ فِي ذِمَامِهِمْ ، وَسَعِدَتْ فِي عِزِّ  
مَقَامِهِمْ وَظَلَّ أَيَّامُهُمْ : لِأَنَّهُمْ نُصِبُوا لِلنَّظَرِ فِيهَا جَلٌّ وَدَقٌّ ، وَتَمِعُوا لِرَاحَةِ الْكَافَّةِ تَعْمًا  
صَعْبٌ وَعَظْمٌ وَشَقٌّ ؛ وَكَانَ ذَلِكَ سِرًّا مِنْ أَسْرَارِ الْحِكْمَةِ ، وَضَرْبًا مِنْ أَفْضَلِ تَذْوِيرِ  
الْأُمَّةِ ؛ إِذْ لَوْ سَاوَى بَيْنَ الرَّئِيسِ وَالْمَرْئُوسِ ، وَالسَّائِسِ وَالْمُسَّوسِ ؛ لَأَخْطَطَ  
الْخُصُوصُ بِالْمُؤْمُومِ ؛ وَلَمْ يَبْقَ فَرْقٌ بَيْنَ الْإِمَامِ وَالْمَأْمُومِ .

وَقَدْ آسَتْخَلَصَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَشْرَفِ أُسْرَةٍ وَأَكْرَمِ عَصَابَةٍ ، وَأَيَّدَهُ فِي جَمِيعِ  
آرَائِهِ بِالْحَزْمَةِ وَالْجَرَالَةِ وَالْأَصَالَةِ وَالْإِصَابَةِ ؛ وَقَطَعَى لِأَغْرَاضِهِ أَنْ يَكُونَ السَّعْدُ لَهَا  
خَادِمًا ، وَحَمَّ لِمَقَاصِدِهِ أَنْ يُصَاحِبَهَا التَّوْفِيقُ وَلَا يَتَفَكَّ لَهَا مُلَازِمًا ؛ وَجَمَعَ لَهُ مَا تَفَرَّقَ  
فِي الْخَلِيقَةِ مِنَ الْمَقَاتِرِ وَالْمَنَاقِبِ ، وَأَلْهَمَهُ النَّظَرَ فِي حُسْنِ الْخَوَاتِمِ وَحَمِيدِ الْعَوَاقِبِ .

وَلَمَّا كَانَ وَلِيُّ عَهْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَكْبَرَ أَبْنَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَالْمُنْتَهَى لِأَشْرَفِ  
الْمَرَائِبِ مِنْ تَقَادُمِ السِّنِّينِ ؛ وَقَدْ آسْتَوْلَى عَلَى الْفَخْرِ بِاِكْتِسَابِهِ وَأَتَتْسَابِهِ ، وَتَصَدَّتْ لَهُ  
مُخْطَوِبَاتُ الرُّتَبِ لِحُجُوزِهَا بِاسْتِحْقَاقِهِ وَأَسْتِجَابِهِ ؛ وَلَهُ مِنْ فَضِيلَةِ ذَاتِهِ مَا يَدُلُّ عَلَى  
النَّبِإِ الْعَظِيمِ ، وَطَلَبِهِ مِنْ أَنْوَارِ النِّيَّةِ مَا يَهْتَدِي بِهِ السَّارِي فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ ؛ وَحِينَ حَوَى  
تَالِدَ الْفَخْرِ وَطَارِفَهُ وَلَمْ يَسْتَفِنْ بِالْقَدِيمِ عَنِ الْحَدِيثِ وَلَا بِالْحَدِيثِ عَنِ الْقَدِيمِ ؛  
وَالصِّفَاتُ إِذَا اخْتَلَفَتْ أَرْبَابُهَا لَا تَقَعُ إِلَّا دُونَهُ ، وَالثَّوَابُ الْجَزِيلُ مِمَّا أَعَدَّهُ اللَّهُ  
لِلَّذِينَ يُخْلِصُونَ فِيهِ وَيَتَوَلَّوْنَهُ ؛ وَلِفَخْرِهِ بِأَنْ خُصَّ مِنَ الْعِنَايَةِ الْمَلَكُوتِيَّةِ بِالْحِظِّ الْأَجْزَلِ ،  
وَلِيَسْمَعَ عَلَى الْبَرَاءِ لِيَكُونَ مَدْمُوحًا بِالْكَتَابِ الْمَنْزَلِ ؛ وَلِيَبْدُخَ فَإِنْ وَصَفَهُ لَا تَبْلُغَ غَايَتُهُ  
وَإِنْ آسَتْخَدِمَتْ فِيهِ الْفِكْرُ ، وَلِيَبْجَحَّ فَإِنْ فَضَلَهُ لَا يَدْرِكُ حَقِيقَةَ إِلَّا إِذَا تَلَيْتَ السُّورَ ،  
فَامْتَعَهُ اللَّهُ بِمَوَاهِبِهِ لَدَيْهِ وَأَمَتَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ ، وَأَجْرَى أُمُورَهُ عَاجِلًا وَأَجَلًا بِسَبَبِهِ .

رأى أمير المؤمنين أن يختصه بولاية عهد أمير المؤمنين تميزاً له بهذا النعت الشريف، وسموا به إلى ما يجب تجده الشايع وعمله المنيب؛ وأقتداءً بأسلافه الأئمة الأطهار فيما يسرفون به أبناءهم الأكرمين، وتخصيصاً له بما يبقى فخره على متجدد الأزمان ومتطاول السنين. وأمر أمير المؤمنين أن يُختير من رجال دولته، وجُوه أجناده وشيعته؛ طائفة يكونُ إليه أئمتاؤها، وإلى شرف هذا النعت آتسبأها واعتراؤها؛ فتوسم بالطائفة المهدية، وتحظى إذا أخلصت في الولاية بالسعادة الدائمة الأبدية؛ وتظل موقوفة على خدمته، متصرفة على أوامره وأمثله؛ منتهية في طاعته إلى أغراضه وآرائه، ملازمة للأزم المتعين من ملازمة الخدمة في مواضعه؛ والله تعالى يجعل ما رآه أمير المؤمنين من ذلك كافلاً بالخيرات، ضامناً لشمول المنافع وعموم البركات؛ إن شاء الله تعالى: والسلام على ولي عهد أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.



وهذه نسخة بولاية العهد من خليفة لولده بالخلافة على هذه الطريقة، من إنشاء القاضي الفاضل؛ أتى فيها بالتحميد بعد التصدير ثلاث مرّات، وهى:

من عبد الله ووليه فلان أبى فلان الإمام الفلانى إلى فلان الفلانى، والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم على نحو ما تقدم في العهد قبله.

أما بعد، فالحمد لله الذى استحق الحمد بفضلِهِ، وأجرى القضاء [على ما أراده] <sup>(٢)</sup> ووسّع الجرائم بعفوهِ وعدله؛ وصرف المراحم بين قوله وفعله، وأعلى منار الحق

(١) لعل هذا جواب الشرط في أول الفقرة قبل ويكون العامل في حين بعده محذوفاً دل هذا

طيه - تأمل.

(٢) يياض في الأصل والتصحيح من المقام.

وأرشد إلى أهله ؛ واختار الإسلام ديناً وعصم المعتنقين بحبله ، وأوضح سبل النجاة بما أوضح لسالكيه من سبله ؛ وتعالى علاه إلى الصفات ، فلم يُوصَفَ بمثل قوله : **(لَيْسَ كَمِثْلِهِ)** وتزه عن اشتراك التشبيهات ، في كلِّ جليل الوصف مستقَّله وغير مستقَّله ؛ ولمَّ ما اشتملت عليه خطرات الأسرار ، وأشارت إليه نظرات الأنصار ، وأُفترجت عنه غمرات الأخطار ، وأخفته سترات الظلماء ، وباحث به جَهْرَات الأنوار : **(سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ)** .

والحمد لله الذي جعل الدين عنده الإسلام ، فمن آتبعني غيره ضلَّ المنهج ، وأبعد المخرج ، واستلحق الخدج ، وغلط المخرج ، وفارق النور الأبلج ، وركب الطريق الأتوَج ، وأنى يوم القيامة باللسان الملتج ؛ ومن أسلم وجهه إليه فاز بالسعي النجيج ، وحاز المتجر الربيع ؛ وورد المورِد الأحمَد ، ويَمِّ القصد الأقصَد ، ووجد الحَدَّ الأشعد ، وسلك المنهج الأرشَد ؛ فهو العروة الوثقى ، والطريقَةُ المثلى ، والدرجة العليا ، وأمر به خير المرسلين ، المتعوت في سِيرِ الأولين ، المبعوث بالحق المبين ، والقائم رسولاً في الأميين ، والمهادى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، والداعي الذي من أجابه وآمن به شُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه وأُجِرَ من ذنابِ السيم ، والمستقل [بالعبء<sup>(١)</sup>] العظيم ، بفضل ما يُمنَح من الخلق العظيم ، والممدوح بقوله : **(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ وَجِيمٌ)** .

والحمد لله الذي وصل النبوة بالإمامة ، وجعلها كلمة باقية في عقبه إلى يوم القيامة ، وخصها بالخصائص التي لا تنبئ إلا لسامِّ الكرامه ، وأجارها خلقه من متاليب

الطامة وبوادي الندامة، وهدى بشرف مقامه إلى دار المقامه، وأسترد بأنوار تديره من ظلام الباطل الطلame، وأحسن بما أجزاه من نظره النظر للخاصة والعامه،  
 ﴿ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِين ﴾ .

يحمده أمير المؤمنين أن رفته إلى ذلك المحل المنيف، وأستعمر به المقام الشريف،  
 وأظهر كلمة الدين الخفيف، ونفى عنه تعالى العمق وتجديف التحريف،  
 وبين بموافقة توفيق هديه طريق التكليف، وأمدّه بمواد إلهية تستشفي عن  
 التعريف، وتصل فتقطع مواد التكيف .

ويسأله أن يصلّي على جدّه عجل الذي نسخ بشرعته الشرائع، وهذب بهدياته  
 المشارع، وأيده بالحجج القواطع، والأنوار السواطع، وجعل من ذريته جبال الله  
 القوارع، ومن مشكاته نجوم الهدى الطوالع، وعدقت صنائه بالله إذا أفتخرت  
 المنعمون بالصنائع، وعلى أخيه وأينا أمير المؤمنين على بن أبي طالب المخصوص  
 بأخوته، وأبي الثقلين من عترته، والسابق إلى الإسلام فهو بمسده أبو عذريته،  
 وإلى تفريح الكرب عن وجهه في الحرب فهو أبن يجديته . وعلى الأئمة من ذريتهما  
 مصابيح الظلمات، ومفاتيح الشكوك المبهمات، والمنوحين من شرف السمات،  
 ماجل عن المسامات، والممدوحين بفضل الجاه في الأرضين والسّموات .

وإن الله يحكمته اليديه، ورحمته الوسيعة، أقام الخلفاء خلقه قواماً وبحقه  
 قواماً، وجعل نار الحوادث بنورهم برداً وسلاماً، وجعل لهم الهداية بأمره زاماً،  
 وأستصرف بهم عن الخلق عذاب جهنم ﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً ﴾ ؛ فهم أرواح  
 والخلائق أجسام، وصباح المسالك أظلام، وثمرات الوجود أحكام، وحكام  
 والحقائق أحكام، يسهرون في منافع الآثام وهم نيام، وينفردون بوصب النصب

وَيُقِرُّدُونَهُمْ بِلَذَاتِ الْجَسَامِ ، وَيَهْتَدُونَ بِهَدَايَاتِهِمْ إِلَى مَا تَدْنُقُ عَنْهُ حَوَائِطُ الْأَنْهَامِ ،  
وَلَا يُدْرِكُ إِلَّا بَوَاسِطُ الْهَامِ . وَقَدْ أَصْطَفَى اللَّهُ الْأَمِيرَ مِنْ تِلْكَ الْأُمَرَاءِ ، وَرَقَّاهُ شَرَفُ  
تِلْكَ الْمَنَاسِرِ وَمُلْكُ تِلْكَ الْأَسْرَةِ ، وَأَنَارَ بِمَقَامِهِ نُجُومَ السَّعَادَةِ الْمُسْتَسِيرَةِ ؛ وَاسْتَعْدَمَ  
الْعَالَمَ لِأَغْرَاضِهِ ، وَسَدَّدَ كُلَّ سَهْمٍ فِي رَمْيِهِ إِلَى أَغْرَاضِهِ ، وَأَقْرَضَ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا  
فَهُوَ وَاقِعٌ بِحُسْنِ عَوَاقِبِ إِقْرَاضِهِ ، وَأَقْرَضَ طَاعَتَهُ فِي خَلْقِهِ فَالْسَّعِيدُ مِنْ تَلْقَى طَاعَةَ  
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِإِقْرَاضِهِ ، وَأَمْضَى أَوَامِرَهُ عَلَى الْأَيَّامِ فَمَا يَقَالُهَا صَرْفٌ مِنْ صُرُوفِهَا  
بِإِعْتِرَاضِهِ ، وَأَدَارَ الْحَقَّ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ ، وَكَشَفَ لَهُ مَا اسْتَجَنَّ تَحْتَ اسْتَارِ الْأَقْدَارِ ،  
وَوَقَفَ الْخَلِيفَةُ وَالنَّصْرَةُ عَلَى آرَائِهِ وَرَايَاتِهِ فَهُوَ الْمُسْتَشَارُ وَالْمُسْتَخَارُ ، وَأَلْهَمَهُ أَنْ يَحْفَظَ  
لِلْأُمَّةِ غَنَمَهَا كَمَا حَفِظَ لَهَا يَوْمَهَا ، وَأَنْ يُجَرِّىَ لَهَا مَوَارِدَ تَوْفِيقِ الْإِرْتِبَادِ وَلَا يُطِيلَ  
حَوَمَهَا ؛ وَأَنْ يَجْعَلَ الْمُؤْمِنَ عَلَى تَلَجٍّ مِنَ الصُّدُورِ ، وَقَلْبٍ مِنَ الظُّهُورِ ، وَيُودِعَ عِنْدَهَا  
بَرْدَ الْيَقِينِ بِالْإِشَارَةِ إِلَى مُسْتَوْدَعِ النُّورِ ؛ وَيَجْعَلَهَا عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَتَقِيْعُهَا ،  
وَيُجَلِّهَا بِمَنْزِلَةِ الْخَضْبِ فَتَرْتِمُهَا ؛ وَيُعْلِمَ نَدَى خَيْرِهِ لِيَكُونَ غَايَتَهَا وَمَقْرَعَهَا ، وَيُعرفَهَا  
مَنْ تَنْظُرُهُ فَتَنْتَظِرُهُ مَالَهَا وَمَرْجِعُهَا ؛ وَيَقْتَدِي فِي ذَلِكَ بِسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ فِي يَوْمِ الْقَدِيرِ ،  
وَيُشِيرُ إِلَى مَنْ يَقُومُ بِهِ الْمَشِيرُ مَقَامَ الْبَشِيرِ .

وَلَمَّا كُنْتُ حَافِظَ عَهْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالسَّيِّدِ الَّذِي لَا بُدَّ أَنْ يُتَوَجَّعَ بِهِ السَّرِيرُ ،  
وَالنَّجْمِ الَّذِي لَا بُدَّ أَنْ نَسْتَطِيلَ إِلَى أَنْوَارِهِ وَنَسْتَطِيرَ ، وَالذَّخِيرَةِ الَّتِي أَدْنَحَهَا اللَّهُ لَنَيْلِ  
كُلِّ خَطَرٍ وَدَفَعَ كُلَّ خَطِيرٍ ، وَالسَّحَابِ الَّذِي فِيهِ الثَّجُّ الْمَطِيرُ ، وَالتَّجْمُ الْمُنِيرُ ، وَالرَّجْمُ  
الْمُنِيرُ ، وَقَدْ تَجَلَّتْ لَكَ أَوْجُهُ الْكَرَامَاتِ وَتَبَيَّنَتْ ، وَتَبَرَّجَتْ لَكَ مَخْطُوبَاتُ الْمَقَامَاتِ  
وَتَصَبَّنَتْ ، وَطَلَبَتْكَ كُفًفًا لَنَيْلِ عَقِيلَتِهَا وَسُكْنَى مَعْقِلِهَا فَمَا تَعَدَّتْ ، وَأَدَّتْ إِلَيْكَ  
لَطَائِفَ فَهْمِكَ مِنْ أَسْرَارِ الْحَقَائِقِ مَا أَدَّتْ ؛ وَهَرَفَتْ مِنْ سِيمَاكَ هَدَى النُّبُوَّةِ ،  
وَأَجْتَمَعَ لَكَ مَرْيَةُ الشَّرَفَيْنِ مِنَ الطَّرَفَيْنِ الْأَيُّوَةُ وَالنُّبُوَّةُ ، وَأَخَذَتْ كِتَابَ الْحِكْمَةِ

وَمَصُونُ الْعِصْمَةِ بَقُوهُ ، وَأَجْرَتِ الْقُلُوبَ الَّتِي بِسَوَارِضِ الشَّكِّ تَمُوتُهُ ، وَآهَرَتِ الْعَقَائِدَ  
الَّتِي بِنَوَاقِضِ الْعَقْدِ مَمْلُوءُهُ ، وَغَدَتِ وَجُوهُ الْأَنَامِ بِأَيَّامِكَ مَجْلُوءُهُ ، وَتَوَافَقَتِ الْأَلْسُنُ عَلَى  
مَدْحِكَ وَلَا مِثْلَ مَا مُدِحَتْ مِنَ الْآيَاتِ الْمُتْلُوءُهُ ، وَكَنتَ بِحَيْثُ تَنْهَبُ بِالْأَهْوَالِ  
الْمُسْتَلُوءُهُ ، وَتُقْبِلُ بِالْأَمَالِ الْمَرْجُوءُهُ ، وَلَوْ أَنَّ رَبَّنَا ضَلَّ لَهْدَاهُ نُورُكَ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ ،  
وَلَوْ أَنَّ ذِكْرَكَ شَدَّ لَتَبَدَّى فِي الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ، وَلَوْ أَنَّكَ طَلَعْتَ عَلَى الْأَوَّلِينَ  
لَمَا تَسَاءَلُوا وَلَا اخْتَلَفُوا فِي النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ، وَلَوْ أَنَّ قَدِيمًا عَلَا فَوْقَ كُلِّ حَدِيثٍ لَقَامَ لَكَ  
الْحَدِيثُ مَقَامَ الْقَدِيمِ ، وَلَوْ أَنَّ جَمِيعَ الْأَنَامِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ لَصَعِدَتْ دُونَهُمُ الْمَقَامَ  
الْكَرِيمِ ، وَلَوْ أَنَّ يَدَكَ الْبَيْضَاءُ تَجَسَّمَتْ لِلنَّاطِرِينَ لِأَعَدْتَ آيَةَ مُوسَى الْكَلِيمِ ، وَلَوْ أَنَّ  
هِدَايَتَكَ الْفَرَاءَ تَسَمَّتْ لِلذَّاكِرِينَ لِأَحْيَيْتَ بِهَا الْعِظَامَ وَهِيَ رِيمٌ ، وَلَوْ أَنَّ عُلُومَكَ  
أَنْتَشَرَتْ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ لَتَلَوَّا : ( زَوْفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عِلْمٌ ) وَلَوْ أَنَّ لَيْلَةَ وِلَادَتِكَ رَصَّتْهَا  
الْبَصَائِرُ ، رَأَتْ كَيْفَ يُفَرِّقُ فِيهَا كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ، وَالصِّفَاتُ إِذَا أَحْتَفَلُ أَرْبَابُهَا وَقَفَتْ  
لَكَ عِيِيدًا ، وَالْأَيَّامُ إِذَا كَانَتْ ظُرُوفًا لِفَضَائِلِكَ كَانَتْ كُلُّ يَوْمٍ مِنْهَا لِلْعَبِيدِ عِيْدًا ،  
وَالْأَنْسَابُ إِذَا عُدَّتْهَا كَانَ الْجَدُّ سَعِيدًا ، فَلْتَفَخَّرْ قَبْلَ السَّيْرِ بِأَنْ أَمْلَيْتَ عَلَيْهَا السُّورَ ،  
وَأَشِيرْ بِأَنْ الْمُنْتَظَرُ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ لَكَ فَوْقَ مَا تَعَجَّلُهُ النَّظَرُ ، وَأَسْتَمِخْ بِأَنْ سَادَةَ الْقِبَائِلِ  
مُضَرٌّ وَأَنْكَ بَعْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سَيِّدٌ مُضَرٌّ ، وَأَبْدِخْ بِأَنْكَ عِرَوضٌ مِنْ كُلِّ مَنْ غَابَ  
وَمَاعَنْكَ عِرَوضٌ فِي كُلِّ مَنْ حَضَرَ ، وَأَبْجِخْ بِأَنْكَ قَدْ أَهْلَتْ لِأَمْرِ أَبِي اللَّهِ لَهُ إِلَّا الْأَوَّلَى  
الْعَزْمُ وَالْخَطَرُ ، وَأَشْكِرْ اللَّهَ عَلَى نِعْمَةِ خَلْقِكَ لَهَا بِقَدَرٍ ، وَمَزِيَّةٍ لَا يُوقَى حَقُّهَا مِنْ أَضْمَرِ  
فَاغْرَقَ أَوْ نَطَقَ فَشَكَرَ : وَقُلِ ( الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ  
هَدَانَا اللَّهُ ) : ( وَقُلْ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ  
وَأَنْ أَتَمَلَّ صَلَاحًا تَرْضَاهُ ) .

فإليك هذا الأمر يصبر، وأنت له والله لك نعم المولى ونعم النصير، وتأهب له في درجته التي لا ينالها باع قصير، ولا يتطيرها إلا من اختاره الله على علم من أهل الثقلين ولو أن بعضهم لبيض ظهير، ولا نرى لها أهلاً إلا من أراه الله من آياته أنه هو السميع البصير، وفاوض أمير المؤمنين في مشكلات الأمر ولا يبتذك مثل خير، وأقند منه بمن هو [في] أهل دهره وصي الوصي ونظير النذير، وأهتد بئوره الذي هو بالور البائن دون الخلق بشير، وسر إذا استعملك الله فيهم بما رأيت أمير المؤمنين به فيهم يسير، وأدع الله بأن يسر على يدك متاحهم إن ذلك على الله يسير، وأعرف ما أترك الله به من أنه لم يجعل ليدك كفوفاً إلا ذا الفقار ولا لقدمك كفوفاً إلا المنبر والسرير، وتحدثت بنعمة الله وإجرائها فإمير المؤمنين اليوم عليك أمير وأنت غداً على المؤمنين أمير : ﴿ هذا من فضل ربي ليؤتي أشكرهم أكفرهم ومن شكر فأنما يشكر لنفسه ﴾ .

وأما العدل وإفاضته ، والجور وإناضته ، والصعب ورياضته ، والجذب وترويضه ، والطلب وتفويضه ، والجهد ورفع علمه ، والذب عن دين الله وحفظ حرمه ، والأمر بالمعروف ونشر دوائه ، والنهي عن المنكر وطي اعتدائه ، وإقامة الحد بالصفح والحد ، والمساواة في الحق بين المولى والعبد ، وبث دعوة الله في كل غور من البلاد وتجد ، وأمر عباد الله إن عباد الله في زمك الرغد ، فذلك عهد الأئمة الراشدين ، وهو إليك من أمير المؤمنين ، عهد مؤكد العقيد : وهو سنة فضل الخلق التي لا تجحد لها تحويلاً ، ومعنى العهد الذي أمر الله بالوفاء به فقال : ﴿ إن العهد كان مستولاً ﴾ .

وهل يوصي البحر بتلاطم أمواجه؟ وتدأع أفواجه؟ وبتأخر عجاجه؟ وهل يحض البدر المنير على أن يغير سراجة ، ويطلع ليتضح للسالك منهاجها؟ أو ينبه على هدايته



إذا تهادته أبرأجه ؟ عليك من سرائر أنوار الله ما يُغنيك أن تُوصى ، ولديك من  
ظواهر لطائف الله ما يميز به عن الخلق إذ اُخفيت به مخصوصا ، ومن شواهد اختيار  
الله ما تظاهرت عليك آياته نُصوصا ، فيسلام الله يحبك المؤمنون ، وبالاعتلاق  
بعصمة ولائك في يوم الفرع الأكبر يأمنون ، والله منجز لك وعده كما أنجزه لمن  
جعلهم أئمة لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ، والله سبحانه يهدي إليك نحية من  
عنده مباركة طيبة ، ويُسدي إلى مقام شرفك محابة رحمة غدقة صبيه ، ويجعل  
ماراه أمير المؤمنين من ولايتك عهدا ، وكفالتك للأمة بعده ، للسرّات ناظما ،  
وللأسامات حاسما ، وللبركات جامعا ، وللباطل خافضا وللحق رافعا . وأمر أمير المؤمنين  
أن يعين على رجال من أولياء دولته ، ووجوه شيعته ، وأنصار سريته ، عده يكون  
إليك اعتراضا وبك اعتراضا ، وببابك العالى إقامتها وإلى جانبك أنحيارها ، فتكون  
موسومة بالعبودية ، ومتعرضة بالولاء للسعادة الأبدية ، فتمثل على ما تمثل من  
المراسم ، وتصرف على ما تصرفها عليه من العزائم ، وتكون أبدا لما ينقذ عنك من  
أحكام الهبات والمكّارم ، وتقوم من ملازمة الخدمة في موائيك بما هولكل خادم  
فرض لازم ، وتُسارع في مطالبك إلى ما يُسارع إليه الحازم ، وتُجود باسماء الإنعام  
بالصدق الساجم . وتقدر لها من الواجبات والزّادات ما تقتضيه همم المكّارم ، تبذل  
في الخدمة الإجتهد ، وتُتافس فيها تستمد [به] الخطوة بحضرته والإحماد ، وعرضها  
من الإحسان الجلم للزّيادة ، وبلغها المراد بما تبلغ بها من المراد : لتتشف بأن تكون  
تحت ركابه العالى متصرفه ، وتفتخر بأن تكون أنسابها باسمه العالى متشرفه ؛  
إن شاء الله تعالى .

## المذهب الثالث

(أن يَفْتَحَ العهد بعد البسملة بخطبة مفتحة بـ «والحمد لله» ثم يَأْتِيَ بالبعدية،

ويَأْتِيَ بما يَنَاسِبُ الحال على نحو ما تقدم، وعليه عمل أهل زماننا

مع الاختصار على تحميدة واحدة، والاختصار في القول)

وهذه نسخة أوردها علي بن خلف من إنشائه في كتابه "مواد البيان" لترتيب

الكتابة في زمن الفاطميين، وهي :

الحمد لله مُعِزُّ دِينِهِ بِخُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَصَرِّبَ حَقَّهُ بِأَوْلِيَائِهِ الْهَادِينَ؛ الَّذِي اخْتَارَ  
دِينَ الْإِسْلَامَ لَصَفْوَتِهِ مِنْ بَرِيَّتِهِ، وَخَصَّ بِهِ مَنْ اسْتَخْلَصَهُ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ؛ وَجَعَلَهُ  
حَبْلَهُ الْمَتِينَ، وَدِينَهُ الَّذِي أَطْهَرَهُ عَلَى كُلِّ دِينٍ؛ وَسَبِيلَهُ الْأَفْصَحَ، وَطَرِيقَهُ الْأَوْضَحَ؛  
وَأَبْتَعَتْ بِهِ نَبِيَّهٖ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فَصَدَعَ بِأَمْرِهِ، وَأَعْلَنَ بِذِكْرِهِ؛ وَالنَّاسُ فِي فِتْرَةٍ  
الضَّلَالَةِ، وَغَمْرَةِ الْجَهَالَةِ؛ فَلَمَّا أُنْجِزَ فِي نُصْرَةِ حَقِّهِ، وَتَأَيَّدَ لِسُعدَاءِ خَلْقِهِ [قبضه]<sup>(١)</sup>  
إِلَيْهِ مَجُودَ الْأَثَرِ، طَلَبَ انْتِخَابَ [وقام]<sup>(١)</sup> بِخِلَافَتِهِ، مَنْ أُنْتِخِبَ مِنْ طَهَرَةِ عِثْرَتِهِ؛ وَأَوْدَعَهُمْ  
حِكْمَتَهُ، وَكَفَّلَهُمْ شَرِيعَتَهُ؛ فَاقْتَفَوْا سَبِيلَهُ، وَاتَّبَعُوا دَلِيلَهُ؛ كُلُّهُمْ قَبَضَ مِنْهُمْ سَلْقًا إِلَى  
مَقَرِّ مَجْدِهِ، أَصْطَفَى خَلْفًا لِلْإِمَامَةِ مِنْ بَعْدِهِ .

يحمده أمير المؤمنين أن أفضى إليه بَرَاثَ الْإِمَامَةِ وَالرَّسَالَةِ ، وَهَدَى بِهِ كَمَا هَدَى  
يَحْيَاهُ مِنَ الزُّنْجِ وَالضَّلَالَةِ ؛ وَأَخْتَصَّ بِمِيرَاثِ النُّبُوَّةِ وَالْخِلَافَةِ ، وَنَصَبَهُ رَحْمَةً لِلْكَافَّةِ ؛ وَأَتَمَّ  
نِعْمَتَهُ [عليه] كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى آبَائِهِ ، وَأَجْرَلَ حَقَّهُ مِنْ حُسْنِ بَلَاغِهِ ؛ وَأَعَانَهُ عَلَى مَا اسْتَرْعَاهُ ،  
وَوَقَّعَهُ فِيمَا وَلَّاهُ ؛ وَأَنْهَضَهُ بِإِعْزَازِ الْمَلِكِ ، وَإِكْرَامِ الْأُمَمِ ؛ وَإِمَامَةِ الْبَيْتِ ، وَإِبْطَالِ

(١) بياض بالأصل ، والصحيح ما يقتضيه المقام .

الْمُذْهَبِ الْمُفْتَرَعِ ، وَإِحْيَاءِ السُّنَنِ ، وَالِاسْتِقَامَةِ عَلَى لَاحِظِ السُّنَنِ ، وَوَهَبِهِ مِنْ بَيْنِهِ  
وُزْرَتَيْهِ ، مُوَازِينَ عَلَى مَا حَمَلَهُ مِنْ أَعْيَاءِ خِلَافَتِهِ ، وَمُظَاهِرِينَ عَلَى مَا كَلَّفَهُ مِنْ إِمَاعَانِ  
النَّظَرِ فِي بَرِيَّتِهِ .

وَبِسَائِلِ الصَّلَاةِ عَلَى عَهْدِ خَاتَمِ أَنْبِيَائِهِ ، وَالْخَيْرَةِ مِنْ خُلَصَائِهِ ؛ الَّذِي شَرَفَهُ بِخِتَامِ  
رُسُلِهِ ، وَإِقْرَارِ نِيَابَتِهِ فِي أَهْلِهِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى أَخِيهِ وَأَبْنِ عَمِّهِ وَبَابِ حُكْمِهِ ،  
عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَوَصِيِّهِ فِي أُمَّتِهِ ؛ وَعَلَى الْأُئِمَّةِ الطَّاهِرَةِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ ، مَتَابِعِ رَحْمَتِهِ ،  
وَسُرُجِ هِدَايَتِهِ ، وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا .

وَلِإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الْخِلَافَةَ لِلْكَافَّةِ عِصْمَةً ، وَلِأَهْلِ الْإِيمَانِ رَحْمَةً ، تَجْمَعُ  
كَلِمَتَهُمْ ، وَتَحْفَظُ أَفْقَتَهُمْ ؛ وَتُصْلِحُ طَائِفَتَهُمْ ، وَتُقِيمُ فَرَائِضَهُ وَسُدَّتْهُمْ فِيهِمْ ، وَتُعَدُّ رِوَاقَ  
الْعَدْلِ وَالْأَمْنَةِ عَلَيْهِمْ ، وَتَحْمِي أَسْبَابَ الْكُفْرِ وَالنَّفَاقِ ، وَتَهْمَعُ أَهْلَ الْعِنَادِ  
وَالشَّقَاقِ ؛ وَلِذَلِكَ وَصَلَ اللَّهُ حَبْلَ الْإِمَامَةِ ، وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِ أَوْلِيَائِهِ  
إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

وَلَمَّا نَظَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بَيْنَ الْيَقِينِ ، وَأَقْبَسَ مِنَ الْحَقِيقَةِ قَبَسَ [الْحَقِّ] الْمُبِينِ ،  
عَرَفَ مَا نَبِئَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا مِنْ سُرْمَةِ الزَّوَالِ ، وَوَشَكَّ التَّحَوُّلِ وَالِانْتِقَالِ ؛ وَأَنَّ  
مَا قَوَّضَ اللَّهُ إِلَيْهِ مِنْ خِلَافَتِهِ لَا يَدَّ أَنْ يَتَقَلَّ عَنْهُ إِلَى أَبْنَائِهِ الْمَيَامِينِ ، كَمَا انْتَقَلَ إِلَيْهِ  
عَنْ آبَائِهِ الرَّاشِدِينَ ؛ فَلَمْ يَفْتَرِّ بِمَوَاعِيدِهَا الْحَالَ ، وَأَضْرَبَ عَمَّا تَخَدَّعَ بِهِ مِنَ الْأَمَانِيِّ  
وَالْأَمَالِ ؛ وَأَشْفَقَ عَلَى مَنْ كَفَّلَهُ اللَّهُ بِسِيَاسَتِهِ ، وَحَمَلَهُ رِعَايَتَهُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ  
الْمُعْتَصِمِينَ بِحَبْلِ دَعْوَتِهِ ؛ الْمُشْتَمِلِينَ بِظِلِّ بَيْعَتِهِ ، عِنْدَ تَقْضَى مُدَّتِهِ وَزُرُوعِهِ إِلَى آخِرَتِهِ ؛  
فِي الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ، بِالْأَجْلِ الْمَحْتَمُومِ : مِنْ أَنْتِشَارِ الْكَلِمَةِ ، وَأَنْبِيَاتِ الْعِصْمَةِ ؛  
وَأَنْتِشَاقِ الْعَصَا ، وَإِرَاقَةِ النَّمَاءِ ، وَأَسْيِلَاءِ الْفَتَنِ ، وَتَمْطِيلِ الْقُرُوضِ وَالسُّنَنِ ؛ فَنَظَرَ

لهم بما ينظّم شملهم ، ويوصل حبّهم ، ويؤزج ظلمتهم ، ويجمع كلمتهم ، ويؤثّق  
أقنعتهم ؛ ورأى أن يهتد إلى فلان ولده : لأنه قريبه في حليته وقضيه وعقيقته  
في إنصافه وعذله ؛ والملموح من بعده ، والمرجؤ ليوحه وعده ، ولما جمع الله له  
من شروط الإمامه ، وكلّه له من أدوات الخلافه ، وجبّه عليه من الرحمة والرفاه ؛  
وخصّه به من الرصانة والرجاحة ، والشجاعة والسماحه ؛ وآتاه من فضل الخطاب ،  
وجوامع الصواب ومحاسن الآداب ؛ ووقاية الدين ، والميلظة على الظالمين ، والالطف  
بالمؤمنين ؛ بعد أن قدّم استخارة الله تعالى فيه ، وسأله توفيقه لما يرضيه ؛ ووقف  
فكره على اختياره ، ولم يكن باختياره مع إيتاره ؛ ويُلوح في شمائله ، ويستوضح  
في محابله ؛ أنه الوليُّ المحبّي ، والخليفة المصطفى ؛ الذي يحبّ الله به ذمّار الحق ،  
ويُملّ بسلطانه شعار الصدق ؛ وأنه - سبحانه - قد أفضى إليه بما أفضى به إلى  
الخلفاء من قبله ، وأفاض عليه من الكامينات ما أفاضه على أهله ؛ وبعد أن عاينه  
وعاهدته على مثل ما عاهدّه عليه آبؤه : من تقوى الله تعالى وطاعته ، واستشعار  
خيفته ومراقبته والعمل بكتابه وسنته ؛ وإقامة حدود الله التي حثّها ، بفروضة التي  
وكّدها ، والاقتداء بسلفه الراشدين ، في المكافاة عن الدين ، والمساهمة عن أوزار  
المسلمين ؛ وبسّط العدل على الرعية ، والحكم بينهم بالسوية ؛ وإنصاف المظلوم  
من الظلوم ، وكف يد المقتصب العشوم ؛ وصرف ولّاة الجور عن أهل الإسلام ،  
وتخير من ينظر بينهم في المظالم والأحكام ؛ وأن لا يؤلّى عليهم إلّا من يتقّ بعدالته ،  
ويستكنّ إلى دينه وأمانته ؛ ولا يفسح لشريف في التعدي على مشرّف ، ولا يقوى  
في التسلّط على مضعوف ؛ وأن يحلّ الناس في الحقوق على التساوي ، ويحرّيم  
في دولته على التناصف والتكافؤ ؛ ويأمر بحجابه وتوابعه بإبصال الخاصة والعامة إليه ،  
وتمكينهم من عرض حوائجهم ومظالمهم طيه : ليعلموا : الولّاة والعلماء ، أن رعيته

على ذكر منه وبأل؛ فَيَتَحَمَّوْا التَّحِيلَ عَلَيْهِمُ . والإضرار بهم . وأشهد عليه بكل ما شرطه  
وحلَّده ، والعمل بما يحد إليه فيما تقلده . على أنه غنى عن وصية وتبصير ، وتنبية  
وتذكير ؛ إلا أن عمدا سيد المرسلين يقول لعلى صلى الله عليهما ” أُرْسِلَ عَاقِلًا <sup>(١)</sup>  
الافاوصه “ .

فبأيُّوا على بركة الله تعالى طامعين غير مكرهين ، برغبة لا برهبة ، وبإخلاص  
لا بمذاهنة ، ببيعة رضا واختيار ، وأتقياد وإيثار ؛ بصحة من نيأتكم ، وسلامة  
من صدوركم ؛ وصفاه من عقائدكم ، ووفاء واستقامة فيما تضعون عليه أيمانكم ؛  
ليُعرفكم الله [ من ] سُبُوغ النعمة ، وتُمُول الخبره ؛ وحسن العاقبه ، وأتفاق الكلمة ؛  
ما يُقر نواظركم ، ويُرِد ضمائركم ؛ ويذهب غل صدوركم ويعز جانبكم ، ويُذل  
مجانبيكم ؛ فاعملوا هذا وأعملوا به إن شاء الله .

وقد يُفني هذا الكتاب الذي ذكرناه معنى المهد ، فلا يحتاج إلى عهد :

وعلى ذلك كُتِبَ عن الإمام المستنكى بالله أبي الربيع سليمان ، ابن الحاكم بأمر  
الله أحمد ، عهد ولده المستوفى بالله « بركة » بالخلافة بعده . وهذه نسخته :

الحمد لله الذى أيدَ الخلافةَ العباسيةَ بأجلِّ والدٍ وأبرَّ ولدٍ ، وجعلها كلمةً باقيةً  
فى عَقبه والسَّندَ كالسَّندِ ، وآواهم من أضرهم إلى الكَهْفِ فَالْكَهْفِ وإن تَنَاهَى  
العَدَدُ ؛ وزان عطفها بسوددٍ سوادِ شعارهم المسجلةِ أنوارهم ولا شك أن الثور  
فى السَّوادِ ، وَعَدَقَ بِصَوْتِهِمُ النَّبَىُّ مُعْجِزُهَا كُلِّ مُنَادٍ <sup>(٢)</sup> .

(١) كذا فى الأصول مضى عليه وجر .

(٢) له وقدع . أى كَفَّ . تأمل .

مُحَمَّدٌ عَلَى مَآثِرٍ بِهِ مِنْ تَمَامِ النِّعَةِ فِيهِمْ ، وَتُرُوفِ الرَّحْمَةِ بِتَوَافِيهِمْ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً مَحْفُضَةً الْإِخْلَاصَ ، كَافِلَةً مَحْضًا بِالْفِكَالِكَ مِنْ أَسْرِ الشَّرِّكَ وَالْخَلَاصَ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ بِمَا أَوْحَى سُبُلَ الرَّشَادِ ، وَقَعَ أَهْلَ الْعِتَادِ ، وَالشَّفِيعُ الْمَشْفَعُ يَوْمَ التَّنَادِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَتَحَبَّهِ صَلَاةٌ لَا أَقْضَاءَ لَهَا وَلَا نَقَادَ ؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعدُ فَإِنَّ أمير المؤمنين (ويذكر اسمه) يَتَّصِمُ بِاللَّهِ فِي كُلِّ مَا يَأْتِي وَيَذَرُ مَا جَعَلَ اللَّهُ [لَهُ] مِنَ التَّوْفِيقِ ، وَيُسِيرُ إِلَى الصُّوَابِ فِي كُلِّ تَصَرُّعٍ مِنْهُ وَتَعْرِيطٍ ؛ وَإِنَّهُ شَدَّ اللَّهُ أَرْزَهُ ، وَعَظَّمَ قَدْرَهُ ؛ أَسْتَخَارَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْوَصِيَّةِ بِمَا جَعَلَهُ اللَّهُ لَهُ مِنْ الْخِلَافَةِ الْمَعْظَمَةِ الْمَفْخُومَةِ الْمُرُوثَةِ عَنِ الْآبَاءِ وَالْجُلُودِ ، الْمُتْلِقَةِ إِلَيْهِ مَقَالِيدَهَا كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ ابْنُ عَمِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْوَالِدِ مِنْ قُرَيْشٍ وَالْمَوْلُودِ ؛ لَوْلَدِهِ السَّيِّدِ ، الْأَجَلِّ ، الْمَعْظَمِ ، الْمَكْرَمِ ، فَلَانٍ ؛ سَلِيلِ الْخِلَافَةِ وَشَيْبِلِ غَايِبِهَا ، وَنُحْبَةِ أَنْحُسَابِهَا وَأَنْسَابِهَا ؛ أَجَلَهُ اللَّهُ وَشَرَّفَهُ ، وَجَمَّلَ بِهِ عِطْفَ الْأَمَانَةِ وَقَوَّفَهُ : لِمَا تَلَمَّحَ فِيهِ مِنَ التَّجَابَةِ اللَّامِحَةِ عَلَى شَمَائِلِهِ ، وَظَهَرَ مِنْ مَسْتَوْثِقِ إِبْدَاءِ سِرِّهِ فِيهِ بِدَلَائِلِ بُرْهَانِهِ وَبُرْهَانِ دَلَائِلِهِ ؛ وَأَشْهَدُ عَلَى نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ - صَانِعِهَا اللَّهُ تَعَالَى - مَوْلَانَا أَوْ سَيِّدُنَا أمير المؤمنين ، مَنْ حَضَرَ مِنْ حُكَّامِ الْمُسْلِمِينَ : قُضَاةَ قُضَاتِهِمْ ، وَعُلَمَائِهِمْ ، وَعُلُوْلِهِمْ ، يَجْلِسُهُ الشَّرِيفَ ؛ أَنَّهُ رَضِيَ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ فِي الْخِلَافَةِ الْمَعْظَمَةِ ، الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ لَهُ الْآنَ لَوْلَدِهِ السَّيِّدِ الْأَجَلِّ فَلَانٍ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، فَسَّحَ اللَّهُ فِي أَجَلِهِ ؛ وَعَمَّهَدَ بِذَلِكَ إِلَيْهِ ، وَعَوَّلَ فِي أَمْرِ الْخِلَافَةِ عَلَيْهِ ؛ وَالْقِيَّ إِلَى مَقَالِيدِهَا ، وَجَمَّلَ بِيَدِهِ زِمَامَ مُبْدِيْهَا وَمُعِيْدِهَا ؛ وَصَّى لَهُ بِذَلِكَ جَزِيَّتَهُ وَصُكُّيَّتَهُ ، وَظَامِضَهُ وَجَلِيَّتَهُ ؛ وَصِيَّةً شَرِيعَةً بِشُرُوطِهَا الْإِلَازِمَةِ الْمَعْتَبَرَةِ ، وَقَوَاعِلِهَا الْمَحْرُورَةِ ؛ أَشْهَدُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ فِي تَارِيخِ كَذَا .

## الوجه السابع

( فيما يكتب في مستند عهد ولى الخلافة عن الخليفة ، وما يكتبه الخليفة في بيت العلامة ، وما يكتب في ذيل العهد بعد إتمام نسخته من قبول المعهود إليه ، وشهادة الشهود على العهد )

أما ما يكتب في المستند ، فينبى أن يكون كما يكتب في عهود الملوك عن الخلفاء ، على نحو ما تقدم في البيعات ؛ وهو أن يكتب : « بالإذن العالى ، المولوى ، الإمامى ، النبوى ، الفلانى » ( بقلب الخلافة ) أعلاه الله تعالى « أو نحو ذلك من الدعاء .

وأما ما يكتبه الخليفة في بيت العلامة ، فينبى أن يكتب : « عهدت إليه بذلك : لأنه اللفظ الذى ينقذ به العهد . ولو كتب : « فوضت إليه ذلك » كما يكتب الخليفة في عهد السلطان الآن على منساقى ، كفى ذلك . والأبقى بالمقام الأول .

وأما ما يكتب في ذيل العهد بعد إتمام نسخته ، فالمقول فيه عن المتقدمين ما كتب به « على الرضى » تحت عهد المأمون إليه بالخلافة ، وهو :

الحمد لله القمال لما يشاء ، لا معقب لحكمه ، ولا راد لقضائه ، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ؛ وصلواته على نبيه عهد خاتم النبیین ، وآله الطيبین الطاهرين . أقول وأنا على بن موسى بن جعفر : إن أمير المؤمنين عَضده الله بالسداد ، ووقفه للرشاد ؛ عرف من حقنا ما جهله غيره : فوصل أرحاما قُطعت ، وأمن أنفساً فزعّت ، بل أحيّاها وقد تلتقت ، وأغناها إذ افتقرت ؛ مُتبعاً رضا رب العالمين ، لا يريد جزءاً من غيره وسيجزي الله الشاكرين ، ولا يضيع أجر المحسنين ؛

وإنه جعل إلى عهده، والإمرة الكبرى إن بقيت بعده؛ فن حل عقدة أمر الله  
بشدها، أو قسم عروة أحب الله إيثاقها، فقد أباح حريمه وأحل محرمه؛ إذ كان  
بذلك زارياً على الإمام، متبهاً حرمة الإسلام؛ بذلك جرى السالف فصبر منهم  
على القتلات، ولم يعترض بعدها على العزمات؛ خوفاً على شتات الدين، وأضطراب  
حبل المسلمين؛ ولقرب أمر الجاهلية ورصد فرصة تفتت، وباقية يتندر؛ وقد جعلت  
له تعالى على نفسه إن استرقاني على المسلمين، وقلدني خلافته، العمل فيهم عامة  
وفي بنى العباس بن عبدالمطلب خاصة بطاعته وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وأن لا أسفك دماً حراماً، ولا أبيع فرجاً ولا مالاً، إلا ماسفكته حنوده، وأباحته  
فرائضه؛ وأن أتخير الكفاة جهدي وطاقتي. جعلت بذلك على نفسي عهداً مؤكداً  
يسألني [الله] عنه، فإنه عز وجل يقول: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾.  
فإن أحدثت أو غيرت أو بدلت، كنت للغير مستحقاً، وللنكال متعرضاً؛ وأعوذ بالله  
من يتخطه، وإليه أرغب في التوفيق لطاعته، والحول بيني وبين مقصديته، (في عامة  
المسلمين؛ والخاصة والحضريد لانت على ضد ذلك): ﴿وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِي  
وَلَا بِكُمْ﴾: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضِ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾. لكنني استلثت  
أمر أمير المؤمنين وآثرت رضاه، والله يعصمني وإياه؛ وأشهدت الله على نفسي  
بذلك وكفى بالله شهيداً. وكتبت بخطي بحضرة أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه -  
والفضل بن سهل، وسهل بن الفضل، ويحيى بن أكرم، وبشر بن المعتمر، وحماد  
أبن الثعالب، في شهر رمضان سنة إحدى ومائتين.

ثم كتب فيه من حضر من هؤلاء، وهذه صورة كتابتهم.

فكتب الفضل بن سهل وزير المأمون ماصوره:

(١) ثبتت هذه العبارة في الأصل وعليها علامة التوقف. ولم نثرطها في غير هذا الكتاب. تأمل.



”رَسَمَ أمير المؤمنين أطال الله بقاءه قراءةً مضمون هذا المكتوب : ظهره وبطنه ، بحرم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بين الروضة والمنبر على رؤوس الأشهاد ، وصرأى ومسمع من وجوه بني هاشم وسائر الأولياء والأجناد ؛ وهو يسأل الله أن يعرف أمير المؤمنين وكافة المسلمين بركة هذا العهد والميثاق ، بما أوجب أمير المؤمنين المحبة به على جميع المسلمين ، وأبطل الشبهة التي كانت أعترضت آراء الجاهلين : ( مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ) . وكتب ”الفضل بن سهل“ في التاريخ المعين فيه “ .

وكتب عبد الله بن طاهر ماصورته « أثبت شهادته فيه بتاريخه عبد الله بن طاهر بن الحسين » .

وكتب يحيى بن أكرم القاضي ماصورته : « شهد يحيى بن أكرم على مضمون هذه الصحيفة ظهرها وبطنها ، وكتب بخطه بالتاريخ » .

وكتب حماد بن النعمان ماصورته : « شهد حماد بن النعمان بمضمون ظهره وبطنه ، وكتب بيده بتاريخه » .

وكتب بشر بن المعتمر ماصورته : « شهد بمثل ذلك بشر بن المعتمر ، وكتب بخطه بالتاريخ » .

قلت : وعلى نحو ما تقدم من كتابة المهود إليه بالقبول وشهادة الشهود على العهد ينبغي أن يكون العمل أيضا في زماننا : ليجتمع خط العاهد بالتفويض على ما تقدم ، وشهادة الشهود . ولو اقتصر المهود إليه في الكتابة على قوله : « قُبلت ذلك » كان كافيا ، وإن كان أميا أكفى بشهادة الشهود .

## الوجه الثامن

( في قطع الورق الذي تُكْتَب فيه عهودُ الخلفاء، والقلم الذي يُكْتَب به،  
وكيفية كتابتها وصورة وضعها )

أما قطع الورق فمقتضى قول المقر الشهابي بن فضل الله في "التعريف" أن للمهود قطع البغدادى الكامل، وأن عهود الخلفاء تُكْتَب في البغدادى كما هو مستعمل في عهود الملوك عن الخلفاء، على ما سياتى في موضعه إن شاء الله تعالى. وهو مقتضى ما تقدم في الكلام على قطع الورق في مقدمة الكتاب نقلاً عن محمد بن عمر المدائني في كتاب "القلم والمواة" أن القطع الكامل للخلفاء.

قلت : وقد أخبرني من يُوثق به أنه وقف على عهد المتعبد بالله أبي الفتح أبي بكر، وإليه المتوكل على الله : أبي عبد الله محمد خليفة المصطفى، وهو مكتوب في قطع الشامى الكامل ؛ وأنه كُتِبَ عهد المتوكل على ظهره بخط الشهود دون كاتب إنشاء. وكانهم لما تفهقرت الخلافة وضعف شأنها، وصار الأمر إلى الملوك المتغلبين على الخلفاء، تازلوا في كتابة عهودهم من قطع كامل البغدادى إلى قطع الشامى. وهذا هو المناسب للحال في زماننا.

وأما القلم الذي يُكْتَب به، فالحكم فيه ما تقدم في البيعات، وهو إن كُتِبَ المهد في قطع البغدادى، كُتِبَ بقلم مختصر الطومار. وإن كُتِبَ في قطع الشامى، كتب بقلم الثلاثين التحيل.

وأما كيفية الكتابة وصورة وضعها، فعلى ما تقدم في كتابة البيعات، وهو أن يُبتدأ بكتابة الطلوة في أول الدرج بالقلم الذي يُكْتَب به المهد سطوراً متلاصقة ممتدة

في عَرْض الدَّرَج من أوله إلى آخره من غير هامش . ثم إن كانت الكتابة في قَطْع  
 البَقْدَائِي الكامل، جرى فيه على القاعدة المتداولة في عهود الملوك عن الخلفاء؛ فيترك  
 بعد الوصل الذي فيه الطزة ستة أوصال بياضاً من غير كتابة، ثم يكتبُ البسملة  
 في أول الوصل الثامن بحيث يُلْحَقْ أَعْلَى أَلْفَاتِهِ بالوصل الذي فوقه، بهامش قدر  
 أربعة أصابع أو خمسة؛ ثم يكتب تحت البسملة سَطْرًا من أول العهد ملاصقاً لها،  
 ثم يخْلُ مكان بيت العلامة قدرَ شبر كما في عهود الملوك؛ ثم يكتب السطر الثاني  
 تحت بيت العلامة على سَمْت السطر الذي تحت البسملة . ويَحْرِص أن تكونَ نهايةُ  
 السجعة الأولى في السطر الأول أو الثاني؛ ثم يَسْتَرْسِل في كتابة بقية العهد إلى آخره،  
 ويعمل بين كل سطرين قدر رُبع ذراع بذراع القِياس . فإذا آتته إلى آخر العهد،  
 كتب « إن شاء الله تعالى » ثم المستند، ثم الحمدلة، والصلاة على النبي صلى الله  
 عليه وسلم والحسبلة، على ما تقدم في الفوائح والخواتم . ثم يكتب المهودُ إليه  
 والشهود بعد ذلك . وإن كُتِب في قطع الشامي، فعلى ما تقدم في البيعات : من  
 أنه ينبغي أن يُقْتَصَرَ في أوصال البياض على خمسة أوصال، ويكونُ الهامشُ قدرَ  
 ثلاثة أصابع .

وهذه صورة وضعه في الورق، ممثلاً فيها بالطرّة التي أنشأها، على ما تقدم ذكره  
 في العهد الذي أنشأه على لسان الإمام المتوكل على الله خليفة المصطفى المصطفى العباس .  
 وهو العهد الأخير من المذهب الأول من عهود الخلفاء عن الخلفاء

هذا عهد إمامي قد علّت جدوده ، وزاد في الارتقاء في العلياء صعوده ، وفُصِّلَتْ  
 بالجوهر قلائده ونظمت بنفيس الدرر عقوده ؛ من عبادة الله ووليّه الإمام المتوكّل  
 على الله أبي عبد الله محمد ابن الإمام المعتضد بالله أبي الفتح أبي بكر ، بالخلافة  
 المقدسة لولده السيد الحليل ، ذخيرة الدين ، ووليّ عهد المسلمين ، أبي الفضل  
 العبّاس ، بلغه الله تعالى فيه غاية الأمل ، وأقرّ به عين الأئمة كما أقرّ به عين أبيه  
 وقد فعل على ما شرح فيه

بياض ستة أوصال

بسم الله الرحمن الرحيم

هاش هذا عهد سعيد الطالع ميمون الطائر مبارك الأول

عهدت إليه بذلك  
 وكتب فلان بن فلان  
 هرة خط الخليفة

جميل الأوسط جميل الآخر تشهد به حضرات الأملاك  
 وترقّه كف الثريا بأقلام القبول في صحائف الأفلاك وتباهي  
 به ملائكة الأرض ملائكة السماء ، وتسرّى بنشره القبول إلى الأقطار

قد روي في  
 ربيع ذراع  
 والبال بالسن

ماش فتشترله بكل ناحية علماء، وتطلع به سعادة الجسد من ملوك العدل  
في كل أقطابها .

ثم يأتي على الكلام إلى آخر العهد على هذا النمط إلى أن يتمي إلى  
قوله فيه « والله تعالى يلفه منك أملاً، ويحقق فيك لها ويؤتي بك عملاً »

إن شاء الله تعالى

كتب في اليوم الأول من المحرم  
سنة إحدى وثمانمائة

بالإذن العالي ، المولوي ، الإمامي ، النبوي ، المتوكل ،

أعلاه الله تعالى

الحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه

حسبنا الله ونعم الوكيل

شهد على العاهد والمعهود إليه	قبلت ذلك	شهد
فيه زادهما الله شرفاً	وكتب فلان ولى	شهد
وكتب فلان بن فلان	عهد أمير المؤمنين	شهد
وكذا بقية الشهود		

## النوع الثاني

( عهود الخلفاء للولك ، ويتعلق النظر به من سبعة أوجه )

### الوجه الأول

( في أصل مشروعاتها )

والأصل فيها ما رواه ابن إسحاق وغيره : أنه لما رجع وفد بني الحريث بن كعب إلى قومهم بآيمن بعد وفود [هم] على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بأربعة أشهر، بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن وليّ وفدهم عمرو بن حزم، يُفَقِّهَهُمْ فِي الدِّينِ، وَيُعَلِّمُهُمُ السُّنَّةَ وَمَعَالِمَ الْإِسْلَامِ، وَيَأْخُذُ مِنْهُمْ صِدْقَاتِهِمْ . وكتب له كتاباً عهد فيه عهده ، وأمره فيه أمره ، على ماسياتي ذكره في أول نسخ العهود الواردة في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى . فقد فوض النبي صلى الله عليه وسلم أمر آيمن في حياته إلى عمرو بن حزم رضي الله عنه . وذلك أصرح دليل وأقوم شاهد لما نحن فيه .

### الوجه الثاني

( في بيان معنى [الملك والسلطنة اللتين يقعُ العهدُ بهما] )

قد تقدم في الكلام على الانقلاب قولا عن "الفروق" في اللغة للعسكري أن الملك أخص من السلطنة : لأن الملك لا يطلق إلا على الولاية العامة ، والسلطنة تُطلق على أنواع الولايات ؛ حتى إن الفقهاء يعبرون عن القاضي ووالي البلد في أبواب الفقه بالسلطان .

ثم تفويض الخليفة الأمور في البلاد والأقاليم إلى من يديرها ويقوم بأعبائها على ثلاثة أقسام :

القسم الأول — وهو أعلاما وزارة التفويض، وهو أن يستوزر الخليفة من يفوض إليه تدير الأمور برأيه وإمضاءها على آجتهاده، وينظر فيها على العموم .  
وعلى ذلك كانت السلطنة في زمن الخلفاء الفاطميين بمصر على ماسياقي ذكره .  
قال المسوردي في "الأحكام السلطانية" : ولا يمتنع جواز مثل ذلك : لأن كل ما وكل إلى الإمام من تدير [الأمة] لا يقدر على مباشرة جميعه إلا بالإستئابة،  
ونياية الوزير المشارك له في التدير أصح في تنفيذ الأمور، [من تفزده بها] ليستظهر<sup>(١)</sup>  
به على نفسه ولنفسه، فيكون أبعد من الزلل، وأمنع من الخلل . قال : وتعتبر<sup>(٢)</sup>  
في [تقليد] هذه الوزارة شروط الإمامة إلا النسب وحده . وقد تقدم بيان شروط الإمامة في الكلام على البيعات . ثم قال : وكل ماصح من الإمام صرح من وزير التفويض إلا في ثلاثة أشياء :

أحدها — ولاية المهدي . فإن لإمام أن يمهّد إلى من يرى وليس ذلك للوزير .

الثاني — أن للإمام أن يستغني الأمة من الإمامة وليس ذلك للوزير .

الثالث — أن للإمام أن يعزل من قلّده الوزير وليس للوزير أن يعزل من قلّده الإمام .

وتفارق هذه الوزارة الخلافة في عموم النظر فبا عدا ذلك من وجهين :

(١) الزيادة من الأحكام السلطانية ص ١٨ .

(٢) الزيادة من الأحكام السلطانية ص ١٨ .

أحدهما — مختص بالإمام وهو أن يتصفّح أفعال الوزير وتدير الأمور : يُقَرَّر منها ما وافق الصواب ، ويستدرك ما خالفه : لأنّ تدير الأمة إليه موكل ، وعلى أجهاده محمول .

والثاني — مختص بالوزير . وهو مطالعة الإمام بما أمضاه من تدبير ، وأنفذه من ولاية وتقليد : لئلا يصير بالاستبداد كالإمام .

أما وزارة التنفيذ فسيأتي الكلام عليها في تقليد الوزارة إن شاء الله تعالى .

### القسم الثاني — إمارة الاستكفاء .

وهي التي تتعدى عن اختيار من الخليفة . وتشتمل على عمل محدود ونظر مأمود ، بأن يفوض الخليفة إليه إمارة بلد أو إقليم ولاية على جميع أهله ، ونظراً في المعهود من سائر أعماله ، فيصير طام النظر فيما كان محدوداً من عمل ، ومعهوداً من نظر . قال الماوردي : فينظر فيما إليه في تدبير الجيش ، وترتيبه في التواحي ، وتقدير أرزاقهم إن لم يكن الإمام قد قدرها ، وإدارتها عليهم إن كانت الإمام قد قدرها ؛ وكذلك [النظر في] الأحكام ، وتقليد القضاة والحكام ، وجباية الخراج ، وقبض الصدقات والعمل فيهما ، وتفريق ما يستحق منهما ، وحماية الحريم ، والذب عن البيضة ، ومراعاة الدين من تغيير أو تبديل ، وإقامة الحدود في حقوق الله تعالى وحقوق الآدميين ، والإمامية في الجمع والجماعات بالقيام بها ، والاستخلاف عليها ؛ وتسيير الحجيج من عمله ومن يمر عليه من غير عمله ؛ وجهاد من يلبه من العدو ، وقسم الغنائم في المقاتلة ، وأخذ ثمنها لاهل الخمس . وله أن يتخذ وزير تنفيذ لا وزير تفويض .



وعلى هذا كانت الأمراء والمآل في الأقاليم والأمصار من ابتداء الإسلام إلى أن تغلب المتغلبون على الأمر واستضعف جانب الخلفاء .

قال الماوردي : ويعتبر في هذه الإمارة ما يعتبر في وزارة التفويض من الشروط : إذ ليس بين عموم الولاية وخصوصها فرق في الشروط المعبرة فيها .

### القسم الثالث - إمارة الاستيلاء .

وهي أن يقدّم الخليفة<sup>(١)</sup> الإمارة على بلاد ويقوض إليه تدبيرها ، فيستولى عليها بالقوة ، فيكون [ الأمير ] باستيلائه مستديراً بالسياسة والتدبير ، والخليفة بإذنه يتخذ أحكام الدين : لتخرج عن الفساد إلى الصحة ، ومن الحظر إلى الإباحة ، نافذ التصرف في حقوق الملة وأحكام الأمة . وهذا ما صار إليه الأمر بعد التغلب على الخلفاء ، والاستبداد بالأمر بالقبة والقوة .

قال الماوردي : وهذا وإن خرج عن عرف التقليد المطلق في شروطه وأحكامه ، فيه [ من ] حفظ قوانين الشرع وحراسة الأحكام الدينية مالا يجوز أن يترك محتلاً مذخوراً ، ولا فاسداً معلولاً ، فجاز فيه مع الاستيلاء والاضطرار ، ما أمتنع في تقليد الاستكفاء والإختيار : لوقوع الفرق بين شروط المكنة<sup>(٢)</sup> والعجز . قال : والذي يحتفظ بتقليد المستولى من قوانين الشريعة سبعة أشياء ، يشترك في التزامها الخليفة الموالي والأمير المستولى ، وجوبها في جهة المستولى أظن .

(١) عبارة "الأحكام السلطانية" وإمارة الاستيلاء التي تفقد عن اضطراب فهي أن يستولى بالقوة على بلاد يقدّم الخليفة إمارتها ويقوض إليه الخ وهو أوضح وأصرح .

(٢) في المصباح . وله مكنة أى قوة وشدة .

أولها - حفظ منصب الإمامة في خلافة النبوة، وتدير أمور الأمة : ليكون ما أوجبه الشرع من إقامتها محفوظا، وما تفرع عنها من الحقوق محروسا .

والثاني - ظهور الطاعة الدينية التي يزول معها حكم العناد في الدين ، وينتفي بها ما تم المبالغة له .

والثالث - اجتماع الكلمة على الألفة والتناصر : ليكون المسلمون بذا على من سيوأمهم .

والرابع - أن تكون عقود الولايات الدينية جائزة، والأحكام والأفضية [فيها] نافذة؛ لا تبطل بفساد عقودها، ولا تسقط بحلل عقودها .

الخامس - أن يكون استيفاء الأموال الشرعية بحق تبرأ به ذمة مؤديها ، ويستطيعه أخذها ومعطياها .

السادس - أن تكون الحدود مستوفاة بحق ، وقائمة على مستحق ؛ فإن جنب المؤمنين جنى إلا من حقوق الله تعالى وحدوده .

السابع - أن يكون للأمة في حفظ الدين وإزعج عن محارم الله تعالى، يأمر بحقه إن أطيع، ويدعو إلى طاعته إن عُصى . ثم قال : فإن كُلت فيه شروط الاختيار المتضمنة، كان تقليده حتما استدعاء لطاعته ، ودفعاً لمشاقته ومخالفته ؛ وجرياً على من استوزره أو استنابه أحكام من استوزره الخليفة أو استنابه . وإن لم تكمل [فيه] شروط الاختيار ، جاز له إظهار تقليده استدعاء لطاعته وحسماً لمخالفته ومعادنته ، وكان نفوذ تصرفاته في الحقوق والأحكام موقوفاً على أن يستتب الخليفة

له من تكاملت فيه الشروط . قال : وجاز مثل هذا وإن شدد عن الإصويل : لأن  
الضرورة تُسقط ما عوّز من شروط المكنة .

قلت : ومملكة الديار المصرية من حين الفتح الإسلامي وهلمّ جراً إلى زماننا  
ذاتةً بين هذه الأقسام الثلاثة ، لا تكاد تخرج عنها : فكانت في بداية الأمر « إمارة  
استكفاء » يولى عليها الخليفة في كل زمن من يقوم بأعبائها ، ويتصرف في أمورها ،  
قاصر الولاية عليها ، واقف عند حد ما يرد عليه من الخليفة من الأوامر والنواهي ،  
إلا ما كان في أيام بني طولون من الخروج عن طاعة الخلفاء في بعض الأحيان .  
فلما استولى عليها الفاطميون واستوزروا أرباب السيف في أواخر دولتهم ،  
وعظمت كلمتهم عندهم ، صارت سلطنتها « وزارة تفويض » . وكان الخليفة يحتاج  
والوزير هو المتصرف في المملكة كالمُلك الآن أوقريب منهم . وكانوا يُلقبون بالقب  
المُلك الآن : كالمُلك الأفضل رضوان وزير الحافظ ، وهو أول من لُقّب بالملك  
منهم فيما ذكره المؤيد صاحب حاة في تاريخه . والملك الصالح طلائع بن رزيك  
وزير الفاتح العاضد . والملك المنصور أسد الدين شيركوه بن شاذي وزير العاضد ،  
وابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب وزير العاضد أيضاً ، قبل أن يستقل  
بالمُلك ويخطب بالديار المصرية لبني العباس ببغداد . ولأنكر في تسمية الوزير ملكاً ،  
قد قيل في قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِي بِهِ  
أَسْتَخْلِفُهُ لِنَفْسِي ﴾ إن المراد بالملك الوزير لا الملك نفسه . ولما أترعت من  
الفاطمين وصارت إلى بني أيوب ، وكانوا يُلَوْنها عن خلفاء بني العباس ،  
صارت « إمارة استيلاء » لاستيلائهم عليها بالقوة ، واستبدادهم بالأمر والتسيير  
مع أصل إذن الخليفة وتقليده . وكان الرشيد قد لُقّب « جعفر بن يحيى البرمكي »

في زمن وزارته له بالسلطان ، ولم يأخذ الناس في التقيب به . فلما تَلَبَّ  
 الملوك بالشرق على الخلفاء وأستبدوا عليهم ، صار لقبُ السلطان سِمةً لهم ، مع  
 ما يختصهم به الخليفةُ من ألقاب التشریف : كَشَرَفِ الدَّوْلَةِ ، وَعَضْدِ الدَّوْلَةِ ،  
 وَرُكْنِ الدَّوْلَةِ ، وَمُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، وَعِزِّ الدَّوْلَةِ ، ونحو ذلك . وشاركهم في لقب السلطنة  
 غيرهم من ملوك النواحي ، فنلقب بذلك صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وتلقب  
 بالملك الناصر عند استبداده بالملك على العاضد الفاطمي بعد وزارته له ، ونقل  
 ما كان من وزارة التفويض والعهد بها إلى السلطنة ، وصارت الوزارة عن السلطان  
 معدومةً بقدر مخصوص من التصرف . وبقي الأمر على ما هو عليه من الاستيلاء  
 والاستبداد بالملك ، مع أصل إذن الخليفة وكتابة العهد بالملك ، وهي على ذلك إلى  
 زماننا ، إلا ما كان في زمن تعطيل جيد الخلافة من الخلفاء ، من حين قتل التتار  
 « المستعصم » آخر خلفاء بني العباس ببغداد إلى حين إقامة الخليفة بمصر  
 في الدولة الظاهرية ببرس . على أن في السلطنة الآن شبها من وزارة التفويض ،  
 فإن الخليفة يفوض إليه في تقليده تدبير جميع الممالك الإسلامية بالتفويض العام  
 لا يستثنى منها شيئا . وغير هذه المملكة وإن كان خارجا عن يده فهو داخل في عموم  
 ولايته ، حتى لو غلب على شيء منها أوقفه لم يحتج فيه إلى تولية جديدة من  
 الخليفة . ولا مانع لذلك : فسيأتي في الكلام على المناشير أنه يجوز للإمام أن يقطع  
 أرض الكافر قبل أن تفتح ، وإذا جاز ذلك في الإقطاع ففي هذا أولى . وحينئذ  
 فتكون سلطنة الديار المصرية الآن مركبة من وزارة التفويض وإمارة الاستيلاء .

### الوجه الثالث

(فما يجب على الكاتب مراعاته فيه)

وأعلم أنه يجب على الكاتب مراعاة أمور :

منها — براعة الاستهلال بما يتبها له من آسم السلطان أو لقبه الخاص : مثل فلان الدين ، أو لقبه بالسلطنة : مثل الناصر، والظاهر، ونحوهما ؛ أو غير ذلك مما يدل على ما بعده قبل الإتيان به كما تقدم في البيعات وعهود الخلفاء .

ومنها — التنبيه على شرف السلطنة وعلورتبتها ، ووجوب القيام بأمر الرعية ، وتعمل ذلك عن الخليفة .

ومنها — الإشارة إلى اجتهد الخليفة وإعمال فكره فيمن يقوم بأمر الأمة ، وأنه لم يجد بذلك أحق من المعهود إليه ولا أولى به منه ، فيصفه بالصفات الجميلة ، ويثني عليه بما يليق بمقام الملك .

ومنها — الإشارة إلى جردان لفظ تنعقد به الولاية من عهد أو تقليد أو تفويض ، وقبول ذلك ، ووقوع الإشهاد على الخليفة بالمهد .

ومنها — إيراد ما يليق بالمقام من الوصية ، بحسب ما يقتضيه الحال : من علورتبة الخلافة وانخفاضها ، مينا لما يلزمه القيام به : من حفظ الدين على أصوله المستقرة ، وما أجمع عليه سلف الأمة ، وتنفيذ الأحكام ، وإنصاف المظلوم من الظالم ، وحماية اليضة ، والدب عن الحرم ، وإقامة الحدود ، وتمصين الثنور ، وجهاد أعداء الله وغزوهم ، وجباية الثى ، والصدقات على ما أوجبه الشرع من غير حيف ولا عسف ،

وتقدير العطاء، وصرف ما يستحق في بيت المال من غير سرف ولا تقتير، في وقت الحاجة إليه، واستكفاء الأمناء، وتقليد النصح للأعمال والأموال، ومباشرة الأمور بنفسه وتصفح الأحوال؛ إلى غير ذلك من الأمور المتعلقة بالإمامة: من إقامة موسم الحج، وتأمين الحرم الشريف وإكرام ضرائح الأنبياء وبيت المقدس، وتحرير مقادير المعاملات، وغير ذلك مما يقتضيه أمر المملكة.

### الوجه الرابع

(فما يكتب في الطرة، وهو خطان)

الخط الأول — ما كان يكتب في وزارة التفويض في دولة الفاطميين

وكان الخليفة هو الذي يكتب بيده . وهذا أمر وإن كان قد ترك فالمعرفة به خير من الجهل ، خصوصاً وقد أثبت المقر الشهابي بن فضل الله عهدى أسد الدين شيركوه وأبن أخيه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بالوزارة عن العاضد، في جملة عهود الملوك على ما سيأتي ذكره . وسؤددهما في جملة عهود الملوك عن الخلفاء فيما بعد إن شاء الله تعالى .

فمن ذلك ما كتب به العاضد في طرة عهد أسد الدين شيركوه المتقدم ذكره، وهو :

« هذا عهد لا عهد لوزير بمثله ، وتقليد أمانة رآك الله تعالى وأمير المؤمنين أهباً لحمله ، وأجته عليك عند الله بما أوصحك لك من مرأشد سبله ، فقد كاتب أمير المؤمنين

يُؤْمَرُ، وَاتَّحَبَ ذَيْلَ النَّخَارِ بِأَن لَّعَنَتْ خِدْمَتُكَ إِلَى بُتُوَةِ النَّوَى، وَاتَّخَذَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ  
لِلْفَوْزِ سَيْلًا ( وَلَا تَقْضُوا الْإِيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ) ١٠

ومن ذلك ما كتب به العاضد أيضا في طرة العهد المكتب عنه بالوزارة  
للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب قبل استقلاله بالسلطنة ، وهو :

« هذا عهد أمير المؤمنين إليك ، ومُجْتَه عند الله تعالى عليك ، فَأَوْفِ بِعَهْدِكَ  
وَيَمِينِكَ ، وَخُذْ كَلَامَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَمِينِكَ ، وَلَمَنْ مَضَى بِمُحَدَّثَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنُ أَسْوَهُ ، وَلَمَنْ بَقِيَ بَقَرْنَا أَعْظَمُ سَلَوَهُ ( تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ جَعَلَهَا لِلَّذِينَ  
لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا سَفَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقِينَ ) » .

النمط الثاني — ما يُكْتَب في طرة عهد الملوك الآن .

وهو قريب مما كان يُكْتَب أولا مما تقدم ذكره ؛ إِلَّا أَنَّهُ يُبَدَّلُ فِيهِ لَفْظُ الْوِزَارَةِ  
بِالْمُلْكِ وَالسُّلْطَنَةِ ، وَيَكُونُ الَّذِي يَكْتُبُهُ هُوَ الَّذِي يَكْتُبُ الْعَهْدَ دُونَ الْخَلِيفَةِ . ثُمَّ هُوَ  
بِحَسَبِ مَا يُؤَثَرُ مِنَ الْكَاتِبِ مِمَّا يُدْلُّ عَلَى صَدْرِ الْعَهْدِ عَلَى مَا يَنْتَضِيهِ الْحَالُ .

وهذه نسخة طرة عهد ، كتب بها القاضي محي الدين بن عبد الظاهر ،  
في نسخة عهد أنشأه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، في سنة سبع عشرة  
وسبعمائة ، وهو :

« هذا عهد شريف تجددت مَسَرَّتْ الإسلام بتجديده ، وتأكدت أسباب  
الإيمان بتأكيده ، ووجد النصر العزيز والفتح المبين بوجوده ، ووقد أئمن والإقبال

على الخليفة يؤثمه، وورد الأثم مؤرد الأمان يؤثمه . من عباده ووليه الإمام  
المستكفي بالله أبي الربيع سليمان أمير المؤمنين ، ابن الحاكم بأمر الله أبي العباس  
أحمد . عهد به إلى السلطان الملك الناصر أبي الفتح محمد ، خلد الله سلطانه ،  
أبن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحى قدس الله روحه .

تم الجزء التاسع . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء العاشر

وأثره الوجه الخامس

( فيما يكتب فى القباب الملوك عن الخلفاء ، وهو نمطان )

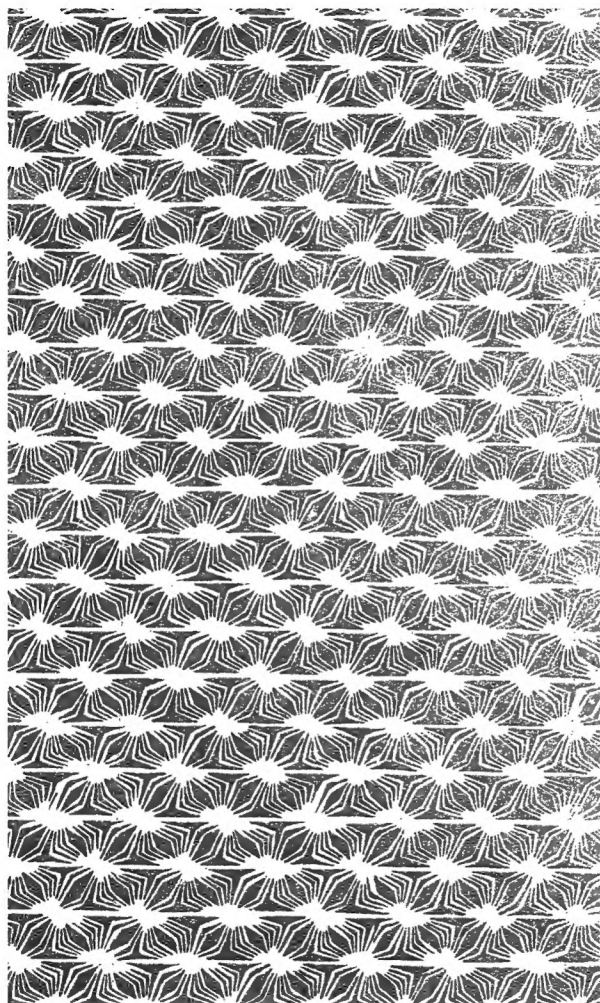
والحمد لله رب العالمين . وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين

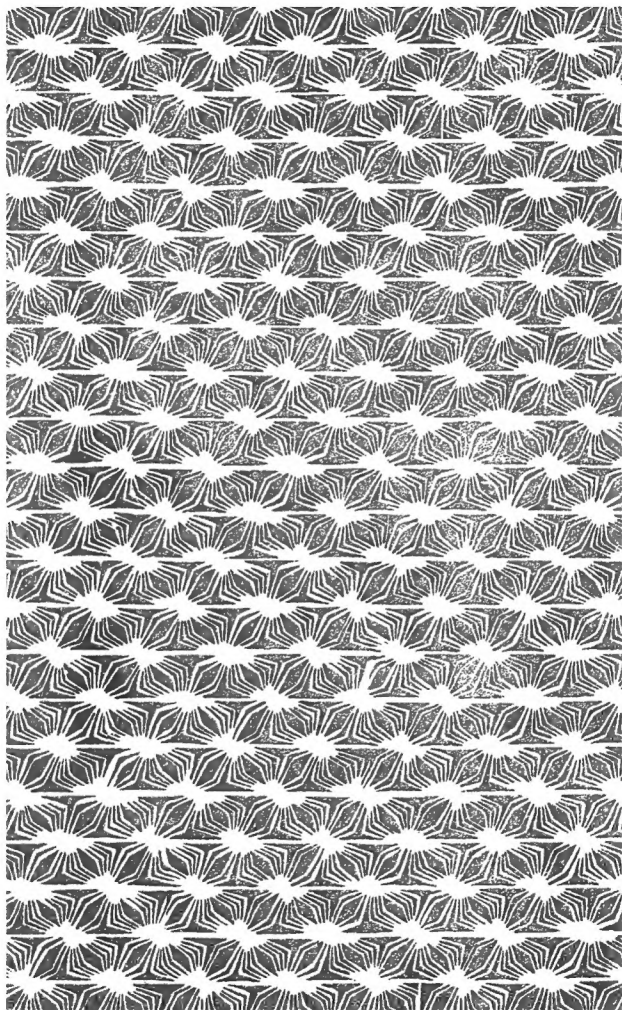
وآله وصحبه والتابعين وسلامه

وحسبنا الله ونعم الوكيل









Bibliotheca Alexandrina



0698743